

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية .

قسم اللغة العربية

# البنية الحوارية في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية في السور المكية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في شعبة اللغة

و الدراسات القرآنية .

إشراف الأستاذ الدكتور : رابح دوب

إعداد الطالبة: رزيقة طاوواو

◆ لجنة المناقشة:

▪ الأستاذ الدكتور: الربيعي بن سلامة جامعة الإخوة منتوري قسنطينة / رئيسا

▪ الأستاذ الدكتور : رابح دوب جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة / مشرفا ومقررا .

▪ الدكتور : صالح خديش. جامعة خنشلة. /عضوا مناقشا

▪ الدكتور(ة): ذهبية بورويس. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. /عضوا مناقشا

▪ الأستاذ الدكتور : محمد. عظام. جامعة. باجي مختار عنابة. /عضوا مناقشا .

▪ تاريخ المناقشة...../ 05 / 2010

السنة الجامعية: 2010/2009 - 1431/1430 هـ



جامعة الأميرة

الإسلامية

## الإهداء

أهدي هذا العمل إلى عمتي كيانتي، أُمِّي نخيلا في المدى يجري  
مدى الدهر ووالدي الذي كان منحازا إلى الخير بلا فخر مدى  
العمر، أنتما رفيعا الشأن و الذكـر.  
إلى أخواتي و إخوتي الأعزاء، أريجا يفوح بالعطر .  
إلى من يجدون في القرآن أملهم في النجاة أهدي هذا الجهد.

## شكر و إهداء

أشكر الله عز و جل أن قدر لي هذا العمل في خدمة القرآن  
الكريم و أرجو من الله أن يتقبله عني.  
و أهدي هذا العمل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور رابع  
دوب الذي سدد خطاي و أضاء لي سبيل العلم ،  
و زرع في أعماقي حب البحث العلمي ، و التفاني فيه ،  
و أرجو من الله تعالى أن يجزيه الخير الكثير.

# الحق في الحقيقة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

www.ama.ac.dz

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد الأمين و على آله  
وصحبه و المؤمنين إلى يوم الدين أما بعد:

فهذه دراسة موسومة ب " البنية الحوارية في الخطاب القرآني " مقارنة أسلوبية على السور  
المكية ، في محاولة لدراسة ملامح التشكيل الأسلوبي في المنجز الحواري القرآني . صياغة وتعبيراً  
وأداءً .

و الحق أن لهذا الموضوع في نفسي حكاية ، قد تكون دافعا موضوعيا مبدئيا له ، إذ اخترت  
توجها في البحث يكمن في دراسة العقلية العربية من خلال الشعر ، فكان البحث الأول موسوما  
ب " العقلية الشعرية عند زهير بن أبي سلمى " ، ثم كان الاستمرار على هذا النحو حيث  
وسم البحث الثاني ب " تجليات العقل في بنية الخطاب الشعري عند أبي تمام " ، فكان لا بد إثر  
تناول هذا الموضوع من ضرورة التعرض للروافد الثقافية التي رقد منها الشاعر لقول جديده ،

و لأن الشاعر قد أثار حركة نقدية نشطة ، تعد من أخصب حركات التجديد في العصر  
العباسي ، حيث احتدم الصراع بين اتجاهين ، هما الاتجاه القرآني الذي حمل لواء الأصالة والبقاء  
والاستمرار ، و الاتجاه الجديد الذي نزع إلى الحدائث في كل شيء ، فإن آليات الصراع لا بد  
وأن تستمد من رافد مكين ، فالنقاد يتفقون أن المجال النقدي قبل ذلك كان خاضعا للذوق  
والنظرات الذاتية التي غالبا ما تفتقد إلى الحجة ، لذلك فالرافد الذي توسل به النقاد في محاجتهم  
هو منهج القرآن ، فالقرآن الكريم ذكر الكثير من الأساليب الاحتجاجية التي عن طريقها تعلم  
النقاد الطريقة المثلى لإظهار محاسن النص و مساوئه ، و الكتب و المصادر النقدية و الأدبية  
والبلاغية تعج بالأمثلة على ذلك ، يكفي التنويه بالطريقة التي لجأ إليها أصحاب البحتري  
وتسلحوا بها لخوض غمار المعركة النقدية و الأدبية متخذين من سبيل المقارنة بين البحتري و أبي  
تمام القطب الذي تدور حوله كل التحليلات ، ثم العودة إلى الخطاب القرآني ، كما كشف  
الأمدي عن أخطاء أبي تمام بعد عرضها على القاعدة اللغوية و المعنوية للخطاب القرآني .

و أثناء مزاولة البحث في موضوع تجليات العقل في بنية الخطاب الشعري عند أبي تمام ، برز  
اعتقاد بإمكانية الوصول إلى المرمى بيسر من خلال قراءة المستويات النظامية في البنية الشعرية ،  
فإذا بأغلب المرجعيات التي توسل بها البحث ، تحمله كم من مرة إلى ما وجد قبل الشاعر ، على

اعتبار أن السابق هو الذي يؤسس للاحتق ، بل أن الشاعر ذاته يجيل قارئه في أكثر من موضع في الخطاب الشعري الواحد إلى مواقف هامة من آيات الذكر الحكيم ، لدرجة أنها تتسع لا لتشمل جزئيات الخطاب الشعري فحسب بل على مستوى الموضوعات التي يعالجها مما يكشف قدرة فذة على تطويع شعره ليتلقى معاني الآيات ، و بهذا أضحي البحث في حوار مع فن الشاعر و في سياحة داخلية من خلاله ، نظرا لسبقه الثقافي الذي تجاوز به نقاد عصره ، و يعزى ذلك إلى حسن قراءته و وعيه للمصادر الإسلامية و قدرته على تمثيلها في شعره تمثلا جيدا ، و صار بذلك من الصعوبة علي غلق هذا الحوار ؟ هذا الحوار الذي يتطلب كفاءة عالية و متميزة للتداول مع أطرافه .

مما سبق برزت قناعة و رغبة كبيرة في قراءة الحوار القرآني برؤية جديدة تكشف عن قيمة هذا الكتاب الخالد ، هذا الدوحة الباسقة الظلال ، الدانية الجني ذات الظل الممدود .

و في ظل استخدام القوة بين الشعوب كأداة لتحقيق المصالح ، يكون الدافع الآخر لهذا الخيار البحثي ، إذ يجابه القرآن الكريم قضية خطيرة تكمن في نظر الآخر على أنه دين لا يسمح لوجهات النظر الأخرى أن تعبر عن نفسها في حضوره ، و إن كانت أهم المسائل التي جابهت الإسلام هي قضية الإعجاز حيث أقبل المغرضون يريدون تحطيم قدسية الوحي منادين أن القرآن غير معجز و ليس وحيا و لا يختلف عن الكتب الدينية الأخرى في شيء ، لأجل ذلك انبرى علماء المسلمين من لغويين و نحاة و مفسرين و متكلمين يدافعون عن الخطاب القرآني ، حتى تركوا لنا تراثا غنيا و فخما ، فأثروا ميدان النقد و البلاغة بما انتهوا إليه من حقائق ممتازة ، وبالرغم من ذلك فيبدو أن مظاهر الإعجاز التي اتخذ منها علماء المسلمين مجالا للدفاع عن الخطاب القرآني لم تخصص للحوار مساحة كافية و مستقلة ، يمكن عددا وثيقة تفينا حاجتنا الأسلوبية و الفكرية على حد سواء ، ثم عددا أداة للتداول مع ذاتنا و مع غيرنا .

و يقر دارسو المتن القرآني أن الباحثين في أسرار الإعجاز القرآني قد أجادوا البحث في شتى وجوهه باستثناء الجانب الإعجازي فإنهم لم يصلوا إلى مقطع الصواب ، و ذلك يرجع إلى اعتبارات شتى أهمها كون القرآن الكريم محكيا بكيفيات و اعتبارات لا يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما و إلا أمكن صدور الكلام المعجز عن بشر ، هذه الاعتبارات ذات جوانب مختلفة نفسية أسلوبية سياقية و بيانية ... و رغم ذلك تبقى علينا مسؤولية الاجتهاد في مواصلة البحث

عن أسرار الإعجاز القرآني ، ذلك أن هذه المسؤولية لا يمكن أن تنجز إلا بتراكم الخبرات والتحارب البحثية عبر الزمن .

و لكي تستمر الحياة فلا بد من الحوار لأن المجتمعات تعيش في حاجات متضادة و أفكار ومشاعر مختلفة و قد يقف أفرادها إزاءها متحاررين متحاقدين كأسلوب من أساليب التعبير عن ذواتهم فيما تريد أو لا تريد ، فما أحوجنا اليوم إلى الحوار في علاقاتنا و ما أعوزنا إلى أسلوب لتبليغ معتقداتنا !.

و مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو الوثيقة الرائعة للحوار و هو المدرسة التي انطلق منها الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته و التابعون إلى أهدافهم النبيلة في الحياة ، إذ يخبرنا القرآن الكريم كيف خلق الله الإنسان و علمه البيان ، ليقوم تواصل حواريا مع عناصر الكون الواسع يفضي به إلى اليقين بوجود إله واحد ، ثم كيف علم الأنبياء الناس طبيعة الكلمة التي تأخذ وتعطي فيعالج بها مشاكلهم و خلافاتهم ، لأن الكلمة منفذ يطل منه الإنسان ليعرف ما في داخل الآخرين .

و لما كان أسلوب الحوار القرآني هو أسلوب القرآن الكريم ذاته بأسلوبه الرفيع ، فقد ظهر مسوغ تأمل تفرد الأسلوب ، فالمقولات الحوارية التي حكها الله على لسان الشخص ب طريقة خاصة تعكس انفعالهم و أفكارهم و طباعهم و مكونات أنفسهم . مما أدى إلى تنوع أساليبه وأشكاله حسب مقتضى الحال و داعية المقام . مما يدفع الدارس دفعا إلى تأمل كفيات بنائه وصياغته .

سبق الإشارة إلى أن أسلوب الحوار في الخطاب القرآني كأداة تواصل لها بعدها الحضاري والجمالي ، لم تخصص له مساحات بحث كافية في المصادر العربية القديمة رغم كونها تأسيسا لهذا الموضوع ، لذلك من المفيد الإشارة إلى ما بذل من جهد ، في مجال دراسات إعجاز القرآن الكريم لأنها مرجعية لا بد منها ، و من تلك الجهود ما أثر عن علماء التفسير كابن كثير ، و الرازي ، و الطبري ... الخ و هي كلها اجتهادات هامة في فهم الخطاب القرآني و تعدها الدراسة المفتاح الأول للبحث في موضوع الحوار ثم جهود البلاغيين لا سيما المعتزلة مثل " البيان و التبيين " للجاحظ و كتاب " الصناعتين " لأبي هلال العسكري ، " الكشاف " للزمخشري ، الذي يعد بحق تفسيرا هاما كان له الفضل الجليل في فك شفرات الكثير من المهمات التي واجهت الدراسة .



و في المقابل نجد ما أثر عن علماء الأشاعرة ، ككتاب " إعجاز القرآن " للباقلاني ، وكتابي  
"دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة" للجرجاني و" النكت في الإعجاز" للزماني  
و" البرهان" للزركشي و" الإتقان" للسيوطي .. إلخ .

و هناك كوكبة من الباحثين المعاصرين من بحثت فيما يمت بصلة مباشرة أو غير مباشرة لموضوع  
الحوار في القرآن الكريم ، و جل هذه الدراسات لما تناولت الحوار انبرت فحسب لعرض ما  
يحويه من مضامين ، دون أن تكشف النقاب عن دور البنية التكوينية للخطاب الحوارى في إثراء  
تلك المضامين ، و إن وجدت تكون الإشارة إلى ذلك عابرة و سريعة ، و من هذه الجهود نجد  
دراسة تمام حسان " البيان في روائع القرآن " و دراسة عبد الخالق عزيمة " دراسات أسلوبية  
للقرآن الكريم " و دراسات عبد الحليم حفي " أسلوب الحوارة في القرآن الكريم " و  
أسلوب السخرية في القرآن الكريم " و " إنصاف الخصم في القرآن الكريم " باستثناء دراسة  
للباحث فوز سهيل كامل نزال موسومة ب " لغة الحوار في القرآن الكريم " تناول فيها أسلوبية  
اللغة الحوارية في القرآن الكريم بشكل من التفصيل و التحليل ، و في حقيقة الأمر ، إن هذه  
الجهود لا تخفي أهميتها الجليلة.

كما تناولت دراسات عديدة الحوار في إطار حديثها عن القصة القرآنية بوصفه عنصر الحركة  
الذي يساند السرد القصصي ، من بينها " التصوير الفني في القرآن الكريم " لسيد قطب و"  
دراسات فنية في القصص القرآني " لمحمود البستاني ، و" القصص القرآني في منطوقه و مفهومه"  
لعبد الكريم الخطيب ...

و تناولت مجموعة من الدراسات آداب الحوار و المناظرة ، و السلوكيات التي لا بد للمحاور  
أن يتصف بها ؛ منها دراسة حسين فضل الله " الحوار في القرآن الكريم ، قواعده ، أساليبه ،  
معانيه " و " أصول الجدل و المناظرة في الكتاب و السنة " ل محمد العثمان ، و " فن الحوار  
" لفیصل بن عبدة قائد الهاشمي " و " الخطاب القرآني " القرآن مرجعية للخطاب  
النهضوي لسعد كموني حيث تناول في مؤلفه أسلوب الدعوة في الخطاب القرآني نظرية  
وتطبيقا بأسلوب شيق ، و لا شك أن الدراسة أفادت من هذه الجهود القيمة التي يسرت  
للدراسة معبر الولوج إلى عالم الخطاب الحوارى القرآني .

فكل جهد علمي حديث ، يجب أن يبدأ من حيث انتهى من سبقه و يؤسس لمن يأتي بعده  
وعليه فإن النظر بعين التقدير و الاحترام و الوفاء لجهود السابقين بالفضل .

و قد وقفت الدراسة على ضريين من المصادر البحثية و التأليفية :

— ما يخص متن الرسالة و قد سبق الحديث عنه .

— ما يخص منهج الرسالة ، و من ذلك مختلف الجهود البحثية التي تناولت الأسلوبية تنظيرا  
وإنجازا منها : " الأسلوبية و الأسلوب " ل عبد السلام المسدي و " علم الأسلوب مبادئه  
وإجراءاته " صلاح فضل و " مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا و إنجازا " ل " الهادي جلطايوي "   
والبلاغة و الأسلوبية " ترجمة محمد العمري و " الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية " لعبد القادر  
عبد الجليل .. إلخ

و لا بد لكل جهد علمي من فرضية يصدر عنها محاولا في دراسته إيجاد حلول مناسبة لها، أو  
عرضها عرضا علميا و تنطلق إشكالية هذه الدراسة من الأسئلة الآتية :

- كيف يبني الحوار في القرآن الكريم ؟
- ما هي مراحل الحوار و كيف هي أجواؤه ؟
- ماهي مسوغات النظم الحوارية في القرآن الكريم ؟
- ما نوع الأساليب الحوارية و ما مدى ارتباطها بالجو العقلي و النفسي للتفكير ثم ما  
مدى توفر العناصر الحسية و الروحية في جميع جوانبه ؟
- كيف تعبر شخصيات المحاوررة عن نفسها و عن مقاصدها ؟

وقد اعتمدت الدراسة على المقاربة الأسلوبية مسبارا يكشف عن القيمة الجمالية و البنائية  
للمحاورة القرآنية من خلال فحص هذه البنية و مكوناتها و وظيفتها، من خلال عرض الظواهر  
الأسلوبية و مراقبة انتمائها إلى أي صنف من عمليات العدول ، هل هو عدول يتأسس على تقوية  
الانتظام الملازم للنظام اللغوي ؟، و لكي يحقق الخطاب الحوارية تلك التقوية فإنه يعتمد على  
عدة أمور أبرزها : التراكم ، التعادل ، التشابه ، الحذف ، التقديم التأخير، التعريض .. إلخ

واستعانت الدراسة بالمعالجة الإحصائية لرصد مدى شيوع بعض الاختيارات التعبيرية دون  
غيرها ثم أنماط توزيعها ، و قد يطعن البعض في قيمة المعالجة الإحصائية التي وظيفت في هذا  
البحث نظرا لوضوح ميل استخدام الحوار القرآني لأدوات تعبيرية معينة ، بيد أن ما تتصوره  
الدراسة أن الملاحظات الحسية تبقى في عداد الافتراض و الحدس الذي يحتاج إلى يقين مسن

خلال البحث عن وسيلة إجرائية علمية منهجية تختبر الأحكام الافتراضية ، و من ثم تصحح للمعالجة الإحصائية قيمتها ، بل و أن الحكم المعتمد على الحدس و الحكم المؤسس على الإحصاء ليس حتما أن يكونا على طرفي نقيض ، فالغالب أن يتفقا ذلك أن المعالجة الإحصائية لا بد و أن يردفها تحليل لمدى كثافة ظاهرة معينة في الخطاب الحوارى ، و رغم ذلك لا بد من التصريح أن النسب المتحصل عليها تقريبية لحد ما و ليست نهائية ، مع الإشارة إلى أن تحقيق الدقة المطلقة في هذا الخصوص يكاد يتعذر لتضمن أغلب آيات القرآن الكريم الحوار بشتى أصنافه و كذلك مكوناته الأسلوبية المختلفة .

وكانت هيكلية الدراسة قائمة على مقومات هذا المنهج ، فحاء البحث في أربعة أبواب و كل باب بثلاثة فصول ، فأما الباب الأول فكان عبارة عن مدخل يوضح أساسيات و مقولات المنهج و التعريف بمدونة الدراسة ، حيث وقفت الدراسة على التعريف بالمقاربات المنهجية التي تناولت الحوار أو المقاربات التي كان بالإمكان أن تكون صالحة لهذه الدراسة مثل التداولية و البلاغة و نظرية الحجاج ، و لم وقع انتخاب الأسلوبية دون غيرها ؟ .

ثم التعريف بالحوار و من ثمة الخطاب ، و من ثم ماهية الخطاب القرآني و مضامينه و أشكاله و كان مدار الباب الثاني البحث في بنية الصورة الفنية الحوارية مشاهد و وسائل تصويرية من استعارة و كناية و تشبيه و طباق و تعريض .. إلخ

وأنجلى الباب الثالث إلى فحص البناء الموسيقي في المحاور القرآنية و انضوى تحت هذا الباب مدخل نظري حول الإيقاع القرآني و فضية السجع ، و التوازنات الصوتية، و طبيعة الفاصلة الحوارية و مفارقة النغمة و مسائل أخرى .. إلخ

وتناولت الدراسة في الباب الأخير البنية اللغوية في المحاور القرآنية و ينضوي تحتها عدة مسائل من بينها الاستفهام و الحذف و التقديم و التأخير و التكرار و الالتفات .. إلخ .

وختم البحث بخاتمة إجمالية تم فيها بيان أهم ما وقفت عليه الدراسة من نتائج و محصلات . وأردفت الخاتمة بسرد تفصيلي لمراجع البحث و مصادره و دورياته العربية منها و الأجنبية التي أثرت البحث متنا و تحليلا و نقدا ، و بغية التعريف بمضمون الأطروحة و منهجها بلغة حية أخرى جرى في نهايتها تسطير موجز عن الأطروحة باللغة الإنجليزية .

ولم تخل هذه المهمة من مشكلات ، كما لا بد و أن يشوبها النقص شأنها شأن أي صنيع بشري على الرغم من الجهد و العناية و المعاناة التي أملاها الشغف بهذا الشأن العلمي الجليل .

وكان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور: رابح دوب — أدام الله علمه و خلقه العالي النبيل- حضور مؤكد في تذليل بعض المشكلات بمعونة علمية و أخلاقية عالية .

وأخيرا أسأل الله مزيدا من فضله و فيضه و أن يتقبل هذا العمل فهو منه و إليه ، و أرجو أن أكون قد أدت لأممي الخالدة الأصيلة و لديني الحنيف ، و خالقي جل و علا بعضا مما أحمله من كبير الإعظام و الإكبار و الإجلال . و الحمد لله رب العالمين .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الباب الأول

## في المنهج والمفاهيم

جامعة الأميرة  
علاء الدين  
القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول

## في المنهج

— البلاغة .

— الحجاج

— التداولية .

— الأسلوبية

## في المنهج

إن من دواعي منطقية الفكر البحثي ، أن يتم المدخل في مستواه الإجرائي لموضوع البحث ، بمقدمة تمهيدية تحدد بموجبها الطروحات النظرية التي تتوالد في متسع أرضيتها طروحات المنهج و آفاق تشكله ثم تأصيله ، لذا كان لزاماً أن تجعل هذه الدراسة مقولات بعض المقاربات الخاصة بتشريح البنية الحوارية من حيث المكونات البنائية و الآفاق الدلالية المستفادة من تطافر جمل آليات النص التركيبية و المشتغلة على مساحة تعبيرية و وظائفية مقصودة من أجل إحداث التأثير الفكري و الجمالي في متلقي الظاهرة التعبيرية الحوارية .

ولعل أهم ما يواجه الباحث في تحديد مقولات المنهج الذي ستعتمده الدراسة في فصصولها ، جملة صعوبات ذات محاور متعددة تستلزم وعياً دقيقاً و فكراً مهيباً للفرز والتنظيم و الاستيعاب ، لذا فإن المنهجية التي تروم هذه الدراسة السير على وفق سياقاتها النظرية ، هي ليست الوحيدة في مجال تحليل البنية الحوارية . فالروح المنهجية تقتضي أخذ طبيعة الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله .

مما لا شك فيه أن الحوار هو تجل من تجليات الخطاب ، إذ يتجسد فيه و يتحقق ، في ألسنة لسانية و أسلوبية و من نتائج هذا الأمر ، فإن مقارنة البنية الحوارية منهجياً غدت مسألة ضرورية ، مما يجعل البحث يطرح تساؤلات كبرى ، و أبرز هذه الأسئلة التالي :

— هل تلقى مهمة دراسة البنية الحوارية في الخطاب القرآني منهجياً ، على اللسانيات أم على البلاغة أم على .... ؟

— هل هناك نظرية حوارية ، تكون قادرة على قراءة الحوار في الخطاب القرآني ؟

— هل ستولي هذه الدراسة اهتماماً للنص الحوارى باعتباره نصاً متميزاً عن باقي الأجناس الخطابية أم لقيمه وفعاليته من خلال تفاعل الذات مع محيطها الخطابي ؟

— ماهي الخيوط الرئيسة التي تقود إلى تبلور الفن الحوارى في الخطاب القرآني ؟

— هل يمكن تبيئة المناهج الغربية لدراسة الخطاب القرآني ؟

إنه لمن الصعب اختزال الظاهرة الحوارية في النطاق اللساني الحض أو في النطاق العقلي و الفكري الحض لأن التناول اللساني لها هو نفسه ملتقى تقاطع مقاربات متباينة أشد التباين . فالتخاطب الحوارى خاضع لمثلثات سيميولوجية لسانية .

المرسل ..... الرسالة ..... المستقبل [ جاكسون ] jackson

التعبير ..... المعنى ..... الإقناع و الانفعال [ بوهرلر ] buhler

المخاطب ..... الخطاب ..... المخاطب [ أوستين ] austin

بل أن البنية الحوارية لها خصائصها البلاغية و الأسلوبية التي تتكفل بدراستها حقول معرفية خاصة بها ، كما أن الحوار في كلياته يعتمد على طرائق مختلفة كالسؤال و الشك ، و في مسوغات ترتيبه على أبعاد عقلية و أخرى لفظية و في حركته و كيفية الانتقال من حال إلى حال ، على نوعيات عدة من الغائب إلى الحاضر و من الظاهر إلى العلة ، و هي مسائل تحتاج إلى تظافر معارف و مناهج بحثية كثيرة .

لا شك أن الإجابة عن هذه الأسئلة يتطلب مساءلة أهم الجهود التأليفية التي اهتمت بهذا الموضوع ، و هذا ما ستعكف هذا الفصل من الدراسة على محاولة رصده .

## البلاغة:

إن قراءة في أكبر المشاريع البلاغية القديمة و محاوره بعض النظريات الحديثة — ربما استجدت الدراسة فيها — ما يجيب عن بعض الأسئلة التي طرحت سابقا .

لقد ارتبط التأليف في البيان و بلاغة الإقناع بالصراع المذهبي الذي ساهم فيه المعتزلة مساهمة متميزة . محاولتهم تنمية نظرية تراعي الآخر استمالة و إقناعا . " فالبلاغة تتناول زاويتين زاوية تداولية تهتم بالمقاصد الفكرية و العاطفية و زاوية بناء النص الخطابي .

وجود " بلاغتين متميزتين و متكاملتين في تراثنا العربي هما ، بلاغة الخطابة و بلاغة الشعر ، حيث بلاغة الخطابة قائمة على البيان الذي سعى الجاحظ إلى تحديد معالجه في بيانه و تبيينه ، أما بلاغة الشعر فقائمة على تفتيق البديع أساسا ، و إعطاء الصنعة و التنميق دورهما على حساب العديد من الآليات القولية ، و ستضاف إليهما لاحقا بلاغة [ مقاصدية ] يمكن أن نسميها [تداولية] و أساسها المعاني . " .

لقد اهتم البلاغيون العرب بمقتضى الحال ، وهو مدار البحث في صحيفة بشر بن المعتمر ، عن كيفية تعلم البلاغة و ترددت هذه الآراء مع الزيادة و النقص في مؤلفات البلاغيين بعده مثل البرهان في وجوه البيان لابن وهب ، و البيان و التبيين للجاحظ و غيرها من كتب نقد الشعر و الفلسفة ، يقول بشر بن المعتمر : " و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني العامة ، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال ،



فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، و بلاغة قلمك ، ولطف مدخلك ، و اقتدارك على نفسك ، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، و تكسرها الألفاظ الواسطة التي تلتطف على الدهماء ، و لا تجنحوا على الأكفاء ، فأنت البليغ التام<sup>2</sup> ثم يقول في موضع آخر : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، و لكل حالة من ذلك مقاما ، حتى نقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ، فإن كان الخطيب متكلمًا تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام ، واصفا أو مجيها أو سائلا ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين " <sup>3</sup>

و يرى بعد ذلك ، أن اللفظ العامي الوحشي يرافق البدوي الأعرابي : " فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي ، و كلام الناس في طبقات ، كما أن الناس أنفسهم في طبقات " <sup>4</sup>

ومن أهم القضايا التي ارتبطت عندهم بأحوال المستمعين و الخطباء قضية الإيجاز و الإطناب ، كما تعرض الفلاسفة و المفسرون لعلاقة البراهين في القرآن بأحوال السامعين . جاء في البيان والتبيين : " وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي عليه ، ولا يؤتى على وصفه ، و إنما ذلك على قدر المستمعين و من يحضره من العوام و الخواص ، و قد رأينا أن الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى و هود و هارون و شعيب و إبراهيم و لوط ، و عاد و ثمود و كذلك ذكر الجنة و النار و أمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب و أصناف العجم و أكثرهم غبي غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب " <sup>5</sup> و أما أبو هلال العسكري فيصف لنا منهاج إرشادها في الفصاحة يقول : " .... أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، و ذلك أن يكون الخطيب .. متميز اللفظ .. ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، و لا يتقح الألفاظ كل التنقيح ، و يصفىها كل التصفية " و مثل قوله : " و اعلم أن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا ، و تلك الحال له وفقا .... و يكون لفظه موقفا ، و معناه نيرا واضحا " <sup>6</sup> و من هذه الإرشادات ما ينصح به " ابن طباطبا " بتقديم أدوات الشعر و ضرورة إعدادها فيقول : " و للشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه ، و تكلف نظمه . فمن تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه ، و بأن الخلل فيما ينظمه و لحقته العيوب من كل جهة ، فمنها ... " و يقول أيضا : " فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ، و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ

التي تطابقه .. و يكون كالنساج الحاذق الذي يفوف بأحسن التفويف. و كالتقاش الذي يضع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه ، و كناظم الجوهر الذي يلف بين النفيس منها و الثمين الراق. <sup>7</sup> و أما الجاحظ فيقول : " .... فإذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه و مئزها عن الاختلال ، مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة" <sup>8</sup>

إن بلاغة الخطابة قائمة على " علم البيان " الذي أرسى الجاحظ دعائمه في فترة كانت فيها الجدالات الكلامية و البحث عن الدليل من القرآن و السنة و المحاورات و النقاشات محتدمة بين الفرق الإسلامية ، التي يسعى كل منها لإنتاج خطاب تكون بلاغته كفيلة بكسب أكبر عدد من المؤيدين ، لذا فلا غرو أن نجد الجاحظ يطابق بين المعنيين " الخطابي و البلاغي " هذا علاوة على تركيزه على الجوانب البراغمية للخطاب ، فالمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، و كذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة ، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام مقال .

و بالتالي فهذه البلاغة تسعى إلى تكريس النظرية الحوارية التي تسعى إلى كسب الآخر . في حين تقوم بلاغة المقاصد على علم المعاني الذي بلوره السكاكي في مفتاحه و في هذه البلاغة أعيد الاعتبار للبيان على حساب البديع و اهتم " بالمقام " و إمكاناته و مكوناته ، و قد قدم السكاكي في تلك الفترة تصورا عميقا لما سيمسى لاحقا " التداولية " ، و ذلك من خلال اهتمامه بشروط التواصل ، و من مظاهر ذلك تقسيمه للخبر حسب مقامات المعنيين بالكلام <sup>9</sup> و هي التقسيمات التي كانت محورا أساسيا من نظرية أفعال الكلام المعاصرة .

و يندرج كتاب أسرار البلاغة في هموم نظرية الانزياح اللسانية الحديثة ، و يبدو أن سواد التحول نحو الخطاب قد ظهرت منذ الشطر الثاني من أسرار البلاغة و خاصة في حديثه عن المجاز العقلي و ما يتصل به من قضايا ، كما حاول الجرجاني إثبات إعجاز القرآن وبدأ بحثه بسنقض نظريتين قديمتين إحداهما تجعل جمال الكلام في اللفظ و الأخرى تجعله في المعنى ، و رآه في نظم الكلام أي في الأسلوب ، فدرس الجملة بالتفصيل منفردة و متصلة مما اضطره البحث إلى أهمية حروف العطف ، و قضايا أخرى كالإيجاز و الإطناب ، و هي مسائل لا شك أن الدراسة سوف تستفيد منها في فصولها اللاحقة .

كما أفرزت الدراسات البلاغية العربية (المقام ، و الحال ، و مقتضى الحال ) و موضوع العلاقة بين المقام و المقال بشيء من التفصيل، و هي قضايا يقترب طرحها من بعض التيارات اللسانية الغربية كالتداولية مثلا .

### مفهوم المقام و المقال :

لقد تعاور مفهوم المقام و المقال أغلب النقاد ، و أعادوا القول فيه و أبدؤوا ، فمنهم من كان مكررا لرأي من سبق، و منهم من أضاف، و قد مر الحديث عن المقام و المقال بثلاث مراحل :

— المرحلة الأولى: و يمثلها بشر بن المعتمر و الجاحظ (159-255هـ) و أبو هلال العسكري ، و ما يلفت النظر في هذه المرحلة ذلك التقسيم العام للمقام فقد جعلوا المقام مقامين فقط : مقام الخاصة و مقام العامة ، أو مقام الملوك و السادة و البدو و هو الأمر الذي التزم به العسكري ، و قد سبق تناول نصوصه آنفا .

— المرحلة الثانية : و يمثلها ابن طباطبا و ابن رشيق و ابن الأثير ، و على الرغم من التداخل الزمني بين المرحلة الأولى و الثانية لأن ابن طباطبا يصعب أن يسلك مع نقاد المرحلة الأولى لأن مفهومه يختلف و منه أخذ نقاد المرحلة الثانية ، حيث راعى حالات النفس و تقلباتها ، و مراعاة الظروف المحيطة بالنص يقول : " فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى ، الخلو اللفظ ، التام البيان ، المعتدل الوزن — مازج الروح و لاءم الفهم ، و كان أنفذ من نفث السحر ، و لحسن الشعر و قبول الفهم إياه علة أخرى و هي موافقته للحال التي يعد معناها لها ، كالمدمح في حالة المفاخرة .. " 10. و بذلك فالمقام هو جملة العوامل النفسية عند ابن طباطبا .

— المرحلة الثالثة و يمثلها حازم القرطاجني حيث شدد التنبيه على اعتبار معرفة الناس و أعرافهم من عناصر المقام يقول : " و مما يجب التحفظ منه في المواضع التي يجب فيها التباعد عن الفحش و عن كل ما يتطرق به إليه ، و صون الكلام من جميع ما يكون فيه إذ كان بأمر من أمور الريب و الرفث ، التعرض إلى الأشياء التي يفهم منها ذلك ، و لو يعرف عامي أو استعمال لأهل الهزل و مما يندرج في هذه الجملة " 11

و هذه القضايا التي طرحها الناقد القديم حول المقام و المقال يقترب طرحها من بعض التيارات اللسانية الغربية كالتداولية و الحجاج مثلا ، كما اهتم الناقد القديم بالمتلقي ، و إن لم يذكره بهذه الصيغة أو تلك فهو في ذهنه حاضر و في كلامه ظاهر .

## الحجاج :

ظهرت نظرية التفكير النقدي و التي تعود أصولها إلى المحاولات التي التي قام بها كل من فان إيميرين "van Eemeren" و "خروتندروست" Grootendorst في سعيهما إلى تحديد العلاقات القائمة بين الحجاج و أفعال الكلام ، حيث تم إدراج الحجاج ضمن أفعال الكلام عندما نظرا إليه على أنه بمثابة فعل تكلمي مركب . و هكذا خلصا إلى أن النظرية العامة للمنطق غير التصوري تبني على نموذج حوارى من نمط " سؤال / جواب " و فيه نستحضر مختلف التفاعلات الممكنة بين مختلف أطراف الحوار بحيث يعتمد كل مشارك إلى توضيح حجته اعتمادا على النقاش التساؤلى . و بالتالي ، يتحدد دور المقاربة الحجاجية في شرح ما يحمله كل من السؤال و الجواب في سياق حجاجي انطلاقا من تفكير حجاجي .

لقد كان لتوجه التفكير النقدي دور كبير في تطوير النظرية الحوارية انطلاقا من عدة أنواع من الحوار التواصلي . و من هنا سعى كل من " فان إيميرين " و " خروتندروست " من خلال أبحاثهما إلى تجاوز النقص الذي عاينه العديد من الدارسين على نظرية " غريس " Grice و المتمثل أساسا في التركيز حول الأفعال الكلامية البسيطة .

فعمدا إلى توسيع مجال نظرية أفعال الكلام ليشمل أفعال الكلام المركبة . كما أدخل الحجاج في نظرية أفعال الكلام ، ليصبح وفقا لذلك فعلا إنجازيا لغويا مركبا . و بالتالي ، أصبحت حجية الفعل الإنجازي تتشكل من أفعال إنجازية فرعية موجهة لإثبات أو إبطال دعوى معينة.<sup>12</sup>

### الحجاج و معناه في " نظرية الحجاج "

قدما كان مفهوم الحجاج تابعا تبعية عضوية و استعمالية لمجالات و أفعال تتطلبه و تستدعيه أما بعض الأبحاث و الكتابات الحديثة فقد جعلت منه موضوعا خاصا بها ، و قد تفاعلت هذه الأبحاث مع اللغويات و المنطق و الفلسفة ... الخ ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج والتدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع و الإفحام مهما كان متلقي هذا الخطاب ، و مهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك ، و هذا المعنى هو الذي يأخذ به أكبر منظري " نظرية الحجاج " المعاصرة " كشايم بيرلمان " CH . perlman . و " ميشال ميير " M.meyer حيث يقول هذا الأخير : " الحجاج جهد إقناعي ، و يعتبر بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه<sup>13</sup>

يستشف من هذا التعريف أن الحجاج يستمد معناه و حدوده ووظائفه من مرجعية خطائية محددة و من خصوصية الحقل التواصلية الموظف فيه .

### الحجاج و التداولية:

لكن كان البعض يعتقد أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية pragmatics فإن لهذا الاعتقاد ما يبرره ، إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهرياً وباطنيا لقواعد شروط القول و التلقي ، لأن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية بالتأثير و الفعالية ، و بالتالي قيمة و مكانة أفعال الذوات المتخاطبة هكذا ينتمي القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات ، و هناك مستوى آخر يتجلى في البعد التداولي للخطاب الحجاجي و يتمثل في المستوى الحوارية أو التحوارية سواء كانت ذوات هذا التحوار مضمرة أو متعددة الأصوات و الأمارات يقول فرانسوز آرمينكو : " تعد الحوارية مكونا لكل كلام ، و تعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين توجدان في علاقة حالية ، و يقدم المبدأ الحوارية من خلال الحدود التالية : كتلفظ يوضع في مجتمع معين ، لا بد أن ينتج بطريقة ثنائية ، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصااتة و ثنائية العرض ، و من هذا المنطلق فإن الظاهرة التخاطبية الحوارية تعتبر صميمة في كل خطاب على الإطلاق ... " <sup>14</sup> و هذا الأمر يدفع الدراسة لطرح السؤال التالي :

إذا امتلكت التداولية ناصية حجاج الخطاب ، فماذا تبقي من هذه الظاهرة للبلاغة والأسلوبية ؟

الحجاج و البلاغة : تباينت منظورات الباحثين العرب في تناولها لمجالات البلاغة ، فالجرجاني أولى اهتمامه للمعاني و دور التطبيق و الاستعارة و القياس فيها ، يقول في أسرار البلاغة : " واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، و الأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني ، كيف تتفق و تختلف و من أين تجتمع و تفترق ، و أفضل أجناسها و أنواعها ، و أتبع خاصها و مشاعها ، و أبين أحوالها في كرم نصيبها من العقل ، و تمكنها في نصابها ، و قرب راحها منه و بعدها حين تنسب عنه ، و كوالها كالخليف الجاري مجرى النسب ، أو الزنيم ، الملصق بالقوم لا يقبلونه ، و لا يمتعضون له و لا يدبون دونه <sup>15</sup>

إن ما ركز عليه الجرجاني في " أسرار البلاغة " هو التشبيه و الاستعارة لأنهما قطبان تدور عليهما المعاني و نظم الكلام ، أما السكاكي فيذهب في " مفتاح العلوم " إلى حد تقعيد و ترتيب

علوم البلاغة ترتيباً يكاد يكون لهائياً ، حيث عرف البلاغة بقوله : " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتأدية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ... " <sup>16</sup> إن البلاغة بهذا المعنى تجمع بين خواص تراكيب الكلام و مراعاة لمقتضى الحال و أوجه الاستحسان ، و بين مطابقة الكلام لقصدده و مراعاته لوضوح الدلالة ، و أما الجاحظ في " البيان و التبيين " <sup>17</sup> كان يرى أن الشاهد هو عنصر من عناصر الحجاج ، كما أنه مرادف للحجة و الدليل و البرهان ، و الملاحظ أن إدراج مفهوم الحجة بمعنى الشاهد و الاستدلال و البرهان ضمن دائرة البيان و البلاغة الإقناعية ، هو الذي جعل القواميس العربية تذكر هذه المفاهيم بمعنى واحد.

إن البلاغة هي قبل كل شيء عتاد بنائي و تبليغي يتوسله الخطيب ، أو القائل عموماً لفرض موضوعه أو رأيه أو قناعته ، و لأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه ، إلا أن الصور البيانية و الحيل المجازية و اللغوية وحدها لا تحقق التصديق و التدليل ما لم تسند بأدوات ترجيح الرأي و تسويغه عقلياً ، و هذه الأدوات هي التي يوفرها الحجاج أو المحاجة .

هكذا فالبلاغة قد تؤثر و تستميل و تمتع ، و لكنها لا تقنع و تفحم إلا إذا تلاحت مع الحجج " إن الصور البلاغية هي عملية أسلوبية تنشط الخطاب ، و لها وظيفة إقناعية ، فإن هذه الصور لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ ، ما لم تكن مدعومة عضوياً بالحجج العقلية التي تخضع هي بدورها لمعيار الضعف و القوة و يمكن القول أن الحجاج يبني و يسوغ الرأي الصائب و الصادق ، أما الأسلوب البلاغي فهو يعرض هذا الحجاج و موضوعه في صور و تقنيات تقتضيها جماليات الاتصال و التلقي <sup>18</sup>

إن الفعالية الحجاجية كفعالية خطابية لا تظهر و تتجسم لغوياً إلا بمهارات أسلوبية و تأثيرات بلاغية ، فهذه العوامل لا تخضع للشروط الإبداعية و الابتكارية كمتطلبات جمالية و ألبسة يتلبسها مسار الحجاج و علاقاته الداخلية .

إذا كان تراجع البلاغة يعود في الأساس إلى اختزالها في " نظرية الصياغة " التي حصرتها في البحث عن الصور و الوجوه البلاغية و الزخارف و الصنعة ، و إجمالاً في " الأسلوب " فإن تحديد الاهتمام بالجوانب التداولية المرتبطة بـ " نظرية الحجاج " اللغوي كشف عن جوانب عميقة من البلاغة بوصفها " تأملاً في اللغة و الفكر " و أنها لسانيات [ ذهنية ] عامة ، فهي تتعلق [ بكل اللغة ] كما أنها [ لغة الكل ]

وبالتالي فإن ما يحصل للبلاغة اليوم هو نوع من تجديد الجلد ، و توسيع السدائرة و فتحها كذلك ، لتستوعب عديدا من العلوم المجاورة إلى درجة صارت معها عند البعض أفضل تعبير عن الحدائرة ؛ و من نتائج هذا التطور :

1 — تحول البلاغة إلى علم مستقبلي ، حيث صارت تترع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع، فهي لم تعد علما خاصا " بالخطاب " و إنما صارت علما عاما " للخطابات " كافة وهو ما يعبر عنه مصطلح البلاغة العامة .

2 — الانتقال من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته ، أي أنها قد تخلت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع فقط ، فهي تتحول من لغة موضوع إلى لغة واصفة ، و هو ما يجعلها تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة لتحليل الخطاب ، و الأسلوبية و القراءة .

لقد تبين للدارسين المعاصرين أن إعادة قراءة البلاغة الكلاسيكية تعتبر خيارا إنسانيا أضحى ملحا نظرا إلى ما تحمله هذه البلاغة داخل طبقاتها من ثراء و فكر و قد تبين أن تطعيمها بالمستجدات المنهجية في المجال اللساني خصوصا ، من شأنه أن يطور الدرس البلاغي بصفة عامة، و يكشف عن العديد من خصوصياته الكلاسيكية .

و قد رافق التطور في الدرس اللغوي سعي حثيث إلى مراجعة جميع الأدبيات البلاغية، و محاولة رسم خريطة جديدة للبلاغة الكلاسيكية ، من هنا اعتبرت قراءة الموروث البلاغي على أنها تمثل مولد اتجاه إنساني جديد من شأنه أن يعيد ترميم أزمة الثقافة الكلاسيكية بصفة عامة ، و البلاغة خاصة<sup>19</sup>

هذا القدم كما يقول " بارث " Roland barthes لا يعني أنه توجد اليوم بلاغة جديدة ، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد : إن العالم مليء و بشكل عجيب بالبلاغة القديمة<sup>18</sup>

أضف إلى ذلك أن البلاغة القديمة قدمت للنظرية الأدبية المعاصرة منظورات جديدة لدراسة الخطابين الفني و الأدبي ، الأمر الذي أنجب بلاغة [عامة] خاصة بالنص ، ولدت في الثمانينات مرتبطة بأسباب من بينها .

أ — البلاغة في نشأتها ذاتها ، كانت تعني وجود مركب من علوم الجدل و الأخلاق و الشعر ... إلخ لذلك رأى البعض ضرورة الإسراع في استعادة الجانب الإنساني و العالمي و الشامل الذي



تمثل البلاغة بالنسبة إليه | حلقة وصل مركزية | بوصفها "علما للخطابات" كتمت بإعادة قراءة الموروث البلاغي على أساس أن ذلك يمثل مولد اتجاه إنساني جديد سيبحث على الاهتمام باللغة و تركيب الخطاب .

ب — تطور الدراسات اللغوية و الانتقال من لغويات اللسان إلى لغويات الكلام و إبراز ظواهر العلاقة بين المرسل و المستقبل في إطار بحوث التداولية الجديدة .

ج — أزمة الإنتاج الرفيع في النقد و الكتابة ، إذ تبين أن تطور البحوث البلاغية سيحقق شمولية نقدية بديلة عن المذاهب ذات الطابع الخاص التي سادت النقد في السبعينات .

د — نجاح البلاغة الحالي يرجع إلى الاهتمام بوسائل الإقناع التي فرضتها طبيعة المجتمع الإعلامي المعاصر<sup>19</sup>

إن الدور الذي أصبحت نظرية الحجاج تلعبه ، جعل " بيرلمان " يعتبر أن البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج ، فقد حصر الأولى في الأخيرة "

الإقناع هو مجال البحث الحجاجي نظرا إلى كونه محدد المقام و المخاطب و الإطار القولي، أما أهم وظيفة حجاجية فهي ، الدفع إلى الفعل ، و هي خطوة تتطلب وعيا محكما بالوسائل و الآليات التي من شأنها إذا ما أدرجت باعتدال في الخطاب ، أن يحرك المعنيين بالكلام صوب الفعل و التغيير ، بما ينسجم مع المقام ، و تتطلبه مقاصد النص و طموحات الخطيب [ المتكلم أو الكاتب ] بوصفه مفكرا حاملا لرؤية معينة يسعى إلى إرسالها أو جعلها راجحة في واجهة حجج أخرى مناوئة ، هذا الهدف يتطلب قدرا من الوضوح في الأسلوب و مستوى ملموسا من التواضع و الاحترام للشخص المخاطب<sup>20</sup>

فالغموض و الإكراه من أشد الأمور تفسيرا للمخاطبين و بالتالي فهي تعوق كل السبل المبدولة لافاد الخطاب و وصوله .

من هنا يربط "بيرلمان" البنية الحجاجية ببعض الأمور اللازمة لافاد الخطاب [ الوضوح غير المسف ، عدم التكبر و التحذلق و التمكّن من ناصية اللغة و حدق ثقافة المخاطبين. ]<sup>21</sup>

و قد طرحت المناهج الغربية في دراسة الحوار قضية سهر الباحثون جراها و اختصموا مفادها مدى صلاحية المناهج الغربية لدراسة خطاب ديني مقدس [ قرآني ] على اعتباره خطابا متفردا شكلا و مضمونا ، مما يجعل تناسب القوالب مع هذا الخطاب يشي ب [ التجوز ] و الهجنة ؟.



لذلك ستحاول هذه الدراسة مساءلة أهم المقاربات التي تناولت المنجز الحوارية و هما المقاربة التداولية ، و الأسلوبية ..

— فما هي التداولية و ما إجراءاتها التطبيقية على الخطاب ؟

— و هل تصلح كمقاربة لتحليل البنية الحوارية في الخطاب القرآني ؟

## التداولية:

أدى تزايد الاهتمام بالأنساق المنطقية ذات الأبعاد الطبيعية إلى تحصيل نقط التقاء بين نظريات من أصول مختلفة ، كالمنطقيات و اللغويات و علم النفس و الفلسفة و الذكاء الصناعي و العلوم المعرفية ، وغيرها من الحقول التي استهدفت الكشف عن مختلف العمليات التخاطبية . و تبعا لذلك أصبح بالإمكان القول بأن التواصل و مختلف التفاعلات الحجاجية و التناظرية تشكل في الوقت الحاضر الحقل الذي تشترك فيه العديد من العلوم و الباحث . و ظهرت بذلك مقاربات تخاطبية قائمة على التعاون مثل نظرية أفعال الكلام و التداولية القصدية .

م تصبح التداولية مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد Oxford هم " أوستن " AUSTIN و " سيرل " SEARLE و " جرايس " GRICE و كانوا جميعاً مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها و كان هذا من صميم عملهم و من صميم التداولية<sup>22</sup> " التداولية محاولة للإجابة عن أسئلة كالاتي : ماذا نصنع حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ من يتكلم ؟ و إلى من يتكلم ؟ و لأجل من ؟ ماذا علينا أن نعلم حين يرتفع الإجماع عن جملة ، أو أخرى<sup>23</sup> فكيف تعرف إذن التداولية ؟

إن أقدم تعريف لها هو تعريف شارل موريس CHARLES WILLIAM MORRIS الذي استخدمه سنة 1938 إذ إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات ، و هي تدل على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية SEMIOTIC . 24

و يقترح الباحث التداولي ليفينسون S. C. Levinson في كتابه التداولية وجوها متعددة

عرفت بها التداولية pragmatics من بينها :

- 1 — مادام التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين الكلمات ، و الدلالة بحث في المعنى وما يعكسه من أشياء (لمموسة أو مجردة ) ، فإن التداولية دراسة الاستعمال اللغوي الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة و وضعية اجتماعية معينة .
- 2 — التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم .
- 3 — دراسة للغة في إطارها الوظيفي أو من جهتها الوظيفية و هذا يعني شرح و فهم البنيات اللغوية بالاعتماد على علل و استدلالات غير لغوية .
- 4 — التداولية جزء من الإنجاز (مفهوم شومسكي ) ، حيث اعتبر النظرية التداولية أو نظرية الانتقاء التركيبي يومئذ تتعلق بدراسة الجمل الصحيحة في سياقها .
- 5 — التداولية دراسة للعلاقات بين اللغة و السياق ، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة .
- 6 — التداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات و اقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة .
- 7 — التداولية دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة ، إلا أن الدلالة محدودة في عنصر شروط الصدق في حين تتناول التداولية التعبيرات التي لا تعلق بشروط الصدق ( الملفوظات الانشائية ، عللها مقامية إنجزارية ) . 25
- ولقد توزعت دراسة علامات اللغة خلال القرن العشرين بالطريقة التالية:
- المقاربة الدلالية، و تعالج علاقة العلامات و الكلمات و الجمل بالأشياء و مجالات الأشياء، إنها دراسة مترابطة بالمعنى و المرجع و الحقيقة.
- المقاربة النحوية ، و تدرس علاقات العلامات ، فيما بينها ، و الكلمات في الجملة أو الجمل ، و في مقاطع الجمل ، بحثا عن إعطاء قواعد التعبيرات المكونة تكوينا جيدا ، و قواعد تحويل التعبيرات إلى تعبيرات أخرى .
- من ثم . يعد احترام هذه القواعد شرطا للأجزاء المتوالدة ، و شرط احتفاظها بالمعنى ، على أن تكون قابلة لامتلاك قيمة حقيقية أو خاطفة ، و نجد بأن المقاربتين ، تكون أولاهما درسا حقيقيا ، لا يستنفد مشاكل المعنى ، و لا مشاكل الحقيقة ، أما المقاربة التالية و الضرورية ، فهي التداولية و تتدخل لدراسة علاقة العلامات بمستعملي هذه العلامات ، و الجمل بالمتكلمين<sup>26</sup>

، فما هي المفاهيم الأكثر أهمية للتداولية . ؟

**1 — مفهوم الفعل :** و يقصد به " أن اللغة لا تخدم فقط ، لا في البداية ، و لا بشكل خاص ، تمثيل العالم ، بل تخدم إنجاز الأفعال .

فالكلام هو أن نفع ، و بمعنى واضح ، هو مثلا فعل في الآخرين ، و بمعنى غير ظاهر — ولكنه واقعي — تدشين معنى ، و القيام على كل حال ، ب " فعل الكلام " . إذ يوجه مفهوم الفعل هذا ، نحو مفاهيم أكثر دقة و أكثر شمولية ، للتفاعل و التسوية .

" أما الفعل التحويري أو الفعل التقريري من أوجه الخطاب المهمة حيث يتوجه إلى شخص ما ، فهناك متكلم آخر هو متلقي الخطاب ، و حضور هذين الاثنين : المتكلم و المستمع ، هو الذي يشكل اللغة بما هي اتصال ، و يحتفظ السؤال و الجواب بحركة الكلام و فاعليته ، فهما يشكلان نوعا من الخطاب من بين أنواع أخرى ، كل فعل تمريري هو ضرب من السؤال . وإثبات شيء ما يعني توقع اتفاق تماما كما يعني إصدار أمر ما توقع طاعته . و حتى المناجاة الفردية "27

**2 — مفهوم السياق :** و نقصد به الوضعية الملموسة ، و التي توضع و تنطق من خلال مقاصد ن تخص المكان ، و الزمان و هوية المتكلمين ... الخ . و كل ما نحن في حاجة إليه ، من أجل فهم و تقويم ما يقال .

**3 — مفهوم الإنجاز ،** و نقصد بالإنجاز طبعا للمعنى الأصلي للكلمة ، إنجاز الفعل في السياق ، إما بمحاينة لقدرات المتكلمين ، [أي معرفتهم و إلمامهم بالقواعد ] ، و إما بتوجب إدماج التمرس اللساني .<sup>28</sup>

إن أوجز تعريف للتداولية و أقربه إلى القبول هو : دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ، و لا يرتبط بالمتكلم وحده ، و لا السامع وحده ، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد [ مادي ، و اجتماعي و لغوي ] وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما و يكاد يجمع الباحثون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب هي : الإشارة ، و الافتراض السابق ، و الاستلزام الحوارية ، و الأفعال الكلامية .

**أولا : الإشارة :** في كل اللغات كلمات و تعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه و لا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه ، فإذا قرأت جملة مقطوعة من سياقها

مثل : سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنكم ليسوا هنا الآن . وجدناها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه و معرفة المرجع الذي تحيل إليه ، وهذه العناصر هي : واو الجماعة و ضمير جمع الغائبين هم و اسم الإشارة هذا ، و ظرفا الزمان إذا ، و الآن ، و ظرف المكان هنا ، و لا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر<sup>29</sup> و أغلب الباحثين اتفقوا على أن الإشارات خمسة أنواع :

الإشارات الشخصية : أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل أنا أو المتكلم ومع غيره مثل نحن، و الضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا ، مذكرا أو مؤنثا ، و ضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية ، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه<sup>30</sup> ثانيا — الإشارات الزمانية : هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ فمثلا: بعد أسبوع يختلف مرجعها عن قولنا: اليوم.

### ثالثا — الإشارات المكانية :

و هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها و تفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريبا أو بعدا أو وجهة مثلا استعمال كلمات مثل هذا و ذاك وهناك و نحوها لا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه . و يلفت بعض الباحثين إلى أن عناصر الإشارة إلى المكان قد تنتقل للإشارة إلى ما يسمونه المسافة العاطفية و تسمى حينئذ الإشارة الوجدانية ، و هو قريب مما سماه علماء المعاني العرب: التحقير بالقرب نحو قوله تعالى " أهذا الذي يذكر آهتكم " و التعظيم بالبعد كقوله جل و عز: " ألم ذلك الكتاب " <sup>31</sup>

4 — إشارات الخطاب : قد تلبس إشارات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق و لذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشارات و لكن منهم من ميز بين النوعين فرأى أن الإحالة يتخذ فيها المرجع بين ضمير الإحالة و ما يحيل إليه مثل زيد كريم و هو ابن كرام أيضا ، فالمرجع

الذي يعود إليه زيد و هو واحد ، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع ، بل تخلق المرجع فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها ، ثم تتوقف قائلاً : لكن تلك قصة أخرى ، فلإشارة هنا إلى مرجع جديد ، على أن هذا التمييز بين إشارات النص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسماً ، ذلك بأن الإحالة في قصارها ضرب من إشارات النص

**5 — الإشارات الاجتماعية :** وهي ألفاظ تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة و مودة .

و العلاقات الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً و مقاماً من المتكلم مثل صيغة أنتم في اللغة العربية للمفرد و المخاطب و نحن للمفرد المعظم لنفسه .....

**6 — الافتراض السابق :** يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له ، فإذا قال رجل لآخر : أغلق النافذة ، فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة ، و أن هناك مبرراً يدعو إل إغلاقها ، و أن المخاطب قادر على الحركة ، و أن المتكلم في منزلة الأمر ، و كل ذلك موصول بسياق الحال ، و علاقة المتكلم بالمخاطب<sup>32</sup>

**الاستلزام الحوارى :** يعد الاستلزام الحوارى واحداً من أهم الجوانب في الدرس التداولى ، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه ، و أبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي ، و ترجع بداية البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها "جرايس" في بحث له يحمل عنوان : " المنطق و الحوار " ، وذلك في جامعة هارفارد سنة 1967<sup>33</sup>

لقد كانت نقطة البدء عند "جرايس" هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، و قد يقصدون أكثر مما يقولون ، وقد يقصدون عكس ما يقولون ، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال و ما يقصد فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمتها اللفظية و ما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال و وسائل الاستدلال ، فأراد أن يقيم معياراً بين ما يحمله القول من معنى صريح و ما يحمله من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام .

و قد نظر "جرايس" فرأى أن الاستلزام نوعان : استلزام عرفي و استلزام حوارى ، فأما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات و تغيرت التراكييب ، مثل " لكن " فهي تستلزم دائماً أن

يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع ، و أما الاستنزام الحوارى فهو متغير دائما بتغير السياقات التى يرد فيها .

لقد كان ما يشغل "جرايس" هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا و يعنى شيئا آخر ؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا و يفهم شيئا آخر ؟ و قد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون بين المتكلم و المخاطب و هو مبدأ حوارى عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي :

— مبدأ الكم : اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه

— مبدأ الكيف : لا تقل ما تعتقد أنه صحيح ، و لا تقل ما ليس عندك دليل عليه .

— مبدأ المناسبة : اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

— مبدأ الطريقة : كن واضحا و محمدا : فتجنب الغموض و تجنب اللبس و أوجز ، و رتب

كلامك .

هذه هي المبادئ التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم و المخاطب وصولا إلى حوار مثمر<sup>34</sup>

رمى "جرايس" إلى دراسة التفاعل التخاطبي ضمن مقومات استهدفت الملاءمة بين مجموعة من المستلزمات اللغوية و خارج — لغوية التي يتقاسمها كل من المتكلم و المخاطب و كذا القدرات العقلية و الاستدلالية التي يتوفران عليها ، و لهذا لجأ إلى البحث في مجموعة من المفاهيم التي تعتبر مهمة بالنسبة لكل عملية تخاطبية . فقام بإدخال تصور الاستنزام لتحديد نتائج عملية التضمين ، إلى جانب تمييزه بين ما قيل [ المعنى الحرفي ] و ما هو مقتضى ، و في هذا الصدد أكد على أن تضمين قضية ما يتم إما مواضعاتها بواسطة معنى الكلمات المستعملة في الملفوظ ، و إما حواريا بالإحالة على مبدأ حوارى عام هو مبدأ التعاون و القواعد الحوارية التي تتفرع عنه .

و عليه ، صنف الاستنزامات الحوارية إلى فئتين بحسب إذا ما كان التعبير اللساني مرتبطا أو

ليس

مرتبطا بالاستنزام . فهناك من جهة الاستنزامات الحوارية المعمة ، و من جهة أخرى

الإستنزامات الحوارية الخاصة<sup>35</sup>

السياق التداولي : الدراسة التداولية للنصوص تعتمد على تأويل النص باعتباره فعلا للغة أو

باعتباره متتالية من أفعال اللغة ، فمن أفعال اللغة نجد مثلا الوعود و التهديدات و التأكيدات

والإستفهامات و الطلبات و الأوامر . . إتح إننا ننجز فعلا من أفعال اللغة ، و نحن ننتطق بجملة أو عدة جمل في سياق مناسب لها ، فالتلفظ بالجملة التالية : " هل تستطيع مساعدتي لدفع السيارة ؟ يندرج في انجاز فعل الطلب و ليس لهذا الفعل معنى إلا إذا تحققت بعض الشروط ، وهي شروط تتعلق بالسياق الذي نطق فيه بهذا الفعل اللغوي ، ففي حالة الطلب مثلا من الضروري أن يكون المتحدث راغبا في شيء لنفسه ، و أن يكون مستعدا لفعله ، فنقول مثلا عن فعل لغوي أنه مناسب لسياق ما عندما تكون الشروط الضرورية لتحقيقه متوفرة .

و مهمة التداولية أن تعدد هذه الشروط التي ينبغي أن تتوفر في فعل لغوي لكي يكون مناسباً لسياق خاص ، كما أن عليها بيان الخصائص المميزة المطلوب توفرها في الأحوال — في الجمل مثلا — لكي يمكن استعمالها كأفعال لغوية متميزة ، وهكذا فالطلب يأخذ في الغالب صيغة السؤال حيث ينبغي الرجوع أيضا إلى بعض الأفعال التي يلزم المحاور الوفاء بها .

يتكون السياق التداولي من جميع العوامل النفسية و الاجتماعية التي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللغة، و من بينها : المعرفة و الرغبات و القدرة<sup>36</sup> تطور اللسانيات التداولية :

البنية الحوارية :

لقد أخذت إشكالية الحوار تستثير اهتمام الدارسين منذ ثلاثين سنة ، و هناك عدة مدارس ذات توجهات متعددة تعنى بهذه القضية .

إن التزعة الإثنوميتودولوجية **ETHNOMETHODOLOGI** [ ساش SACHS و شقوف SCHEGLOFF ] مثلا تلح على تحليل الحديث و كذا الإستراتيجيات التي يعتمدونها المتكلمون ، أما الإثنوغرافيون [ **ETHNOGRAPHERS** هيمز HYMES و قميرس GUMPEURZ ] فإنهم يهتمون بمفهوم الملكة التبليغية باعتبارها مجموع المعرفة الثقافية التي يمتلكها الفرد .

و إنه لمن الأهمية في كل بحث تداولي الاحتفال بالحوار بوصفه بنية كبرى **MACROSTRUCTURE** و الفعل اللغوي بوصفه بنية صغرى **MICRO STRUCTURE** لأن الأمر كما صور فرانسيس جاك **F.JACQUES** حين قال : " إن شكل الخطاب الذي يفوق الجملة إنما يتحدد كل قول فيه في بنية دلالية حقيقية بتسوية المعنى و القيمة المرجعية في تسلسلها بواسطة القواعد التداولية التي تكفل خاصية التوارد وراء صور الحوار العلائقية نلاحظ أن



المسألة هذه تدرج نقاطا لغوية صرفا كأفعال الخطاب و الاستراتيجيات المسخرة بهدف إنجاح التبليغ و الحديث .

و قد لاحظ " رولي " ROULET بأن الحوار يبني على ثلاثة مستويات ذات تراتبية قوية هي :

— التبادل

— التدخل

— الفعل اللغوي .

هذا و بإمكان الحوار أن يتوفر على تبادل واحد أو عدة تبادلات تنهض بإنجاز وظائف ثلاث أساسية :

— المبادرة

— رد الفعل

— المبادرة رد الفعل<sup>37</sup>

أهمية المنهج التداولي : من الصعب القول الاكتفاء بمستوى واحد من مستويات اللغة ، عند استعمالها في التواصل أو تأويلها ، و القول بالاستقلال ينطوي على مقدار من التعسف فبالرغم من إمكان دراسة كل مستوى دراسة مستقلة من الناحية الإجرائية ، إلا أنه يتعذر مثل هذا عند إرادة إجرائها على الخطاب ، إذ لا يمكن استعمال التراكيب المجردة بمعزل عن الدلالة .

و لا يمكن أن ينتج الخطاب دون مرسل له ، و لا يمكن أن ينتجه المرسل في غموض على المرسل إليه ، و عليه فإن التكامل بين هذه المستويات الثلاثة بات ضروريا .

كما يرتبط المرسل بالسياق الخارجي ، إذ يستجيب له عند التلفظ بخطابه من خلال التنبه إلى ما يستلزمه ، فيغدو معنى الملفوظات هو القيمة التي يكتسبها تركيب الخطاب في السياق التلفظ

إن الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل ، و ليس بمعزل عنه ، لأن اللغة لا تؤدي وظيفتها إلا فيه ، فليست وظائف مجردة و بما أن الكلام يحدث في سياقات

اجتماعية ، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز<sup>38</sup>

لم يهمل العلماء العرب القدامى استعمال اللغة ، بل التفتوا له عبر زاويتين أولاهما : النظر إلى الاستعمال بوصفه سابقا على التنظير ، فكان منطلقهم في استخراج القواعد اللغوية ، هو إبرازهم لبعض الاستعمالات اللغوية المرتبطة بالسياق .



ففي الكتاب لسيبويه ، يرد الكثير من العناوين التي تشتمل على لفظ إعمال الأفعال ، و على سبيل المثال ، لا الحصر ، " هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام و للإيجاز والاختصار<sup>39</sup>

أما الزاوية الأخرى ، فقد نظر العلماء إلى استعمالات اللغة في السياق من خلال الخطابات التي ينتجها المستعملون من أجل إنجاز أعمال لا تنجز إلا في اللغة و باللغة ، و اهتم هذا الصنف بوصف استعمال اللغة من خلال التطبيق على نصوص عربية و من أبرزهم الجرجاني في دلائل الإعجاز، و السكاكي في مفتاح العلوم، و الشاطبي في الموافقات .....

و من المقاربات الحديثة التي نتم بالخطاب إنتاجا و تلقي ، المقاربة الأسلوبية ، فما مدى صلاحية هذه الأخيرة في قراءة المنجز الحواري في الخطاب القرآني ؟.

## الأسلوبية :

يشير الجذر اللغوي لكلمة " أسلوب " في اللغات الأوروبية إلى أنها مشتقة من الأصل اللاتيني **STYLISTIQUE** و هو يعني ريشة ، ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة ، فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية ، دالا على المخطوطات ، ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية ، ثم تطور للدلالة على " طريقة معالجة موضوع ما من مواضع الفن و ذلك إبان القرن السابع عشر " 40؛ ثم استخدم في العصر الروماني ، في أيام خطيبهم " شيشرون " كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة ، لا من قبل الشعراء

بل من قبل الخطباء و البلغاء و قد ظلت هذه الطبيعة عالقة إلى حد ما بكلمة **STYLE** حتى الآن في هذه اللغات إذ تنصرف أولا إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق<sup>41</sup>

و في المعجم العربي يقول ابن منظور في لسان العرب : "يقال للسطر من النخيل و كل طرف ممتد فهو أسلوب فالأسلوب الطريقة و الوجه و المذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء ، و يجمع أساليب ، و الأسلوب الطريق تأخذ فيه ، و الأسلوب الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه " 42" ملاحظ على تعريف ابن منظور أنه لم يحصر تحديده لكلمه أسلوب على المعنى المعجمي بل جاوزه إلى التحديد الاصطلاحي من خلال ربطه للكلمة بأساليب القول .

و في الدراسات القرآنية يورد ابن قتيبة الأسلوب فيقول " و إنما يعرف القرآن، من كثر نظره و اتسع علمه ، و فهم مذاهب العرب و افتتاتها في الأساليب ، و ما خص الله به لغتها دون جميع اللغات .... " 43

و من المعالجات الاصطلاحية لتصنيف مفاهيم الأسلوب نجد :

- 1 — الأسلوب هو اختيار من جانب الكاتب بين بديلين في التعبير .
- 2 — الأسلوب هو قوقعة تكتنف من داخلها لبا فكريا له وجود أسبق .
- 3 — الأسلوب هو محصلة خواص ذاتية متسلسلة .
- 4 — الأسلوب هو انحراف عن النمط المؤلف .
- 5 — الأسلوب هو مجموعة متكاملة من خواص يجب توافرها في نص ما .
- 6 — الأسلوب هو تلك العلاقات القائمة بين كليات لغوية تنتشر إلى ما هو أبعد من مجرد العبارة لتستوعب النص كله<sup>44</sup>

و هناك تعريف للأسلوب ينشأ بالاعتماد على خصائص انتظام النص بنويوما مما يجعله العلامة المميزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب<sup>45</sup> و مع تعدد تلك التعاريف التي تعرض لها مفهوم الأسلوب " فإنها تتصل بصورة ما بسموها ، و إن كان يظل لكل منها فلسفته المنبثقة من تصور خاص ، و من ثمة فإن مفهوم " الأسلوب " يمتلك مرونة كافية و انفساحا واضحا ، فقد يكون مصطلحا للبحث عن أسلوب لغة واحدة أو أسلوب فترة زمنية محددة ، و ذلك بالنظر إلى وسائل الأداء في هذه اللغة أو تلك الفترة بعينها و معرفة طرقها في تركيب الجمل، ودراسة أنماطها الأدائية ، و تحتاج — بالضرورة — إلى معرفة عميقة بحقوق مجاورة ، كعلم النحو، و دلالة الألفاظ و تطورها التاريخي<sup>46</sup>

صعوبة تحديد الأسلوب كامنة في جوهر الأسلوب و معناه ، فهو مما يسهل الشعور بوجوده وتأثيره في النفس ، و يصعب — رغم ذلك — ضبطه و التعريف به ، و قد شعر العرب قديما بهذه الصعوبة و عبروا عنها ، قال عبد القاهر الجرجاني " اعلم أن البلاء و الداء العياء أن ليس علم الفصاحة و تمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت و متى شئت بأن لست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحته فيرى و قلب إذا أريته رأى ..... " و قال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة " و لأن العلم بالفصاحة ، إذا قطع على فصاحة بيت من القصيدة ، أو فصل من رسالة أو كلمة أو ما أشبه ذلك و فضله على غيره لم يمكن أن يبين من أين حكم و لا لأي وجه فضل بل إنما يفزع إلى مجرد دعواه و محض قوله"<sup>47</sup>

انتبه العرب قديما إلى الانزياح في ضربين من النصوص ، النص القرآني و النص الشعري واعتبروا الخروج عن العادة فيهما الصفة المميزة لهما و الحجّة فيهما على فردية النص و طرافته .  
أما النص القرآني فإجماع المسلمين حاصل في تمييزه عن كلام الخلق العادي منه و الفني وإعجازه كامن في انزياحه .

و قد عبر الدارسون العرب عن الانزياح بمصطلحات مختلفة تدل عليه ، لعل مصطلح " فصاحة " هو أهمها و كان أبرز المستعملين له هو القاضي عبد الجبار في المعنى في أبواب التوحيد و العدل " في جزئه السادس عشر الخاص بإعجاز القرآن .

حيث فصول هامة في علو فصاحة القرآن منها :

— فصل في الوجه الذي يصح عليه اختصاص بعض القادرين بالكلام الفصيح دون غيره <sup>48</sup>

— فصل في بيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام عن بعض <sup>49</sup>

— فصل في الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام <sup>50</sup>

و استعمل القاضي عبد الجبار إضافة إلى مصطلح " فصاحة " عبارة " الخروج عن العادة " في قوله مثلا " و إنما يدل على النبوة ما يخرج عن طريق العادة " <sup>51</sup>

و استعمل الباقلاني أيضا للدلالة على إعجاز القرآن مصطلح " الخروج عن العادة و الخروج عن المؤلف و المبينة للمؤلف " : " ... فقال ... " فإذا لم يكن لذلك القرآن مثل في العادة ، و عرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام و أنواع الخطاب و وجد القرآن مبينا لهم علم خروجه عن العادة ... " <sup>52</sup>

و يتعرض حازم القرطاجني [608 — 684 هـ] لمفهوم الأسلوب فيبحثه في القسم الرابع والأخير من كتابه " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " . و يقسم حازم الشعر إلى الجدي و الهزلي ، ثم يدرس ألوان الشعر و أغراضه و موضوعاته ، ثم يبحث الأساليب الشعرية بأنواعها و أخيرا يتحدث عن مذاهب الشعراء و مآخذهم في نظمهم ، و قضية نقد الشعر و المفاضلة بين الشعراء .

وحازم في — دراسته هذه — يرى أن الأسلوب ينصب في الجوانب المعنوية . يقول : " و لما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ و جب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد و التناسب و التلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة و الصيرورة من مقصد إلى مقصد ما

يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض و مراعاة المناسبة و لطف  
النقطة 53

لقد ظهرت كلمة أسلوب في التراث العربي القديم على نحو ربطت فيه بين مدلول اللفظة و طرق العرب في أداء المعنى . أو بينه و بين النوع الأدبي و طرق صياغته ، كما أنها ربطت — أحيانا — بينه و بين شخصية المبدع و مقدرته الفنية ، كما أنها ربطت — أيضا — بينه و بين الغرض الذي يتضمنه النص الأدبي ، و قد يتساوى مفهوم الكلمة مع مفهوم النظم الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام لكن ذلك كله لم يقدم نظرية مكتملة يمكن اعتبارها بحثا أسلوبيا، عربيا في المجال النظري و التطبيقي .

يقول تزييفطان تودوروف : " لخصر الخصوصيات الأسلوبية لنص ما بطريقة فعالة ، بإمكاننا أن نجرب مقارنة مزدوجة : في إطار الملفوظ أي في إطار المظاهر الفعلية ، التركيبية و الدلالية كالتقسيمات التي تضع أبعاد الوحدات : من السمات المميزة ، صوتية أو دلالية إلى الملفوظ كله ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى في إطار التلفظ أي في إطار العلاقة المحددة بين ممثلي الخطاب [ المتكلم ، المتلقي ، المرجع ] .

### مجال الملفوظ :

1 — المظهر الفعلي [ الذي يخص مباشرة الدال الصوتي / أو المكتوب ] مفهوم قد درس خاصة على مستوى الوحدات الدنيا .

يمكن أن تميز نصا بعدد و توزيعات الفونيمات التي تكونه أو السمات نفسها المميزة لهذه الفونيمات ، و أيضا طول الكلمات سممة خصوصية للأسلوب كما ترجع دراسة المظهر الفعلي على مستوى الجملة أو الملفوظ للبحث عن الخاصيات الإيقاعية و النغمية و ترتيب نص على صفحة .

2 — المظهر التركيبي : يمكن أن يدرس على مستوى الجملة بالتقنيات التي تبلورت في إطار النحو العام و البنية التركيبية للجملة يمكن أن تقدم كنتيجة لسلسلة من التحويلات انطلاقا من قضية ....

على مستوى الملفوظ : نلاحظ ثلاثة أنواع من العلاقات بين الجمل ، العلاقات المنطقية [ التضمين ، الاشتمال ... إلخ ] و العلاقات الزمنية [ التابع ] العلاقات المكانية .

3 — المظهر الدلالي : نلاحظ فيه حرقا تدريجيا للجملة من عدة أصناف هي :

أ — التشخيصية : نجدها في الجمل التي تصف الوقائع و الأحداث التي لها إمكانية تقرير قصوى و في الجمل التي تلفظ الحقائق الأبدية للتأملات المجردة و الأحكام .

ب — التصويرية : ليست الصورة شيئا آخر سوى تيسر اللغة لتسمح بإدراكها في ذاتها .  
ج — تعدد الدلالة : لا يستحضر الخطاب إحالته الفورية فقط و لكن دائما يستحضر خطابات أخرى أيضا. "54

و يبدو لهذه الدراسة أنه ليس من المفيد الإيغال في التفصيلات حول اختلاف تحديد لفظة أسلوب و ما دار حولها من تعريفات ، و إنما المفيد هو الوصول إلى تحديد المقصود من أسلوبية في ارتباطها بعملية الإبلاغ من ناحية الوصف و التحليل .

إن " فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي و شقه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطب ، و المخاطب، و الخطاب ، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت أصوليا إحدى هذه الركائز الثلاث متعاضدة متفاعلة" 55

هذا الجهاز المثلث يتراءى لنا الآن و وثيق الصلة بنظرية الإبلاغ في تعريف الحدث اللساني وهي المستمدة أصولها من نظرية الإخبار كما ضبطها منذ سنة 1949 كل من شانون [CHANON] و وافار [WAVEUR] و تقتضي كل عملية تخاطب — حسب هذه النظرية — جهازا أدنى يتكون من باث و متقبل و ناقل .

### الأسلوب من زاوية المنشئ :

يقوم المنظور الأول في تعريف الأسلوب بالنظر إلى المرسل المخاطب . على أساس التوحيد بين المنشئ و أسلوبه بحيث لا انفصال بينهما ، و من شأن هذه النظرة أن تؤدي بنا إلى الإيمان بالتلاحم التام بين الأسلوب و منشئه إلى الحد الذي يصبح فيه الأسلوب كاشفا عن مكونات صاحبه، " فأما الباث فهو المتكلم و يقوم بعملية التركيب ، أي صياغة المفاهيم و التصورات المجردة في نسق كلامي محسوس ."

الأسلوبية من زاوية النص : و المنظرون لتحديد الأسلوب من زاوية النص — يفرقون بين وضع اللغة الكائنة في طيات المعاجم ، و وضعها حين تخرج إلى مجال الاستعمال و تقوم بتأدية وظيفتها الإخبارية المنوطة بها .

" الأسلوب من زاوية المتلقي : و يقوم هذا المنظور على أساس أن كل منشيء يعبر عن عن ذاته و لا يكتب لها ، فإنشاؤه نابع من نفسه و ليس موجها إليها .

"وإذا كانت عملية الإنشاء تقتضي وجود منشيء ، فإنه لا بد من متلقٍ يستقبل الخطاب فالمتلقي يمثل البعد الثاني في العملية الإبداعية ، و أما المتقبل و هو المخاطب فيقوم بعملية التفكيك التي ترجع الكلام الحسي إلى مدلولات مجردة ."<sup>56</sup>

تتقدم دعامة المخاطب الدعامتين الأخريين في النشأة الوجودية و في تاريخية الأسلوب ، أما في النشأة المطلقة<sup>57</sup> فلأن الرسالة اللغوية من حيث حدوثها تنبثق من منشعها تصورا و خلقا وإبرازا للوجود ، و أما من حيث زمنية التاريخ فلأن تحديد الأسلوب باعتماد عنصر المخاطب مغرق في القدم يتخطى حواجز الأسلوبية المعاصرة إلى بلاغة اليونان و من بعدهم .

و أول ما يطالعا في اعتماد التفكير الأسلوبي على المخاطب تعريف الأسلوب بأنه قوام الكشف لنمط من التفكير عند صاحبه ، و تتطابق في هذا المنظور ماهية الأسلوب من نوعية الرسالة اللسانية المبلغة مادة و شكلا ... و السبب في ذلك أن العلاقة العضوية ، بين اللفظ والمفروض من العمق و الحدة أحيانا بحيث يتعذر على الفاحص فصل الباعث و المبعوث وجودا.<sup>58</sup>

عملية الخطاب الذي لا يكون مخاطب بدون مخاطب و خطاب ، كما لا يكون مخاطب ولا خطاب ما لم تكتمل أضلاع المثلث ، و يعتمد المنهج الأسلوبي إلى منهج اختياري في إثبات حضور "المتقبل" في عملية الإبلاغ ، فإذا استندنا إلى التجربة اهتدينا إلى أن المتكلم عامة " كيف " صيغة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم<sup>59</sup>

و فكرة التأثير تستوعب مفهوم الإقناع باعتباره شحنة منطقية يحاول بها المخاطب حمل مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته<sup>60</sup> أو معنى الإمتاع باعتباره سعيًا حثيثًا نحو جعل الكلام قناة تعبره المواصفات التعاطفية ، فينطفئ عندئذ الجدول المنطقي العقلاني في الخطاب وتحل محله نفاثات الارتياح الوجداني و تستقطب أخيرا فكرة الإثارة و بموجبها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرك في المتقبل نوازع و ردود فعل ما كان لها أن تستنفر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية و لولا اصطباغ الخطاب بألوان ريشة الأسلوب<sup>61</sup>

و تتشكل أسلوبية أي نص أدبي من خلال عمليتي العدول يقول هنريش بليث : " أن عمليتي العدول هما اللتان تتحكمان في تشكيل أسلوبية أي نص أدبي ؛ إذ يتولد عنهما كافة أشكال

الصور البلاغية التي تمثل متغيرات أسلوبية متاحة — من جهة الإمكان العملي — أمام الكاتب ليعمل فيها بالاختيار أو التنحية ؛ و بالتكثيف أو التقليل ، و بإتباع طرق مختلفة في التوزيع حتى تصير عناصر فاعلة في تشكيل أسلوبية نصية ، أو بتعبير آخر لتكون متغيرات أسلوبية مائزة لهذا النص .

و يصنف " هنريش بليث " المتغيرات الأسلوبية إلى صنفين ، و ذلك تبعا للعملية المولدة لها ، فيطلق على المتغيرات الناتجة عن تقوية المعيار اسم " التوازنات " بينما يطلق على تلك التي تخرج عن المعيار اسم " الرخص " <sup>62</sup>

علاقة الأسلوب بالبلاغة: رأت الدراسة أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، يسابق معناه لفظه و لفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك <sup>63</sup> ، إنها تأدية وتعبير عن الفكر و عن المعنى ، على أن تكون تأدية مطابقة لها ، ملائمة للموضوع و للمخاطب ، فإذا قورن هذا التعريف بمفهوم الأسلوب وجد أن الاثنين يعيان بالفكر و المعنى من ناحية ، وبالعبارة من ناحية أخرى ، و بمطابقتها و مناسبتها لما يقتضيه الحال من ناحية ثالثة ، إذن فالصلة وثيقة بين البلاغة و الأسلوب فالبلاغة " تضع بين يدي المؤلف المقاييس و الوسائل و الأساليب ، و يقوم هو باختيار ما يناسب موضوعه منها ، ثم يعمل على تنسيقه و ترتيبه . و في عملية الاختيار و التأليف هذه ، يضيف المؤلف على نتاجه الأدبي طابع شخصيته ، إذ أن حرية الاختيار و تصرفها هي أميز ما تتميز به الشخصية ، فمن خلال دراسة أسلوب معين يمكن أن يتبين نزعات صاحبه الفكرية و الأدبية ، أي معالم شخصيته و من خلال دراسة هذا الأسلوب يمكن أن يقدر مسدى نجاح أو إخفاق الأداء بحسب متطلبات البلاغة ، إذ أنها ترسم الطريقة المثلى التي يسير في ضوئها المؤلف في عملية الإنشاء " <sup>64</sup> فالصلة إذا بين البلاغة و الأسلوبية جد وثيقة .

خلاصة القول حول المنهج : عندما شب علم الأسلوب أصبح هو البلاغة الجديدة في دورها المزدوج . ، كعلم للتعبير و نقد للأساليب الفردية ، لكن هذا الدور لم يتكون مرة واحدة ، بل أخذ ينمو ببطء تدريجي يكتسب خلاله العلم الجديد تحديدا دقيقا لموضوعه و أهدافه و مناهجه ، و يتبين ما ورثه من أمه ليختبره و يفيد منه ، فيجد مثلا أن البلاغة قد عرفت منذ القدم بأنها ، فن القول الجيد ، إلا أن هذه الجودة فسرت طبقا لاتجاهات عدة ، فحينما تنصرف إلى الجانب الأخلاقي فتصبح ملائمة للموقف و المقام و مطابقة لمقتضى الحال ، و تنصرف حينما آخر لابتغاء هدف طيب مثل الإقناع ، أو إلى وضع القواعد اللازمة لتوافر في القول شروط



الحسن و الجمال ، لكن هذا الاتجاه الأخير لم يسدد إلا في العصور المتأخرة ، فأخذ الشراح يفسرون القول الجيد بأنه المقعم بالمحسنات الجمالية ، وبهذا تحولت البلاغة إلى نوع من النحو المتقدم ، حين أصبحت دراسة ترتفع فيها سلامة القول النحوية إلى مستوى أسلوبى ممتاز<sup>65</sup>.

إلا أن توجه البلاغة نحو ابتغاء الأسلوب الجيد لم يكن سوى أحد أهدافها الكثيرة هذه لأهداف التي تركز في مجملها الوصول إلى القواعد و النماذج التي يستطيع بها المتكلم و الخطيب أن يؤثر في جمهوره و يحركه بحججه المقنعة لتبني موقفه ...<sup>66</sup>

إذا قيل بأن البلاغة هي علم أسلوب الأقدمين فمن الملاحظ أن حظها من العلم كان يوازي — بل و يفوق في بعض الأحيان — تصورات العلوم الأخرى ، فكثير من تحقيقات التراث البلاغي المتصلة بمضمون التعبير تضاهي المنطقة التي يعطيها علم اللغة الحديث من قضايا تتصل باللغة و الفكر و الفصاحة و بأشكال القول و تكوينه مما يشمل جوانبه الثلاثة : الصوتية والمعجمية و النحوية فضلا عن مواقف البلغاء و مقاصدهم .... و البلاغة هي من أحق العلوم القديمة بتسمية " العلم " فيقدر اتساع ملاحظاتها و دقة تحاليلها و تعريفها و قوة تصنيفها و خضوعها للمنطق بقدر ما تمثل دراسة لوسائل اللغة التعبيرية لا تعدلها أية دراسة أخرى معاصرة لها<sup>67</sup>

فالصور البيانية — والأشكال البلاغية — من المنظور الأسلوبى — ليست إلا أدوات لغوية يستطيع المؤلف باستخدامها أن يحقق ملامح التضاد و التناسب في النص مستثيرا عالما خياليا جديدا ، و يمكن تصنيفها على هذا الأساس ، على أن يؤخذ في الاعتبار دائما دور السياق الحاسم عند كل تحقيق متعين ، وعلى أن ندرك بصفة خاصة أن هذه الصور ليس لها أي تأثير ما لم تمارس فعاليتها على القارئ الذي يقوم بإعادة تكوين الأسلوب<sup>68</sup> ، وقد تطابقت رؤية بيرلمان مع الجاحظ حول البلاغة و الحجاج لأن كليهما يهتم بوسائل الإقناع الشكلية والمضمونية على مستوى الهيئة و الخطاب ، لذلك اهتم بالمقام و بمحدداته و إمكاناته .

ثمة فناعة سارت على هديها فلسفة العلوم المختلفة أنواعها و أشكالها ، و " هي أن طبيعة الموضوع تفرض نوع المنهج المتبع في دراستها ، و ليس المنهج سوى : " طريقة في البحث ، ومبادئ تلتزم خلاله ، و مفاهيم توظف فيه و الطريقة هي مجمل عمليات الاستقراء و الاستنتاج و المقارنة التي يقوم بها الباحث لاختبار مادته العلمية و المبادئ جملة أسس لها طابع أخلاقي علمي منها التزام الموضوعية .... الخ



أما المفاهيم فهي المعاني الكلية التي يتم بها تحويل موضوع البحث من مادة خام أولية إلى كيان له معقوليته في إحداث علاقات تناسبية في نظامه نستخلص منه آفاقه و تجلياته الدلالية، و المفاهيم تتغير من نص إلى آخر ، أما الطريقة و المبادئ فهي ثابته عقلية منهجية يصلح تطبيقها مع كل الموضوعات لأنها تختص بنظام التفكير العقلي الذي في مكنه أن يوظر أي موضوع ضمن أي مشرب معرفي كان".<sup>69</sup>

تأسيسا على ذلك ، فإن كل المقاربات تتكامل و تتفاعل طرورا كما المتنوعة و المتشابهة أحيانا مما يجعلها طرائق و مبادئ منهجية لدراسة الأشكال الحوارية في الخطاب القرآني العزيز

و استجماعا لجملة الخصائص للمقاربات السابقة ، يجعل من الممكن تبينة المناهج الغربية لأن الهدف هو جعل المنهج قادرا على التعبير عن المضامين الحقيقية للخطاب المدرس . و تكون المقاربة الأسلوبية أكثر المقاربات النصية نجاعة لأجل التقرب من البنية الحوارية في الخطاب القرآني كونها تعتمد على وصف الدلالات اللغوية و بنيتها التركيبية ثم الحديث عن الوظيفة الدلالية ، وهو في حقيقة الأمر الهدف الحقيقي للدراسة ، و لا يعنى هذا عدم مساءلة التراث العربي القديم خاصة النشاط المرتبط بالممارسات النصية تذوقا و فهما و تحليلا و تفسيرا ، و هذه العودة لا تعني أن النص العربي يسلك في اتساقه و انسجامه ، سبيلا مخالفا تماما للنص الغربي ، و لكن لكونها إسهامات لا تقل أهمية و خصوبة عما قدمه الغربيون ، و هذه المباحث هي البلاغة و النقد الأدبي و التفسير ، فالبلاغة و ظفت لأجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيرى قادر على شد انتباه المتلقي و التأثير فيه أي الإقناع فضلا عن الإمتاع و أما النقد الأدبي ففضلا عن تناوله لقضايا ، البناء و الصنعة ، فإن الدراسة وقعت على نصوص تستعمل معجما شديدا الارتباط بقضايا لسانية حديثة كالانسجام و الاتساق و تلاحم الأجزاء ، و أما مبحث التفسير فإن علماء هدفوا إلى كشف العلاقة الخفية بين الآيات ، و قضايا تمت بصلة إلى البلاغة و اللغة والإيقاع . فالخطاب القرآني صادر عن الذات الإلهية باعتبار مادته لغة إلهية قرآنية " و هو نموذج لغوي مكتمل و منغلق على مستوى ( الدال ) و منغلق على مستوى ( المدلول ) مما يمنح إمكانات تأويل دلالي متسع و متحول ، أوجب تعدد القراءات له ، تبعا لنوعية المتلقي تضمننا وفهما و مقصديات من جهة ، و خضوعا لمقتضيات المقصديات الإلهية من جهة ثانية مما جعله نصا متعاليا غير قابل للنسخ و التقليد ، لأنه يمتلك ذاتيا خصائص لغوية إعجازية عامة لا تسمح بذلك قبليا و لا بعديا ، و لكنه في نفس الوقت قابل لأن يستلهم لغويا و فنيا ، لكونه حاضرا

وراء كل أشكال الخطاب العربي الإسلامي كنص مركزي بتوليدده لنصوص معرفية جديدة وإعادة تشكيله لنصوص سابقة على مستوى المدلول.<sup>70</sup> وقبل الشروع في قراءة أسلوبية المنجز الحوار القرآني لا بد من الوقوف على تحديد بعض المفاهيم الأساسية ، والتي تشكل مفتاحا للولوج إلى عالم الحوار القرآني الكريم و من تلك المفاهيم ، مفهوم الحوار و الخطاب ثم أشكال الحوار القرآني؟ .

## الهامش :

- 1 - محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند " بيرمان " و تطوره في البلاغة العربية ، مجلة ( عالم الفكر ) الكويت المجلد 28 العدد 3 يناير - مارس ، سنة 2000 ص 65 .
- 2 - الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر : البيان و التبيين ، تحقيق موفق شهاب الدين ، ج 1 ، ط 2 دار الكتب العلمية بيروت سنة 2003 ص 99 .
- 3 - المرجع نفسه ص 100 .
- 4 - المرجع نفسه ص 100 .
- 5 - المرجع نفسه ص 105 .
- 6 - أبو هلال العسكري : كتاب الصنائع [ الكتابة و الشعر ] ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ط 1 سنة 1981 بيروت ص 10 .
- 7 - ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول سلام المكتبة التجارية القاهرة سنة 1956 ص 3 .
- 8 - المرجع نفسه ص 8 .
- 9 - البيان و التبيين : ص 18 - 19 .
- 10 - عيار الشعر ص 8
- 11 - حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجعة ، سنة 1996 ، تونس ، ص 151 .
- 12 - أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي : مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت سنة 2000 ط 1 ص 256 .
- 13 - حسان الباهي : الحوار و منهجية التفكير النقدي . أفريقيا الشرق . سنة 2004 . المغرب ص 151 .
- 14 - محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند " بيرمان " و تطوره في البلاغة العربية ص 99 .
- 15 - فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش ، مكتبة الأسد الرباط سنة 1986 ص 185 .
- 16 - عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق محمد اسكندراني - د / مسعود ، دار الكتاب العربي ط 2 سنة 1998 بيروت ص 28 .
- 17 - حبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال الحجاجي [ عناصر استقصاء نظري ] مجلة ( عالم الفكر ) المجلد 30 ، يوليو ، سبتمبر سنة 2001 الكويت ص 110 .
- 18 - محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند " بيرمان " و تطوره في البلاغة العربية ص 54 - 55 .
- 19 - المرجع نفسه ص 56 .
- 20 - المرجع نفسه ص 56 .
- 21 - المرجع نفسه ص 57 .
- 22 - المرجع نفسه ص 68 .
- 23 - محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية سنة 2002 ص 9 .
- 24 - فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ص 7 .

- 25 - إدريس مقبول : الأسس الاستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، عالم الكتب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي ط 1 سنة 2006 الأردن ص 164 - 165 .
- 26- فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ص 8 .
- 27- بول ريكور : نظرية التأويل ، الخطاب و فائض المعنى ، ترجمة سعيد الغامبي ، المركز الثقافي العربي ط 1 سنة 2003 بيروت ص 42 .
- 28 - محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 14 .
- 29 - المرجع نفسه ص 16
- 30 - المرجع نفسه ص 17 - 18
- 31 - المرجع نفسه ص 23
- 32 - المرجع نفسه ص 26 .
- 33- المرجع نفسه ص 32 .
- 34- صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة سنة 2005 ص 87 - 88 .
- 35- حسان الباهي : الحوار و منهجية التفكير النقدي ص 128 - 129
- 36 - إرد إيش - فوكيما - فان دايك - جان كوهين - كيدي فاركا - جان ستاروباسكي ، نظرية الأدب في القرن العشرين ، ترجمة و تقديم محمد العمري أفريقيا الشرق سنة 1996 ص 66 - 67 .
- 37 - الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 38 - 39
- 38 - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط 1 سنة 2004 بيروت ، لبنان ، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ص 22 - 23
- 39 - سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان قنبر : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1979 ج 3 ص 162 القاهرة .
- 40 - 5 - Guiraud pierre :Essais de stylistique 5 eMe. ed . puf .paris 1969 p . 5
- 41 - صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، دار الشروق ، ط 1 سنة 1998 القاهرة ص 93 .
- 42 - ابن منظور : لسان العرب ، تقديم الشيخ عبد الله العلابي دار الجيل بيروت ، دار لسان العرب سنة 1988 بيروت المجلد 3 ص 239
- 43 - ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، شرح و تفسير السيد أحمد صقر ط 2 دار التراث القاهرة سنة 1973 ص 12
- 44 - رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، منشأة المعارف الإسكندرية سنة 1993 ص 14
- 45 - الهادي جلطاي : مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا و تطبيقا ، ط 1 سنة 1992 عيون الدار البيضاء ، ص 90
- 46 - المرجع نفسه ص 18 .
- 47 - ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ص 54 .
- 48 - الهادي جلطاي : مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا و تطبيقا ص 191 .

- 49 - المرجع نفسه ص 197
- 50 - المرجع نفسه ص 199 .
- 51 - المرجع نفسه ص 35 .
- 52 - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي : إعجاز القرآن ، تعليق أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 2001 ص 23 .
- 53 - حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدياء ، ص 364 .
- 54 - تريفيتان تودوروف : مفاهيم سردية ، ترجمة عبد الرحمان مزيان منشورات وزارة الثقافة ط 1 سنة 2005 ص : 137 - 138 - 139 .
- 55 - عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ط 2 سنة 1982 تونس ص .
- 56 - المرجع نفسه ص 62 .
- 57 - المرجع نفسه ص 63 .
- 58 - المرجع نفسه ص 64 .
- 59 - المرجع نفسه ص 79 .
- 60 - المرجع نفسه ص 80 .
- 61 - المرجع نفسه ص 81 .
- 62 - المرجع نفسه ص 83 .
- 63 - هنريش بليث ، ترجمة محمد العمري : البلاغة و الأسلوبية ، أفريقيا الشرق سنة 1999 المغرب ص 57 ..
- 64 - البيان و التبيين ص 115 .
- 65 - فيكتور شلحت : التزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ، دار المشرق بيروت ط 3 سنة 1993 ص 51 - 52 .
- 66 - صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، ص 61
- 67 - المرجع نفسه ص 62 .
- 68 - المرجع نفسه ص 64 - 65 .
- 69 - محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي محدداته و تجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط 1 سنة 2000 ص 8 - 9 .
- 70 - محمد رفيد : مقارنة عاملية لمفهوم ( النص ) داخل الثقافة العربية الإسلامية ، أعمال ندوة مكونات النص الأدبي، أيام 25 - 26 - 27 جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية الآداب و العلوم الإنسانية سنة 1999 الدار البيضاء المغرب ص 242 .

# الفصل الثاني

## في المفاهيم

— ما بين الحوار و الجدل و المراء و الحجاج في اللغة  
و الاصطلاح .

— الحوار لغة و اصطلاحا

— الحوار القرآني .

ما بين الحوار و الجدل و المناظرة و المراء و الحجاج في اللغة و الاصطلاح؟

تدور على الألسنة عبارات كالحوار والجدال والمناظرة، وأحيانا تطلق إحداها في موضع الأخرى وفي الحق أن بينها اختلافًا واضحًا في المدلول المعجمي والاصطلاحي.

ففي الحصر القاموسي لأصل مادة الحوار يفيد ابن منظور:

حوارًا ومحاورةً وحويرًا ومحورةً بضم الحاء بوزن مشورة أي جوابا ، وأحار عليه جوابه: ردّه ، وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة ، والاسم من المحاورة و الحوير، تقول:

سمعت حويرها وحوارها والمحاورة الجاوبة والتحاوير: التجاوب واستحاره أي استنطقه والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره والمحوارة من المحاورة مصدر كالمشورة

وأنشد:

لحاجة ذي بث ومحورة له كفى رجوعها من قصة المتكلم<sup>1</sup>

فالحوار في اللغة هو الرجوع والمجاوبة.

وفي الاصطلاح: "هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والرد فيه ومنهم من عرفه بأنه: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب"<sup>2</sup> وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

أحدهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ

نَفَرًا ﴿٣٤﴾ [الكهف الآية 34]

وثانيها في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ [الكهف 37]

وثالثها في قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع

تجاور كما إن الله سميع بصير" [المجادلة]

ومن المصطلحات القريبة من معنى الحوار الجدل.

**الجدل:** يفيد ابن فارس في مادة جدل: "الجيم والذال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام<sup>3</sup> وقال ابن منظور: "الجدل هو شدة الفتل، وجدلت الحبل أجده جديلاً إذا شدت فتله، وفتلته فتلاً محكماً، ومنه قيل لزمّام الناقة: الجدليل، وجاء في مفردات الراغب الأصفهاني: "جدلت الحبل أي أحكمت فتله"<sup>4</sup>

والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام والجدل: مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة: المناظرة والمخاصمة<sup>5</sup>

**والجدل في الاصطلاح** هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة ويكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال.<sup>6</sup>

قال النووي رحمه الله: "الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل وأصله الخصومة الشديدة، ويسمى جدلاً لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحقته إحكاماً بليغاً على قدر طاقته تشبهاً بجدل الحبل وهو إحكام فتله .  
وجرى استعمال الجدل في اصطلاح أهل المناظرة على معنى إلزام الخصم سواء كان بحق أو باطل<sup>7</sup> .

وبعض أهل العلم أطلق الجدل وأراد به آداب الاستدلال والمعارضة، كابن خلدون حيث قال: "وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأً فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول، وكيف يكون حال المستدلّ والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون مخصوماً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال، ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب، في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه"<sup>8</sup>



ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم في تسعة و عشرين موضعاً، كلها في سياق الـدم إلا في ثلاثة مواضع.

أحدهما قوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل الآية 125]

والثاني قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَإِنَّهَا وَإِنهَـم وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت الآية 46]

والثالث قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة الآية 1]

وقد أطلق الجدل في هذه الآية على الحوار، وهو مراجعة الكلام بين النبي صلى الله عليه وسلم وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنهما .

أما في السنة فالأحاديث التي ورد فيها لفظ الجدل على إطلاقه ، فتدل على كراهيته ، ومن ذلك حديث أبي أمامه رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الآية 58 الزخرف]

المناظرة لغة : من النظر أو من النظر بالبصيرة واصطلاحاً هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيعيين إظهاراً للصواب.

و المناظرة لغة " مشتقة من النظر ، والنظرة تأمل الشيء بالعين ، وقد نظرت إلى الشيء والتناظر التقابل، يقال، تناظرت الداران تقابلتا، ونظر إليك الجبل قابلك.

والنظر: الفكر في الشيء نقدره ونقيسه منك" 10.

والإنظار التأخير والإمهال ، والمناظرة ، أن تناظر أبحاثك في أمر نظر كما فيه معا كيف تأنيانه  
والنظير المثل: يقال: ناظرت فلانا، أي صرت نظيرا له في المخاطبة.

وفي الاصطلاح ترجع المناظرة إلى " النظر والمقابل في المخاطبة والكلام أي النظر  
بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهار الصواب، فهي إذن بهذا المعنى ممدوحة وقرينة  
من معنى الحوار، بيد أن المناظر، أذل في النظر والتفكير كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام  
وتداوله" 11

وتأتي المناظرة بمعنى المجادلة المحمودة وهو استخراج الصواب، قال العلامة صديق حسن  
خان: "ولا يتعد أن يقال أن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المال منهما واحد.

وهناك فروق بين المجادلة بنوعيهما الحمود والمذموم وبين المناظرة، منها أن الجدل احتجاج  
باللسان أما النظر فقد يكون بالفكر بالقلب والعقل. " 12 فالجدل — إذا — لم يؤمر به، ولم يمدح  
في الكتاب أو السنة على إطلاقه، بل الأصل فيه أنه مذموم، ما لم يتقيد بالحسن أو بالحق: كما في  
قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [ النحل الآية 125 ]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

[ العنكبوت الآية 47 ]

ومن ذلك تبيين الفرق بين الحوار والجدل، إذ أنهما يلتقيان في كونهما حديثا أو مراجعة للكلام  
بين طرفي الحديث ، ويفترقان في أن الجدل مرتبط بالخصومة والشدة في الكلام مع التمسك  
بالرأي والتعصب له ، أما الحوار فهو حديث متبادل تتعد فيه الخصومة شكلا ومضمونا، ويغلب  
عليه الهدوء وينبذ التعصب ونحوه.

ويتداول مصطلح آخر قد يقترب من الحوار أو الجدل وهو " المناظرة" و الفرق بينها وبين

الجدل يكمن في مايلي :

فرق يكمن في أنه يصح النظر من طرف واحد، أما الجدل فلا يصح إلا بين اثنين.

وهناك فرق آخر وهو باعتبار القصد والنية، فالمقصود من المناظرة هو ظهور الحق في المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى القول المجادل<sup>13</sup> وتطلق المناظرة أحيانا على المراء على معنى استخراج مذهب وأدلة المخالف قال ابن الأثير الجزري: "ويقال للمناظرة ممرارة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتر به كما يمتر به، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع"<sup>14</sup>

والمراء لغة: من مري: يقول ابن فارس: الميم والراء والحرف المعتل أصلان صحيحان، يدل [أحدهما] على مسح شيء واستدراار، والآخر على صلابه في الشيء. ويقول: وعندنا أن المراء، مما يمارى فيه الرجلان من هذا لأنه كلام فيه بعض الشدة، ويقال ماراه مراء وممرارة.

ومما شدُّ منهما المرية، الشك<sup>15</sup> وقد ورد المراء في الشرع على معنى المراجعة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف الآية 22]

كما ورد على معنى الجدال بالظنون الكاذبة والتخرصات الباطلة ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [مريم الآية 34] والمراء يطلق ويراد به الجدال إلا أنه غلب استعماله في إصلاح الأئمة على الجدال المذموم فاستعمله بعض أهل العلم على الجدال بالباطل وعن الباطل. واستعمله بعض العلماء فيمن فسد قصده وغرضه من الجدال. كما يستعمل مصطلح آخر يقترب من الجدال وهو الحجاج. والحجاجة لغة: يقول ابن فارس المحجة، وهو جادة الطريق، قال: ألا بلغا عني حريثا رسالة فإنك عن قصد المحجة أنكب

ويمكن أن يكون الحجة مشتقة من هذا ، لأنها تقصد ، أو بما يقصد الحق المطلوب ، يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة ، والجمع حجج والمصدر الحجاج .<sup>16</sup>

والكثير من المفسرين يفسر المحاجة بالجدال والتخاصم، ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُكُمْ لِلَّهِ وَمِنْ أَمْرِهِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [ آل عمران 20 ] وقال الطبري في معنى حاجوك : " أي خاصموك فيه بالباطل"<sup>17</sup> وقال ابن كثير في الآية نفسها : " أي جادلوك في التوحيد"<sup>18</sup>

أما الحجة فتطلق على البرهان والدليل ، أن ما دفع به الخصم سواء أكان برهانا صحيحا أو شبهة باطلة وفي الحديث "فحج آدم موسى" أي غلبه بالحجة ، والفرق بين الحجة والمحاجة : أي الحجة قد تمدح أو تذمّ وذلك بحسب إطلاقها لأنها تطلق على البرهان الصحيح ، كما تطلق على الشبهة الفاسدة ، وأما المحاجة فإنها — في الغالب — مذمومة ، إذا القصد منها دفع الخصم وردّه ، لا لبيان الحقّ، وهي قريبة من معنى الجدل والمخاصمة "<sup>19</sup> فما المخاصمة ؟

### الخصومة:

الخصومة لغة: يقول ابن فارس ، الخاء والصاد والميم أصلان : أحدهما المنازعة ، والثاني جانب وعاء.... والخصم المنازع في جانب<sup>20</sup> والخصومة هي لجاح الكلام ، ليستوفي به مقصود من مال أو غيره ، وتارة تكون ابتداءً وتارة تكون اعتراضا ، والمرء لا يكون إلا اعتراضا<sup>21</sup>

والخصومة في الشرع نوعان : محمودة كما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهدد قال : "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وبملك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاطمت " ومذمومة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا

جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ [ الزخرف 58 ]

والاختصام في الاصطلاح هو الجدل والاختلاف بالقول<sup>22</sup>

ويمكن أن نخرج من هذا النسج الغوي الاصطلاحي للمواد السابقة ، بفروق واضحة بينها ، فالجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال ، وأمّا المناظرة فيكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المناقشين فيه ، بيد أنّها أقرب إلى الحوار وهي ألصق بالتفكير منه لأنّ الحوار يقوم على مراجعة الكلام وتداوله ويسوده الهدوء والتكافؤ بين المتحاورين كما أنّ المناظرة يصح فيها النظر من طرف واحد بخلاف الجدل .

وأما المراء والخصومة فهما فرعان عن الجدل بالبطل-وإذا علم المجادل بفساد كلامه وصحة كلام خصمه ، فنازعه سميت بمجادلته "مكابرة" وإذا جادله في الأمر ، مع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه ، فنازعه ، سميت بمجادلة "معاندة"<sup>23</sup>

وأما الحوار والجدل فيلتقيان في أنّهما حديث أو منافسة بين طرفين ، لكنهما يفترقان بعد ذلك فالجدل هو اللدد في الخصومة وما يتصل بذلك ، ولكن في إطار التخاصم بالكلام ، أمّا الحوار فهو مراجعة كلامية بين طرفين دون أن يكون بينهما ما يدل على الخصومة.

والجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق ، بل جاء مقيدا بلفظ "الحسنى" وتمتاز المناظرة عن "الحوار" بكونها تقيم تقابلا يتواجد فيه "العارض" و "المعترض" ولا يمنع اختصاص كل منهما فيه بحقوق وواجبات معينة من حضورهما معا في إنشاء نص "المناظرة" منطوقا ومفهوما<sup>24</sup>

وخلاصة القول في هذا أنّ كل جدل حوار وليس كل حوار جدل ، لكن ربما يحول الحوار إلى جدل ، وقد يجتمعان كما في صدر سورة المجادلة وأمّا المناظرة ففي أصلها محمودة إذا كان الهدف منها النظر في أمر بين طرفين لمعرفة كيفية إتيانه .

ولهذا فضلت الدراسة اختيار لفظة "الحوار" على الجدل أو المناظرة أو غيرهما ، لأنّ الحوار يتسع في دلالاته ليشتمل الجدل بينما يقف مصطلح الجدل عاجزا في استيعاب أبعاد الحوار وآفاقه ، فهو يدور في محيط الخصومة حتى وإن تعداها.

إنّ المتبع للمصطلحات التي تقترب من ماهية الحوار يجد مصطلحا كالخطاب ، إذ ورد في

سورة ص قوله سبحانه وقَعَالِي: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ [ الآية 23 سورة ص ]

ففي هذه السورة يحتكم إلى النبي داود — عليه السلام — خصمان أحدهما شريك ومخالط للآخر في شياه ونعاج ، فكان من أمر الشركة أن انتهى الأمر بينهما بأن يكون لأحدهما نعمة واحدة ، وللآخر تسع وتسعون نعمة ، فيقهر الثاني الأول ويغلبه بقوة لسانه ، وقدرته على الخطاب والمجادلة حتى يدعن الأول للثاني على الرغم من وضوح حقه وبيانه .<sup>25</sup>

ويقول أهل التفسير و من بينهم ابن كثير في شأن الآية الكريمة : " أي أنه غلبه وقهره في الجدل والمخاطبة والقدرة على الاحتجاج " .<sup>26</sup>

و هذا الأمر يدفع الدراسة إلى البحث في ماهية الخطاب سيما و هذا البحث سيتعامل مع الخطاب القرآني كمدونة ، و على إحدى مظهراته الاعجازية ، و هي الخاصية الحوارية التي سبق تعريفها بأنها مراجعة كلامية أو خطابية بين طرفين في جو هادئ .

## الهامش :

- 1 - ابن منظور : لسان العرب المحيطة ، تقديم السيد عبد الله العلابي ، المجلد 1 ، دار الجيل بيروت ، دار لسان العرب بيروت ، طبعة سنة 1988 ص 751 .
- 2 - أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري : فن الحوار ، أصوله ، آدابه ، صفات المحاور ، دار الإيمان الإسكندرية سنة 2003 ص 13 - 14 .
- 3 - أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكرياء : معجم مقاييس اللغة ، ط 1 جديدة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان سنة 2001 ص 189 .
- 4 - الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، كتاب الجيم ، مصر ص 123
- 5 - ابن منظور : لسان العرب ، ج 11 ص 104 .
- 6 - محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ط 1 سنة 1970 ص 5 .
- 7 - حمد بن إبراهيم العثمان : أصول الجدل المناظرة في الكتاب و السنة ، دار ابن حزم ط 2 لبنان سنة 2004 ص 11 - 12 .
- 8 - عبد الرحمن ابن خلدون : ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر و التوزيع ، بيروت ، لبنان سنة 2004 ص 439 .
- 9 - ابن منظور : لسان العرب ص 219 .
- 10 - أبو عبد الله فيصل بن عبدة الحاشري : فن الحوار ص 16 .
- 11 - حمد بن إبراهيم العثمان : أصول الجدل و المناظرة في الكتاب و السنة ص 14 .
- 12 - المرجع السابق ص 14 .
- 13 - أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكرياء : معجم مقاييس اللغة ص 945 .
- 14 - أبو عبد الله فيصل بن عبدة قائد الحاشري : فن الحوار ص 19 .
- 15 - ابن فارس : مقاييس اللغة ص 946 .
- 16 - فن الحوار ، أصوله و آدابه ، ص 15
- 18 - أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف سنة 1957 .
- 19 - عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير الدمشقي القرشي : تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربي ، د ت ، د ط ص 173 .
- 20 - أبو عبد الله فيصل بن عبدة الحاشري : فن الحوار ص 20 .
- 21 - ابن فارس : مقاييس اللغة ص 300 .

- 22 — أبو عبد الله فيصل بن عبدة قائد الخاشري : فن الحوار ص 20 .
- 23 — حمد بن ابراهيم العثمان : أصول الجدل و المناظرة في الكتاب و السنة ص 15 .
- 24 — جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج 2 دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1973 ص 34 .
- 25 — طه عبد الرحمان : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ط 2 سنة 2000 ، الرباط المغرب ص 47 .
- 26 — طه عبد الله محمد السبعراوي : أساليب الإقناع في المنطور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 سنة 2005 ص 203 .
- 27 — الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربي د تاريخ د ط ص 87 ج 3 .



# الفصل الثالث

في المفاهيم ( الخطاب - الخطاب القرآني - أشكال

الحوار القرآني و مواطنه .

— مفهوم الخطاب

— الخطاب القرآني

— أشكال الحوار القرآني

## الخطاب القرآني:

قبل التطرق إلى تحليل البنية الحوارية في الخطاب القرآني بوصفها إنجازا لغويا ، يفترض التعريف بالخطاب ، فالخطاب القرآني .

### مفهوم الخطاب :

مصطلح الخطاب ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: "... الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، و قد خاطبه الكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان"<sup>1</sup> وبهذا يرتبط مفهوم الخطاب عند ابن منظور بالكلام عامة سواء كان شفهيًا بطريق المخاطبة أو مكتوبًا بطريق الكتابة.

وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام . والخطاب : اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهين لفهمه احترز " باللفظ " عن الحركات والإشارات المفهومة بالمواضعة و " المتواضع عليه " عن الألفاظ المهملة و " بالمقصود به الإفهام " عن الكلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا، وبقوله: "لمن هو متهين لفهمه " عن الكلام لمن لم يفهم كالتائم .

والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي المتوجه نحو الغير للإفهام"<sup>2</sup> . وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم

بصيغ متعددة منها: " صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ [٦٣] [الفرقان الآية 63] . وبصيغة المصدر في قوله

تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبا الآية 37]

وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص 20] .

وقد عدّ الرازي صفة فصل الخطاب ، من الصفات التي منحها الله لداود عليه السلام معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور ، لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، ويحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء ينفصل كل مقام ، وبهذا تتفاوت الفروق الفردية بين مخاطب إلى مخاطب آخر<sup>3</sup> . وورد اسم مفعول "المخاطب " عن النحاة

العرب، يقول ابن يعيش في شرحه: "والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات لأن الأحوال المقترنة بها قد يعبر عن الصفات، والأحوال المقترنة بها، حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما، وتقدم كل الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم، فأعرف المضمرات المتكلم، لأنه لا يوهمك غيره، ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة" ويؤكد هذا الحكم، ما يذهب إليه النحاة عندما تصنف الضمائر المتصلة والمنفصلة، بجديثهم عن الكاف التي تلحق اسم الإشارة ( ذا ) مثل ذلك ،ذلكم ، إذ تختلف حركات هذه الكاف، ليكون ذلك أمارة على اختلاف أحوال المخاطب من التذكير والتأنيث وتلحق بما علامات تدل على عدد من المخاطبين، ويوضح ذلك مثلا نعت اسم الإشارة ونداء المخاطب.....<sup>5</sup>

ولا يختلف الفهم العربي للكلام على أنه معادل للخطاب عن الفهم الغربي ، وهو ما أجمع عليه أغلب اللسانيين الغرب ، ففي المعجم اللساني يعرف " جان دي بواه" الخطاب : " بأنه اللغة التي يسيطر عليها المتكلم في حالة استعمال ليكون بذلك مرادفة للكلام و هو أيضا وحدة تساوي أو تفوق الجملة ، مكون من متتالية تشكل رسالة ذات بداية ونهاية و تشتغل اللغة فيه وسيلة تواصل " <sup>6</sup> و قبل " جان دي بواه" ضمن "فردينان دي سويسر" كتابه " محاضرات في اللسانيات العامة" مبادئ عامة للظاهرة اللغوية من بينها تفريقه بين الدال والمدلول ، واعتبار اللغة كظاهرة اجتماعية ، والكلام كظاهرة فردية ، تم بلورته لمفهوم " نسق" أو نظام الذي تطور فيما بعد إلى بنية ، وبذلك فلفظ "خطاب" عنده مرادف ل "كلام" .

ويعتقد " دي سويسر" : "أن مضمون الكلام ليس محددًا تمامًا إلا بفضل ما يوجد خارجًا عنها ، فالكلمة من حيث هي جزء من نظام ، لا تضطلع بقيمة، ومصدر هذه القيمة ما تحمله الكلمة مع بقية الوحدات عندما تنتظم معها ضمن تشكيلة النظام الذي تنتمي إليه " <sup>7</sup> . وإذا كان الكلام منسوبًا إلى فاعل فهو وحدة لغوية تتجاوز الجملة ، إلى رسالة أو مقال .

وهذا المعنى هو ما اقترحه اللغوي الأمريكي " زيلينغ هاريس " **"HARRIS"** إذ يقول معرّف الخطاب بأنه: " ملفوظ طويل ، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية من العناصر " <sup>8</sup> كما عرفت مفاهيم الخطاب اتساعًا بعد " هاريس" ، فهذا بنفيس يست يعرفه بأنه "كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا ، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" <sup>9</sup>

وبفنيست كان على وعي بضرورة التغيير في مناهج الدراسة ، وكان حريصا على توظيف المستوى التواصلية الدلالي في تحليل الخطاب أو ما يعرف بأدلة اللغة.

ويرتبط تحليل الخطاب في التفكير الأنجلوساكسوني ، بنمط معين من تحليل الحوار "المخاطبة" انطلاقا من التفاعلات داخل القسم بين المعلم والتلاميذ ، وذلك عبر تحديد مجموعة من المقولات والوحدات الحوارية من العلاقات والوظائف التي يمكن أن تحققها هذه الوحدات "10 وهو المفهوم نفسه في الاتجاه التداولي " مدرسة بيرمنكام " والتحليل التداولي للخطاب يبني على ثلاثة مجالات يختلف بعضها عن بعض وهي .

1- التداولية اللسانية

2- نظرية البرهان

3- تحليل الخطاب أو المخاطبات".

والخطاب عند فوكو هو نظام **System** " أو ممارسة تخضع لقواعد خاصة ولمعايير ثابتة . ويستدعي توفر ثلاثة إجراءات :

1- الموضوع " عن أي شيء يتحدث الخطاب "

2- الظرف " متى ، ووفق أي دواع يتحدث ؟ "

3- الذات " من يتحدث ومن يسرد الخطاب ؟ " 12

" ويتشكل موضوع عبر اللسانيات من الخطاب الذي يتمثل بدوره بالتلفظات الفردية " والخطاب ، أي اللغة بكليتها الحية الملموسة أي التلفظ" 13 هذا ما ذهب إليه "تودوروف" في كتابه المبدأ الحوارية ، حيث نجد التركيز على فاعلية التلفظ في التعريف بالخطاب ويتكون سياق التلفظ الخارجي من ثلاثة مظاهر :

1- الأفق المكاني المؤلف لكلا المتحاورين.

2- معرفة الوضع وفهمه والمؤلف لكلا المتحاورين.

3- تقييمهما المؤلف للوضع .

إن الجزء الضمني للتلفظ لا يشكل أكثر من أفق العناصر الزمانية "متى" والمكانية "أين" والدلالية "عم تتكلم" والقيمية "علاقة المتحاورين بما يحدث" المألوفة لكلا المتحاورين<sup>14</sup> وفي ذلك لا يختلف "فوكو" عن "تودوروف" و"باختين".

إن التلفظ ليس عملاً خاصاً بالمتكلم وحده لكنه نتيجة لتفاعله أو تفاعلها مع المستمع "الذي" أو "التي" يدمج تفاعله أيضاً ويكامله مع التفاعل الخاص بالمتكلم سلفاً<sup>15</sup> "والحيط الحقيقي للملفوظ عند باختين هو الكثرة اللسانية المصوغة في حوار".

والخطاب يفهم موضوعه بفضيل الحوار<sup>16</sup> وكل خطاب هو متوجه نحو جواب ولا يمكنه أن ينجو من التأثير العميق للخطاب، يقول باختين: "إن الحوار في معناه الضيق ليس سوى شكل من أشكال التواصل القولي وهو - بلا شك - أكثر الأشكال أهمية، ولكن يمكن أن نفهم الحوار بمعناه الواسع فيصير متسعاً حينئذ للتواصل القولي المباشر القائم على صوت مسموع بين شخصين وآخر فحسب، وإنما لجميع ضروب الإبلاغ القولي مهما يكن شكلها أيضاً"<sup>17</sup> ثم أن الحوار يعيش على حدود سياقه للآخرين.

"إن الملفوظ ليس شيئاً آخر سوى تابع للجمل التي تكونه ومن البديهي أن الخطاب كمجموعة من الجمل يكون منظماً، وبفضل هذا التنظيم فهو يبدو بمثابة رسالة من لسان آخر يتجاوز لسان اللغويين. إن الخطاب عند باختين نظام يمتلك وحداته وقواعده ونحوه"<sup>18</sup>. نستخلص مما تقدم تعدد دلالات الخطاب بتعدد اتجاهات ومجالات تحليل الخطاب وعلى هذا الأساس تتداخل التعريفات أحياناً وتتقاطع أحياناً أخرى و يكمل بعضها الآخر.

يبدو من خلال المفاهيم السابقة، أنها تربط الدلالة بالموقف الكلامي "الظرف، التقييم" وبالتالي فإن اكتشاف المعنى يستدعي بالضرورة استحضار هذا الموقف الكلامي من أجل اختبار المعنى، وبما أن هذا الموقف متغير باستمرار بحكمها المرسل والمرسل إليه ومقام التواصل أو الوضع الذي يكون فيه المتحاورون، فإن المعنى لا يستقر على حال وينطبع بصفة اللانهاية في المعاني، لذلك فإن التعويل على الفعل أو الإنجاز من أجل معرفة الدلالة الحوارية لا يكون متاحاً للدارس الذي يحتاج إلى سكونية الظاهرة موضوع الدراسة، ولعل هذا الأمر لا يتاح لنا مع مدونة الدراسة "الخطاب القرآني" ومن هنا تفرض هذه الدراسة ضرورة التعريف به.

## الخطاب القرآني:

هو خطاب خاص يقوم على غير المؤلف، وغير قابل للمحاكاة أو التقليد كما أن الدال فيه لا يقبل التأويل الوضعي المتعدد في النماذج، ويمكنه التأثير في جميع الخطابات الأخرى وفيه لا يستوي طرفاه " المرسل والمرسل إليه ولا يمكن أن نحصره في وظيفة واحدة لشموليته ووظيفته غير الوضعية، وقد أخرج الخطاب الديني منه لأنه من صنع البشر يتحكم فيه ويتدخل فيه توجيهها وتعديلاً<sup>19</sup> إن هيكل الخطاب القرآني منتظم في بنيات غير متغايرة مع نصوص أخرى وتفترض عالماً لا يستقر على مرجع، بل إنه يهاجم المرجع في كل لحظة يدرج فيها فهما للذات و يرمي إلى تعليق العلامات و حجم الدوال لتوجيه الاستقبال الدلالي إلى فعل الفهم، و بالعودة إلى هيكل القرآن نجد أن السورة " اشتقاقها من سور البناء و المدينة لأن السور يوضع بعضها فوق بعض حتى ينتهي إلى الارتفاع الذي يراد فالقرآن أيضا وضع آية إلى جانب آية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي أراد الله تعالى و قيل سميت سورة لإحاطتها بما فيها من آيات كما أن سور المدينة محيطة بمساكنها و أبنيتها، و الآية، قال بعض العلماء معناها العلامة لأنها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها و المتأخرة عنها"<sup>20</sup>

وللخطاب القرآني وظائف منها: الإفهامية، التنبهية، التوجيهية، والإيعازية.

والخطاب القرآني هو كلام الله للبشر عن طريق الوحي، أو حديث الله لخلقه على ألسنة رسله، وقد نزل الخطاب الإلهي الأخير للبشر، على خاتم الرسل كتاباً " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " وجاء في أول آية من أول سورة منه — بعد الفاتحة — " ألم ذلك لكتاب لا ريب فيه"<sup>21</sup>

و اللغة هي أساس في التفاهم والخطاب، لأن التفاهم لا يتم إلا بأسباب كحركات أو إشارات أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها وأكثرها فائدة الألفاظ الموضوعية بإزاء المعاني<sup>22</sup> وصار التركيز عليها في خطاب الله — جل شأنه — لسائر خلقه .

ولم يترك الله البشرية دون أن يتعهدا بخطابه، فالقرآن " هو كلية الشريعة، وعهدة الملة، ونبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير استدلال عليه."<sup>23</sup>

كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله فذلك لا يخرج عن كونه عربياً جارياً على أساليب كلام العرب، ميسراً للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى ولكن بشرط الدربة في اللسان العربي، إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول معانيه لكان خطابهم به من تكليف ما لا يطاق، وذلك مرفوع عن الأمة، وذلك من جملة الوجوه الإعجازية فيه، إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب، مفهوم معقول، ثم لا يقدر البشر على الإتيان بسورة مثله ولو اجتمعوا وكان بعضهم لبعض ظهيراً، وقد قال الله تعالى

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة القمر الآية 17] 24.

والخطاب القرآني كما يتجلى في الدراسات المختلفة عملية إرسال تتم في إظهار لغوي مكتوب أو منطوق.

وعملية الخطاب، إذن، لها أركان، وهي: مخاطب ← مخاطب، ويكونان كلاهما لا يتجزأ وخصوصاً في الخطاب الديني التبليغي الذي يهدف إلى التأثير والإقناع والدعوة إلى الإيمان، على أن هناك ركناً ثالثاً يحيط بهما معا ويؤثر في كل منهما وهو مقتضيات الأحوال..."

ومحل الخطاب القرآني، يلزم أن يراعي تلازم هذه الأركان الثلاثة، مخاطب يأخذ مبادرة الحديث، ومخاطب يكون له تأثير في اختيار المخاطب ألفاظه وتعبيره وأسلوبه، وظروف جرت فيها عملية الخطاب مما يؤدي إلى نجاحه أو فشله<sup>25</sup>

ونشير إلى أن الخطاب القرآني بعيد عن منافسة الخطابات الأخرى الإبداعية أو الإيصالية أو السياسية وذلك لارتباطه بجميع هذه المكونات، وهي الأسباب التي دعت الدراسات اللغوية والأدبية إلى البحث فيه لغاية واحدة وهي بيان إعجازه، عبد القادر الجرجاني، سيد قطب مثلاً.

يأتي القرآن "الكتاب الإلهي كنهاية لفعلي التبشير والإنذار إضافة إلى إعجازه الذي يمثل نهاية اللغة و اكتمال المعاني فلم يكن من الممكن القفز على لغة النص القرآني التي تشغل حيزاً من مستقبل الإنسان و بداية خلقه و المعنى الذي يصبغه بشكل نهائي على حاضره مهما كانت مرونته لأنه في كل مرة يربط اللغة بأسس الوجود، اللغة التي تسبق الوجود و الراهنية، و بهذا يشكل القرآن خطاباً يمسح جغرافية الفهم لأنه يجعل القارئ يحتاج أن يفهم ....."<sup>26</sup>

## الحوار القرآني

تحول من تحولات الخطاب الإلهي في القرآن الكريم، ووجه من وجوهه المتعددة التي يتضافر معها في إيصال رسالة السماء إلى المتلقي بفاعلية تنطلق به من حدود الجملة المكتوبة إلى آفاق عالم مسموع ومرئي، ومن حيادية التلقي إلى معايشة الحدث الكلامي.

ويتكون الحوار القرآني من جملة منطوقات تبادلها طرفان أو أكثر بلغة القرآن ذاتها و لكن بشكل خاص يتناسب مع الطرف المخاور، فالواقعية في لغة الحوار القرآني واقعية نفسية لا لغوية. وتحقق هذا النمط التعبيري في ألف وخمسمائة وثلاث وتسعين آية، أي ما يعادل ربع القرآن الكريم، ولعل في هذا الحضور دعوة فعلية باتخاذ الحوار منهاجاً يكشف الحقائق وترسخها، فالقرآن كتاب الحوار، لأنه يجعله سبيلاً لجلّ قضاياها، ابتداءً بباب الحوار الأول الذي فتحه الله أمام الملائكة والشيطان لما أراد خلق آدم، مروراً بحوارات رسله مع أقوامهم وانتهاءً بحواره مع خلقه يوم القيامة.

وتوزع الحوار القرآني على مكّي القرآن ومدينه، حصل القسم المكّي منه على نسبة 75.4% فقد جاء الحوار في ألف وثلاثمائة وست وتسعين آية مكية مقابل نسبة 24.5% حجم القرآن المدني أي مائة وسبع وتسعين آية مدنية ويمكن تعليل هذا التفاوت في التوزيع بسببين.

الأول: ضخامة حجم القرآن المكّي مقارنة بحجم القرآن المدني.

الثاني: ارتباط الحوار بالقصص القرآني الموزع على مساحة في القرآن المكّي أوسع منها في القرآن المدني، لأسباب ترتبط بالدعوة تجعل من هذه القصص أداة تأثير فاعلة في توجيه الرسول وأتباعه.

ولابدّ من التنبيه إلى أن "المدني من السور ينبغي أن يكون مرئياً في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في الترتيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكّي..... و أول شاهد على هذا أصل الشريعة، فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق، ومصلحة لما أفسد قبل ملة إبراهيم — عليه السلام — ..."

إن تواجد نسبة الحوار في القرآن المكّي بتلك الضخامة دفعت هذه الدراسة إلى جعله مدونة بحث وقد اعتمد، في معرفة المكّي و المدني على الضوابط التي وضعها محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان وهي:



- كل سورة فيها لفظ كلاً فهي مكية.
- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.
- كل سورة فيها حروف النهجى فهي مكية.
- كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم السالفة فهي مكية سوى البقرة.
- كل سورة فيها يأيها الناس وليس فيها يأيها الذين آمنوا فهي مكية.
- كل سورة من المفصل (أي لا نسخ فيها ولأنقص) فهي مكية.
- كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.
- كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان أحكامه فهي مدنية. —
- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت.<sup>27</sup>

وقد استقرت هذه الدراسة نصيب القرآن من الحوار بعد أن رتب حسب التزول، فوجدت أن الخطاب الحوارى يتواجد بما يقتضيه الحال والمقام. و الدور الذى يؤديه مرتبطاً بالمرحلة التي عايشها متلقوه ، فقد دار جل أوائل السور في إطار تبيان قدرة الله تعالى وآياته المعجزة ، وذلك لإثارة تأمل المتلقي ثم وصولاً إلى إقراره واستسلامه لهذه القدرة الإلهية ثم عرضت طبيعة الدور الذي يجب على خاتم الرسل أن يؤديه ليصدع بما أمره الله عز وجل.

وتشير رسالة الرسول الكريم المخاطبين فينقسمون إلى فريقين، فريق آمن وأسلم وفريق كفر وتمرد، وبين ثنائية الكفر والإيمان تبرز شرارة المواجهه وتستعر منجلية في الحوارات يسعى كل طرف من أطرافها إلى بعض الآخر، و يحاكي الخطاب القرآني هذه المرحلة التي تأزم فيها الصراع بين أنصار الحق و أنصار الباطل، كما يبعث حوارات مماثلة جرت بين أنصار الفريقين وعاقبة تلك الحوارات لتثبيت الرسول وأتباعه، وتحذير خصومه المشركين وأهل الكتاب ...

وبعد أن استقرت دعائم الدولة الإسلامية، حمت صوت خصومها فلم يعودوا قادرين على المواجهة الصريحة مع المسلمين ،ولهذا تقلص ظهور الحوار، القالب الذي حسم هذه الخصومة والخصومات المماثلة لها في جل السور المدنية، وأخذ ينقل مضامين جديدة، ويقلب بما يناسبها وحتى كاد الصوتان المتعارضان يختفيان، لأن جل هذه الحوارات بين الأنبياء وأتباعهم وظهرت هذه

الحوارات ظهوراً خاطفاً، فهي لا تمتد في بنية السور امتداد الحوارات في السور المكية، إنما تحول مفاجئ للنمط الخطابي الذي احتضنه يواصل مسيرته في عالم السورة.

### أنواع الحوار القرآني ومضامينه:

نود التنبيه في هذه الدراسة أن الحوار في القرآن الكريم لا يقف عند حدود امتداده أو قصره فقد تكون السورة قصيرة ولكنها تشتمل على كل أجزاء الموقف، فتختار اللقطات الموحية والعناصر الحية التي تحقق الفرق وتفي بالحاجة وتكون أكثر دلالة ومغزى.

و الحوار في القرآن الكريم نوعان، حوار قصصي وغير قصصي .

الحوار القصصي: هو الذي حكاه الله على لسان أطراف شكل تفاعلها أحداثاً مضت وصراعات

تأزمت يندرج جلها بين عناصر الخير والشر ، وذلك في إطار الرسائل السماوية وما يدور في

فلكها من حوارات كقصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين وللقصة طريقان:

1- طريقة عرض الأحداث بشكل تقريرى.

2- طريقة الحوار الذي يحاول أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة دوراً تثار فيه قضية من

القضايا<sup>28</sup> و يرى محمد أحمد خلف الله أن القصص الذي يبرز فيه عنصر الحوار و التي يقصد منها

القرآن بث الآراء و الأفكار تقرير الدعوة الإسلامية و هدم العقائد الباطلة، و يرى أن لهذا الشكل

من الحوار القصصي طريقان :

- إهمال الأسماء إهمالاً تاماً مثل ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١٣)

[ سورة يس الآية 13 ]

إذن القصص المقصود فيه الآراء و الأفكار و الذي يستخدم فيه الحوار وسيلة لذلك فإن

عنصر الشخصية يكاد أن يختفي لولا بعض الأسماء و بعض الصفات.

- أو تذكر الأسماء أحياناً و لكن بما يشبه الرموز التي جيء بها ليتمكن القارئ أو السامع من

متابعة الأفكار و الوقوف على مجرياتها و لذا نلاحظ في هذه السور ذكر القوم أولاً ثم ذكر

الألفاظ المبهمة العامة مثل قوله تعالى في سورة الشعراء قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٢٣)

[ سورة الشعراء الآية 123 ] .

إذا القصص المقصود في الآراء و الأفكار و الذي يستخدم فيه الحوار وسيلة لذلك فإن عنصر الشخصية يكاد أن يختفي لولا بعض الأسماء و بعض الصفات و العنصر القوي الذي يجاورها مع عنصر الحوار هو عنصر الأحداث مع أنه ثانوي<sup>29</sup>.

الحوار غير القصصي: فيشتمل المقولات التي لقنها الله لرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بتبليغها إلى أتباعه وإلى خصومه من المشركين وأهل الكتاب، كما يشتمل المقولات التي حكاها الله على ألسنة البشر و غير البشر يوم القيامة كحوارات أهل النار مع بعضهم، وحوارات أهل الجنة.. يقول عبد الكريم الخطيب: "الحوار هو الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، و بغير الحوار يتحول هذا العمل إلى كتلة باردة و متحجرة من الكلمات، و الحوار في القصص القرآني يقصر دونه الوصف، و لا يدل عليه إلا بالحضور و المشاهدة.. و هو غالباً يعتمد على الحكاية.. حكاية مقولات القائلين، و نقلها على ألسنتهم." 30.

كما يكشف السياق القرآني من حديث المرء لنفسه في صورة حوار أو مناجاته — تعالى — فمثال الأول — ما جاء على لسان إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — وهو يجاور قومه: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٨﴾ [سورة الأنبياء الآية 51 - 57].

وقد يكون بين شخصين كما في حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام — مع أبيه، سورة مريم [الآية 41 — 45]، (أزر) ومع قومه سورة الشعراء [69—82] وبين نوح — عليه السلام — وقومه سورة هود [الآية 41]

وهناك فنون ومضامين أخرى من أنواع الحوار القرآني لا حصر لها، ستأتي الدراسة في فصولها التطبيقية لتناولها.

## مواطن الحوار و أشكاله في الخطاب القرآني

## أشكال الحوار في الخطاب القرآني :

يمكن تصنيف الطرائق التي وجه الله عز و جل خطابه إلى خلقه إلى أشكال ثلاثة:

الوحي أو الإلهام : وهو الكلام الخفي الذي يدور في نفس الموحى إليه ويتفاعل مع هواجسه ومشاعره حافرا إياه إلى التصرف والتنفيذ الفعلي أو القولي ، وليس هو وحي الأنبياء " مثل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْبِئْرِ وَلَا

تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [ القصص الآية 7 ]

2- خطاب الأنبياء وغيرهم من وراء حجاب : حيث يوجه الله خطابه مباشرة ودون وساطة إلى من يريد من خلقه ، ويجاذب الله مخاطبه أطراف الحديث .

3- خطاب إلهي بواسطة الملائكة المتمثلين بهيئة البشر : وذلك ليتقبلهم المتلقي ، فمنطق الحوار أو

التواصل الكلامي يقتضي وحدة النوع بين المتخاطبين يقول سبحانه تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا

لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴿١﴾ [ الأنعام الآية 9 ] .

وقد يسمع المتلقي صوت الملائكة دون أن يراها ومثاله الطريقة التي حاورت بها الملائكة زكرياء ومريم عليهما السلام <sup>31</sup> .

ووجه الله جلّ جلاله خطابه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بوساطة الوحي جبريل عليه السلام ، الذي كان يتمثل له بصورة بشرية حيناً وبصورته الملائكية حيناً آخر ، ولا يظهر الوسيط في الخطاب القرآني فيبدو الخطاب الإلهي موجهها إلى الرسول توجيهها مباشراً وعلى الرسول أن

يوصل هذا الخطاب إلى الناس قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ [ الجن الآية 1 ] .

أصناف الحوار القرآني وفق الأطراف المشكلة له:

قامت هذه الدراسة بترتيب حوارات الأنبياء ترتيباً زمنياً ، ابتداءً بحوارات نوح ، عليه السلام وانتهاءً بحوارات عيسى عليه السلام ثم رتب حوارات كل نبي مع قومه حسب ترتيب نزول السورة التي جاء فيها ، ذلك أن الدراسة الموضوعية للقصة القرآنية لا تتم إلا إذا كانت ركيزتها

الأولى بحث القصة من حيث ترتيب الترتول ، لتعرف ما الذي نزل أولاً ، وما الذي نزل بعد ذلك كما أن هذه الركيزة ليست لدراسة القصة فحسب ، بل لا بد منها في دراسة أي موضوع من موضوعات القرآن .

أ - حوار الله تبارك وتعالى والملائكة : والملائكة هم عباد الله المخلصون الذين يفعلون ما يؤمرون وحاوهم الله في موطنين ، الأول : حين أراد الله خلق آدم ، فأخبر ملائكته بتلك الإرادة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَمْحُئُ تُسُبْحًا بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿ [البقرة الآية 30] والموطن الثاني : حين يحاورهم الله يوم القيامة على مسمع من المشركين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْنَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا

سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴿

[ سبأ الآية 40-41 ]

ووجه الله خطابه للملائكة أمراً إياهم بتنفيذ أوامره وكان رد الملائكة فيها فعليا لا قوليا كقوله : " احضروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ، فاهدوهم إلى صراط الجدي ، وقفوهم إنهم مسئولون " ولعل في حوار الله للملائكة دعوة إلى استشارة الأتباع والأعوان الذين يغلب عليهم طابع الاستسلام والإذعان والخوف من إبداء الرأي أو المشاركة فيه .

ب - حوار الله تبارك وتعالى وإبليس :

حاور الله عز و جل إبليس لما رفض الامتثال لأمره بالسجود لآدم ، سماحا له بالتصريح بأهوائه ومشاعره ، بالرغم من علمه المحيط به ومعرفته المسبقة بنهاية هذا الحوار ، وكأنه عز وجل يعلم الناس أن يلحظوا إلى الحوار قبل لجوئهم إلى القوة ، مهما ملكوا من وسائل القوة ، ومهما كان خلاف مخالفيتهم ، وجاء حوار الله مع إبليس في كم من موضع نذكر منها ما جاء في الحوار الآتي في سورة الأعراف قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ

مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

﴿١٢﴾ قَالَ فَأَهِيظْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَبَيِّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴿ [الأعراف الآية 11- 18] .

ج - حوار الله تبارك وتعالى والأنبياء والرسل :

ويعكس هذا الحوار العلاقة المباشرة بين الله وأصفيائه من الخلق ، وتواصله معهم ودعمه لهم وإطلاعه على أحوالهم والأنبياء والرسل الذين حاورهم الله حوارا مباشرا دون وسيط "ملك الوحي" هم :

- نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنَا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنَوحُ أَهِيظْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴿ [هود 45- 48]

- هود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ

نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴿ [المؤمنون 39- 40]

- موسى عليه السلام : الذي قال له الله تعالى: ﴿ قَالَ كُنُوسِي إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً مِنْ نَضْرَتِكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿ [الأعراف 144]

د - حوار الله سبحانه مع أهل النار وأهل الجنة :

- حوار الله وأهل النار : ورد في ستة عشر مشهدا حواريا في سورة الأنعام والأعراف

وإبراهيم وطه والمؤمنون والفرقان والنمل والقصص والسجدة وفاطر وياسين والصفوات ، وقد

حكى جلها أمل المعذنين بأن يخرجهم الله من جهنم ورجعهم بعد أن أقروا بذنوبهم وأظهروا ندمهم ، وكيف وبخهم الله مقرعا ومنكرا إليهم وقد عصوه من قبل ، وكانوا بآياته كافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ أَخَشِرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاعْرِفْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ قَضِحُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰرِغُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [المؤمنون 106-111]

- حوار الله وأهل الجنة : يكتفي أهل الجنة بتلقي الخطاب الإلهي وتنفيذ أوامره التي يجنون منها خير الله وعطاءه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُّحْبَبُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف 68-73]

- حوار الله مع بشر غير الأنبياء : جاء هذا الحوار في موضعين : الأول : في سورة البقرة : " وفي سورة الأعراف قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [ق الآية 3].

وحواره مع السماء والأرض : " ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض ، ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا : آمينا طائعين " وهذه الحوارات تعكس قدرة الله المطلقة ، فهو إذا أراد أن ينطق مالم يجعله ناطقا .



— حوارات الملائكة : كثيرة هي المواضيع التي تحاورت فيها الملائكة والرسل فالملائكة هم الوسطاء بين الله ورسله ينقلون إليهم خطابه ، ويلغونهم أوامره من بين تلك الحوارات .

— حوار داود عليه السلام والملكين : جاء هذا في سورة "ص" وفيه خير الملكين اللذين بعثهما الله إلى داود في صورة رجلين تسورا عليه المحراب ، فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرع منهما ، فأمره ألا يفزع فهما لا يريدان به سوءاً ، وطلبا منه أن يحكم بينهما ، فهما خصمان قد يعز أحدهما على الآخر ، ويعرض أحدهما المسألة ، ويحكم له داود ثم يدرك فجأة أن في المسألة التي عرضت عليه تعريضا بفعل قام به أو هم بالقيام به ، وأن عتاب الله وتنبهه جاء ممثلا بهذه المسألة دون التصريح أو المجاهرة ، فخر داود راعيا طالبا من الله المغفرة .

— حوار زكرياء عليه السلام ، والملائكة : ونجد ذلك في سورة آل عمران حين دعا زكرياء الله سبحانه وتعالى بأن يهبه الذرية الطيبة فتناديه الملائكة بمشورة إياه باستجابة الله لدعائه ، ويدرك زكرياء أن هذا الصوت المبشر ، هو صوت ملائكة الله فيوجه خطابه إلى الله مباشرة متسانلا كيفية تحقق دعائه و هو رجل مسن ، وامرأته عاقرة **﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنُّن لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ ﴾** [ آل عمران 40 ] ولا يصرح الخطاب القرآني بالكيفية التي أوصلت الملائكة بتلك البشرى ، ربما اقتصر الأمر على مناداته دون أن يظهر المنادى : **﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾** [ آل عمران 39 ]

ويدوا أن الروح " جبريل " عليه السلام كان المحيى عن تساؤل زكرياء ناقلا رد الله إليه ، : **﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١﴾ ﴾** [ مريم الآية 9 ]

— الحوار بين الملائكة والكافرين : حاور الملائكة الكافرين في موقفين ، الأول : وقت قبض أرواحهم ، وجاء هذا في عدة مواطن ، نذكر منها ما جاء في سورة النمل : **﴿ حَقَّقْ لِحَا جَاءتَهُم**



رسلنا يتوفونهم قالوا : أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا ظلوا على ، وشهدوا على أنفسهم إنهم كانوا كافرين "

وتشكل مثل هذه الحوارات بداية سلسلة لا تنتهي من العذاب ، وهي نتيجة لحوارات نحاضها أولئك المعذبون مع أطراف الحق والإيمان ، ونتيجة لأعمالهم السيئة في دنياهم .

— الحوار بين الرسل وأقوامهم : وهي أكثر أشكال الحوار تواجدا في القصة القرآنية .

فحوار أحد الرسل عليهم السلام ، لقومه قد يتكرر في سور عدة ، مع اختصاص كل سورة بإبراز جانب من جوانب هذا الحوار ، وتدور معظم حوارات الرسل وأقوامهم في فلك الدعوة إلى التوحيد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [ الأنبياء 25 ] ، فعبادة الله عزوجل وتوحيده هما دعوة جميع رسله من عهد نوح إلى عهد محمد .

الحوار بين نوح ، عليه السلام ، وقومه :

ورد هذا الحوار في ست سور ، اختص كل منها بإبراز جانب من جوانب الحوار ، وإن تكررت عباراته وكلماته في أكثر من موضع ، وهذه السور ومواضع الحوار فيها ، وقد رتبها الدراسة ، حسب ترتيب التزول :

الأعراف: [ 46 – 59 ] ، الشعراء: [ 105 – 122 ] ، " يونس: [ 71 – 72 ] ، هود: [ 45 – 23 ] ، نوح [ 4 – 3 – 10 – 20 ] المؤمنون: [ 23 – 30 ]

ويجوي هذا الحوار تفصيلات دعوته ، عليه السلام ، لقومه ، وتعتهم واستكبارهم وسخرتهم منه ، ثم تئيس الله له من عدم إيمانهم ، وأمر بصنع السفينة ، ثم حصول الطوفان ، وغرق الذين ظلموا ومنهم ابن نوح ، الذي لم يستحب لتوسلات أبيه إليه بركوب السفينة .

— الحوار بين هود ، عليه السلام ، وقومه :

ورد هذا الحوار في خمس سور هي : الأعراف (25-72) ، والشعراء (124-132) ، وهود (50-57) ، والأحقاف (21-23) ، والمؤمنين: (32-38) ، ويحكي هذا الحوار دعوة هود لقومه ، واستكبارهم وإقامتهم له بأن آلهتهم قد مسته بسوء فيعلن لهم أنه قد بلغ رسالته ، ويتوعددهم أن الله سيستخلف قوما غيرهم ويأتي أمر الله فينجي هودا والذين آمنوا معه ، ويهلك الكافرين .

— الحوار بين صالح ، عليه السلام وقومه :

وجاء في خمس سور أيضا هي : القمر ( 23 - 26 ) والأعراف : (73-79) والنمل (45-49) وهود (61-65) والشعراء : (142-153) ، ويحكي الحوار دعوة صالح لقومه ، وتذكيره لهم بما جاءهم من ربه من معجزة بينه تمثلت في الناقة ، تمكينها ، وتحذيرهم من أن يمسوها بسوء ، حتى لا يمسهم عذاب الله ، كما ذكرهم بنعم الله عليهم ، ولكنهم سخرُوا منه ، وتجاهلوا تحذيره ، وعقروا الناقة فأخذتهم الرجفة .

— الحوار بين إبراهيم ، عليه السلام ، وأبيه وقومه:

جاء حوارهِ ، عليه السلام ، لأبيه وقومه في ست سور هي : مريم (24-48) والأنعام (74-82) والصفات (85-97) والأنبياء (52-69) والشعراء (70-89) والعنكبوت (12-26) ويحكي هذا الحوار دعوة إبراهيم لأبيه وقومه إلى الهداية مشيرا إلى ما يعبدونه من أصنام لا تسمع ولا تبصر شيئا ، واستخدامه للحجج والبراهين المنفحة ، ولكنهم أصروا على التمسك بأهنتهم وهددوا إبراهيم ووبخوه على كلامه ، فحطم أصنامهم ، فألقوه في النار التي جعلها الله بردا وسلاما ، وحوار إبراهيم النمرود الذي حاجه في ربه وأفحمه بالحجة الساطعة .

الحوار بين لوط ، عليه السلام ، وقومه:

وجاء في ست سور هي : الأعراف (80-82) والنمل (54-56) وهود (78-29) والحجر (28-71) والشعراء (161-168) والعنكبوت (28-29) ويحكي الحوار إنكار لوط على قومه إتيان الفاحشة الشنيعة التي لم يأتها أحد قبلهم ، وتجاوزهم لحدود العقل والذوق والفطرة ، ولكن القوم كانوا غير مباليين بكلامه ، فقد كانت شهواتهم مسيطرة على عقولهم ومشاعرهم ، فلم يزدوا على قوهم : أخرجوا آل لوط من قريبتكم ، إنهم أناس يتطهرون .

ويقتصر حوار لوط ، عليه السلام ، لقومه على نهيهم عن الفاحشة وتقييحها في كل المواطن التي أتى فيها ، باستثناء الحوار المذكور في سورة الشعراء فقد بدأ بإخبارهم عن رسالته وأمانته ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته موضحا أنه لا يريد على ذلك أجرا منهم ، فأجره على الله ، ثم أخذ بتوبيخهم على فعلتهم القبيحة ، وذلك لمجارة حوارات الأنبياء القارة في سورة الشعراء ، والتي استهلكت كلها بتلك العبارة مؤكدة وحدة الرسالة التي جاء بها رسل الله إلى أقوامهم .

وتكرر نصح لوط لقومه وتقييحه لفعلمهم حين زارته الملائكة بهيئة رجال حسان ، فحاء قومه مسرعين وأمروه أن يخلي بينهم وبين ضيفه ، ولعل في تكرار حوار لوط مع قومه وإبراز العقوبة التي حاقت بهم دعوة إلى العبرة والتأمل ، فمساكن قوم لوط لم تكن بعيدة عن العرب الذين نزل فيهم القرآن أول ما نزل ، فهم يمرون عليها في طريقهم إلى الشام ، ولا شك أن مشاهدة آثارهم أبلغ تأثيراً في الانعاز بهم ، والاعتبار بمصرعهم ، فإن في أطلال قريتهم الخالية حجة شاهدة بصدق ما روى القرآن من أخبارهم<sup>32</sup>

الحوار بين شعيب ، عليه السلام ، وقومه : وذلك في أربع سور هي: الأعراف (85-93) والشعراء (177-188) وهود (84-93) والعنكبوت (36-37) وقد وجه شعيب خطابه في سورة الأعراف وهود والعنكبوت إلى (أهل مدين) ، بينما وجه ، عليه السلام ، خطابه في سورة الشعراء إلى أصحاب الأيكة ، ورافق هذا الاختلاف في بنية الاستهلال الحواري ، فالحديث عن خطاب شعيب لأهل مدين يستهل بقوله تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيب) ، بينما تحتفي هذه العلاقة في سورة الشعراء قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْقِوْنَ ﴿ ١٧٧ ﴾ [الشعراء : 176-177] مظهر تمايزها عن بني الاستهلال الأخرى الموطئة لحوارات الأنبياء مع أقوامهم في السورة ذاتها .

فهل أصحاب الأيكة قوم غير أهل مدين ؟ يرى ابن كثير أن أصحاب الأيكة هم أهل مدين ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وعلل عدم قوله عز وجل في سورة الشعراء : أخوهم شعيب بأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها ، فلهذا لما قال : (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) لم يقل : إذا قال لهم أخوهم شعيب ، وإنما قال : (إذا قال لهم شعيب) فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبه إليه ، وإن كان أخاهم نسبا ومن الناس من لم يفظن لهذه النكته ، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ؛ فزعم أن شعيبا - عليه السلام - ، بعثه الله إلى أمتين ، ومنهم من قال ثلاث أأم .

ويحكى حوار شعيب مع قومه دعوته لهم إلى توحيد الله وعبادته ، ثم أمره لهم بإيفاء الكيل والوزن بالقسط والعدل ، ونهيه عن بحس الناس حقوقهم ، والإفساد في الأرض والصد عن الحق ،

وذكرهم بنعم الله عليهم ، ولكنهم قابلوا نصحه بالاستهزاء والتهديد ، فأخذهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .<sup>33</sup>

### حوار موسى عليه السلام ، مع فرعون وقومه ، ومع بني إسرائيل :

شغلت الحوارات التي شارك فيها موسى ، عليه السلام ، حيزا واسعا من حوارات الأنبياء ، وعدد آياتها خمسمائة ، وتعددت الأطراف التي جاذبت موسى ، عليه السلام الحديث ، واختلفت اتجاهاتها ومواقفها ، واتخذت هذه الحوارات طابع الجدل والمماحكة ، سواء أدارت بين موسى وخصومه أم بينه وبين أتباعه ، فقد أرسل إلى فئتين كانت كل منهما على جانب من العناد والقسوة والكفر : فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملؤه) ، وأخرى استمرت الذل والتبعية والنقاش العقيم (بنو إسرائيل) .

وليس غريبا أن تتكرر هذه الحوارات ، مسلطة الضوء في كل مرة على بؤرة جديدة ، ملاحقة المسلمين دافعة إياهم إلى تأملها وتدبرها ، فصراعهم مع بني إسرائيل بدأ منذ فجر الرسالة المحمدية ، وهو مستمر إلى يومنا هذا.<sup>34</sup>

### أ- الحوار بين موسى ، عليه السلام ، وفرعون :

وفيه يبين لفرعون أنه رسول من رب العالمين ، لا يقول إلا الحق ، ويطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل ، موضحا له طريق الضلالة المؤدية إلى العذاب ، ويطلب فرعون منه معجزة يثبت بما صدق دعوته ، ويتحداه ساخرا منه ، متهما إياه بالسحر وبالجنون ، هذا هو لب الحديث الذي دار بين موسى وفرعون ، وقد تكرر بأساليب مختلفة ، وتنوعت المضامين التي اختلطت بما يناسب موضوع السورة التي جاء فيها ، وترتيب نزولها ، فما ذكر في سورة بتفصيل وإسهاب ، قد يذكر في السورة التي تليها باختصار وإيجاز ، وقد يكشف جانبا من جوانب المحاور لم يذكر سابقا .

جاء حوار موسى مع فرعون وملئه بما في ذلك سحرته موزعا في عشر سور هي : الأعراف(104، 105، 106، 110، 112، 132) ، وطه : (47، 61، 65، 66) ، والشعراء (16، 31، 43، 44) ، القصص (36، 38) ، والإسراء (101، 102) ، يونس (76، 81) ، غافر (24، 28) ، الزخرف : (49، 46، 53) ، الدخان (18، 21) ، النزاعات (18، 19)

ب - حوار موسى ، عليه السلام ، مع بني إسرائيل :

جاء حوار موسى مع بني إسرائيل في السور التالية : الأعراف (138، 141، 150)، طه (86، 87، 92، 98) القصص (18، 19) يونس (84، 86) إبراهيم (6، 15) البقرة (54، 71) الصف (5) المائدة (20، 24)، والحديث عن حوار موسى مع بني إسرائيل له جوانب متعددة ، ففيه يبين موسى نعم الله عليهم ، وجحودهم بها وما استحقوه من عقاب .

ولكن اقتصر الحديث عن فرعون على السور المكية ، فقد تجاوز الحديث عن بني إسرائيل ذلك إلى السور المدنية ، وهذا ما تقتضيه ظروف متلقي الحوار القرآني ، فالمسلمون كانوا يعاشون اليهود في المدينة ويتعاملون معهم ، وحكي الحوار في سورة الأعراف وطلب بني إسرائيل من موسى ، وقد مرّوا على قوم عاكفين على أصنامهم ، أن يجعل لهم آلهة ، وإنكار موسى لطلبهم وتبكيتهم مستهجننا أن يعينهم على الشرك ، ومذكرا إياهم بنعم الله عليهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ

أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ [ الأعراف 140 ]

ويحكي غضب موسى على بني إسرائيل لاتخاذهم العجل لها في غيبته ، وعكوفهم على عبادته ، وإنكاره عليهم أشد إنكار ، فاشتد ندمهم ، وتيقنوا ضلالتهم ، فأعلنوا توبتهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ [ الأعراف 149 ] ، وانضوى تحت حوار له بني إسرائيل حوار له لأخيه هارون ، الذي صبّ عليه جام غضبه منكرًا تقصيره في تحمل مسؤوليتهم ، فيطلب منه أخوه هارون أن لا يشمت به الأعداء ، فقد استضعفوه وكادوا يقتلونه ، وفي سورة طه ، يبين بنو إسرائيل سبب عبادتهم للعجل مشيرين إلى السامري الذي صنعه لهم وظهر حوار هارون معهم ، الذي لم

يذكر في سورة الأعراف قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ

رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ [ طه 90 ] ، وردهم عليه قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ [ طه 91 ] ، كما

ظهر في سورة طه تعليل هارون لأخيه وفيه يبين مانعه من اللحاق به قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالَ يَبْنَومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٤﴾ ﴾ | طه 194 | وفيها أيضا مشهد لم يذكر كذلك في سورة الأعراف وهو الحوار الذي دار بين موسى و السامري وفيه يفصل السامري لموسى سر ما صنعه ، فيواجهه موسى مجزائه العاجل والآجل .

ويبين الاستعراض السابق لحوار موسى مع بني إسرائيل في سورة طه والحوار المماثل في سورة الأعراف انتفاء التكرار التام للحوار؛ فلكل سورة زاويتها الخاصة التي تناولت منها الحوار ، وفي سورة إبراهيم، يذكر موسى بني إسرائيل بنعم الله عليهم ، التي من أعظمها نعمة الحرية ورفع نير الاستعباد ، ومبينا لهم عاقبة الشكر والكفران ، ومحدرا من عاقبة تمائل عاقبة ما حل بالأقوام السابقة التي كذبت رسلها ، وكفرت بأنعم الله ، وبهذا ينتهي حوار ، عليه السلام ، مع قومه في السور المكية .

#### الحوار بين عيسى ، عليه السلام ، وقومه :

ورد حوار عيسى مع قومه في خمس سور هي : مريم (30، 36) والزخرف (63، 64) وآل عمران (49، 53) ، والصف (6، 14) ، والمائدة (72، 112، 113) ، والحوار عيسى في سورة مريم ميزة خاصة ، فهو معجزة خارقة في حد ذاته ، لصدوره عن طفل وليد ، وتم هذا النطق بإرادة الله لتبرئة مريم ، عليها السلام ، من تهمة الزنا التي أوشتك قومها أن يلصقوها بها ، لما رأوها تحمل عيسى بين ذراعيها ، ويبين حوار في سورة الزخرف أصل دعوته وهدفها.

وفي سورة آل عمران يفصل المعجزات التي جاء بها عيسى إلى قومه ، والتي تستدعي منهم تقوى الله وطاعة رسوله ، ثم يصور الحوار إيمان الحواريين ، وفي سورة الصف يحكي تفاصيل دعوة عيسى وتبشيريه برسول يأتي بعده اسمه (أحمد) ، وإلصاق الذين كفروا من بني إسرائيل تهمة السحر بعيسى عليه السلام ، ويتكرر ظهور حوار الحواريين مع عيسى ، عليه السلام ، وقد أضيف إلى تلك الحوارات نبأ المائدة التي أنزلها الله على الحواريين استجابة لدعاء نبيهم.

### الحوار بين نماذج بشرية خارج إطار النبوة :

حكى القرآن الكريم حوارات دارت بين البشر ، وتأرجح جل هذه الحوارات بين حدي الخير والشر ؛ فأحد الأطراف يمثل النموذج الذي يحتذى به لأنه يجسد الخير بأبعاده ، والآخر يمثل النموذج الذي يرفض لأنه يعكس الشر بألوانه ، ويضع الحوار هذين النموذجين في تقابل معبرا عن موقف كل منهما إزاء الآخر ، وما يعترك بهذا الموقف من مشاعر وانفعالات ، وينتهي هذا الحوار بانتصار الخير على الشر ، و المقصود بالانتصار هنا هو انتصار الفكرة و المبدأ ، لا انتصار القوة المادية .

وقد يسقط أصحاب هذا المبدأ مخرجين بدمائهم دفاعا عنها وإعلاء لكلمتها ، كما حدث لهايل ، بن آدم عليه السلام وسحرة فرعون بعد أن آمنوا ، ومؤمن آل فرعون ، وغيرهم ، وقد تتكرر هذه النماذج البشرية في كل زمان ومكان ، فهي ليست مقتصرة على أشخاص بأعيانهم ، ولعل عزوف القرآن عن تسمية هذه النماذج يؤكد هذا التعميم .

### الحوار بين صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن :

اكتفى الخطاب القرآني بإيراد الموقف المتوتر من الحوار الذي دار بين صاحب الجنتين وصاحبه ، وقد بدأ صاحب الجنتين هذا الموقف باستفزاز صاحبه واحتقاره ميرزا تميزه عليه بالمال والأهل (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) وكان صاحبه قد كبت غيظه فلم يرد على مقولته ، لكنه انفجر كالبركان الثائر ، حين يسمع تمة مقولة صاحبه الجنتين ، ففيها أضفي على جنته صفة الخلود (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) ، وشكك في قيام الساعة (وما أظن الساعة قائمة) ، وأكد ضمن تشكيكه وافتراضه غير المؤكد أنه لورد إلى الله ليجدن خيرا من جنتيه ؛ إنه يستشعر فوقيته واستحقاقه للخير ، وتكشف قوله لصاحبه في نهاية وعظه له (إن ترون أنا أقل منك مالا وولدا)

التي أتبعها بالدعاء عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيفُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (٤٠) أَوْ يُصِيفُ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ [الكهف 40-41] مقدار الألم وعمق الجرح الذي سببه عبارات صاحبه الجنتين المتفخخة غرورا وقوة وغطرسة ، وفي هذا تجسيد واقعي للمشاعر الإنسانية التي تحركها الكلمات الجارحة فالقرآن يجسد

هنا بشرية أطراف الحوار لا صفاتهم المثالية ؛ وهذا ما أكده الله في بيان صفات رسله قَالَ تَعَالَى:



﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا نَشْرًا رَسُولًا ﴾ (١٣) [الإسراء 93]، فكيف بالبشر

العاديين ؟ وينتصر الخير في النهاية بتحقيق دعاء المؤمن ، وندم صاحب الجنتين وإعلان توبته<sup>35</sup>.

### الحوار بين الشاب الكافر ووالديه المؤمنين :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفٍ لِّكُمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ

قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٧) [الأحقاف 17]،

إنه حوار عام لا يختص بأشخاص معينين ، فقد يحدث بين أطراف الخير وأطراف

الشر الذين تربطهم علاقة القربى في كل زمان ومكان ، وتبدوا مشاعر الطرفين أكثر وضوحا من

تلك المحمولة في مقولات أطراف الخير الذين لا تربطهم بالأطراف المقابلة علاقة مماثلة ، وتمتزج

هذه الجرعة بالخوف على الطرف الضال والحرص عليه والتعطش لهديته ، في الوقت الذي تتسم

فيه مشاعر أطراف الخير والحق في المشهد السابق بنبرة الحيادية ، ولعل هذا يفسر السر الكامن وراء

بعث كل رسول إلى قومه خاصة .

### حوارات النساء :

لقد كان حضور المرأة في الحوار القرآني حضورا محدودا مقارنة بحضور الرجل " و الشخصيات

النسائية في القرآن قليلة قياسا إلى عدد الشخصيات من الرجال ، و لم تصدر المرأة في القرآن

لدور البطولة الأولى ، و لم يعن القرآن بالوصف الخارجي للمرأة ، و عندما عرض شخصيتها

عرضها في أدوارها الطبيعية في الحياة دون تزييد . و عكست هذه الحوارات نماذج نسائية

متعددة منها :

### ١- حوار المرأة المؤمنة العابدة :

ورد الحديث عن المرأة في قصة موسى - عليه السلام - في أربع سور هي سورة طه ،

والنحل ، و في سورة التحريم الذي ورد فيها ذكر آسية بنت مزاحم ، و حكمت مناجاة امرأة

فرعون قوة إيمانها وتعلقها بالعطاء الإلهي رغم وجودها في بيئة ملوثة بالغرور والتسلط والطغيان

والمراء العقيم قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ



أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَيَجْعَلْ لِي فِيهَا نِسْرًا وَأَجْعَلْ لِي فِيهَا نِسْرًا وَأَجْعَلْ لِي فِيهَا نِسْرًا ﴿١١﴾

[التحريم 11]

إنها مؤمنة ترفض الظلم الأرضي ، وتنشد العدل الإلهي ، لم يخف عليها بطش زوجها وطغيانه ، فثارت عليه ، ودعت الله أن ينجيها منه ومن ظلمه ، وبدا في دعائها إيمانها المطلق بالغيبيات ، فهي تؤمن باليوم الآخر ، وما فيه من عقاب وثواب ، وتأمل أن تكون من الفائزين طالبة من الله أن يبني لها بيتا في الجنة . " لقد ضرب الله بها المثل للمرأة الصالحة ، الصابرة ، الصامدة الثابتة على الحق رغم فساد البيئة من حولها و رغم ما حولها من إغراءات و مساومات فهي زوجة فرعون الذي اغتر بسعة ملكه و قوة جنده ، وهي لم تغتر بكونها ملكة ، و لم يصرفها ذلك عن الإيمان بالله - عز و جل - 36 .

### ب- حوار المرأة الأم :

هذا النمط من الحوار يفيض بعاطفة الأمومة وما تحمله من حب وحنان ، ومثاله قول امرأة فرعون وقد همّ جنوده بقتل الطفل الرضيع موسى : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرِّتْ عَيْنِي لِئَلَّا يَذُوقُوا عَذَابِي وَأَنْتِ بِآيَاتِنَا أَكْفَرْتِ ﴾ [ القصص 09 ]

إنها تصرخ مشفقة على الطفل الصغير (لاتقتلوه ) ثم تعلق نهيها محاولة إغراء فرعون بالإبقاء عليه ( عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ) وهي مؤخرة في نفسها ، على اتخاذ ولدا ، وهو الأمر المقدم الذي تريده وتتمناه ، لإقناع فرعون وجنوده بعدم قتله ، فرعون قد يبقيه ليصبح خادما من خدمه المطيعين أو حارسا من حراسه ، ولكنه قد يرفض أن يتبناه .

### ج- حوار المرأة الشريفة ، ذات النشأة الطيبة :

وتجسد هذا الحوار في قول مريم بنت عمران للرجل الذي اقتحم محرابها فجأة مبشرا إياها بأنها ستنجب غلاما زكيا : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَّيَأُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [ مريم 16-20 ]

لقد جسمت مقولتنا مريم انتفاضة الفتاة الشريفة المرافعة عن عرضها وطهرها ، واستوعب تساؤلها تعبيرات انفعالها المتمثلة بالإنكار والغضب والتوبيخ والخوف والرفض ، لما فيه من تنعيم صاعد . " شخصية مريم شخصية محسومة في خط الخير و الإيمان منذ طفولتها الأولى ، وهي الشخصية النسائية الوحيدة في القرآن التي حظيت بالإصطفاء و الاختيار الإلهي الذي لم يحظ بهما سوى الأنبياء في القرآن "37

وقد مثل هذا النمط من النساء ابنتا شعيب ، حيث جسمت طريقة حوارهما مع موسى طهرهما ونشأتهما الطيبة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص 23] إنه رد مختصر دال على تأدب الفتاتين وتحفظهما في مخاطبة رجل غريب ، فهما لم تطيلا الحديث معه ، فقد أحابتا إجابة بليغة دلالتها أكبر من حجم المفردات التي احتضنتها ، استهلتاها ببيان ما يدل على حسن أخلاقهما ، وطهر صفاتهما ؛ ( لا نسقي حتى يصدر الرعاء ) إنهما تأنفان من الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم على الماء ؛ ولهذا تنتظر الفتاتان مغادرة السقاة ثم تقومان بسقي أغنامهما ، وقد أتبعنا هذا البيان بتعليل يجب عن تساؤل يدور في ذهن موسى وهو السبب الذي يدفع هاتين الفتاتين إلى القيام بهذا العمل الشاق الذي ينوء بحمله الرجال (وأبونا شيخ كبير) إنهما مجبرتان على القيام به إذا .

وتلا الحوار السابق حوار أحادي الطرف وجهته إحدى الفتاتين إلى موسى ، أنه يومئ بما أوما إليه الحوار الأول ، ولكنه يسبق بجملة توضح الكيفية التي ألفت بها الفتاة مقولتها قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَنِي بَدَعُوكَ لِحَزْنِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَعْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص 25]

[ القصص 25 ] إنهما تمشي إلى موسى على خفر واستحياء ، ووشت هذه المشية بالتحول الطارئ على شخصية الفتاة ففي اللقاء الأول كانت مشاعرها حيادية تجاه موسى ، ولكنها وقد رأت نبيل أخلاقه ونجدته للغير، وقوته أخذت تميل إليه .

## د- حوار المرأة العاشقة :

لقد جسد الحوار القرآني نمطين من أنماط النساء العاشقات ؛ النمط الأول : المرأة التي تسعى للحصول على الرجل الذي تريد بالتلميح الحريص لا بالتصريح مبقية على حياها وحشمتها ووقارها ، وقد تمثلت ابنة شعيب ، التي سبق الحديث عنها ، هذا النمط ، إنها تلك التي مشت إلى موسى على استحياء ، ودخلت به بيت أبيها ، وأغرت أباه بالاستمساك به والحرص عليه (يا أبت أستأجره ) كاشفة عن صفتين في موسى تزيدان الرغبة فيه ، وتوثقان الصلة بينه وبين أبيها ،

عنه يقيه قريبا منها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ

الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ [القصص 26] ، لقد أخذت مكانها في هذا المشهد الحواري ، وأدلت برأيها بذكاء وتخطيط وتدبير ، ويثمر هذا التدبير اللطيف ، ويؤتى أكله ، فيستجيب الشيخ لمقترح ابنته ،

وقد أحس بما يدور في داخلها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى هَاتَيْنِ عَلَّامٌ أَنْ

تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِيجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُشِقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ [القصص 27]

أما النمط الثاني من النساء العاشقات فقد مثلته امرأة العزيز التي استبدت بها شهوتها ، ومالت معه مندفعة بكل عاطفتها ، مستخدمة كل ما أوتيت من دهاء ومكر ، فجعلت تطارد فتاها دون حياء مصرحة برغبتها فيه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

[يوسف 23] ، إنها تراوده ، وتغلق الأبواب ، وتعرض ذاتها أمامه بصراحة وإلحاح قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَسْتَفْتَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ

بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ [يوسف 25] لقد كشف هذا السرد الإصرار

على وقوع ما ترغب فيه ، وعندما تفاجأ بزوجها لدى الباب ، وهي في تلك الحالة المريبة يبلغ قلبها حنجرتها ، فبادرت مدافعة عن ذاتها نافية عنها أي التهام بقولها ، " ما جزاء من أراد بأهلك سوءا " إنها تلتصق التهمة بيوسف - عليه السلام - لتحويل نظرات زوجها إليه ، لكنها لا تلبث أن

تشير إلى العقوبة محددة إياها بالسجن أو العذاب الأليم: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا حَزَاءُ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿ [يوسف 25] ، وتبرز هذه العقوبة مقدار عشقها ليوسف ، فهي لا تحكم عليه بالقتل أو النفي ، لأنها حريصة على حياته ، وسرعان ما ينتشر الخبر ، وتلوكه الألسنة ، فتستل امرأة العزيز سيف مكرها ودهائها للدفاع عن نفسها ، وإفحام بنات جنسها قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتهنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ [يوسف 30-32]

ويصور المشهد عادة النساء في نقل الأخبار وأسلوبهن في ترتيب عناصر الجملة بما يشوق في سماع الخبر ويثير المتلقي إلى متابعته ، فقد بدأنا بذكر من سيدور محور الحديث عنها ، وهي (امرأة العزيز) إنما امرأة عالية المكانة ، أخبارها تم الآخريين فتثير فضولهم ، فكيف إذا أُلصقت بما فضيحة؟ سيكون التعطش لمعرفة تفاصيلها كبير لهذا نراهن يتبعن الخبر "تراود فتاها عن

نفسه" بتعليقهن يمثلن موقفهن من هذه المرادة : "قد شغفها حباً ، إذا لندراها هي خلال مبين" كما حكى الحوار عاطفة النساء وانفعالهن الذي يطغى على إحساسهن في مواقف الدهشة ؛ فقد فقدن السيطرة على السكاكين التي يحملنها فجرحن أيديهن حين رأين يوسف ، ووصفته بانفعال وانبهار وجرده من صفاته البشرية : "إن هذا إلا ملك كريم؟"

ثم يصور القرآن حواراً شاركت فيه امرأة العزيز يبرز التغير الذي جد على شخصيتها بعد بضع سنين من هذه الحادثة ، فقد بدت تائبة نادمة معترفة بذنبها حين أجرى الملك تحقيقاً مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن بطلب من يوسف قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ

نَفْسِيءٌ قُلْتُ حَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ  
عَنْ نَفْسِيءٍ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ  
﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِيءَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعَا رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

[يوسف 51-53]

### — حوار المرأة الملكة أو صاحبة السلطة والسيادة :

جاء هذا الحوار في سورة النمل ، ومثاله ما حكاه القرآن على لسان ملكة سبأ ببراعة جسمت اختلاط عواطف السيطرة والسلطان في نفس الملكة مع عواطف الخضوع الأنثوية.

وصف القرآن ملكة سبأ على لسان الهدهد بأنها : قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل 23] فهي محاطة بكل أسباب الترف والنعيم ، ولإضفاء أجواء السيادة والسلطان صنعت لها عرشا عظيما يليبي ما أرادته من عظمة وأبهة حكم .

هذه الملكة العظيمة نجدها تفرع فجأة إلى قومها طالبة منهم المشورة عندما تصلها رسالة

سليمان قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل 31] فتقول: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ

يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل 32] إنها حائفة من

القوة المهدة التي تنتظر ردها ، ولكن هذا الملاء كان دائما طوع أمرها ، فهي التي تحركه ، وتصدر

القرارات ، وهو يشهد وينفذ ما تأمر به ، وهذا ما وشت به مقولتها : "ما كنت قاطعة أمرا حتى

تشهدون " فهي لم تقل حتى تشيرون علي ، فقد كانت مفتونة بقدرتها على تسيير حاشيتها

بإشارة منها ، فغيب انبهارها بأنأها(الآخر) جاعلا منه أداة تنفيذ فحسب ، إنها تحاول استشارة

حاشيتها بإظهار أهمية رأيهم وكلمتهم ، وكأن الخوف أفقدها القدرة على إطلاق حكم قاطع ،

إنه موقف يحير الرجال ويثير مخاوفهم فكيف يكون وقع الأمر على امرأة مجبولة بطبيعتها على

الخوف والوجل ؟

ونجد ملمحا آخر من ملامح سياسة الأنثى وتفضيلها للحلول السلمية على المواجهة العسكرية في ردها على تلميح حاشيتها بميلهم للحرب قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [٣٣] قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَبَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

[النمل 33-35]

إنها تمارس سياسة الاسترضاء ، وكسر حدة الآخر باللطف واللين ، وتبدو متلهفة لمعرفة نتيجة هذا المكر الأنثوي ؛ لقد قدرت ملكة سبأ أنها إن استطاعت أن تغري سلمان بالهدية فإنها ستستطيع أن تحاربه وتقاومه وتتغلب عليه ، وإلا فليس بما قدرة عليه ، وحين ييؤء مكرها بالفشل ترحل إلى سليمان لمقابلته ، ويظهر كلامها معه لباقة وذكاء وحكمة ، فحين وصلت إلى قصر سليمان ، سئلت عن عرشها : " أهكذا عرشك " قالت : " كأنه هو " ؛ إنما لم تجب بالنفي ولا بالإثبات ؛ فلو نفت أن يكون المشار إليه عرشها لخالفت حقيقة ساطعة أمامها ، فهو يشبهه حد التطابق ولو أجابت بالإثبات لخالفت حدود المعقول والممكن ، فكيف سينتقل عرشها العظيم المحاط بالحرس بهذه السهولة والسرعة ؟ وربما حالت لباقها وتأدبها دون التصريح ، فقولها بأنه هو يعني اتهام سليمان بسرقة والتعدي عليه ، وبهذا أظهرت إجابتها قَالَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [٤٢] [النمل 42] حصافة وحكمة ، إنما إجابة حيادية تتعد عن أي تحديد ملزم .

وتدرك الملكة أن ما أعطي سليمان — عليه السلام — ليس مما يعطاه ملوك الدنيا ، انه رجل يجمع إلى الملك النبوة ، فتعلن إسلامها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكشفت عن ساقيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل 44] لقد أبرزت مقولتها عواطف الخضوع الأنثوية ؛ فكانت استجابتها لسليمان اقرب للاستسلام للذكر الأقوى ؛ فهي تؤكد تبعيتها له بقولها : " وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " .

هذه هي أبرز الأنماط النسائية المشاركة في الحوار القرآني وقد مثلت المرأة بطبيعتها وما تخضع له هذه الطبيعة من ميول وانفعالات وغرائز ، وبإنسانيتها التي تتساوى بها مع الرجل ، فالمرأة تماثل الرجل وتخالفه في الوقت ذاته ، وهذا ما يمثله الحوار.

و- حوارات أهل النار وأهل الجنة:

1- حوارات بين الكافرين المعذبين :

لقد دارت في جهنم خصومات عنيفة وصراعات بين المعذبين فيها ، وأبرزت الحوارات الدائرة بينهم العلاقة العدائية المشحونة عنفا وغيظا وحقدا ولوما وتقريبا ، وهي لون من ألوان العذاب في نار جهنم ، وجاءت هذه الحوارات نتيجة حتمية لممارسات أصحابها الفعلية والقولية في حياتهم الدنيا منها :

الحوار بين أول الأمم التي دخلت النار وآخرها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَدْحَلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَوْلَيْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلٰكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولِيَّتُهُمْ لِأُخْرَبْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ [ الأعراف : 39-40 ]

الحوار بين الأفواج المتقدمة والأفواج المتأخرة:

و مثاله قوله تعالى: ﴿ هٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَضِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهٖمْ إِنَّهُمْ سَالُوا النَّارَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسِّرْ لَنَا الْفَرَارَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَمْثَرِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْتُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ [ ص 59-63 ].



الحوار بين الأتباع والتبوعين :

و مثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ سَقُولَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْجُنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبا 31-33]

حوارات بين الذين أشركوا وشركائهم :

و مثاله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يونس 28-29]

بين الشيطان ومن اتبعوه :

و مثاله قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ : وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم 22]

ويوبخ الكافر الشيطان الذي فتنه ثم تبرئ منه ، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ

عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ



﴿ ٣٧ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُطْسَقُ الْقَرِينَ ﴿ ٣٨ ﴾

[ق26-28]

حوار بين الكافرين وبعض أعضائهم :

و مثاله قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ

بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ [ فصلت 20- 23 ] إن نطق ما لا يتوقع نطقه يخلق مفاجأة تزعج المتلقي ، فيكون المتكلم مثار دهشة أكثر من الرسالة التي ينقلها إليه ويفسر التساؤل الذي وجهه المعذبون لأعضائهم من الإجابة ؛ فقولهم : لم شهدتم علينا ؟ يعني : كيف نطقتم ، بدليل إجابة أعضائهم : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء .

حوارات بين المؤمنين والكافرين :

تبرز هذه الحوارات تحول أوضاع المتحاورين ؛ فالمؤمنون قد فازوا برضا الله وجنته ، إنهم في موضع القوة إذا ، بينما تحيم الذلة والمسكنة على الكافرين ، الذين سخط الله عليهم وأدخلهم النار ، فأصبحوا غير ما كانوا عليه في الدنيا ، وجاءت هذه الحوارات في ثلاثة مواطن ؛ الأول في سورة

المدثر قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣١﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ

﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنَّا نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْغَافِقِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا

نُكذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ [ المدثر 39-47 ]

والثاني في سورة الأعراف قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا

حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ

يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ [ الأعراف 44-45 ]

ويظهر في السورة ذاتها حوار آخر بين الفريقين يستهله أصحاب النار قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أ\_Fِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف 50]

والثالث في سورة الصافات : ويحوي الخطاب الذي وجهه قائل من أهل الجنة إلى قرينه الكافر الذي كان يحاول إغواؤه في الدنيا ، وقد رآه في وسط الجحيم قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَزِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الصافات 55-57]

### حوار بين المؤمنين والمنافقين :

مثل هذا الحوار ثنائية النور / الظلام التي يمثلها الفريقان ؛ فالنور الذي أشرق في أرواح المؤمنين في الدنيا مخرجا إياهم من ظلمة الكفر اخذ ، يوم القيامة ، يشع منهم ويفيض بين أيديهم بينما لف المنافقين ظلام يمثل ضميرهم وظلمات الحفاء المستور ؛ لأنهم رفضوا النور في حياتهم فكان جزاؤهم الحرمان من النور يوم القيامة ، فأخذوا يستجدون النور من المؤمنين قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِم مِّن ثَوْرِكُمْ فِيلٍ أَرْجِعُوا وِرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد 13-15]

### حوارات بين أهل الجنة :

وهي حوارات هادئة مسالمة أنتجتها أطراف تربطها علاقة المودة التي لا يشوبها غل ولا حقد ، فحوارهم سمر ونجوى لا تخاصم وجدال قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر 47]، وجاءت هذه الحوارات في موطنين فقط ، الأول في سورة

الصفات قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٥٠ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٥١ يَقُولُ أَهِيَ تَك لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ٥٢ أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا أَهِيَ تَأْمُرُونَنَا لَمَ دِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُّظْلَعُونَ ٥٤ فَأُطِّلَعُ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَأَلَّفَهُ إِن كِدْتَ لَتُرِيدِينَ ٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ٥٨ إِلَّا مَوَلَّنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ٦٠ ﴾ [الصفات 50-60]

والثاني في سورة الطور قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٦٥ ﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُّشْفِقِينَ ٦٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عُذَابَ السَّمُورِ ٦٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٦٨ ﴾ [الطور 25-28] لقد استهل الحواران بما يجسم علاقة الألفة الرابطة بين الأطراف فهم يقبلون على بعضهم ثم يتحاذبون أطراف الحديث: "وأقبل بعضهم على بعض ويتساءلون" كما لا يتجلى الصوتان المتقابلان في حوارهم ، فحديثهم محمول بصوت واحد يجسم وحدتهم وتآلفهم ، ولعل انعدام الصراع بين المؤمنين الفائزين بجنة الخلد كان وراء قلة المشاهد الحوارية المصورة لحالتهم التي جسّمها الخطاب الإلهي أحسن تجسيم بأسلوب الإخبار الذي يستوعب الوصف والتفصيل ، وهذا مالا يتناسب مع خصوصية المنجز الحوارية .

#### الحوار بين البشر وغير البشر :

أشارت الدراسة إلى الحوارات التي تقاسمتها الملائكة مع البشر في الدنيا والآخرة ، ونذكر هنا الحوارات التي اختص بها نبي من أنبياء الله وهو سليمان ، عليه السلام ، مع النملة والمهدد والجن وهي حوارات حقيقية حكاها الله على السنة هؤلاء ليرز عظم النعمة التي أسبغها على سليمان ، فقد سخر له ما في الكون لخدمته ، ومكنه من التواصل اللغوي معها ، فكل ما في الكون ينطق ، ولكن إدراك مدلولات هذه المنطوقات يكاد ينحصر فيمن ينتمي مع الناطق إلى مجموعة أو تصنيف نوعي معين ، فإذا أدرك من لا ينتمي إلى هذا التصنيف منطوقات أعضائه فإن إدراكه يكون خارجا عن المألوف في عملية التحوير ، ولهذا كسرت حوارات سليمان مع مخلوقات غير بشرية أفق توقع المتلقي ، ومثلت مقولات هذه المخلوقات مقولات الأطراف الأخرى في الحوارات القرآنية

، فلم تظهر تميزاً في أسلوبيتها يجعلها تتفارق المقولات الأخرى ، فالواقعية في لغة الحوار واقعية نفسية لا لغوية .

الحوار بين سليمان والمدهد: لقد علم الله سليمان منطق الطير ، يقول محمود البستاني : " إن الحكاية أو الحوار في قصة سليمان المهدف منها إبراز عملية التسخير فالسماوات أتاحت لسليمان ما لم يكن يحلم به ، فلقد سخر المدهد ليقوم بمهمة ضخمة يتطلع إليها سليمان كل التطلع ، ألا وهي : عثوره على مدينة سبأ وملكها بلقيس " 38 يقول الخالق **قَالَ تَعَالَى: ﴿۲۲﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنْتًا يَقِينٍ ﴿۲۳﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿۲۴﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿۲۵﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿۲۶﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿۲۷﴾ قَالَ سَتُنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿۲۸﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَاَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿۲۹﴾** [ النمل 22-28 ]

الحوار بين سليمان وعفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب : إن الشخصيتين اللتين تطوعتا لجلب عرش بلقيس ، قد رسمهما النص القصصي — جنديين من جنود سليمان — عليه السلام — يستطيعان — بنحو معجز : مثل سائر الجنود أن ينفذوا أوامر سليمان — عليه السلام — فالجندي الأول فقد تطوع بجلب العرش خلال ساعات ، بينما تطوع الجندي الثاني بجلبه خلال ثوان . ، و مما يلفت الانتباه أن النص القصصي ، قد رسم ملامح البطل الأول بسمات ثلاث هي كونه عفريتاً ، و كونه قويا ، و كونه أميناً .

**قَالَ تَعَالَى: ﴿۲۸﴾ قَالَ يَتَأَيَّمُوا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿۲۹﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَأِيكُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكُ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿۳۰﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَأِيكُ**

بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ  
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٠﴾ [النمل 38-40]

الذي حمل حوار رسل الله إلى أقوامهم ، والصوت الجمعي الذي حمل ردود الكافرين عليهم  
ممثلا وحدة الرسالة التي جاء بها رسل الله وموقف الكافرين منهم في كل زمان ومكان في قوله

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحُوا وَعَادُوا وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا  
كُفْرًا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لِنَفِيِّ شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ  
شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا  
فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ [إبراهيم 9-10]

#### الحوار بين اثنين وجماعة

كالحوار بين رجلين مؤمنين من بني إسرائيل وقومهما المتخاذلين عن القتال ودخول الأرض  
المقدسة قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ  
أَبَابٌ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ [المائدة  
23]

أوضاع التواصل الحوارية و أشكاله : لم يلتزم الخطاب القرآني بشكل محدد في تشكيل البناء  
الحواري و من بين تلك الأشكال :

1- الحوار الخارجي : و هو من أكثر الأنماط الحوارية سيادة في الخطاب القرآني عامة و في  
القصص القرآني خاصة ، فقد جسم الثنائيات التي ظللت جل الحوارات القرآنية ، وأهمها ثنائية  
الحق والباطل وتنازعه أطراف الحوار المتعددة التي فصلت في الموضوع السابق من هذه الدراسة ،  
وقد لاحظنا تصوير الحوار لهذه الأطراف وكشفه عن همومها المختلفة ، فأسلوبية المقولة الحوارية  
تناسب مع الطرف المحاور وتصدر عنه صدورا ، ولكل طرف معجمه اللغوي الخاص الذي قد

يبرز جليا أو يختفي اختفاء كاملا حسب السياق ، وتضفي هذه الخصوصية ظلالها على تركيب الجملة الحوارية أيضا وعلى طول المقولة الحوارية وحركتها.<sup>39</sup>

## 2- الحوار الداخلي

وهو الحوار الذي يدور بين الشخص ذاته ، فيكون مرسلا ومستقبلا في الوقت ذاته ، إنها مقولة غير معلنة ، ويرجح حصولها داخل النفس ، وقد جاء هذا النمط من الحوار في عدد من المواطن ، وتضافر مع الحوار الخارجي في تحريك الحدث وتآزم الموقف مطالعا قارئ النص الحوارية أو سامعه على باطن الشخصية وما يعتملها من صراعات ، ويميز الحوار الداخلي بالقرائن المصاحبة<sup>40</sup> .

حوار النملة مع النمل وإدراك سليمان لقولها وإشارتها لجنسها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَأَ يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَسَمَّرُ ضَاكِعًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ [ النمل 18-19 ]

- حوارات الشخصية الجماعية (اتحاد المخاطبين الذي صدر عنهم الحوار :

برز الصوت الجماعي في الحوارات القرآنية بروزا لافتا ، ودل على رأي أو موقف جمعي توحدت فيه ومن أجله مجموعة من الأفراد ، ويؤكد هذا التعميم في طرح الشخصية تمثيل القرآن لنماذج قد تكرر في كل زمان ومكان ، ولآراء قد يجتمع على كل منها مجموعة تتبناها وتدافع عنها .

ويفتح الصوت الجماعي الباب للاحتمالات والتوقعات التي تبين كيفية صدور المقولة أو الشكل التركيبي الذي اتخذته ، فالصوت الجماعي مزيج من الأصوات وحدتها المقولة ولكنها غير موحدة النغمات ، فصوت ينغم المقولة تنغيم السؤال الإنكاري ، وصوت ينغمها تنغيم السؤال التعجبي ، وصوت ينغمها تنغيم الخبر ، إلى آخر هذه التنغيمات التي يكشفها السياق وقرائن الحال والقرائن اللفظية ، ويفيد هذا في التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ؛ فكل قراءة تصور موقفا لبعض من كل



صوتي ، مبنية ما لطرائق أداء المقولة من أثر في المعنى واختلافه ، ومن الأصوات الجماعية ما جاء في حوارات أهل الكهف قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا بَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَانْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ [الكهف 19]

وما جاء في حوارات الإخوة أصحاب الجنة ( البستان ) قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَنَادُوا مُصِيبِينَ ﴿١١﴾ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿١٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ [القلم 21-27]

وما جاء في حوارات أقوام الأنبياء مع بعضهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلِحَا تُرْسِلُ مِن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف 75-76]

وفي حواراتهم لأنبيائهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ نَشِيبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قُرْبَانَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ [الأعراف 88]

وما جاء في حل حوارات يوم القيامة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ [الأعراف 50]

واختلف عدد الأطراف الذين تبادلوا الحوارات القرآنية ، يقول محمد أحمد حلف الله : " ليس من اللازم أن يقوم الحوار في القصص القرآني بين اثنين ، فقد يكون بين كثرة ، و كل هذه الأمور ملحوظة في القصص القرآني ، فيكون الحوار بين اثنين...." <sup>41</sup> ويمكن أن نقسم الحوار من حيث عدد المتحاورين إلى :

الحوار أحادي الطرف : حيث يفرز الرسالة الحوارية طرف واحد ويكتفي الطرف الآخر بدور

المتلقي أو السامع ، ومثاله ما جاء في حوار الله عزوجل للمؤمنين الفائزين بالجنة قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَنْعَبَادُونَكَ لِخَوْفٍ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنتَ مَحْزُونٌ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ

﴿٦٩﴾ أَدْخِلُوا آلَ الْجَنَّةِ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ [ الزخرف 68-70 ] وحواره مع الذين

حق عليهم العذاب قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ

﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ

عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ [ النمل 83-85 ] ، ولعل شدة انفعال المتلقي في المشهدين

حالت دون قدرته على المحاوره .

-الحوار بين اثنين : و مثاله الحوار بين موسى وأخيه هارون في المشهد الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ

يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

[ طه 92-94 ]

والحوار بين موسى وفرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ

إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ

هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٢﴾ [ الإسراء

[102-101]

وتبدو العلاقة والتلاحم بين الطرفين قوية ، فكل طرف يواجه حديثه لطرف واحد فقط وهذا يحول

دون تشتت المرسل والمستقبل .

-الحوار بين واحد من جانب واثنين من جانب الآخر :

و مثاله قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ

﴿٥٠﴾ [ طه 49-50 ]



والحوار بين موسى من طرف وابني شعيب من الطرف الآخر: "قال: ما خطبكما قائلنا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير"  
- الحوار بين واحد وجماعة:

وهو النمط المهيمن في الحوارات القرآنية ، وساد بشكل خاص في حوارات الأنبياء مع أقوامهم: (نوح مع قومه ، وهود مع قومه ، وصالح مع قومه ، وشعيب مع قومه ، ولوط مع قومه ، وإبراهيم مع أبيه وقومه ، وموسى مع بني إسرائيل والملأ من قوم فرعون ، وعيسى مع بني إسرائيل والحواريين ) وظهر في حوارات الملوك لأقوامهم ، كحوار فرعون مع حاشيته ، وحوار ملكة سبأ مع حاشيتها.

- الحوار بين جماعة وجماعة ، كحوارات أهل الجنة مع أهل النار:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أفيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ [الأعراف 50] وحوارات أهل جهنم الذين تفرقوا أحزابا وفرقا متخاصمة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَاتُ لِلَّذِينَ أُسْتُكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعَا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ هَدَدْنَاهُ لَكُمُ سِوَاءٌ عَلَيْنَا أَحْزَنًا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ ﴿٦١﴾ [إبراهيم 21] وحوارات المؤمنين مع الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أُسْتُكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ أُسْتُضِعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ أُسْتُكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف 75-76]

- حوار أفراد الجماعة الواحدة (حوار جماعي):

وفيه يحكي الله رأي جماعة ما بمقولة تأتي على لسانهم جميعا بدلا من حكاية موقفهم بأسلوب الإخبار ، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا ابْنُوا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ لَفِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ [القمر 23-25]

إنه حوار جامع لحوارات متعددة جرت بين قوم ثمود ، لخص مضمونها الرئيس الذي دارت حوله وبطريقة الأداء التي صيغ فيه ، وما جاء في قوله تعالى على لسان فرعون وملايه **قَالَ ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾** [ المؤمنون 47 ] ومثله الصوت الجمعي للموقف الكلامي ، فهو يحتاج إلى قراءة سياقية نصية شاملة ، وقد يؤدي إدراج عدد من المقولات تحته إلى حل إشكالية التناقض التي دفعت عددا من المفسرين إلى تبريرات وتعليقات غير مقنعة ، ومن الحوار الداخلي مقولة إبراهيم عليه السلام ، التي امتزجت فجأة مع ردة المعلن على قومه في الحوار الآتي : **"قَالُوا : أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ؟ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ خَالِقِهِمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا هُدًى مِنْ رَبِّكُمْ "** على مسمع قومه ، لقد أسرها في نفسه مضمرًا مكيدته ، ولو أعلنها لبطشوا به ، فالمساس بأصنامهم أو التهديد بتدميرها جريمة لا تغتفر ، وبثت تساؤل قومه حين راو ماحل بأصنامهم سرية مقولته **قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾** [ الأنبياء 59 ] فلو كان قد قال مقولته علنا ، لما ذهب قومه يلتمسون الفاعل ، ومثلها الحوار الذي حصل في نفس يوسف عليه السلام في المشهد الحواري الذي دار بينه وبين إخوته **قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾** **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾** [ يوسف 77-78 ] فجملة : "انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون " مقولة داخلية ، حددت الجملة السردية السابقة لها نوعها (فأسرها يوسف ولم يبدها لهم ) ، وهي جملة تعج بما يوحى بالسرية فبعد إن قال : "فأسرها يوسف في نفسه " اتبعها بما يؤكد المعنى : **"ولم يبدها لهم "** والمتبع لسير الأحداث في القصة يلاحظ حرص يوسف على إخفاء شخصه وهويته عن إخوته ، كما أكدت مقولة إخوته التي لحقت مقولته مباشرة إنهم لم يتعرضوا لتوبيخ أو إنكار ، ففيها محاولة لإقناعه بأن يترك أحاهم ويأخذ احدهم مكانه ، فلو سمعوا توبيخه لما توجهوا له بهذا الطلب .

ونظير ذلك مقالة إبليس بين يدي رب العزة ؛ عندما أمره أن يسجد لآدم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ

أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٦٢﴾ [الإسراء 61-62]، فمقولة إبليس التي جاءت بعد فعل القول المكرر توحى بالمكر وحوك

الدسائس لآدم وبنيه لقد قالها سرا ، وبعد أن رد على استفسار الله منه عن سر امتناعه عن

السجود لآدم : قَالَ : ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ؟ ثم انتقل من الجهر إلى السر ليقول : "أرأيتك ههنا

الطيب حرمت عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنن ذريته إلا قليلا " تماما كما فعل إبراهيم

مع قومه، ولكن مع فارق يكشف عن روعة النظم القرآني ودقته ، فقوم إبراهيم لا يملكون قدرة

الإطلاع على ما نفسه ، أما رب العزة فهو مطلع على الجهر والسر وأخفى ، لقد علم عز وجل ما

دار في نفس إبليس فحكى مقولته السرية كما لو كان قالها جهرا ، ورد عليها مواجهها إبليس بما

في داخله من هواجس وأفكار قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ

جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ [الإسراء

[ 64-63

### 3-الحوار التلقيني : جاء الحوار التلقيني في السور المكية في مائتي و اثنين و عشرين موضعا

وهو الحوار الذي وجهه الله (الطرف المحرك للنصوص الحوارية ) إلى رسوله محمد صلى الله

عليه وسلم (متلقي الوحي) ليقوم بتوجيهه إلى الطرف المقصود بصيغة الأمر (قل) الموحية بتوجيه

الله لرسوله ، وبأهمية المقولة التي عليه أن ينقلها إلى الآخرين ، وبالكيفية التي يجب أن تنقل فيها .

والحوار التلقيني حوار خاص برسول الله ، انه الخطاب المميز بين الذات المحمدية والوحي القرآني

، وجاء هذا النمط من الحوار في مائتين وعشرة مواضع ، توزعت على السور المكية والمدنية مع

استثثار السور المكية مواضع ، توزعت على السور المكية بالنصيب الأكبر منها ، واختلفت

المضامين التي حوaha الحوار التلقيني المكي عن تلك الموجودة في نظيره المدني ، لاختلاف المتلقي

(مسبب الحوار) ؛ فقد أمر الرسول بتوجيه مقولات الله إلى الكافرين والمشركين في العهد المكي ردا

على حججهم وسخريتهم من الرسول من الرسول وإنكارهم لدعوته ، ولذا حوت مقولات الله الموجهة إليهم وعيدا ، أو إنذارا ، أو سخرية ، أو تكديبا ، أو تعليقا على أقوالهم ، أو إنكارا لها ، أو تقريرا لهم ، أما وقد قامت الدولة الإسلامية ، واستقرت أمورها ، وأفحم أعداؤها فلم يعودوا قادرين على الجهر بعداوتهم للرسول وأتباعه ، فتحولوا من المواجهة المباشرة إلى المواجهة السرية غير المعلنة المتمثلة في الدسائس والنفاق والمكر وإثارة الشبهات وتثييط العزائم ، فأدى الحوار التلقيني دور الكاشف الذي أزال الستار عن تلك الخصومات والدسائس التي أبرمت في الخفاء ، فكثيرا ما نقل الله لرسوله مقولات أعدائه من المنافقين المتخاذلين والمشركين من أهل الكتاب ، وأمره بالرد عليهم وفضحهم أمام أنفسهم ، وفي هذا إثبات لهم وللجميع بصدق الرسول فهو متصل بالقدرة الإلهية المطلعة عليهم والمطلعة إياه على خفاياهم ، كما تضمن الحوار التلقيني عرضا لتساؤلات المسلمين واستفساراتهم المتعلقة بأمر دينهم ودنياهم وإجابة الله عنها .<sup>42</sup>

ومن الأشكال التجريدية التي تقولب فيها الحوار التلقيني :

( قالوا : ----- قل ----- )

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ [سبا] ﴾ فمقولة الكافرين قد صدرت ونقلها الله على لسان أصحابها ، وأمر رسوله بالرد عليهم ، فتشكل حوار مسبق صدرت مقولة أحد أطرافه ، وتنتظر مقولة الطرف الآخر التنفيذ .

( يقولون : ----- قل ----- )

كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْنَا

مُضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ آل عمران 154

إن استهلال مقولة المنافقين بفعل القول (يقولون) وهو بصيغة المضارع يوحى بنقل حي ومباشر لما يدور في مجلس أولئك المنافقين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويؤمر الرسول بالرد عليهم مواجهها إياهم بما يدور بينهم من حوارات ، ثم يوجه الله خطابا خاصا لرسوله "يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك " ثم ينقل له مقولة أخرى تبدو مكملة للمقولة الأولى ، ويأمره بالرد عليهم ، فيتشكل حوار ينتظر التنفيذ.

وما كان هذا الحوار ليتشكل لولا أمر الله ، فالمنافقون لم يواجهوا الرسول بمقولتهم ، والرسول لا يعلم ما في الصدور ولا يجري في الخفاء إلا إذا أخبره الله .

(قل : -----؟ سيقولون : ----- قل : -----)

ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ [المؤمنون 84-85] إنه عزوجل يطلع الرسول على الحوار الذي سيكون بينه وبين الكافرين ، محمدا له إجابته الحتمية ، وملقنا إياه الرد عليها وهذا يعني أن مقولات الأطراف تنتظر إشارة البدء (قل) ليكون ما أراده الله وأطلع عليه رسوله .

(قل : -----؟ قل : -----)

وفي هذا النمط من التشكيل يلقن الله رسوله السؤال والإجابة عنه ، فيكون الحوار أحاديا ، ليواجه الرسول متلقيه بالسؤال والجواب مجردا إياه من المشاركة ، موحيا بهذا أن القضية المطروحة لا

تحتاج إلى نقاش ، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢٤﴾ [سبا 24]

(قل : -----)

وفي هذا النمط أمر بطرح المقولة الإلهية على المتلقي دون استنطاق إجابته ، ودون أن تكون

المقولة ردا كلاميا على مقولة ما ، ومثاله قوله تعالى لرسوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا

أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ [الحج 49] ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ [الجن 10]

وقد يكون الأمر بالقول أو تساؤل لما لم يطرحه الله بلسان قائله ربما لكون المستفسر عنه لا يشكل قضية تثير تحدياً أو خصومة يحتاجان إلى نسبة المقولة إلى قائلها ؛ لإقامة الحجة له أو عليه ، وظهر هذا النمط من الحوار في استفسارات المسلمين عن أمور دينهم ودنياهم ، ومن ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ [البقرة 215] وتنوعت الردود التي لقتها الله لرسوله في مواجهة خصومهم ، وفيما يلي طائفة بأنواع من هذه الردود المصنفة بحسب أغراضها :

1- قلب الدعوى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات 17]

2- السخرية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفًا ءَأَنَّا لَمَسْعُوتُونَ خَلْقًا حَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ

كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

[الإسراء 49-51]

3- الوعيد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

﴿٨١﴾ [التوبة 81]

4- التعجيز: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ

أَمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ [البقرة 111]



5- الإنكار قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ [ آل عمران 72 - 73 ]

التوبيخ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّيِّعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ [ المؤمنون 86-87 ] إلى غير ذلك من الأغراض التي نستشفها من الردود التي لقنها الله عز و جل لرسوله في مواجهة الخصوم .

4- المناجاة (الدعاء)

وهي شكل من أشكال الحوار الأحادي في القرآن الكريم ، يتوجه فيها المخلوق برسالته الكلامية المتضمنة همومه المختلفة إلى خالقه ، وهو متيقن بأن الله يسمعه ويصره ، متأملا أن يستجيب لدعائه ، وتمثل هذه الاستجابة بتنفيذ الطلب وتحقيقه لا في الرد الكلامي ، فإن حصل رد كلامي فهذه خصوصية يمن بها الله على من يشاء من عباده ، وقد تكون المناجاة سرية وقد تكون علنية وتمثل عليها بدعاء إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِّنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء 83-85] و يرى محمد أحمد خلف الله أن المناجاة من العناصر الفنية التي وجدت قليلا في القصص القرآني ... وهو يقوم على مناجاة الشخص لنفسه ليسمعه غيره ...<sup>43</sup>

5- الحوار بالإشارة :

وهو شكل من أشكال التواصل اللاكلامي ، يستعاض فيه عن الكلام بإشارات إيجابية مترجمة لما في نفس المشير، استخدم هذا الشكل الخطابي شخصان في موقفين متقاربين ، الأول زكريا ، عليه السلام ، حين بشرته الملائكة بيجي ، فطلب من ربه آية فأمره بأن لا يكلم الناس ثلاثة أيام قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَنَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَمًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ

كثيراً وَسَمِعَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ [آل عمران 41] ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿٤١﴾ [مريم 11] ومريم ، عليها السلام ، التي وجهها الله إلى كيفية مواجهة قومها بابنها عيسى الذي أنجته دون أب قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلِّي وَأَسْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ﴿٤٢﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا لِمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أُخْتِ هَتْرُونَ مَا كَانَ أَوْلَاكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٤٤﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٤٥﴾ [مريم 26-29]

وهنا يفاجأ بطفل وليد يتكلم قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ [مريم 30-33]

يشكل هذا الخطاب كسرا للقوانين البشرية فهو معجزة لم تتكرر ، جاءت لإثبات معجزة أخرى هي إنجاب عيسى دون أب ، ويمكن أن نعلل أمر الله لذكرها ومريم بالصيام عن الكلام ، بكون معجزة إنجاب يحيى وعيسى أمرا واقعا بوضوح يرفض الجدل والنقاش البشري ، لأنه يفوق قدرة البشر وقوانينهم ، ولا شك في أن إنجاب عيسى معجزة تفوق معجزة إنجاب يحيى ، ولهذا جعله الله ينطق دفاعا عن أمه التي تعرضت لهجوم كلامي عنيف من قومها حين أنتهم به . يقول عبد الكريم الخطيب : " ... حين يدعو القرآن حدثا من الأحداث إلى اتجاه من الاتجاهات التي يريد لها ، فإنما يحركه من أعماقه ، فيتجه إلى غايته اتجاه السهم إلى الرمية دون أن يتوقف ، أو ينحرف ... ذلك أن القرآن يمسك به من جميع أطرافه ، و يستولي على كيانه ... فالقرآن حين ينطق الشخصية فإنما يحمل على لسانها ما يدور في خاطرها .. "44



## فاعلية الحوار في الخطاب القرآني

حقق الحوار القرآني أبعاد عميقة وأدوار هامة في النص القرآني عامة ، وفي القصة القرآنية خاصة، وبالوقوف على فاعليات الحوار نقف على علة الاختيار ، وبمعرفة علة الاختيار نضع أيدينا على فاعلية الحوار .

وسنعرض لعدد من الوظائف التي أداها الحوار بعد أن تلقى الضوء على البعد التأثيري له بوصفه حوارا فحسب لا بوصفه حوارا عن كذا أو يفيد كذا فكل أسلوب من أساليب القرآن له تأثيره الخاص ، فما هو البعد التأثيري للحوار بوصفه أسلوبا من أساليب الدعوة الإلهية في القرآن ؟ أجاب عن هذا التساؤل الدكتور عبد الحليم حفي مينا تأثير المحاورة في ثلاث نقاط هي :

### 1-مخاطبة المحاورة للجانب العقلي للإنسان :

من جهتين إحداهما عرض الحقيقة نفسها ، وهو موضوع المحاورة ، وهذا يتساوى فيه أسلوب المحاورة مع كل الأساليب ، حيث أن لكل أسلوب موضوعا أو فكرة وعندئذ يتاح لعقل المتلقي أن يفكر في هذه الحقيقة والجهة الأخرى هي المباراة بين المتحاورين والصراع الفكري الذي يدور بينهما وكل ذلك يستدعي من المتلقي أن يشحذ عقله وينشط ذهنه ، إما متممضا شخصية الحكم ، وإما منحازا إلى أحد الطرفين ، واستخدام العقل وتحريك التأمل من أهم أهداف القرآن في كل أساليبه.<sup>45</sup>

### 2-مخاطبة المحاورة للغرائز :

حيث تخاطب غريزة من أسمى غرائز الإنسان ، لقربها من العقل ، ولصوقها بالمعرفة ، وهي غريزة حب الاستطلاع ؛ فأما لصوقها بالمعرفة ، فلأن كل ما يستطلع الإنسان ويقف على حقيقته إضافة جديدة إلى معرفته ، مهما صغرت هذه الإضافة ، وأما مخاطبة أسلوب المحاورة لحب الاستطلاع في الإنسان فلاشتمالها على طابع القصة في أقوى حالتها إثارة ، وهي حالة الصراع بين قوتين ، فهذا أقوى جوانب القصة إثارة لحب الاستطلاع ، ومتابعة ما ينتهي إليه صراع هاتين القوتين ، فالمتابع لصراع قوتين في أي قصة يكون ، غالبا منحازا بعواطفه من حيث لا يقصد مع القوة الأساسية في القصة ، وهو ما يعبر عنه في اصطلاحات القصة بالبطل ، والمؤمن أو المصلح هو دائما بطل المحاورة في القرآن ، ولهذا سيكسب مشاعر المتلقي ، وإن كان مخالفا له بعقله أو بمنطقه

، وهو كسب غير يسير ، فالدين لا يقوم على العقل وحده ، وإنما يقوم على المشاعر و العواطف<sup>46</sup> .

### 3- يثير أسلوب المحاوره مشاعر الإنسان وانفعالاته المختلفه لما تشتمله من أحداث:

لأنها بذاتها مباراه وتنافس بين طرفين ، وهذا التباري من شأنه أن يثير لذته انفعال المشاهدين له ، وهذا شيء في طبيعة النفس البشرية التي يثيرها الصراع بين قوتين ، يؤكد هذا عمد الناس في كل زمان ومكان إلى اختلاق صنوف شتى من الصراع ، سواء كان صراعا قتاليا كمبارزات السيوف ، أم صراعا رياضيا كمباريات الكرة والملاكمة والمصارعة ، أم صراعا كلاميا كأشعار النقائض والمناظرات الأدبية .

وبهذا يبدو لنا البعد التأثيري للحوار الذي أبان عن علل من علل الاختيار ، نتقل الآن إلى الكشف عن علل أخرى تتمثل في الوظائف أو الأبعاد التي حققها هذا الأسلوب<sup>47</sup>.

### من وظائف الحوار في الخطاب القرآني :

مثل الحوار القرآني القوة الدافعة للحركات الداخلية (النفسية) والخارجية ، ففيه إخراج لخبايا النفوس ، وكشف عن طوايا الصدور ، ثم أخذ الأحداث بما ، وإجراؤها على حسابها ، فيكون بين المواقف والأحداث .

فالتبادل الكلامي بين موسى ، عليه السلام وفرعون مثلا يوجب انفعال الغضب والتحدي عند

الأخير متمثلا في سؤاله الإنكاري قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ يَمْؤَسَى

﴿ ٥٧ ﴾ [ طه 57 ] و يدفعه صراعه الداخلي إلى التحرك السريع المتمثل بحشد السحرة للتصدي

لموسى والسخرية منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ

نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴾ [ طه 58 ] وتحدث المفارقة التي صعقت فرعون وأثارت جنونه

، فقد آمن سحرته بدعوة موسى بعد أن رأوا معجزته البينة قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُحْرًا قَالُوا

عَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قُلْ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ [ طه 70-71 ]

لقد كشفت مقولته : " عامنتم له قبل أن عاجن لكم؟ " الغطاء عن أهم ما يعني فرعون ، وهو الدفاع عن سلطانه ، فليس يهمه الإيمان أو عدمه في هذا الموقف الذي يمس سلطانه ، فيحرك قوة بطشه لشل حركتهم المتمردة : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [ طه 71 ] لقد جسمت مقولته بما فيها من تأكيدات (فلا تقطن ، وأصلبكم ، ولنعلمن) شدة غيظه من سحرته الذين خرجوا عن طاعته أمام الجموع الغفيرة ، كما دلت بوضوح على شدة خوفه من زعزعة سلطانه، فلو كان واثقا من نفوذه لما احتاج إلى حشد كل هذه التأكيدات ، ولما كانت عقوبته بمثل هذه البشاعة إنه يهدد كل من تسول له نفسه باتخاذ موقف مماثل .

ولم تغب أهداف فرعون من كلامه وسلوكه عن السحرة ، فردوا عليه مخاطبين أعماق نفسه قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [ طه 72-73 ]

لقد استهلوا مقولتهم بالاستهانة بطاعته وسلطانه مقدمين الحق عليه ، وقدموا ظهور الحق على ذات الله سبحانه قصدا : "لن نؤثرك على ما جاءنا من البيِّنات والَّذِي فَطَرْنَا" ؛ وفي هذا التقديم تلاؤم مع الترتيب الزمني والعقلي لمعرفة الله والإيمان به ، فظهور الحق سابق في الترتيب الزمني على معرفة الله والإيمان به ، ثم أعلن السحرة تحدي فرعون : "فأقض ما أنت قاض" "ساخرين منه ، مستخفين بتهديده كاسرين توقعه فقد أثبت ردهم فشل فرعون في أن يبلغ من نفوسهم ما يريد ، وأحقوا مقولتهم بما يعمق سخرتهم من فرعون ، فقد عللوا سبب إيمانهم برغبتهم في تطهير أنفسهم من الجريمة التي أجرمها فيهم ، وهي الإكراه على السحر : " إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا

خطاينا وما أكرهتنا عليه من السحر " وأنموا مقولتهم برد على مقولة فرعون لهم (ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقي) فقالوا: "والله خير وأبقى" وهذه المفاضلة ضربة قاسمة للملك فرعون وجبروته. لقد مثلت المحاور السابقة الصراع بين الباطل والحق تمثيلا حاضرا يملأ الأسماع والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه، إننا في هذا الحوار نلتقي الكلمات من فم أصحابها حية نابضة بالمشاعر والأحاسيس، وقد بدت الكلمات متلاحقة متدفقة تجري في خفة واندفاع وتراشق أشبه الرمي بالسهم.

وقفز الحوار في كثير من المواطن بالمتلقي من مشهد إلى آخر طاويا بقفزته الزمان أو المكان أو كليهما، متجاوزا التفاصيل، ليضعه في مواجهة الحدث، إنه الحضور الفوري المفاجئ، الذي ينقلك من موقف إلى موقف في لحظة خاطفة، فترى نفسك في مسرح الحادثة، تشهد ما وقع وما جرى في هذا الموقف وكأنك واحد ممن حضروه أو شاركوا فيه.<sup>48</sup>

ففي سورة طه وجه الله خطابه لموسى وأخيه أمرا إياهم بالذهاب إلى فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنبِأَهُمْ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه 47-48] هذه المقولة التي تلقاها الأخوان من ربهما نجدها تصل إلى سمع فرعون فور تلقيها لها، ونجد فرعون يلقاها بالرد، دون أن يجري ذكر اللقاء بينهما وبين فرعون، أو كيف تمكن أو غيرها من الأمور التي قد يتضمنها الموقف قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه 49] إن هذا الانتقال طوى سردا وحوارات قد ينسجها خيال المتلقي ويعيد خلقها.

ومثله ما جاء في سورة يوسف حيث نقلنا الحوار المتصل الذي وجهه أحد أبناء يعقوب إلى إخوته من مصر إلى أرض كنعان، فإذا به يصل مباشرة إلى يعقوب طاويا المسافات، والكيفية التي ألقى فيها أبناء يعقوب الخبر وصولا إلى رد يعقوب قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْكُمْ فَقُولُوا بَنَاتَانَا بَكَ أَنْتَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْفَرْسَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَضّاً جَمِيلاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

[ يوسف 81 - 83 ] ﴿٨٣﴾

وينقلنا الحوار من عالم الشهادة إلى عالم الغيب في قوله تعالى حاكياً ما جاء على لسان الرجل المؤمن قَالَ تَعَالَى: ﴿٨٣﴾ أَلَيْسَ لِي بِذُنُوبٍ عَظِيمَةٍ كَذَّبْتُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ يَرُدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّهِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٨٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُخَذِّبُنَا مَا نَبْغِي وَإِنْ يَشَاءُ يُجْعَلُنَا عَنَاءً قُلْ أَسْمِعُونِي إِذْ يَدْعُونَ لِلطَّيْرِ إِنْهُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٨٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ بِمَا عَصَوْا رَبِّي وَمَجْعَلِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٨٨﴾ [ يس 23 - 27 ]

فليس بين المشهدين سرد يهين لهذه النقطة ؛ فالرجل المؤمن كأن يوجه كلامه إلى قومه منكراً شركهم ثم وجه كلامه إلى الرسل معلناً إيمانه ، وكأن المتلقي يتوقع رداً من قومه أو من الرسل فإذا يأتي من عالم الغيب مستهلاً بصيغة المبني للمجهول ( قيل ) وهذا يعني أن الرجل قد قتل وبعث وأدخل الجنة ، ولعل في هذه النقطة إبراز للمتلقي لحسن عاقبة الرجل المؤمن ، وسرعة مكافأته بتحويله من دار البلاء إلى دار الجزاء ، إنها تقنية أسلوبية قارة في الحوار القرآني حركت أحداث القصة تحريكا يتجاوز الحدود المتوقعة ، فأثارت تأويلات المتلقي الذي شحذ انتباهه لتعليل هذه النقطة الحوارية ، واستشفاف ما طوته من سرد أو حوار .

كما حقق الحوار القرآني حضوراً في العرض ، إنه يجعل المشهد صورة مسموعة ومرئية دون تدخل ملازم بالسرد أو الوصف ، فيشعر المتلقي بأنه قد صار في بؤرة المشهد ، يسمع الشخصيات تتكلم عن ذواتها دون وسيط ؛ ففي الحوار بعث للمشهد وإخراج له إلى حيز الوجود .

ويصور الحوار القرآني الشخصيات التي أنتجت بأسلوب القرآن ذاته الذي يعلو ولا يسف ، حتى مع تغير الشخصيات ، فلكل شخصية معجمها الحوارية الخاص الذي يبرز جلياً ويختفي اختفاء كاملاً حسب السياق ، وتضفي هذه الخصوصية ظلالها على تركيب الجملة الحوارية أيضاً ، وتمثل الدراسة هنا على تنوع الحوار حسب تنوع المعجم الحوارية بالقطعات الحوارية الآتية التي أنتجت مجموعة من الشخصيات مختلفت صفاتها وتنوعت طبائعها:

وتستهل الدراسة بعدد من مقولات خصوم الأنبياء التي توحى مفرداتها بالغضب والتهديد والضيق ، فها هو آزر يهدد ابنه إبراهيم قائلا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمُ بَنِينَ لِمَ تَتَّبِعُهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ [مريم 46]

ويبرز هذا العنف في مقولة الملأ الذين استكبروا من قوم شعيب : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعْبِئِكَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَكِينٍ ﴿٨٨﴾ [الأعراف 88]

وهاهو فرعون يهدد السحرة ويتوعددهم بعد أن أعلنوا إيمانهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصِلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ [الشعراء 49]

فالملح اللغوي البارز في مقولة هؤلاء استخدام أسلوب التوكيد بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة ، ويوحى هذا الأسلوب بعنفهم وغضبهم الشديدين ، وضعفهم الداخلي الذي يدفعهم إلى إسكات الطرف الآخر بالقوة .

وترددت في حوارات المعذنين في جهنم مفردات عكست انفعالهم وصراعاتهم الداخلية والخارجية ، أبرزها المفردات الدالة على التحاصم وتشمل : السب واللعن والتكذيب والبراءة والاثام والنفي ، ومن هذه المفردات ما جاء في الحوارات الآتية قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلَقُوا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ [النحل 86]

وقال تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَنَنْصُرَنَّكُمْ عَنِ الْهَيْدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ سبأ 32. و قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ إِلَيْهِمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْشُرُونَ قَدَمَهُمْ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ [ص-59-69]

وللأنبياء والصالحين في الحوار القرآني مفرداتهم المميزة ، وعباراتهم الخاصة منها : (يا قوم ، اعبدوا الله ، اتقوا الله ، لا أسألكم عليه من أجر ربنا ، أطيعون ، إني لكم رسول أمين ، ألا تتقون ) إنهم يدورون في محور الدعوة إلى الله ، ولهذا الدعوة مفرداتها التي يتنازعها أفرادها في كل زمان ومكان .

كما عكس الحوار انفعالات أطرافه وتفاوتها ، واستوعب أسلوبه آثارها ، فالناظر إلى أسلوب الجمل الحوارية يدرك انفعال أصحابها ، وهذا ما ستحاول الدراسة إيضاحه في حديثها عن أسلوبية مكونات الحوار وخصائصه ، فالمثيرات التي يتعرض لها الإنسان كالخوف والغضب والتحدي والسخرية والفرح وغيرها تنعكس في عباراته فيلجأ إلى الحذف أو التكرار أو التقديم والتأخير أو التأكيد أو غيرها من التشكلات الأدائية ، وبهذا يكون الحوار القرآني قد حقق أبعادا عميقة وأدوارا هامة في النص القرآني عامة ، وفي القصة القرآنية خاصة ؛ فهو باعث الحياة والحركة في الحديث وهو مؤدي الهدف ، ومظهر المغزى ، وكاشف الصراع ، وترجمان الشخصية ، ومحقق الحضور .

أطوال الحوارات القرآنية : إن الخطاب القرآني يذهب بالأسلوب الحوارية كل مذهب ، و يلونه ألوانا مختلفة ، حسب مقتضى الحال ، وداعية المقام فقد طالت الحوارات في عدد من المواطن ، وجاءت بمجملات قصيرة في مواطن أخرى وتحدد الدراسة مفهوم طول الحوار بركيزتين ؛ الأولى : امتداد المشهد الحوارية ؛ فقد تردد الكلام ومواجهته بين أطراف الحوار ، فلا يقتصر على مقولة المرسل ورد المستقبل عليها ، وإنما يتبع الرد رد وهكذا وصولا إلى مقولة تحسم القضية (مثار الحوار) وقد يتكون المشهد الحوارية من مراجعة واحدة فيبدو مجملات قصيرة .

أما الركيزة الثانية المعتمدة في تحديد طول الحوار فتتمثل في طول المقولة الحوارية ؛ فقد تكون المقولة الحوارية الصادرة عن أحد الأطراف طويلة فيها تفصيل وتوضيح يستلزمها السياق ، وقد تكون قصيرة خاطفة قليلة العناصر . يقول عبد الكريم الخطيب : " يذهب القرآن الكريم بالأسلوب الحوارية كل مذهب ، و يلونه ألوانا مختلفة .. فهو يختصر الأحداث ، و يعرضها عرضا سريعا ، تطوى فيه التفاصيل ، و تعنى فيه الإشارة اللاحقة ، و اللمحة الدالة عن العبارات المبسوطة ، و الأساليب الكاشفة ... و أحيانا يفصل الأمر تفصيلا ، حيث لا يكون غير الكلمة ما يعني غناها و يسد مسدها .. و فيما بين الأمرين درجات متفاوتة .. في الإيجاز و التفصيل ... " <sup>49</sup>



من المشاهد الحوارية الممتدة ، الحوار بين الله وموسى عليه السلام في سورة طه ، ففيه تفصيلات الدعوة التي حملها الله لموسى وتعدد النعم التي منها عليه وحوار موسى مع الخضر — عليه السلام — ، وحوار موسى مع بني إسرائيل في سورة البقرة ، وقد جسمت المراجعة فيه طبيعة بني إسرائيل الجدلية ، والحوار بين الله وإبليس في سورة الأعراف الذي امتد كاشفاً حقد إبليس على آدم وبنيه وتصاعد هذا الحقد ، والحوار بين نوح وقومه في سورة هود ، وفي امتداده تصوير لمقدار الجهد الذي بدله نوح في الدعوة وإخاحه على قومه الذين أصروا على الكفر .

ومن المشاهد الحوارية المقتصرة على مراجعة واحدة للحوار بين مالك والمعذنين في نار جهنم ، والحوار بين الله والذي حشره أعمى يوم القيامة ، ولعل صدور الكلمة الفصل حال دون الإطالة ، فلا مجال للمفاوضة أو المساومة

وقد يكون انعدام الصراع بين طرفي الحوار سبباً في قصر المشهد الحواري ، فالصراع — غالباً — ما يؤدي إلى تناوب الكلام بين الفريقين ، ومن الحوارات التي اختفى فيها الصراع لانحسام القضية وعدم الخوض فيها ، ما جاء في حوار زكريا مع مريم قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ نَمِيمٌ أَنْتَ لَئِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [ آل عمران 37 ]

وحوار عيسى مع الحوارين قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا بِطَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ [ الصف 14 ]

ومن الحوارات المكررة ما يكون ممتداً في موطن وقصيراً مجملًا في موطن آخر ، فحوار موسى مع فرعون في سورة الشعراء جاء ممتداً مفصلاً ، بينما جاء الحوار ذاته في سورة النازعات قصيراً موجواً ، ويمكن تعليل هذا بترتيب التزل ، فسورة الشعراء نزلت قبل سورة النازعات وقد فصل فيها الحوار بين موسى وفرعون فاستغنى عن ذكر هذه التفصيلات في سورة النازعات .



وقد يحدث عكس ذلك فيأتي الحوار الأول مجملا ، ويأتي الحوار المكرر مفصلا ثمنا ، ومثاله مجيء حوار إبراهيم مع قومه في سورة الصافات مجملا مختصرا ، بينما جاء مفصلا ومضيفا ما هو جديد في الموضوع والمفردات في سورة الأنبياء .

وكذلك الأمر بالنسبة للمقولات الحوارية ؛ فمن المقولات الحوارية القصيرة رد أهل النار على سؤال أهل الجنة في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا

رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [الأعراف 44] و لعل حالة الألم والحسرة واليأس حالت دون امتداد مقولة أهل النار فتمثلت في حرف الجواب (نعم) وقد يدل قصر المقولة على الإقرار والإذعان ، ومثالها رد إبراهيم على مقولة

ربه في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ [البقرة 131]

وتطور المقولات الحوارية متسع للتفصيلات والتوضيحات ، ومثالها مقولة الله لعيسى ، عليه السلام في سورة المائدة ، ففيها تفصيل يتناول النعم التي أسبغها الله على عيسى ردا على الشبهات والافتراءات التي أحيطت به ، كما تضمنت المقولة الحوار الذي بين عيسى والحوارين الذي بين عيسى والله عز وجل .

ومن المقولات الحوارية المكررة ما تطول في موطن ، وتختصر في موطن آخر وتجمل ، ومثالها مجيء مقولة هود عليه السلام لقومه في سورة الشعراء طويلة استوعبت تفصيلات دعوته وتعداد نعم الله عليهم التي تستوجب منهم عبادته وحده ، بينما اختصرت مقولة هود في سورة المؤمنون مقتصرة على طلبه من قومه أن يعبدوا الله ويتقوه<sup>50</sup> ، وللدراسة وقفة أخرى عند الفاصلة الحوارية من زاوية إيقاعية ، و لعل مستوى الصورة الحوارية في الخطاب القرآني كفيلا أيضا بإجلاء بعض الجوانب من هذه القضية .

## الهامش :

- 1 — ابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب المحيط ، تقديم الشيخ عبد الله العلابي المجلد 2 دار الجليل، سنة 1988 بيروت لبنان ص 856 .
- 2 — أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي : الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، إعداد عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ط 2 سنة 1993 بيروت ص 419 .
- 3 — عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية ، دار الكتاب العربي الجديد المتحدة ط 1 سنة 2004 بيروت لبنان دار الكتب بنغازي ليبيا .
- 4 — موفق الدين ابن يعيش : شرح المفصل عالم الكتب ص 35 .
- 5 — عبده الراجحي : النحو العربي و الدرس الحديث ، دار النهضة العربية بيروت سنة 1986 لبنان .
- 6 — jean du bois et autres , dictionnaire de linguistique , librairie larousse , imprimerie berger , levrault , nancy , France , edition 1982 p 156 , 157 .
- 7 — de saussure, cours de linguistique générale Payot , Paris P10
- 8 — سعيد اليقطين : تحليل الخطاب الروائي ( الزمن ، السرد ، التنوير ) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ص 17 .
- 9 — المرجع نفسه ص 19 .
- 10 — المرجع نفسه ص 23 .
- 11 — المرجع نفسه ص 24 — 25 .
- 12 — محمد شوقي الزين : الخطاب و إعلان الحاضر ، تجربة الفكر عند فوكو ، التعليق الحقيقة و دائرة الصدق ، كتابات معاصرة ، ( مجلة الإبداع و العلوم الإنسانية ) العدد 38 المجلد 10 آب — أيلول ، سنة 1999 بيروت ص 52
- 13 — تريفيتان تودوروف ، ميخائيل باختين : المبدأ الحوارية ، ترجمة فخري صالح — من الإنجليزية — ط 3 مكتبة الأسد دمشق ط 3 سنة 1996 ص 69 .
- 14 — المرجع نفسه ص 90 .
- 15 — المرجع نفسه ص 92 .
- 16-TODOROV et M. Bakhtine : Le Principe "Dialogique "écrits du cercle de Bakhtine , Paris édit de Seuil 1981 P
- 17 — ميخائيل باختين : الخطاب الروائي ، ترجمة محمد برادة ، دار الأمان للنشر و التوزيع ، الرباط سنة 1987 ص 39 — 46 — 48 .
- 18 — رولان بارت : التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة حسن بحراوي ، بشير القمري ، عبد الحمد غفار ( آفاق ) مجلة دورية ، يصدرها اتحاد كتاب المغرب ، طرائق التحليل السردية الأدبي ، الرباط العدد 8 — 9 سنة 1989 ص 8 — 9
- 19 — حمد حمد أحمد : الخطاب الإلهي و كيف تلقته أفهام المخاطبين ( المجلة العربية للعلوم الإنسانية ) جامعة الكويت العدد 57 السنة الخامسة عشر شتاء 1997 ص 134 — 135 .

- 20 - المرجع نفسه ص 137 .
- 21 - عمارة ناصر : اللغة و التأويل مقاربات في الهرميوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي دار الفارابي ط 1 سنة 2007 بيروت ص 107 .
- 22 - المرجع نفسه ص 134 - 135 .
- 23 - جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي : المزهري في علوم اللغة و أنواعها ، ضبط و تصحيح : فؤاد علي منصور ، المجلد الأول دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 1998 ص 38 .
- 24 - إبراهيم بن موسى الشاطبي : الموافقات ج 3 ص 310 . تحقيق عبد الله دراز دار المعرفة بيروت .
- 25 - المرجع نفسه ص 310 .
- 26 - محمد مفتاح : دينامية النص تنظيرا و إنجازا ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2 سنة 1990 ص 196 .
- 27 - عمارة ناصر : اللغة و التأويل ص 100 - 101 .
- 28 - محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ط 4 بيروت سنة 2002 ص 162 .
- 29 - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، شرح و تعليق خليل عبد الكريم ، مؤسسة الأنتشار العربي ط 4 سنة 1999 لندن ، بيروت ، القاهرة ص 468 .
- 30 - المرجع نفسه ص 123 .
- 31 - سهيل فوز كامل نزال : لغة الحوار في القرآن الكريم ط 1 سنة 2003 دار الجوهرة عمان ص 32 .
- 32 - فضل حسن عباس : القصص القرآني إنجاز و نفاحاته ، شركة الشهاب للنشر و التوزيع ، الجزائر سنة 1989 ص 296 .
- 33 - محمد حسن فضل الله : الحوار في القرآن ج 2 دار منصور للنشر و التوزيع قسنطينة ص 17 - 18 .
- 34 - المرجع نفسه ص 47 .
- 35 - المرجع نفسه ص 98 .
- 36 - نزيه محمد اعلاوي : الشخصيات القرآنية ، دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع سنة 2006 ط 1 ص 389 .
- 37 - المرجع نفسه ص 152 .
- 38 - أحمد محمد الشرقاوي : المرأة في القصص القرآني دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة سنة 2001 بيروت ص 39 .
- 39 - محمد حسن فضل الله : الحوار في القرآن الكريم ج 1 ص 75 .
- 40 - محمود البستاني : دراسات فنية في القصص القرآني ، دار البلاغة للطباعة و النشر و التوزيع سنة 1989 بيروت ص 405 .
- 41 - أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ص 323 .
- 42 - لغة الحوار في القرآن الكريم : ص 78 .

- 43 - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ص 323 .
- 44 - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ص 121 . 45 - عبد الخليم حفني : أسلوب  
المخاطبة في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 3 سنة 1995 ص 30 - 31 .
- 46 - المرجع نفسه ص 51
- 47 - المرجع نفسه ص 46
- 48 - لغة الحوار في القرآن الكريم : ص 87
- 49 - القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ص 124 - 125 ,
- 50 - لغة الحوار في القرآن الكريم : ص 95 .

عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

# الخطاب الثاني

بنية الصورة الحوارية في الخطاب القرآني

جامعة الأمير  
العلوم الإسلامية

# المفصل الأول

– أسلوبية الصورة الفنية ، طبيعتها ووظيفتها

– ملامح التصوير في الخطاب العواري

جامعة الأزهر  
مركز الدراسات والبحوث  
للعلوم الإسلامية

## بنية الصورة الفنية في الحوار القرآني

برز في تاريخ الدراسات الإسلامية و العربية علماء أفذاذ ، و أدباء ذواقون ، طوفوا حول كتاب الله و آياته البينات، و ارتشفوا من رحيقه ، و تغلغلت في أعماق قلوبهم صور بيانه ، و سمعت يعقولهم و أفكارهم حكمه و أحكامه ، و كان من ضمن هؤلاء العلماء أهل البلاغة والبيان، الذين رأوا في روعة التصوير و دقة التعبير في القرآن ، بل و من دلائل الإعجاز في هذا الكتاب الخالد ، ما جعلهم يعكفون على دراسته ، و محاولة استخلاص ما يمكنهم التعرف عليه أو التوصل إليه من مقاييس الجمال ، و برز من هؤلاء العلماء كثيرون ، أمثال : " أبو الحسن الرماني " الذي راعته بلاغة القرآن فألف " النكت في إعجاز القرآن " و عرف البلاغة بأنها " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ " و عبد القاهر الجرجاني الذي كانت قضية الإعجاز حافزه القوي في هذا المجال ، حيث أخذ يتفرس التراكيب محاولا التعرف على ما فيها من " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز "

و لم يكن الرماني و لا عبد القاهر الجرجاني وحدهما في هذا الميدان — ميدان الدراسات القرآنية — فقد تعدد الدارسون قبلهما و بعدهما ، و كل أدلى بدلوه في هذا المعنى الفياض ، يغترف منه ، و كل أبلى بلاء حسنا في حدود طاقته و إمكاناته و اتجاهاته .

و من ثم تعرفت الصورة الأدبية على أروع سماقها و أبرز خصائصها، من الصور القرآنية، و إن كان النموذج الأعلى و هو الخطاب القرآني، قد تفرد بالإعجاز .

سنحاول في هذا الفصل من الدراسة التحليل مع آيات الله في ملكوته، و التملي مع رائع بيانه، و باهر إعجازه، و ذلك بالتركيز على الصورة الفنية في الحوار القرآني المكي منه.

في فصل سابق تناولت الدراسة نسبة توزع الحوار في الخطاب القرآني بين المكي و المدني ، حيث حصل القسم المكي منه على ألف و ثلاثمائة و ست و تسعين آية ، و لعل السبب الأكبر يرجع إلى ارتباطه بالقصص القرآني كأداة تأثير فاعلة في توجيه الرسول الكريم و أتباعه و منتهه فإن الصورة الفنية في الحوار القرآني المكي يبلغ عددها ( 133 ) صورة بيانية استعارة كانت أو تشبيها ، مجازا أو كناية ، كما أن الصورة في الحوار القرآني تتجلى من خلال المشهد العام الذي

يتغلغل في مخيلة متلقيه أي من خلال الصورة التي تتولى نقل التجربة أو المشهد ، و تقوم بترجمة المعاني و الأفكار لا في الصور البيانية و المحسنات البديعية فحسب .

و قبيل أن نخوض هذه الدراسة في تناول تجلي الصورة الحوارية في المنجز الحوارية القرآني ، يحسن إلقاء الضوء على أهم القضايا المتعلقة بالصورة الأدبية من حيث طبيعتها و وظيفتها في الخطاب الأدبي و أهميتها في عملية تلقيه ، و من ثم تجلياتها في الخطاب الحوارية القرآني ؟.

بالعودة إلى تراثنا النقدي العربي القديم نجد أن العلماء العرب الأجلاء انتبهوا إلى أهمية الصورة الفنية ، و تعد عبارة الجاحظ الشهيرة ، أهم إشارة إلى أسبقية العرب إلى استخدام مصطلح التصوير يقول : " ... فإنما الشعر صناعة و ضرب من النسيج و جنس من التصوير ... " <sup>1</sup>

وعنه أخذها قدامة بن جعفر يقول : " إذا كانت المعاني للشعر بمثابة المادة الموضوعية و الشعر فيها كالصورة .... " <sup>2</sup> إلى أن يأتي عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري أين وسع نظرة سالفه ، و كان أكثر من تعرض إلى مفهوم التصوير و الصورة من النقاد العرب و قد استند إلى الجاحظ و أقر باستفادته المصطلح منه ، يقول : " ... وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيء نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، و يكفيك قول الجاحظ " و إنما الشعر صناعة و ضرب من التصوير .. " <sup>3</sup>

وجد الجرجاني في مصطلح الصورة حلا لإشكاليتين واجههما النقد العربي قبله هي المفاضلة بين اللفظ و المعنى ، و تكرار المعاني عند الشعراء ، و كان الجاحظ قد قال بأن الشعر صناعة و جنس من التصوير في إطار تفضيله لفظ الشعر على معناه لأن المعاني في رأيه " مطروحة في الطريقتين ، يعرفها العجمي و العربي ، و البدوي و القروي و المدني ... و إنما الشأن في إقامة الوزن ، و تخير اللفظ ، و سهولة المخرج ، و في صحة الطبع و جودة السبك ، فإنما الشعر صياغة ، و ضرب من النسيج ، و جنس من التصوير . " <sup>4</sup> فسيبيل الكلام الأدبي عند الجاحظ — إذا — هو سبيل التصوير و الصياغة ، و قد كانت عناية الجاحظ بالمعنى و اللفظ و الصياغة لجلاء الصورة الفنية ، التي هي أشد الارتباط بهذه العناصر ، و انتهت آراء الجاحظ و غيره إلى عبد القاهر الجرجاني إذ نراه يتفق مع الجاحظ في عنايته بالصياغة و ذلك حين يقول : " : فأعلمك أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه ، و أنه إذا عدم الحسن في لفظه و نظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة "



الجرجاني ، ثم يقول في موضع آخر : " و معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصياغة ، و أن سبيل الشيء الذي يقع التصوير و الصوغ فيه ، كالفضة و الذهب ، يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم ، و في جودة العمل و رداءته — أن ننظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه العمل و تلك الصنعة ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل و المزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه ، و كما أن لو فضلنا خاتما على خاتم ، بأن تكون فضة هذا أجود ، أو فضة أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه — ألا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر و كلام "5 و من دلالة هذا النص الواضح من عبد القاهر ، يتضح لهذه الدراسة أنه لم يرتض رأي من رجحوا المعنى على اللفظ ؛ بل كان من أنصار الصياغة ، و في التشبيه الذي أورده تصوير لفكرته تصويرا كاملا من ناحية المعنى و الصوغ ؛ فالصياغة هي التي يتفاضل بها الكلام ؛ لأن هذه الصياغة صورة للمعنى ، و اختلافها يدل على معان مختلفة ، و الموازنة بين هذه المعاني يمكن المفاضلة بينها ، و ترتيبها من حيث الجودة و قوة التأثير .

وبذلك يلتقي الجرجاني بالملاحظ ، في أن أساس التفاضل بين صناع الكلام ليس هو المعنى الذي يورده الأديب ؛ و إنما يتفاضلون بحسن الصياغة ، و إقامة الوزن و تخير الألفاظ و جودة السبك . إلا أنه لم يقف في هذه المسألة حيث وقف الملاحظ ، فهو أولا يبدو كأنه يحدد ما يراد هنا بالمعاني المجردة فيقول : " إن كان العمل على ما يذهبون إليه من أن لا يجب فضل و مزية إلا من جانب المعنى و حتى يكون قد قال حكمة أو أدبا أو استخراج معنى غريبا " ، و هو من ناحية ثانية يضع " الصورة و " النظم " بدل " تخير اللفظ " .

و من هنا يمكن القول بأن مصطلح الصورة عند الجرجاني يعني " الصيغة الفنية للمعنى من حيث الفهم الاصطلاحي ، و من حيث الدراسة ، و على هذا الأساس اهتم الجرجاني بالصياغة في تحليل الصورة و فهم أبعادها "6

و يرى عبد القاهر الجرجاني أن الفرق في المعاني ، و لا سيما الشعر بين بيت و آخر يكمن في ما يسميه " صورة المعنى " التي تنطبع في العقل ، لأنها كالصورة التي يراها البصر فيلتقط الفارق بين أفراد الجنس الواحد ، و يؤكد أن مادة الشعر ليست معاني مجردة بل المعنى هو

الصورة التي انتفى إمكانية الفصل فيها بين المادة و الشكل ، و هنا يعرف ما يعنيه بالصورة يقول : " و اعلم أن قولنا " الصورة " إنما هو تمثيل و قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البيئونة بين أحاد الأجناس التي تكون من جهة الصورة ، فكان بين إنسان من إنسان و فرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك... "

و تعد قضية ربط الصورة بالمجاز و بالنظم أهم القضايا التي انتبه إليها عبد القاهر الجرجاني ، يقول : " و جملة القول أن صورة المعاني لا تتغير بناها من لفظ إلى لفظ ، حتى يكون هناك اتساع و مجاز ، و حتى لا يراد بالألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ، و لكن يشار بمعانيه إلى معاني آخر ، و اعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحدا ، فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى ، و هذا ما أسماه " المعنى " و " معنى المعنى " ، حيث المعنى هو المفهوم من ظواهر اللفظ ، و الذي تصل إليه بغير واسطة ، و معنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر <sup>7</sup> و لعل ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني قريب مما يقوله الآن أصحاب نظرية أفعال الكلام ، حين يبحثون في المعنى المباشر و المعنى الإستعاري و المعنى المفارقي ، و الفعل الكلامي غير المباشر ، و يظهرون ما بينها جميعا من فروق و تشابهات . " إن أبسط حالات المعنى ، هي تلك التي يلفظ فيها المتكلم بجملة ، و يعني ما يقول تماما و حرفيا ، في مثل تلك الحالات يعتمد المتكلم على إنتاج تأثير إنجازي أو وظيفي في المستمع ، و هو يعتمد على حمل المستمع على تعرف مقصده ، لتحقيق هذا المقصد ، و هو يعتمد على حمل المستمع بالقوانين التي تحكم منطوق هذه الجملة ، و لكن ليست كل حالات المعنى بهذه البساطة ؛ فني الإلماع و التلميح و اللمز ، و المفارقة ، و الاستعارة ينفرد معنى المنطوق عن معنى الجملة على أنحاء متنوعة <sup>8</sup> . و إذا كان عبد القاهر في نصه السابق أشار إلى أننا في إفادة الغرض الذي نعنيه لا نقف عند مجرد اللفظ ، بل إن السامع يعقل من المعنى الظاهر ، معنى ثانيا على سبيل الاستدلال ، فإن أصحاب نظرية أفعال الكلام يطرحون إشكالية كيف يكون ممكنا أن نقول شيئا و نقصد شيئا سواه ؟ كيف ينجح المرء في إبلاغ ما يعنيه ، على الرغم أن كلا من المتكلم و المستمع ؛ يدرك أن معاني الكلمات التي ينطقها المتكلم لا تعبر تماما و حرفيا عما يعنيه هذا المتكلم ؟ إنهم

يبحثون الآن ، في الحالات التي ينقطع فيها معنى المنطوق عند المتكلم عن معنى الجملة الحرفي، نحو الاستعارة ...

و حتى يستطيع المتكلم إقامة الاتصال مستخدماً منطوقات استعارية فلا بد من توفر بعض المبادئ، تبعاً لمقدرة المتكلم على أن يعي أكثر مما يقول ، أو يعني شيئاً مختلفاً عما يقوله .<sup>9</sup>

ولعل عبد القاهر عندما التفت إلى دور النظم في جمال التعبير — يكون قد تأثر بما سبق أن أعلنه الخطابي في " بيان إعجاز القرآن " عندما تكلم عن مقومات الكلام البليغ ، وهي اللفظ والمعنى و النظم ، قال الخطابي : " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، و رباط لهما ناظم ، و إذا تأملت القرآن، و جدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه ، و لا ترى نظماً أحسن تأليفاً و أشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه ، و أما المعاني فلا يخفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها الفحول بالتقدم في أرواها ، و الترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوها و صفاها " <sup>10</sup> كما عقد الخطابي الفرق بين القرآن و غيره من الكلام ، فيقول : " و قد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرع في أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه — فلا توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، و أحصى كل شيء عدداً .

11»

و سواء تأثر عبد القاهر بالخطابي في ذلك أو لم يتأثر به — فإن عبد القاهر قد أوضح الفكرة، وعلل لها ، و ضرب الأمثلة تدليلاً عليها ؛ لكي يبين أن الفضل إنما يعود إلى ارتباط الكلمات بعضها ببعض ، و إلى ما بين معاني بعضها و بعض من الاتصال و التلاؤم ، و من ثم نراه يستشهد بقوله تعالى : " و قيل يل أرض أبلعي ماءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي و قيل بعدا للقوم الظالمين "

فيقول : " و هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى — فتحلى لك منها الإعجاز ، و بهرك الذي ترى و تسمع — هل تشك أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة ، و الفضيلة القاهرة ، إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، و أنه لم يعرض لها الحسن و الشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، و الثالثة بالرابعة .. و هكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها ؟

إن شككت فتأمل : هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أحوالها ، و أفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه و هي في مكانها من الآية ؟

قل " أبلعي " و اعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها ، و إلى ما بعدها ، و كذلك فاعتبر سائر ما يليها ، و كيف بالشك في ذلك و معلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء ب " يا " ، دون أي ، نحو يا أيتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف ، دون أن يقال ابلعي الماء ، ثم أن أتبع نداء الأرض ، و أمرها بما هو من شأنها — نداء السماء ، و أمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل " و غيض الماء " فجاء الفعل على صيغة [ فعل ] ، الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر ، و قدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك و تقريره بقوله تعالى : " و قضي الأمر " ، ثم ذكر ما فائدة هذه الأمور ، و هو " و استوت على الجودي " ، ثم إضمار السفينة قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة ، و الدلالة على عظم الشأن ، ثم مقابلة " قيل " في الخاتمة بقيل في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة ، و تحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها ، تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع و حروف تتوالى في النطق ؟ أم أن كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب " الجرجاني بهذه القراءة الدقيقة من عبد القاهر يتبين لهذه الدراسة إلى أي حد لقيت قضية اللفظ و المعنى من العناية و الاهتمام ، و إلى أيهما يرجع الجمال.

و تناول الجرجاني مقولة " الانحراف عن الأداء المؤلف المتمثل في [ التجوز ] ، و يقدم تفرقة دلالية لها أهميتها ، حيث يلحظ وجود نمط دلالي أولي في المستوى المستقيم أطلق عليه " المعنى " ثم نمط دلالي مولد في مستوى منحرف أطلق عليه " معنى المعنى " ، و النمط الأخير يستمد قوامه من ركيزتين ، تتصل إحداهما بالصياغة اللفظية ، و الأخرى بحركة العقل و قدرته الاستنباطية " <sup>12</sup> و تعد الاستعارة من بين البنى البلاغية التي عنى بها عبد القاهر و هي وسيلة بلوغ [ الشرف الفني ] إذ هي بطبيعة تكوينها تحتاج إلى قدرات في المبدع توازي مواصفات المتلقي ، و بينهما يجري الأسلوب ، أو الأساليب ، مشحونا بهذه الطاقة العدولية الهائلة " و اعلم أن هذا الضرب هو المترلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، و يتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها و تصرفها ... "

و من الأهداف الهامة التي ارتآها البلاغيون للصورة الفنية التزيين و التحسين ، ذلك لأن المعاني موجودة معروفة من قبل ، و كل ما تفعله الصورة هو تزيين تلك المعاني ، و تجليتها ، و من ثم فهو أمر هامشي يمكن أن يحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى الذي تحسنه أو تزينه . و من الأغراض الهامة للصورة الفنية عند القدماء أيضا الإيضاح أو التبيين ذلك أن المعاني لشرفها و لطفها بحاجة إلى ما يجعلها أكثر بيانا و ظهورا لذا تأتي الصورة مجسدة للمعنى الذي يدرك بالعقل في اللفظ الذي يدرك بالحس و يتضح به ، و المدرك بالطبع يفضل المستفاد من جهة الفكر والنظر في القوة والاستحكام و الوضوح "13" و من الأغراض التي تحققها الصورة في نظر القدماء أيضا الإثبات أو التأكيد ، ففي الكناية مثلا و هي من وسائل البيان يعتمد إلى إثبات الصفة بإثبات دليلها ، و هي إلى جانب استخدامها للإيضاح أو الإثبات أو التزيين تستخدم كذلك للمبالغة والإيجاز و التوكيد و نحوها من الأهداف التي تعطي للصورة أية إمكانية من إمكانيات الخلق الفني .

و المتأمل في التراث النقدي و البلاغي يتجلى له أن الوسيلة الرئيسة لصنع الصورة هي المجاز ، فالجهاز هو السبيل إلى الارتقاء فوق المستوى المؤلف للغة ، و تجاوزه إلى مستوى آخر جديد و المجاز في أبسط و أدق تعريف له " الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب ، على وجه يصح ، مع قرينة عدم إرادته " 14 إن الانحراف باعتباره عاملا رئيسا في حركة البنية المجازية ، يمارس دورا مزدوج القيمة الحركية و التحويلية ، أو الانتقالية .....

— ثنائية الحضور و الغياب [ السببية ]

— ثنائية التمدد و الاختزال : [ الجزئية و الكلية ]

— ثنائية التقدم و التراجع : [ الكلية و الجزئية ]

— ثنائية الغاية و الوسيلة [ المستقبلية و المسببية ]

— ثنائية الأفقي و الرأسي : [ الحالية و المحلية ] 15

تمحورت أبحاث البيانين حول أربعة مباحث رئيسة هي : التشبيه ، و الاستعارة و ، الكناية ، و المجاز المرسل . و لاشك أن هذه المباحث تشتمل بين جنباتها على أشكال متعددة و أنماط متباينة

للاختراف و التجاوز الأسلوبيين . ، و هذا التقسيم لمباحث البيان يدل على أنهم أدركوا نوعين من أنواع العلاقات بين الكلمات ، العلاقات الرأسية و العلاقات الأفقية ، أو كما يقول [ جاكوبسون ] علاقة التشابه و التجاور .

### أسلوبية التصوير في الخطاب الحوارى :

إن الصورة الفنية الجميلة ترتبط ارتباطا لغويا و خياليا بالتعبير الحسى ، و هذا يؤدي إلى تعميق الدلالة و توضيحها .. و يصبح المعنى الحوارى غنيا و مؤثرا في النفس و جمال التصوير فى الحوار القرآنى ناتج عن تضافر الملكات الذهنية و الحسية تضافرا كاملا ، و الصورة الفنية وسيلة مسن وسائل التعبير القرآنى و منهجه التعبيرى المعجز .

والتصوير فى الحوار القرآنى منهج متكامل و ظاهرة متميزة و متفردة ، إن التصوير يحول الألفاظ إلى صور عامرة بالحياة و الحركة. " تصوير تقاس فيه الأبعاد و المسافات ، بالمشاعر و الوجدانات ، فالمعاني ترسم و هي تتفاعل فى نفوس آدمية حية أو فى مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة "16 ، إن أسلوبية التصوير فى الحوار القرآنى هي التي جعلت للمعاني و الأغراض و الموضوعات القرآنية صورها التي نراها ، و هي صورة تختلف تماما عن نقل المعاني فى أداء تجريدي أو صورة ذهنية .. ، إنما تسعى حثيثة إلى مخاطبة الذات ككل .. الحس و الوجدان معا . و لتأمل هذا النموذج الحوارى الذى يؤكد عمق التصوير كأداة فنية مميزة فى القرآن الكريم و هو مشهد حوارى يصور حركة طبيعة مغموسة فى مشاعر إنسانية مضطربة ، هذا المشهد يكثفه .. الطوفان.. فى قصة نوح عليه السلام —

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا وَفَرَسْنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ

الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءِ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ

عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [هود 40 - 44]

هذا مشهد حوار قصصي في المقام الأول بلغ فيه الأداء التصويري حدا رائعا من الإعجاز، فثمة موقف قصصي يجري في ساحة تتفجر بالتحدث... و شملت مفردات الحدث، الطبيعة و الإنسان، و وشى الموقف القصصي بمشاعر الأبوة الملهوفة، و البنوة المعاندة... و يشمل المشهد كله الأمر الإلهي ، بالفعل و بالكف عن الفعل في جلال و كمال يليقان به .

فها هي عيون الأرض تتفجر ماء و تفيض ، و السماء تفتح أبوابها و ينهل المطر غزيرا ، و طغى الماء ، و علا حتى غطى كل الجبال المرتفعة و جاء الأمر الإلهي إلى نوح ... أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين . و سارت السفينة تصارع الموج المتلاطم محروسة في مجراها و مرساها برعاية الله ، و الأمواج تصنع الدوامات ليقترب الكافرون فيها ، و ليس لهم منجاة من الموت مهما صارعوا الموج و هربوا منه .

و هذا الهول الذي يحيق بالناس ، ينبت هولاً جديدا حين يبصر نوح ابنه فيدعوه أن يركب معه ، فعواطف الأب التي تحركت في قلبه جعلته يتلفه على ابنه ، و يناديه لعل نداءه يصل إلى مكان الإيمان من قلبه فيؤمن الابن أو يذعن ... إنه يناديه في لهفة ، يابني هلم إلى السفينة و لا تكن من القوم الذين غضب الله عليهم .. و لكن الكلمات لا تصل إلى قرارة و جدان الابن العاق ، فيتمادى ، و يصرخ متحديا :

— إنني سأوي إلى جبل مرتفع يعصمني من الماء .

و لم يستمع إلى نصيحة الأب الذي أشجاه المهم فيقرر في حسم "

— يا بني لا عاصم اليوم من أمر الله .

و تعلق الأمواج ، و تبتلع الابن ، و يطوي الماء كل شيء ..

في هذه المحاورة مشهد يمتلي بالحركة و القوة و العنف ، و بلغ التصوير مداه في رصد ذلك كله ... فالموج المتراكم كالجبال في النقل و الضغط و الجرم و الارتفاع ... و حركة الموج تتراكم و تتصلب حتى لتبدو للرائي أنها جبل حقيقي .



و التصوير الحسي في هذه المحاوره يخاطب العين فهي وسينه إدراكية مؤثرة تلتقط أبعاد الهول المرئي في امتداده و صخبه و عنفوانه .. و لتصور السفينة وسط هذا الهول الطبيعي ، و القلب معقود على الإيمان بالله ، و الأمل فيه ، و العيون لا تستعصى على رؤية المشهد بهوله و جبروته و شدته ، و يتوازي مع الهول المادي هول نفسي ...

و لقد أدى التصوير الحي هذه الحركة النفسية أداء بالغاً في الإثارة الوجدانية . فثمة نداء من نوح — عليه السلام — نداء عال كاعلى ما يكون الصوت ، صارخ ، حتى يصل إلى الغيب و اضحا وسط هذا الصخب و التلاطم ... ثم يأتي الحسم بين النداء ، و الإباء ، فجاءت كلمة [ حال ] دلالة على الحجز و المنع ، و هي دلالة إشارية إلى عنف الموج و اضطرابه ، فالموج عاصف لا يأبه بالعاطفة ، إنها في صورة حية مشخصة ، فقد جاء الأمر أن يغرق الموج الكافرين ، و الابن منهم ، فلا مجال للنداء ، و لا ضرورة للاستجابة ، و استوى كل شيء أمام الماء ، الأرض و الإنسان ، فلا الأرض تملك من نفسها شيئاً و لا الإنسان يقوى على المواجهة .

لقد تكافأ العجز في الطبيعة و الإنسان . و هو تأكيد و ترسيخ للقدره الإلهية و العظمة الربانية. و بعد أن وصلت الحركة إلى الذروة أن لها أن تجد قرارها و تستكين ، لقد هدأت العاصفة و بدأ السكون يخيم ، و يتمشى الهدوء ، و تستقر الأرض من جديد ، فلقد جاء الأمر إلى الأرض أن تفيض ففاضت و بلعت ماءها ، و استعادت جأشها و امتثلت لأمر الله ، كما جاء الأمر إلى السماء ، فامتثلت و حجبت ماءها و أقلعت . و قضى الله الأمر و نفذ القضاء . و جاء الأمر حاسماً نقلته أداة النداء [ يا ] المصحوبة بالفعل الطلبي ، المطلوب تحقيقه [ ابلعي — ألقني ] .. في تصوير مشخص و التصوير التشخيصي يجعل السماوات و الأرض منقادة للمشئنه غير ممنعة في التلقي و الأداء كأنهما عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم و جلاله و قدرته ، و تبنوا تحتم طاعته عليهم و انقيادهم له " 17

ثم ينقل المشهد القصصي في أداء تصويري سريع إلى النهاية ، و نقل المشهد سريعاً ، تطلب بلاغياً و نسقياً أن يكون البناء للمجهول [ غيض ] تأكيداً على الفعل نفسه و وقوع حدثه .. إن وقوع الحدث عبر أمر طلبي يستدعي تشخيص المادي بخصائص العاقل الواعي ، فتكتمل الاستجابة و يتحقق المغزى . و كذلك الفعل [ قيل ] مبني للمجهول يحمل اللعنة على

الظالمين ، لعنة ليست آتية من فرد بعينه في زمن بعينه ، وإنما حملت الدلالة العامة الشاملة للإنسان و الزمان و للمكان ، كما أن مجيء أخباره على الفعل المبني للمجهول للدلالة على الجلال و الكبرياء ، و أن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر ، و تكوين مكون قاهر ، و أن فاعلها فاعل " واحد " 18 و القصة تبين موقف الرسل من أقوامهم المعارضين المعاندين ، كما أنها تبرز الغرض الديني من خلال السياق الفني ، في نسق تعبيرى متوازن يجمع بين الغرض الديني و الغرض الفني ... في إطار تصويري بالغ الروعة ، فالمواقف القصصية و المشاهد المصورة ، لم تنقل بطريقة إخبارية و كفي ، و لكنها تنقل بطريقة تصويرية يتحلى فيها جمال العرض وروعة الأداء التعبيري .

و الصورة في الحوار القرآني هي عالم زاخر بالمعاني و الأخيلة و الوجدان ، و المشاعر النفسية ، فتتحرك الصورة الحوارية في أداء تعبيرى معجز ، ترفدها الحركة و اللون ، و الصوت ، و الصورة في تظافر تام ، و التأمل في هذا المشهد الحوارى القصصى الذى يتناول صفة الطمع لا شك

يدرك ذلك ، يقول الخالق : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۗ وَلَا

يَسْتَنْوُونَ ۗ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَيْنَ

أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

وَعُدُّوا عَلَيَّ حَزْبًا قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلُوْا لَكُمْ لَوْلَا

مُسِيحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا

كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [ القلم 17-33 ]

الآيات الكريمة تناول في إطار الاحتضان و التثبيت و المؤازرة، قصة أصحاب الجنة، و قد ضربها الله مثلا لسذاجة التفكير، و شراهة الطمع و عنفوان البطر بالنعم... وهي من هذا الجانب انعكاس بالمثل لحالة أغنياء مكة و كفارها من محمد - صلى الله عليه وسلم أو الفئة المؤمنة الضعيفة

و ربطت بين غرور كفار مكة و تيههم بالمال و الولد... و بين قصة أصحاب الجنة ... ليحدث التأثير و ليصل المعنى المراد إلى هؤلاء المتبشرين بغناهم و عصبيتهم، فعاقبة البطر و الطمع و خيمة، كما أن منع الخير عمن يستحقه، و الاعتداء على حقوق الغير، نتائجه و خيمة أيضا.

و الملاحظ من حيث الإطار القصصي، ذلك التفكير البسيط الذي يسيطر على أصحاب الجنة... إنه تفكير يتسم بالسذاجة و محاولتهم استخلاص الثمر لأنفسهم محاولة بسيطة ، و سلوك يتسم بالسطحية ، و لعل هذا يعود إلى نفسية الناس ، حيث إن أهل مكة في بداية الدعوة الأولى لم تكن نفوسهم شديدة التعقيد فلاءمت البساطة في العرض ، بساطة تفكيرهم الجانح إلى العناد . ، ثم تمضي القصة في نسق متسلسل ، حيث عقد أصحاب الجنة عزمهم على أن يجنوا الثمار في بكرة الصباح ، و العيون نائمة ، و السكون مطبق ، و أقسموا أن لا يتركوا شيئا للمساكين و المحتاجين . و باتوا ليلهم و فكرهم الساذج يشغل وجدانهم و يستحوذ على مشاعرهم... و اطمأنوا لما بيتوه و لكن الله يدبر أمرا غير الذي يدبرون... جزاء على بطرهم بالنعمة و منع الخير عمن يستحقه .. و كانت المفاجأة التي يتوقعونها .. فطاف على الجنة طائف قلع نبتها و أسقط ثمرها و حفف أوراقها و أعوادها ... فبدت في العيون كالمشيم اليابس ... لقد حرموا الجنة و ما فيها .

و يستيقظون مبكرين ، كل ينادي على الآخر ، في عجلة من أمرهم ، يردون الحصاد في غفلة عن الصوت ، و يمضون في سكون و خفوت ، فلا حركة تنبئ عنهم و لا صوت يصدر منهم ... كأنهم أشباح .. و هسيس الصوت الذي لا يبين ينفلت من الشفاه المطبقة في رجفة فعل ، يشي بجرمان أي مسكين من دخول الجنة ، أو أخذ شيء من ثمارها .

و بدا لهم أنهم قادرين على منع العطاء و الخير ... و سرعان ما فوجئوا بما رأوا .. فلقد رأوا عجبا .. و لم يصدقوا أن الجنة الحافلة بالثمار، المترعة بالأوراق الخضراء الندية، الفواحة الزهر .. الجارية الماء ... قد بدت في عيونهم هشيما تذروه الرياح... و ينفلت من داخلهم صوت الخوف ، الراشح بالدهشة ، الميال إلى عدم التصديق ، المأخوذ بالمفاجأة .

— لقد ضللنا . ما هذه بجننتنا أن نكون ضللنا الطريق ؟

و لكن الواقع ينبنى بالحقيقة ، و العين لا تخطئ الرؤية ، فلقد وضع الأمر ... فلما أخطأوا الطريق ... و لكنهم أمام الحقيقة ... محرومون مما عقدوا العزم عليه. محرومون من ثمار كانت يانعة، و حصاد كان وفيرا..

و في غمرة الحدث العنيف، و في هول المفاجأة يقبل بعضهم على بعض يتلاومون.. و يدور الحديث كاشفا نفوسهم ... و ينبري أوسطهم قائلا:

— تلك هي جنتكم، حرمكم الله منها قبل أن تحرموا الفقير المحتاج. و لطالما قلت لكم ، ونبهتكم أن تسبحوا الله ، و تذكروه ، و تحسنوا إلى عبده .. ليتكم مضيتم في طريق أبينا الشيخ ، الذي ما حرم يوما مسكينا و لا منع خيرا الله عن محتاج ..

و في نبرة واحدة، خرج الصوت من صدورهم يحمل حزنا عميقا ، و ندما كاويا .. و اتجهوا إلى الله .

— تزهدت ياربنا عن كل ظلم ، فما حاق بنا نستحقه ، فلقد ظلمنا أنفسنا بأيدينا .

و بدا كل واحد منهم يلقي بتبعية ما حدث على غيره.. إنهم في فوضى العتاب ، يهيلون التهم حيثما ترد ، و كأنما يتصلون عن جرم عالق بهم كالعلاقة . و كل يلوم الآخر ، على ما بيت من رأى . فما من واحد وقف ليردع الآخر بالفعل عما ينوي..

و تخف حدة اللوم ، و يدرك الجميع أن العاقبة السيئة جاءت نتيجة الخطيئة الكبيرة التي ارتكبوها .. و يعترف الكل بما فعل، فلعل في هذا الاعتراف وسيلة إلى أن يغفر الله لهم .. و يعوضهم عن جنتهم التي بادت ، و ضاعت .

— عسى الله أن يبدلنا خيرا منها.. إننا نرغب في عفوه و غفرانه .

و هكذا فإن العذاب الذي نزل بأصحاب الجنة، يتزل بغيرهم ، ما داموا بمنعون خيرا الله ، و يتيهون بما لديهم من مال و بنين .. و سيتزل العذاب بقريش ، و ليعلم مشركوا مكة أنهم قد وقعوا في بلاء كبلاء أصحاب الجنة .. و ليحذروا بلاء الله يوم القيامة.

و لقد ساق الله هذه الآيات كتجربة من واقع البيئة .. و مما هو متداول بينهم من القصص، و لقد عبرت الصورة البيانية تعبيرا صادقا عن الحالات المادية و النفسية التي اشتملت عليها القصة . فنجد في الصورة البيانية مثلا للطمع المترسب في النفس .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [القمم 17-16] .

و الصورة البيانية هنا تتدرج تحت ما يسمى بالتشبيه التمثيلي حيث يصبح التشبيه صورة كاملة ، لحال المشبه و المشبه به ، فالصورة البيانية تشبه حال الطاغين من قريش ، المستغنين بالمال و البنين و قد ملأ قلوبهم الطمع مما أدى بهم إلى العناد مع الله، بحال أصحاب الجنة الذين اغتروا بما لهم و سيطر عليهم الطمع و ظنوا أنهم بما لهم قادرون على فعل ما يريدون و دون مراعاة لمشينة الله و ما يجريه الله على عباده ...

و جمال التشبيه هنا أنه جاء للتقريب . ذلك لأن حال الكفار أشد عتوا و أبلغ غرورا . و الصورة البيانية تكشف الحالة النفسية ، الدالة على تمكن الفعل منهم ... هذا التمكن الذي عكسته أدوات التوكيد في لفظة [ ليصرمنها ] .. فضلا عن أن المفردة القرآنية و فت بالمعنى كاملا ، لأن الصرم قطع من الجذر فهو أقرب إلى القلع ، و ثمة صورة بيانية تتضاد مع الصورة الأولى .. فالصورة الثانية تصور قدر الله الذي حل بهم .. و هو قدر لا يفلت الظالمون منه ..

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمم 19-18] و الطائيف السريع قد يكون ريحا صرصرا عاتية ، و يوضح التشبيه الحال التي آلت إليها الجنة ، فالأشجار الخضراء و لأوراق اليانعة ، و الثمار الناضجة ، قد تحولت جميعها في لحظة قدرية عالية إلى أخشاب متراكمة ، فقدت جمالها و ثمارها . و لأن الأمر جاء بغتة . فقد وقف التشبيه عند أطرافه الأساسية وهو المشبه و المشبه به ، و أدت " الكاف " دورها في تصور الذهن للحالة التي آلت إليها الجنة .

ثم صورت الآيات الكريمة صورة الخرص و الطمع و منع الخير عنمن يستحقه، في صورة نفسية بلغت حد الإعجاز...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَنَادَا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرِيكُمُ إِن كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴾

﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القمم 24-21]

فتمة إجماع على أمر خبيث ، و لأنه أمر خبيث ، فلقد اتفقوا عليه في تخافت و إسرار . و من ثم تصبح كلمة [ يتخافتون ] الأداة التصويرية الفاعلة التي تحمل معنى الكناية البلاغية ، لبيان أمرهم

النفسي و حرصهم الخبيث ، ذلك أن الامتناع عن الخير لا يكون إلا بإصرار النفس ، و البعد عن الجهر و تكمل الآية الصورة حين تبين أنهم لا يمنعون العطاء فقط عن المحتاج بل يمنعونه من مجرد الاقتراب و الدخول ... في أداء يتضمن النهي المؤكد و الإصرار عبر استخدام النفي و التوكيد .

و يرفد الصورة ما ورد في الآية الكريمة **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾﴾** [ القلم الآية 25] فهم قاصدون القطع ، و مانعون الخير ، و كلمة " الحرد " تعني المنع و التشدد فيه .

و تأتي المفاجأة فتنبه القلوب الغافلة و الضمائر النائمة ... **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا**

**لضَّالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾** [ القلم الآية 26 - 27 .]

فالمفاجأة بالحرمان كانت أشد وقعا ، فأصابتهم بالحيرة و الضلال . ثم حين تيقنوا من الأمر أحسوا بضلال آخر معنوي أشد فتكا في النفوس و تأثيرا في القلوب... و تأكدوا أن الله قد قدر حرمانهم ، و هو ما يفيد حرق الإضراب " بل " . و أنه يشعر بأنهم قد أشعروا بالأسف يكون مدخلا لهم إلى الهداية ..

و من هذا المنطلق تكون العبارة التي تلفظ بما أوسطهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا**

**تُؤَيِّبُكُم مِّنَ الْوَيْبِ، وَ كَأَنَّمَا يُوحِي بَأْنَ صَوْتِ الْاَوْسَطِ كَانَ فِيهِ تَحذِيرٌ مَّا يُزَمَعُونَ عَلَىٰ فَعْلِهِ ، لَكِنَّمَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَا قَالَ ، فَجَاءَ التَّوْبِيخُ لَهُمْ ، عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّحُوا اللَّهَ وَ يَقْدِسُوهُ ، وَ يَأْتِي الاعتراف**

المصحوب بالندم و الحسرة ، قال تعالى **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾** [ القلم 29] فلقد أدركوا الغفلة التي وقعوا فيها . فقالوا — كما يعلنون إيمانهم — ، و بعد حصول الندم و استشعارهم للذنب الذي ارتكبوه ، أقدم بعضهم على بعض في تلاوم ، و أدركوا في النهاية أن السبب وراء ذلك كله هو الطغيان و الظلم ، ثم عادت الضمائر الغافلة ، و بدأ الخوف يدب في النفوس ، و استشعار إيماني بد أينساب إلى الداخل ... و ذلك بعد أن خلعوا رداء الطغيان ... و

**أَقْبَلُوا عَلَىٰ اللَّهِ رَاغِبِينَ فِي رِضَاهِ وَ عَفْوِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ**

**﴿٣٢﴾﴾** [ القلم الآية 32].

و كشف الحوار مراحل التحول في الشخصية من التكتّم، و الإصرار، و التخافت، و الجدل ، مما يعين على فهم الحالات النفسية التي صاحبت الفعل كما صاحبت المشهد الأخير .

كما أن عنصر المفاجأة قلب الحدث رأساً على عقب، فأفادنا في التعرف على الموقفين ، موقف ما قبل المفاجأة ، و موقف ما بعد المفاجأة ، كما أنّها تضمنت الهدف الديني .

لقد جاء التصوير البياني و الجمال اللفظي و الأداء التعبيري في تضافر تام ، ليعكس لنا نوعاً من النفوس البشرية طغت بما لديها من مال ، ففاجأها الله بقدره ، مفاجأة تستحقها ، لعلها ترجع و تعود إلى الطريق السوي ، و القصة تتضمن عناصرها الأساسية التي تثير الفكر و الوجدان و ترسخ القيمة الدينية

التصوير هو السمة المميزة في أسلوب الخطاب القرآني ، و هو أحد الملامح التعبيرية الأساسية التي يقوم عليها الحوار القرآني ، و التصوير في الأسلوب القرآني لم يكن مقصوداً لذاته ، إلا بمقدار ما توضح به الفكرة و تؤدي به الغرض المقصود من السياق العام للمحاوره ، و قد حفلت الصور الحوارية بمظاهر الجمال و الإبداع بما وقفت دونه أقدار البشر أجمعين ، و لما لها من دلالات إيجابية بغرض التأثير في النفوس " إن الدلالة الإيجابية تمثل انتقالاً بالعلامة من كونها عناقاً بين الدال و المدلول إلى كونها دالاً لمدلول ثان ، أي أن " ثمّة عدولا وفقاً لآليتين جوهريتين تتمثلان في علاقتي المشابهة و المجاورة ، و قطبيها الاستعارة و المجاز المرسل ، فالاستعارة تقوم على الانتقاء و الاستبدال و المشابهة ، في حين يتلخص المجاز في التنسيق و الدمج و المجاورة"<sup>19</sup>. فكيف تجلت أنماط المشابهة و المجاورة و المجاز في المنجز الحوارية القرآني ؟



هامش الفصل الأول :

- 1- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان ج 1 تحقيق عبد السلام هارون مطبعة البابي الحلبي سنة 1963 القاهرة ج ص 3 .
- 2- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي القاهرة ط 3 سنة 1969 ص 19 .
- 3- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي شرح و تعليق محمد التنجي ط 3 سنة 1999 بيروت ص 445 ..
- 4- الجاحظ : الحيوان ج 3 ص 131 - 132 .
- 5- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 166 .
- 6- أحمد علي الدهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ط 1 سنة 1986 دمشق ج 1 ص 386 .
- 7- قدم الدكتور عز الدين إسماعيل إضاءات باهرة لنظرية معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني في بحثه ( قراءة معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ) مجلة فصول المجلد السابع العددان 3 - 4 ( أبريل - سبتمبر 1987 ص 37 - 45 )
- 8- محمد العبد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة مكتبة الآداب القاهرة سنة 2006 ط 2 ص 25 .
- 9- Searle, John ; R; expression and meaning , studies ; in the theory of speech acts , Cambridge uni .press (1993) P30
- 10- الخطابي : بيان إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام القاهرة دار المعارف سنة 1956 ص 27
- 11- المرجع السابق ص 27
- 12- محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني الشركة المصرية العالمية للنشر لوئجمان سنة 1995 ط 1 القاهرة ص 81 .
- 13- جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي دار الثقافة للطباعة سنة 1974 القاهرة
- 14- جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق لجنة من الأساتذة جامعة الأزهر مطبعة السنة المحمدية د ، سنة مصر ص .



15- عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 سنة 2001 ص 451 - 454 .

16 - سيد قطب التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار المعارف القاهرة سنة 1980 ص 37 .

17 - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : الكشاف عن حقائق التزييل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل شرح و ضبط يوسف الحمادي مكتبة مصر سعيد جودة السحار و شركاه ج 2 ص 217 .

18 - المرجع نفسه ج 2 ص 218 .

19 - بسام بركة : انجاز المرسل و الحدائثة مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 38 آذار سنة 1986 ص 68 - 72 .

# الفصل الثاني

- وسائل التصوير
- التشبيه و التمثيل في الحوار
- الاستعارة في الحوار القرآني
- الكناية في الحوار

## تهيد

يتحدد المدلول اللغوي لبنية التشبيه في دائرة التمثيل؛ قال تعالى: ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )، وتقول شبهت هذا بهذا أي مثلته به، و" يعد التمثيل في حقيقته تشبيهاً، ولكن يختلف عنه في طريقة صياغته ، وطريقة تفكيكه بغية الوصول إلى المعنى الذي ينقله " <sup>1</sup>.

وفي الاصطلاح يعرفه الجرجاني بقوله: " التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكماً من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء " <sup>2</sup> وأما الباقلاني في وصفه لوجوه البلاغة فيرى أن " التشبيه بالعقد

على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَأُكُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾

ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [ إبراهيم الآية 18 ] <sup>3</sup>

و لا شك في أن تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، وخاصة إذا كان التشبيه رائعا جيدا يدرك به المتفنن ما بين الأشياء من صلوات، يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره، ومن ثم يثير في النفس مشاعر الاستحسان والارتياح ، لما في تعبيره من جدة وطرافة معا .

أما التشبيه في معناه العام : " علاقة صفاتية تقوم بين شيئين على سبيل تمثيل أحدهما بالآخر للوفاء بتصور الذات له، ومن ثم فهو يقوم على أساس تفسيري لظاهرة تصورها الذاتي أو الشخصي أوسع مما لها في أصل اللغة ... " <sup>4</sup>

## حد التشبيه :

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه ولو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه <sup>5</sup>.

التشبيه من أكثر صور البيان تداولاً، إذ أنه أقرب إلى خيال الإنسان وأدنى إلى إدراكه وتصوره، والذي يتتبع صور التشبيه في الحوار القرآني يجدها لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء وبعضها فحسب، بل إنها قد تجاوزها إلى المماثلة النفسية وتعميقها، حتى أضفت

عليها الحياة الشاخصة والحركة المتحددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية متجسمة في لوحة أو مشهد، وفوق ذلك برز جمال التشبيه في الحوار القرآني بما فيه من إبداع العرض وجمال التنسيق وروعة النظم والتأليف، ثم بما فيه من إيقاع في الألفاظ يوحي إلى متلقيه بصورة معانيها .

ولقد كان من أوائل الذين تنبهوا إلى ما في صور التشبيه من أثر في النفس والحس معا أبو الحسن الرماني، حيث قسم التشبيه بالاعتبارين: [ النفسي والحسي ] إلى أربعة أقسام، وهذه الأقسام هي :

1- إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور 39] ، يقول الرماني: " وقد اجتمعا - أي المشبه والمشبه به - في بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل، يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر ... لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلبه به ... ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار "6 وجد الله عنده فوقه حسابا والله سريع الحساب، " ثم يعقب الرماني على هذه الصورة التشبيهية قائلا : " وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعضوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة "

2- أما ثاني الوجوه التي يساق لها التشبيه فهو : إخراج ما لم يجر به العادة إلى ما جرت به، ومن أمثلة هذا النوع ن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظُرِبَتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَانِدِرُونَ عَلَيْهَا أَنْهَاءَ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس 24] وفي هذه الصورة يجتمع المشبه والمشبه

به في الرينة والبهجة، ثم الهلاك بعده ، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تفكر فان كان حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره "7 .

3- ثالث وجوه التشبيه: إخراج ما لا يعرف بالبدية إلى ما يعرف ... ومن أمثله قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ

أَوْهَانَ الْبُيُوتِ لَبَيْتٌ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [العنكبوت 41] فالجامع بين الأمرين هنا ضعف المعتمد، والفائدة التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين، مع الشعور بما فيه التوهين "8 .

4- أما الوجه الرابع من وجوه التشبيه - حسب تقسيم الرماني، فهو إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة فيها، كقوله عز وجل: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" فهذا التشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة ... وقد اجتمعا - أي المشبه والمشبه به في العظم، إلا أن الجبال أعظم، وفي تلك العبرة ، من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها "9، لا شك أن التشبيه أحد ملامح التصوير الحسي وهو من الأساليب المفضلة في الخطاب القرآني ، ولنأخذ نماذج من الحوار القرآني لتبرز لنا هذا الجانب التصويري الأخاذ المؤثر في النفوس، يقول الله تعالى: ﴿ أذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ [العنكبوت الآية 62 - 65] .

نلمح في هذه الآية صورة حسية مبهرة وهي صورة شجرة الزقوم طعام الكافرين المنكرين في جهنم ، و الشجرة فتنة للظالمين ومحنة لهم منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما " والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض ... وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر، وأهوله "10 وحين سمع الكفار باسم شجرة الزقوم سحروا وقالوا: كيف تبت شجرة في الجحيم ولا تحترق ؟.

إن مجرد تصوير الشجرة بهذه الصورة الحسية المخيفة، يثير الفزع والرعب والخوف، وهي طعام دائم لأهل الجحيم، مما يزداد الرعب والخوف وتحصل الرجفة الشديدة في النفس، ويتحقق الاشتزاز والنفور من هذا الطعام الذي يتخذ شكل رؤوس الشياطين في قبها المتناهي، وفي الخوف المصاحب لهم مجرد ذكر الشياطين .

الصورة في هذا المجال تخاطب العقل بمدركات وحواسه والوجدان بانفعاله ومشاعره .

ومن الصور التشبيهية التي وردت في الحوار القرآني صورة حال الدنيا ومتاعها، ومهما طال هذا المتاع فهو فان ثم إلى الله المرجع يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَكَّرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس، 24]

هذا مشهد تصويري يمجج بالحركة، مشهد مجسد كأنه مائل أمامنا ، فالحياة الدنيا التي لا يملك الناس فيها إلا متاعها ، ومظاهرها ، وينغمسون في لذاتها ، فتغريهم وتخدعهم وتصدهم عن الحق، مثلها مثل الماء الذي يتزل من السماء.. ها هو المطر يتساقط فتتلقاه الأرض فاتحة مسامها.. تستخلصه لها، فينجم منها النبات طريا عفيا جميلا ، يمرع ويزهر ويشمر مختلف الثمار والألوان، فيقبل عليه الناس في فرح يأكلون و ينعمون ، وتصبح الأرض وقد كساها الثوب الأخضر الجميل المطرز بالألوان البهيجة... وفي وسط هذا النماء والخصب، وفي نشوة الفرحه والبهجة، وفي غمرة الاطمئنان، يتحول كل شيء وفي ومضة سريعة، حين جاء قدر الله وقضاؤه فأهلك الأرض وما عليها من نبات وجمال فبدت حصيدا لاهية ولا جمال وكأنا هذه الأرض لم تكن يوما عامرة بالجمال كله وكأنها لم تغن بالأمس ولعل فيما حدث للأرض مثلا يتعظ به من يتفكر ويعتبر، لتتجلى العبرة والعظة، والهدف الديني الذي سيقت من أجله الآية في صورتها التعبيرية الأحاذة .

ولقد جرى البلاغيون القدماء وراء الجزئيات واعتمدوا التشبيه وأولوه بتأويلات عقلية، بحة .. " فالرمانى " يرى أن التشبيه في الآية، مما لا تجري به العادة. [ وقد اجتمع المشبه والمشبه به في

الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده وفي ذلك العبرة لمن اعتبر [ . وما قاله الرماني موجز غاية الإيجاز ولكنه يعجز عن بيان ما في الآية من تصوير حي مجسد..

والرمخشري يقترب من الصورة ولكنه يقف أيضا عند الحدود البلاغية للتشبيه ولكنه يدرك الصورة إدراكا عاما .. يقول [ هذا التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة زوال نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرتها .. ] كما أن الأرض أخذت زخرفها <sup>11</sup> إن التشبيه من أدوات التصوير الحسي في بنية الحوار القرآني ، " إن التشبيه يدخل في نسق تداولي نوعي حين يجوز بدلالته حد تركيبه اللغوي موجها سياقاً، وقراءته كذلك، توجيهها يتواءم مع الأفق التصوري الذي افتتحه إذ ذاك نكون إزاء أداء جمالي بامتياز <sup>12</sup> والتشبيه في المنجز الحوارية القرآني هو سر إعجازي في التعبير بما يتضمنه من جمال لفظي، وإيقاع نغمي وتصوير حي متحرك، فتبدو المعاني والعواطف والحقائق المجردة صورة محسوسة حية وكأها مرئية مسموعة .

وهذا الجدول فيه حصر للصور التشبيهية الواردة في الحوار المكي

الصورة التشبيهية	الآية	نوع التشبيه
قَالَ تَمَالُ ﴿١٧٦﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ تَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَآتَيْنَاهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَنْبِ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكْتَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٨﴾	الأعرافه 175 - 176 .	تشبيه تمثيلي
قَالَ ﴿١٧٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَنْبِ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكْتَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٨﴾	الأعرافه 176 .	[ تشبيه معنوي ] بمعنى [
قَالَ تَمَالُ ﴿١٧٩﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لَلْجِبْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَقَ يَوْمَ تَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿١٨٠﴾	القصصه 45	- [ تشبيه معنوي ] بمعنى [



<p>[ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>العنكبوت الآية 41</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُوبِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَا كَانَ الْعَنْكَبُوتُ أَخَذَتْ يَتِيمًا وَإِنَّ أَوْهَىٰ أَسْبُوتَ لَبِيتُ الْمَعْكُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>الشورى الآية 32</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجُرُفُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٢﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه محسوس بمحسوس ]</p>	<p>الرحمان 24</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَكُلُّ الْجُرُفِ الْبُتَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمعقول ]</p>	<p>الصافات 65</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ طَائِفُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>الواقعة 22 - 23</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَخُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الثَّوَابِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>المحذّر 49 - 51</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ فَالَّذِينَ عَنِ الذِّكْرِ تَعْرِضِينَ ﴿٥١﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفِيزَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَمٍ ﴿٥١﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه محسوس بمحسوس ]</p>	<p>يس 39</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه محسوس بمحسوس ]</p>	<p>القمر الآية 18 - 20</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ اعْتَكَبَ مَنَازِلَ حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَ بُطُورًا فِي يَوْمٍ نَحِيسٍ مُّتَسِمِرٍ ﴿١٩﴾ تَرَىٰ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَحْجَادٌ تَحِلُّ سُنْفِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا</p>
<p>[ تشبيه محسوس بمحسوس ]</p>	<p>القبيل الآية 1 - 5</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَبُدَّهُمْ فِي تَضْيِيلِ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَصَفِيفٍ مَّاكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>الجمعة الآية 5</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَا كَانَ الْجَمَلُ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَتَسَاءَلُونَ مَثَلُ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه التمثيل ] [ تشبيه معقول بمحسوس ]</p>	<p>إبراهيم الآية 24</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه معقول بمعقول ]</p>	<p>فصلح الآية 34</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾</p>
<p>[ تشبيه محسوس بمحسوس ]</p>	<p>يوسف الآية 06</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ بِعَمَلِهِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ مَالٍ يَعْمُورُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ عَبْدِكَ مِن قَبْلُ يُرْهِمُ وَيَأْتِيكَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾</p>

[ تشبيه معقول بمعقول ]	يوسف الآية 31	قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَجْهٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾
[ تشبيه معقول بمعقول ]	يوسف الآية 18	قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجَاءَهُ عَلَى قَيْصٍ بِدَمٍ كَرِيمٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

### التعليق على الجدول :

إن التشبيه يضيف على المعنى شرفاً ووضوحاً، ويزيده قوة وتأكيذاً، ويرفع من قدر الكلام فتهفو النفس له، ويتحرك القلب إليه ، لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبيهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحاً كان أملك للنفس وأبعد للتأثير .

ففي قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ [ يس 39 ] أي قدرنا سير القمر في منازل حتى إذا كان آخر منازل دق وتقوس حتى صار كأعواد النخيل العتيقة اليابسة ، فقد شبه القمر بالعرجون في دقته وتقوسه واصفراره، والطرفان وهما القمر والعرجون حسيان .

وفي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [ إبراهيم الآية 18 ] شبه ما يعمله الكافرين في الدنيا من أعمال البر والخير مهما جل وعظم، في إحباطه وذهابه، لأنه قائم على غير أساس من الإيمان والإحسان ، وكونه لغير الله وعلى غير أمره، بهذا الرماد الهش الذي لا يصمد أمام قوى الريح العاتية العارمة فيتلاشى في جوفها الهادر ووجه الشبه عدم ظهور أثر الشيء ورجاء نفعه إذا بني على أساس واه. وأما تشبيه محسوس بمعقول فلم يقع في القرآن الكريم حيث منعه بعض العلماء أصلاً، " لأن الحس طريق إلى العقل، والمحسوس أصل للمعقول، فلو شبه المحسوس بالمعقول، لشبه الأصل بالفرع، وهذا يستلزم جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، وهو غير جائز "

كما تلحظ الدراسة أن أداة التشبيه قد تكرر وقد تضرر ومن أمثلة تكرارها قوله **تَعَالَى**:

**إِنَّمَا تَرْمَى بِشَجَرٍ كَالْقَصْرِ ۚ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ۚ (٣٣) | المرسلات الآية 32 - 33**

والتشبيه على هذه الشاكلة بغير حرف العطف أكد في صفة الموصوف، وأبلغ في نعته من التشبيه المعطوف، وذلك لأن إسقاط حرف العطف يدل على شدة التصاق الصفات بالموصوف، بخلاف ذكر حرف العطف فإنه وإن كان يدل على اشتغال الموصوف على هذه الأوصاف إلا أننا نفتقد التصاق الصفات وشدة امتزاجها بالموصوف .

ومن أمثلة إضمار أداة التشبيه قوله **تَعَالَى**: **﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ**

**(٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّحْحُومٍ (٢٥) خِتْمُهُ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ**

**فَلْيَتَنَافِسِ الْمُنْتَفِسُونَ (٢٦) | سورة المطففين الآية 22 - 26 .**

والمعنى أنهم يشربون من خمرة لذيدة طيبة يجد الشارب في نهاية شربه لها رائحة المسك ولا يجد تلك الرائحة الكريهة التي يجدها شارب الخمر في الدنيا ، فختامه مسك على التشبيه إذ هو طيب الرائحة كالمسك .

ومن خلال عملية الإحصاء للتشبيهات الواردة في الخطاب القرآني المكفي وجدت الدراسة أن عددها يساوي ( 28 ) تشبيها أي بنسبة 21,05% من بين الصور البيانية المتواجدة في الحوار المكفي، وتبدو عينات الشواهد أكثر ثراء للبنية الحوارية باعتباره يوفر التصور الكامل للمشاهد عند المتلقي. إن شبكة التشبيه من وسائل البث التعبيرية التي تعتمد الخيال في التوليد الصياغي وهي بمثابة الوسيلة الإيضاحية التي تقدم السياق الحوارية للمتلقى ، يقول ابن وهب: " وأما التشبيه فهم من أشرف الكلام، وفيه تكون الفطنة، والبراعة عندهم، وكلما كان المشبه منهم في تشبيه أطف، كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذف أليق "13 التشبيه هو البنية الأساس لفن الاستعارة أما مناطق عمل هذا التشبيه هو المحسوس الخارجي والذهني الداخلي مما يؤدي إلى شمولية الرؤيا الحوارية لدى المتلقي فلا بد أن تؤخذ الصورة بمنظورها التكاملية العام لا في جزئياتها الخارجية.

إن عدم استخدام الأداة في بعض الشواهد يشي بدرجة الاحتزال الصوتي الشديد التكتيف مما يجعل المتلقي يسهم في إنتاج الدلالة .

**الاستعارة:** يقول العلوي: " وإنما لقب هذا النوع من المجاز بالاستعارة أخذاً لها من الاستعارة الحقيقية ؛ لأن الواحد منا يستعير من غيره رداء يلبسه، ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة، ومعاملة، فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر، فإن لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع وهذا الحكم جار في الاستعارة المجازية، فإنك لا تستعير أحد اللفظين للآخر إلا بواسطة التعرف المعنوي <sup>14</sup>، ويعرفها ابن المعتز بأنها: " استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها <sup>15</sup> تتولد الاستعارة وتنمو في قاعدة المجاز اللغوي ؛ لأنها أحد أنواعه، والعلاقة فيما بين الدلالة الوضعية و [ الحقيقية ] والدلالة الإنحرافية [ المجازية ] تقوم على المشابهة على أساس ثنائية [ الرفع والتحويل ] .

وإذا كان التشبيه من صور البيان الرائعة التي سجلت لمح الصلة الحسية أو النفسية فيما بين المتشابهين، وعبرت عن المعنى المراد في وضوح ودقة وجمال فإن الاستعارة كذلك من روائع الصور البيانية، بما لها من تركيب خاص يثير الخيال ويحرك المشاعر وتكمن روعتها فيما تضمنته من تشبيه خفي مستور، ومن ثم كانت الاستعارة خطوة أبعد في التخيل ومرحلة أعمق في الإدراك، جمعت في تشخيصها وتجسيمها للمعاني بين الطرافة والمتعة والإثارة .

ولم يفت عبد القاهر الجرجاني أن يذكر فضل الاستعارة وأثرها كوسيلة من وسائل التصوير البياني، فهي: "أمد ميداننا، وأشد افتناننا وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فتونها وضروبها، نعم وأسحر سحرا، وأملاً، بكل ما يملأ، صدرا ويمتع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا، وأهدى إلى أن تهدى إليك عذارى قد تخير لها الجمال، وعني بها الكمال، وأن تخرج لك من بحرها جواهر، إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعا لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر، وردت تلك بصفة الخجل، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر، وأن تثير من معدنها اتبرا لم تر مثله، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحللى الحقيقي، وأن

تأتيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها .

ومن الفضيلة الجامعة فيها: أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستحدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف مفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها: أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الوحيدة عدة من الدرر، وتجنبي من الغصن الواحد أنواعا من الثمر<sup>16</sup> ويفترض " أبو بكر العزاوي " عددا من الافتراضات لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج، وهي :

- 1- أن القول الاستعاري قول حوارى، وحواريته صفة ذاتية له .
  - 2- أن القول الاستعاري قول حجاجى، وحجاجيته من الصنف التفاعلى، لأن التسليم بما فيه نظر، إذ يكيفها وفق إرادته ويختار من الألفاظ مراده دون قيد .
  - 3- أن القول الاستعاري قول عملى، وصفته العملية تلازم ظاهره البيانى والتخيلى .
- إذ تتضح حوارية الاستعارة في تعدد ذوات المرسل عند اختياره للاستعارة في حجاجه دون غيرها ، انطلاقا من النظر في المعنى الحقيقى في حال إظهاره وتأويله، وفي المعنى المجازى في حال إضماره وتبليغه ؛ وذلك بالتقلب بين هذه الأدوار .

وتكمن فعالية الاستعارة في التناسب بين ما يقتضيه السياق، إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية ، رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر ، ويظهر التوجه العملى للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه ، إذ تكون الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك هممة المرسل إليه إلى الاقتناع ؛ إذ يهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمد عليها المرسل إليه في تقويم الواقع والسلوك ، وأن يتعرف على ذلك من المرسل ليكون سبب القبول والتسليم وليس التخييل أو الصنعة اللفظية .

<sup>17</sup> ولقد توصل الحوار القرآنى بالاستعارة، لأنها أحسن أداة تجعل المتلقى يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، والمنجز الحوارى فى القرآن الكريم يستخدم هذا المستوى التعبيرى لأنه يدرك حاجة المتلقى النفسى التى تصور الأشياء والمشاعر.. خصوصا متحركة بحيث يبدو المجال مؤثرا

ومتغلغلا في الذات. و بحيث تنبدي لنا الأشياء التي نراها ساكنة، حية منطلقة واعية، وكأنما تشارك الإنسان حياته، وتواصله ووجدانه.

ويبلغ عدد الاستعارات الواردة في الحوار القرآني المكي (57) استعارة أي بنسبة 45,11% من بين صنوف التصوير البياني في الحوار المكي، وقد تواجدت هي الأخرى بشتى أصنافها: [الوفاقية، و التصريحية، والمكنية و، التمثيلية ...]. وهذه النتيجة تسي أن بنية الاستعارة تتفاعل بدرجة عالية مع المحسوسات أكثر من الذهنيات أو العكس وهذا ما أكدته الشواهد التطبيقية الإحصائية التي استقرأها الدراسة، وهذا الجدول فيه حصر لأهم أشكالها في الخطاب الحواري القرآني المكي :

الصورة الإستعارية	الآية	نوعها
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَنْ أَتَىٰ بِنُكْتَةٍ عَلَىٰ نَفْسِهِ لَأَكْتُبُ مِنْهَا لَهُ لَاحَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (التوبة 109)	التوبة 109	- [ استعارة معنوي ] لحسي
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَدَبُ اللَّهِ مَغْلُوبٌ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ وَلَعُنُوا مَا قَالُوا لَلَّ بَدَأَهُمْ سُبْحَانَكَ نَبِيُّكَ كَفَّ فِتْنَةً وَلَكَ زَيْدٌ كَبِيرٌ﴾ (المائدة 64)	المائدة 64	- [ استعارة محسوس ] لجسمي
قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ يَوْمَ خِيَرَاتٍ﴾ (الفرقان 59)	الفرقان 59	- [ استعارة محسوس ] لجسمي
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (العبس 94)	العبس 94	- [ استعارة محسوس ] لجسمي
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء 24)	الإسراء 24	- [ استعارة محسوس ] لجسمي
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه 131)	طه 131	- [ استعارة محسوس ] لجسمي
قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدُتٌ لَهُ فَوَجَدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا ۖ﴾ (المحذث 11-16)	المحذث 11-16	- [ استعارة معنوي ] لجسمي

<p>- [ استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>البدل 112</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الإنفاق 24</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ فَبَيَّرَهُمْ عَذَابُ آيَةٍ ﴿٢٤﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة تصريحية استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الصفائح 23</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَعَدُّهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَبِيبِ ﴿٢٣﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة تصريحية استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>هود 87</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ قَالُوا وَيَسْتَعِيبُ أَصْلُوكَ فَأَمَّا أَنْ تَنْزَلَ مَا يَعْبُدُ آبَاءَنَا وَإِنَّا لَنَعْمَلُ فِيْ أَمْرَيْنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾</p>
<p>- [ تصريحية معنوي لمعني ]</p>	<p>فصله 51</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَإِنَّا أَنْتَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَغِيضٍ. وَإِنَّا نَسْأُهُ أَلْتَرُّ فَدُو دُعَاؤِ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة تصريحية استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الأمراض 154</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحُ فِي شُحْبِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الجموع 99</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَرَكَعًا بَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَبَعْضٌ فِي الضُّلُمِ جَمَعْتَهُمْ جَمَاعًا ﴿٩٩﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة محسوس لمعني ]</p>	<p>يس 37</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَآيَةً لَهُمْ أَنِّي لَنْسَلِّحَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِنَّا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الأنبياء 18</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ بَلْ تَقْرَفُ بِالْحَيِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾</p>
<p>- [ تمثيلية معنوي لمعني ]</p>	<p>التكوير 17-18</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَالرَّابِلِ إِذَا سَنَّسَ ﴿١٧﴾ وَالضُّجِجِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة مكنية استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الأمراض 50</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَكَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة معنوي لمعني ]</p>	<p>الحج 02</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرِيضَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ فَاتٍ حَمْلَ حَمْلِهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾</p>
<p>- [ استعارة مكنية ]</p>	<p>البقرة 26-27</p>	<p>قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا</p>



		وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَفْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ تَحْتِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧﴾
[ استعارة مكنية ]	الخمسة 99	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَيُفِجُ فِي الْغُورِ جَمْعَهُمْ جَمْعًا ﴿١٦﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	بس 37	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْجَأَ الْبَلَّ نَسْلَجَ مِنْهُ الْبَحَارَ فِإِذَا هُمْ مُنْجِلِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	الأنبياء 18	قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَعْرَضَ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقَلِكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ إِيذًا فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	الأعراف 50	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَصْحَبْتَ أَنْارَ صَحْبَتِ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	هود 74	قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّزْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ حِيلِيكًا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	فصلته 11	قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	محمد 11	قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرَانَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	محمد 03	قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّعَمُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّعَمُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	محمد 30	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَىٰ نِسَاءَ لَأَزْتَكِفْنَ فَلَمْ يَسْمَعْنَ بِسَمْعِهِمْ وَلَمْ يَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ] توجيه ]	فصلته 51	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	الفرقان 12	قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ يَبْعِرُ مِمَّعُوا لَهَا تَنِيظًا وَرَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	المائدة 8	قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ نَمِيزُ بَيْنَ الْعَاطِلِ كَلِمًا أَلْفِي فِيهَا فَوَجَّحَ سَأَلَهُمْ حَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	المعارج 16-18	قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَاعَةُ لِلسَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْجَى ﴿١٨﴾ ﴾
[ استعارة مكنية ]	الفرقان 14	قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَرْتَجِفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهْبَلًا ﴿١٤﴾ ﴾
[ استعارة تصريحية ]	مريم الآية 04	قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ



		يُدْعَاكَ رَبِّ شَقِيحًا ﴿١١﴾
[ استعارة مكنية ]	يومه 04	قَالَ تَمَالَى: ﴿١١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١١﴾
[ استعارة مكنية ]	يومه 31	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٢﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ يَتَّخِذْنَ سِيِّكُنَّ وَقَالَتْ آخُذْ عَلَيْهِنَّ بَأْسَ رَبِّكِ أَكْرَهًا وَأَكْرَبًا وَطَعَنَ أَبْيَهُنَّ وَقَتْنَ حَسْبَ اللَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾
[ استعارة مكنية ]	يومه 44	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٣﴾ قَالُوا أَصَفَدْتُ أَخْلَبًا وَمَا نَحْنُ بِأَوْلِي الْأَخْلَبِ بَعْلَبِينَ ﴿١٣﴾
[ استعارة تصريحية ]	يومه 87	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٤﴾ يَبْنِي أَدْبَابًا فَصَحَّكُوا مِنْ بُؤْسٍ وَأَجِيبُوا وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
[ استعارة مكنية ]	الخصم 12 الآية	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَمَلٍ أَيُّ الْحَرَابِيِّنَ أَحْصَى لِمَا لَيْسَ لَهُمْ أَمَدًا ﴿١٥﴾
[ استعارة مكنية ]	الخصم 14	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٦﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٦﴾
[ استعارة تصريحية ]	الخصم 16	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٧﴾ وَإِذْ أَمَرْنَا ثَمُودَ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَعًا ﴿١٧﴾
استعارة مكنية	الخصم 17	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٨﴾ وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَلِيمَاتِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٨﴾
استعارة تصريحية	الخصم 22	قَالَ تَمَالَى: ﴿١٩﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾
استعارة مكنية	الخصم 28	قَالَ تَمَالَى: ﴿٢٠﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطعَ مَنْ آغَفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ دُكْرَانًا وَأَنْبَسَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٠﴾
استعارة مكنية	الخصم 29	قَالَ تَمَالَى: ﴿٢١﴾ وَقِيلَ الْحُورُ مِنْ زَيْنَكُ فَصَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنْ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا اللَّهُ بِمَا فَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا بِعِقَابِ رَبِّنَا أَيُّ الْعَمَلِ الْبَشِيرِ أَلْوَجْهُهُ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مَرْتَفَعًا ﴿٢١﴾

## التعليق على الجدول :

الملاحظ من خلال رصد تواجد الصورة الاستعارية في الحوار القرآني المكّي أن الاستعارة تتفاعل بدرجة عالية مع المحسوسات والذهنيات معاً ، فالاستعارة مثل التشبيه في تحويل الأشياء المعنوية إلى صورة حسية، فتجعل الشيء مرئياً مسموعاً أو ملموساً أو مذاقاً ، فتيقظ النفس للإحساس به إحساساً قوياً كاملاً .

يبد أن الاستعارة تفوق التشبيه في مزاياها، فالأسلوب الصياغي للاستعارة قائم على اختراق الحدود، وتخطي الحواجز، من أجل صناعة بنائية ممتددة الدلالة في المشهد الحوارية العام ، وهي تتحرك على مساحة واسعة في ذهن المتلقي .

و يأتي البناء الفني في الاستعارة المكنية أكثر دقة ورسوخاً في الأسلوب التعبيري الصياغي، لما تمتلكه من قوة التكثيف، والرصد الحركي للجمادات وقد حدد منطقتها علماء البيان بأنها لفظ "المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمخدوف المدلول عليه بذكر شيء من لوازمه، وخواصه " 18

ولنتأمل بعضاً من هذه الصور الاستعارية ؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ

غَضِبْنَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ

يَجْرَهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا

تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ

مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْعُصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا

هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ ﴿١٥٤﴾ الامرافه [150- 154] ، إن الآية الكريمة تتحدث عن

بني إسرائيل وعن النعم التي أنعم الله بها عليهم ، ثم قابلوها بالجحود والعصيان، تبتدى في معاودتهم

لعبادة العجل، فالذين عبدوا العجل واتخذوه لها سينالهم غضب شديد من الله وينالهم في الدنيا

خزي وذلّة، لقد اندفع القوم في هياج شديد واندفاع متعجل إلى عبادة العجل الذهبي واستضعفوا

" هارون " - عليه السلام - حين حاول ردهم ونصحهم مما أثار في موسى انفعالا قويا، أجهأ إلى رمي الألواح وهي كلمات ربه ، لقد أفقده الغضب زمام نفسه، قال تعالى : ( **وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ** ) .

لقد أخذ الغضب مأخذه من موسى وهو النبي، وهو القوي البنية أيضا ، ولنتأمل في حركة الرمي الغاضبة المنفصلة وإلى قبضه رأس أخيه هارون من انفعال حاد لم يطقه الرجل الطيب وإلى لسان العقل الهادئ والبصيرة النافذة حين يرر هارون لأخيه ما حدث، قال تعالى على لسان هارون: ( قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ) وإن دلالة الألفاظ تحمل دلالات الإثارة المتعطفة وتحمل النداء الرقيق، الذي يثير وشائج القربى ومن ثم تأتي إلى الآية المرادة هنا: ( ولما سكت عم موسى الغضب ) فسبب الغضب الواضح وهو سبب في حقيقته يؤدي إلى الاجتياح الانفعالي ويقلب الحليم إلى قوة ضاربة، كما أن الآية وما سبقها تبين لنا شخصية موسى - عليه السلام - لقد رسمت شخصيته في القرآن الكريم من خلال أسلوب الحكاية والحوار بصورة أساسية، إذ تبنت ملامح الشخصية، وتشكلت صورتها من خلال الأحداث وتفاعل الشخصية الواقعي والحلي بها، وجاءت الحوارات قصيرة مقتضبة، وهو أمر طبيعي ومنطقي يتلاءم مع الظرف الموضوعي الذي تدور فيه تلك الحوارات، فالملوك والمستبدون لا يطبقون طول المناقشة والمجادلة.. " 19

إن انفعال موسى - عليه السلام - جعله يقتل المصري، وجعله يطلب من الله ، أن يؤازره بهارون الهادي البصير ...

فالمردود النفسي في هذا الموقف النفسي مردود قوي وهائل يفلت زمام النفس ويجعل للغضب الجناح سلطانا عليها... ومن ثم جاء التصوير في الآية مجسدا لهذه الحالة الانفعالية، فالتعبير القرآني يشخص الغضب... ويجعله كائنا حيا ضاربا بكل شيء تنطير منه أسنة الغضب فتطول الأشياء، والأشخاص والمكان... ولقد سكت الغضب.. بعد أن كان شخصا جانحا يدفع موسى ويحثه على الانفعال وكأنما موسى مسير له. يقول الزمخشري في دلالة التصوير بلفظة " سكت " وإشعاعاتها الفنية التي لا يمكن أن تثيرها لفظة مرادفة وردت في بعض القراءات وهي لفظة " سكن " " الغضب كأنه يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا ، وألق الألواح وجر برأس

أخيك إليك... فترك النطق بذلك، وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم ولأنه من قبيل شعب البلاغة [ وأما قراءة [ولما سكت عن موسى الغضب ] فالنفس لا تجد عندها [ شيئاً من الهزة وطرفاً من تلك الروعة " وهكذا تحمل الصورة تعبيراً فائقاً عن هذا التسلط الانفعالي المشخص في إطار بشري هائج، حتى إذا سكت عنه وتركه لشأنه وخفف من تسلطه عاد موسى إلى نفسه، والتقط الألواح. بدأ يواجه القوم، ليعيدهم إلى طريق الحق، ويزيل ضلالهم، وشقاءهم الروحي. 20

إن المجال الاستعاري هنا أعطى للغضب وظيفة جديدة لم تكن معروفة له، وأنشأ علاقة بين الانفعال والإنسان، ووضح التشخيص عبر الخيال فجعل الإحساس خصياً والفكر متجدداً والصورة الحوارية حياة ...

ومن بين الصور الإستعارية، قوله عز وجل ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ [هود الآية 73-75]

في هذا المشهد تشخيص للرعب وللبشرى ... وسياق الآية يتحدث عن ضيوف إبراهيم - عليه السلام- من الملائكة وقد بشروه بشارة بولادة غلام له.. تلك البشارة التي جعلت زوجته تندبش قائلة في عجب كيف ألد وأنا المسنة، والزوج شيخ هرم.. كيف يتأتى لنا هذا ؟ .. وهو الموقف الذي غزا الخوف فيه إبراهيم حين رأى ضيوفه، لا تمتد أيديهم إلى الطعام.. فأوجس منهم خيفة... ومن ثم تأتي الآية عبر السياق لتنتهي هذا الموقف المتوجس ، فها هو الروع قد ذهب عن إبراهيم واطمأن قلبه لضيوفه حين علم أنهم ملائكة، وجاءته البشارة بالولد، ومن ثم بدأ السياق يأخذ مسرى آخر وهو الجدال في شأن لوط وأهله ..

لقد عكست هذه الصورة الحوارية موقفين نفسيين مرَّ بهما إبراهيم-عليه السلام- فالروع يأتي هائجا شاملاً يجتاحه ، ثم سرعان ما يهدأ ويسكن، إنه مثل الكائن الحي القوي الذي تتغير حاله من هياج إلى سكون... ولقد انمحت صورة الروع المحسم المشخص لتحل محله صورة مجسمة شاخصة.. وهي صورة البشرى وقد جاءت على هيئة فتاة وادعة ساكنة هادئة، مبتسمة توحى بالخير والبشارة ... ومن ثم كان السكون و الهدوء وطمأنينة القلب ..

إن الحركة حية تنبض بما ينبض به الإنسان من مشاعر متغايرة، لونت العواطف البشرية بألوان مادية لها صفة التشيؤ .

ولنتأمل هذا المشهد التصويري الحواري، يقول الخالق تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ [ الفجر الآية 1-6 ]

فهذا المشهد يتناول مشاهد يوم القيامة وهو جانب هام من جوانب العقيدة الإسلامية و يقوم على بناء الصور الحسية الجزئية المتناغمة المتوالية والتي تعبر عن المواقف تعبيرا سريعا أنحازا ، وهو مشهد غاية في القوة، ألوانه وظلاله وأجرامه مفردات كونية حيث يحدث الزلزال الكوني فيتبدل كل شيء، كما أن السورة تؤكد على حقيقة الوحي ورسالة محمد وتنفي عنه صفات الكفار وادعاءهم ..

إن التصوير في السورة يهز النفس هزا، حيث مشاهد التغير الهائل في الكون والإنسان، ولقد صاحب ذلك جمال تعبيرى أحاذ ناتج عن الألفاظ المختارة بإعجاز لتلون حركة المتتابعات في المشاهد، ولا شك أن جميع الصور حسية تثرى الوجدان وتؤثر في النفس، وتعمل عملها في النهاية في إيصال العبرة والعظة، والتخويف من جهة، وفي توصيل الإناس والطمأنينة والتدعيم للرسول والمؤمنين من جهة أخرى .

ولنتأمل قوله تعالى في سورة التكوير قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُفِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ [التكوير الآيات 15-19] وردت الآية في إطار تعبيرى يتسم بالقسم، وإن المقسم به هي مفردات كونية، وأن الجواب قائم على طبيعة الوحي وصفة الرسول- صلى الله عليه وسلم- .

إن صورة الصباح تسبقها تلك الصورة الفريدة لتصوير الليل في حركته ... فهذا هو الليل قد أظلم وسحب عباءته الداكنة على الكون فشملمها .. ولكن اللفظ [ عسعس ] يحيل الليل في ظلمته إلى شيء آخر ... وكأنما الليل وهو يمد ظلمته رجل له كيانه البشري يعس في الظلام..

فيمد يده حيناً، ويمد رجله حيناً آخر حتى تنتهي حركته إلى نقطة النهاية التي منها يبدأ الصبح حركته.

فثمة ديبب متواصل يستمر في دورة أبدية .. ويتتابع المشهد ... فيتبدل من ظلمة جاثمة تذوب الهويئى ... إلى صباح ممتلئ بالنور... وانظر إلى الصورة الجميلة التي تبين مدى وطأة الظلمة على النور .. إن حركة التنفس صفة بشرية تعني الإشعار بالحياة واستمرارها ... ولكن أنفاس الصباح ليست كأنفاس الإنسان الذي شخص به ، إنما أنفاس من النور والحياة .. تجعل الدنيا كتلة من النور الحي ... كما أن الأنفاس دليل على حياة الإنسان.

يقول السيد قطب: " وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح بأنه بالفعل يتنفس.. إنها ثروة شعورية وتعبيرية .. ثروة جميلة بديعة ورشيقة تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر "21 فالصبح كائن حي مثل الإنسان والنبات الذي تتردد أنفاسه، وتدب فيه الحياة، وقريب من هذا المعنى تأتي الآية الأخرى في سورة الفجر وهي تصور الليل في

سريانه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [ الفجر الآية 4].

لقد صورت الآية الليل في حركة إظلامه و امتداده ومسيره الهويئى إلى نهايته بصفات الإنسان الذي يسير في تودة... فتحس بسريانه الناعم في هذا الكون. وفي هذا الجو التعبيري يبدو الليل مخلوقا ككل المخلوقات الحية، يسري الليل.. كالحارس الذي يدب في المكان يقظاً، اطمئنانا لما هو موصول به... واختيار كلمة " يسر " صفة للمسافر الذي يمضي في سفره ليلاً... ومن ثم جاء التعبير موحياً ، فكأنما الليل يختار في رحلته السرى ... وهو تعبير مجازي ولكنه أيضاً حقيقة... لارتباط الصفة بالموصوف ارتباطاً حتمياً.. إن الليل يسري فنحس سريانه واضحا في هذا الكون العريض... كما لو كان كائناً حياً يدب ويسري في فضاء متناغم مع حركة الكون ومفرداته .

وتتحول الصورة- عبر التشخيص- إلى محاورة.. ويصبح الحوار شكلاً تعبيرياً يؤكد التشخيص، ، ويضفي صفات الإنسان على الجماد، فينطق ويتحاور، ويشعر ويحس، ويطيع ويتلقى الأمر، وينفذ، حركة إنسانية، تحدوها المشاعر، و الإدراكات العقلية .

ولنتأمل في هذه الصورة التشخيصية الحوارية، يقول الخالق قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ [فصله الآية 11]

تحدث الآية عن مشهد الخلق الأول للحياة، خلق السماوات والأرض في شكل دقيق محكم يلفت الأنظار إلى التفكير والتدبر في دلائل قدرة الله ووحدانيته.

يقول الزمخشري : " ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان، وامتاثلهما، أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما .. وكانت في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع، وهو من المجاز، ويجوز أن يكون تخيلاً . ويبني الأمر فيه على أن الله كلم السماء والأرض وقال لهما اتينا شعثا ذلك أو أبيتما فقالت أتينا على الطوع لا على الكره. والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات "22 الآية تبين لنا هذا الحوار الذي دار بين خالق الكون وبين السماء والأرض .. ويأتي الأمر الإلهي طالبا من السماء والأرض أن يأتيا على أية حالة . الطاعة أو الاضطرار، وتأتي الإجابة واضحة جلية، لقد اخترنا جانب الطاعة، فالسما والأرض من الجمادات لا تسمع ولا تعي، ولا تعقل ولا تنطق ولا تجيب إن سئلت، ولكن عنصر التخيل والتشخيص جعل منها إنسانا ، له عقل وعاطفة، فهما يفهمان ما يلقي عليهما، ويحسان بما يدور حولهما ويرهفان السمع ويأنسان بكلام الله ، فيسرعان إلى تلبية الأمر والانقياد للقدرة الإلهية .

فالكلمة حين توظف مجازيا تكتسب قوة ، ومن ثم فإن عناصر التصوير المشخص، أكثر تأثيرا في النفس، وأعظم اتساقا في تجسيد المعنى، وأدخل أثرا في النفوس البشرية .

ومن جوانب التشخيص في الحوار القرآني، قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ

مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ [ق الآية 30]

إن هذه الصورة التعبيرية المشخصة لجهنم تلقي بالرعب في القلوب .. إنها كائن حي ضخم مهول لا نهاية له، يفرغ فمه الواسع الممتد فيبدو القاع بلا نهاية، هذا الكائن العاقل - الذي اتخذته جهنم يوم القيامة- كان طرفا في الحوار ، والحوار يكون في إطار بشري، يقول الله سبحانه .. لجهنم هل امتلأت ؟..، وترد على ربها وأفواج الكافرين تلقي إليها، رباها هل من مزيد...



يقول الزمخشري: " وسؤال جهنم وحوالها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتشبيته..<sup>23</sup> والحوار الذي دار بين الله وبين جهنم ، أنشأ لنا صورة وضحت الموقف تماما ومثلته، ووضح مدى الهول الناشب في النفس والقلب من صورة جهنم، فالحوار يدور بين الله سبحانه وبين جهنم ، فينشئ لنا هذا الحوار صورة بعد صورة فتمثل الموقف تمثلا واضحا ، ويضفي حياة وحركة، إذ تجاذب الحديث مع من لا ينطق ، فأعطانا هذا الحوار صورة رائعة لتمثل هول الجحيم، وعنفها، وشدة سعيها، ومثل هذه الصور في الخطاب القرآني كثير، لا يسع هذه الدراسة أن توردها كلها .

### الكناية في الحوار القرآني :

الكناية لغة : مصدر لفعل [ كنى ] ، وأكنو، تكلمت بما يستدل به عليه، أو تكلمت بشيء وأردت غيره " <sup>24</sup> .

وفي الاصطلاح يقوم بناؤها الأسلوبى على: " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينقل من المذكور إلى المتروك " <sup>25</sup> .

وقد بين الجرجاني المراد بالكناية يقول: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه " <sup>26</sup> .

كما بين الجرجاني أن الكناية أبلغ من الحقيقة وذلك حيث قال: " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح . ثم يرى أن ذلك وإن كان معلوما، إلا أنه يحتاج - حتى تطمئن النفس- إلى معرفة السبب ، فيقول : تفسير هذا، أن ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنى عن المعنى زدت في ذاته ؛ بل المعنى : أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد، فليست المزية في قولهم [ جَمَ الرَّمَاد ] أنه دليل على كرم أكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وادعيت دعوى أنت بصحتها أوثق .

فالبنية الكنائية تنمو في النص " محايدة " بين الحقيقة، والمجاز؛ ضمن تشكيل ثنائي الناتج الصياغي، مطروحا في سياق التركيب. وهاتان البنيتان تسيران بخط متواز داخل منطقتي الحقيقة، و

المجاز، على مستوى السطح، والعمق . وفي حالة كشف العمق عن جهة سير العناصر الدلالية، فإن النص يكون من حصة منطقة المجاز، وإلا فالمرادحة في المنطقة المحايدة. فالكناية ليست حقيقتها في ذلك الشكل المادي التعبيري فحسب، بل تجاوزها إلى ما وراءها من حقيقة نفسية<sup>27</sup>، فمجيء الكناية- إذا- إنما هو بمثابة البرهان المادي لتلك الحقيقة النفسية، والحوار القرآني لم يخل من الصورة الكنائية .

وتقوم الكناية في الحوار القرآني بنصيها كاملا في أداء المعاني التي يهدف إليها الحوار، خير أداء وأدق تصوير، وهي حيناً راسمة لهيئة الشخصيات المتحاورة و مصورة موحية للأفعال والأحداث، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه ، وحيناً موجزة تنقل المعنى وأيا في لفظ قليل، لا تخلو من الإيجاء والتصوير. ولنتأمل بعضاً من الصور الكنائية في الحوار القرآني ، يقول الله تعالى حكاية عن نبا الخصم إذ تسوروا المحراب على داود عليه السلام: " **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَمَعَزَيْتَنِي فِيهِ الْخَطَابِمِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى نَعِيجِهِ ..** " فهذا كناية عن النساء، حيث عدل به عنهن تسترا على داود عليه السلام، واحتفاظاً بحرمته .

ولما فحرت اليهود وجاوزت حدها، ولم يكفها إيذاؤها الناس ؛ بل جهلت في ذات الله جل وعلا: " **وقالت اليهود يد الله مغلولة** " فما أسرع ما كان من الرد المشنع عليهم، المنكل بهم: " **غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء** " فهؤلاء -لعنهم الله- عموا عن كرم الله وعظيم نعمائه على سائر المخلوقات ، وهم من بينهم، فكفى الله عن تلك السعة وهذه النعم ببسط يديه، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وتتوزع الصورة الكنائية في مواطن شتى من المنجزات الحوارية بلغ عددها في الحوار المكي (45) كناية من مجموع كنايات القرآن الكريم ككل، فنسبتها 33، 83% والجدول يوضح توزيعها في الحوار المكي.

السورة الكناية	الآية	دومعا
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿٦١﴾ إِذَا أُنشِئْتُمْ بُنَاةً ﴿٦٢﴾ فَجَعَلْتُمُهَا كِبَارًا ﴿٦٣﴾ عُرًا أُزَابًا ﴿٦٤﴾ لِأَصْحَابِ الْبَيْتِ ﴿٦٥﴾ ۝	الواقعة 34 - 38	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَجَّهْتُ بَعْضَ الظُّلُمِ عَلَى يَدَيْهِ يَعْزِفُ الْيَدَيْنِ أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٦٧﴾ يَتَوَلَّى يَدِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَسْلَمْتَنِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٦٩﴾ ۝	الفرقان 27 - 29	كناية عن موضوع
قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنَ الظُّلْمِ إِنَّهُ بِبَعْضِ الظُّلْمِ إِتْرٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبٌ أَسَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِبِّهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٧٢﴾ ۝	العنكبوت الآية 12	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿٧٥﴾ أَوْ أَخَذُوا مِنَّمَا يَخْلُقُ رَبِّي وَأَصْفَيْنَاكُمْ بِالْبَشِيرِ ﴿٧٦﴾ ۝	الزمر 15 - 16	كناية عن موضوع
قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُدُّوهُ فَاقْبَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ صُجِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيمِ ﴿٧٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٧٩﴾ ۝	الحداد الآية 47 - 49	كناية تعريضية
قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا مَا أَتَيْتَ هُنَا بِآلِهَتِنَا يَا أَيُّهَا الْكَاذِبُ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدَهُمْ هَذَا فَتَلَّوْهُمْ إِنَّ كَانُوا يَظُنُّونَ ﴿٨٣﴾ ۝	الأنبياء 62 - 63	
قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَكُسُوفًا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ۝	الأنبياء 65	كناية تعريضية
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُجِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا النُّوْمُ دُؤِدٌ سُجِّتْ ﴿٨﴾ بَاقِي ذَنْبٍ قُنِيَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْخُفُوفُ سُئِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الصَّامَاتُ خُسِفَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمْتُمْ نَفْسًا مَّا أَحْضَرْتُمْ ﴿١٤﴾ ۝	التحوير 1 - 14	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٥﴾ ۝	النبأ 10	كناية عن موضوع

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَوَّاهُ بِشَرِبٍ نَجَسٍ دَرَّهَمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠)	يوسف - 20	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ يَسْرُورٌ فِي الْمَدِينَةِ آمَرَاتُ الْعَزِيزِ يُرْوَدَنَّ عَنْ نَفْسِهِ فَذُ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢١)	يوسف الآية 30	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعْبٌ شِدَادٌ يَأْكُلُ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْتَسِبُونَ ﴾ (١٨)	يوسف - 48	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ هَلْ يَسْعَىٰ وَابْتِغَىٰ عِبَادَهُ مِنَ الْعَرْشِ فُهُو كَبِيرٌ ﴾ (٤٤)	يوسف 84	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَجْرٌ لَكَ تَبِعٌ وَبِعْتَهُ نَجْمَةً وَلَنْ تَجِدَهُ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكُونُ لَهَا وَعِزِّي فِي الْخِطَابِ ﴾ (٣١)	ص الآية 23	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١)	الخمسة الآية 11	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١٥)	الخمسة الآية 14	كناية عن موصوفه
قَالَ ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ بِنُورٍ لَكَ رُؤُوسُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَرَهْبٍ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ تَرْفَعًا ﴾ (١٦)	الخمسة الآية 16	كناية عن صفة
قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ وَلَا مَرَأَ ظَاهِرًا وَلَا تَتَّبِعْ فِيهِمْ مَنَهْجَ أَحَدًا ﴾ (٢٢)	الخمسة الآية 22	كناية عن موصوفه

### التعليق على الجدول :

من خلال هذا الجدول تلاحظ الدراسة أن أسلوب الكناية في الحوار القرآني أداة مهمة في بنية المحاوره حيث تغدو الصورة من خلالها أكثر حياة وتشخيصا للمشهد العام، فعملية التصوير الكنائي تستغل في الإنسان ملكة التصور والتخيل الذهني، حتى يستحضر الصورة التي يسمعاها أو يقرأها في المحاوره القرآنية، بل وأنها وسيلة لإبلاغ الدعوة وترسيخها ونشرها.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (٢٩) [الإسراء 29] .

ففي الآية كناية عن صفة الاعتدال والتوسط بين البخل والإسراف، فاليد التي تغل إلى العنق لا تستطيع أن تمتد كيد البخيل التي لا تمتد بالعطاء والبذل، واليد التي تنبسط فلا يبقى فيها شيء كالمبذر الذي لا يبقى من ماله على شيء والتصريح بلفظ البخل أو الإسراف ليس مستهجنًا أو ممقوتًا.

وفي قوله تعالى: ﴿ سَتِيسْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝۱۶ ﴾ [سورة القلم الآية 16].

أي سيعلمه الله تعالى على أنفه علامة لا يمحي أثرها، فلا تخفى على أحد، ، ومن يراد يعرف المهانة التي لحقت به، والعار الذي ألم بسمعه فلا يفارقها كما لا تخفى العلامة التي تعلق الأنف، فالوسم على الأنف كناية عن صفة المهانة والإذلال .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ۝۲۴ ﴾ [الإسراء الآية 24] فخفض الجناح كناية عن التواضع، ولين الجانب، والمبالغة في الرحمة، والبعد عن الترفع والغطرسة في حق الوالدين، فالطائر يرفع جناحيه ويسطهما إذا أراد الترفع إلى السماء ويخفض جناحيه ويقبضهما إذا أراد أن يهبط إلى الأرض، فيلوم من خفض الجناح التزول والتواضع ، وعدم الصعود والترف، فمعنى الآية : واخفض لهما جانبك " فجانب الإنسان هو مظهر الغطرسة حين يشمخ بأنفه، ومظهر التواضع حين يتطامن، واختيار كلمة الجناح في هذا الموضع يوحي بما ينبغي أن يظل به الابن أباه من رعاية وحب، كما يظل الطائر فراخه .

إن الأسلوب الكنائي يستخدم أحيانا للستر والخفاء في المعاني التي يحمل إخفاؤها وعدم التصريح بها، لمنفاها الذوق السليم، على ألا يؤدي هذا الخفاء والستر إلى التعمية والتعقيد . كما أن الأسلوب الكنائي يمنح المعنى الحقيقي مصحوبا بالدليل، فهو بحيل لأن يده مغلولة، ومسرف لأنه ييسط يده كل البسط، مما يزيد الكلام تأكيدا .

والأسلوب الكنائي يبرز المعنى المجرد في صورة حسية ، فيترك أثرا في النفس لا نجده في هذا المعنى و تلحظ الدراسة أن " أسلوب الكناية، والاستعارة يسيران في خطوط طويلة، وعرضية ذات انحدارات طيفية تتميز بالجدة، والرشاقة تمكنها من إحصاب الفرصة البيانية التحويلية في ذهن المتلقي، وتسجل مع الأسلوب الاستعاري تقابلات إشارية، حيث أن نسبة الكناية للاستعارة نسبة خاص إلى عام فكل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية لأن الصلة بين الدلالة الحقيقية

والدلالة المجازية في الأسلوب الكنائي في صلة التلازم بينما في صلة الاستعارة صلة التشابه " الشواهد تنمو على مساحة خصبة من التعبيرات الحوارية وتتميز بالتكثيف والاختزال يستقبلها المتلقي بحاسة الإمتاع مما يجعلها تؤدي وظيفتي الإعلامية والتربوية.

صفوة القول إن المحاوراة القرآنية تقدم حقائق الحياة، والوجود والمعاد، في سلسلة من المشاهد تهدف إلى تقريب الحقيقة الغيبية في ثوب من الشخصيات المادية والمعنوية، من المتلقي و كأنه يجتاز عقبات الزمان والمكان جيئة وذهابا ، فلا يعترضهم عارض الحاضر، والماضي، والاستقبال. ولا تحدهم مدد الحياة ، ولا قصور التبصر في دقائق الأشياء .

إن المحاوراة القرآنية ، وهي تروم رفع مشاهد العالم الأخرى، يعتمد فيها إلى ضرب من التصوير، يقرب هذه المشاهد، فيجعلها حاضرة بين يدي المتلقي، ليس بينه وبينها فكر ، ولا تخمين، ولا ظن بل هي في قوة حضورها تمثل مثلث المثل المعينة، التي تفتح في النفس باب الحشية و الترقب أو باب الرجاء والأمل، و قصدها واضح المرامي، بين الأهداف، لذلك كانت المشاهد في المحاوراة القرآنية أرفع النماذج في فعالية التأثير .

وإن اكتشاف علاقات جديدة من المتباينات والمتناظرات يعكس وجود طاقة خلاقة في إنتاج الإيجابية في الخطاب الحوارية القرآني، ذلك أن التقريب بين تصورين متباعدين كل التباين يعطي الصورة كل قيمتها وكل حيويتها سواء كان بالاستعارة أم بالتشبيه، بيد أن الملاحظ على نسبة تواجد مختلف الأساليب البيانية في الخطاب الحوارية، هو هيمنة المشابهة على مساحة أداء الحوارية المكي، وتجاوزها لمجرد التجسيد المؤلف إلى بث الحركة والحياة في التصوير الحوارية.

وأما الاستعارة فقد كشفت لنا فاعليتها الإقناعية والأسلوبية وهي إحدى الأساليب القوية للتبليغ بشكل مؤثر كما أن فاعلية الاستعارة تتضح من خلال تقييدها للغة بمقام الكلام بشكل يجعلها تدخل في سياق التواصل والتفاعل الحوارية، حيث اتخذت الاستعارة طريقا لتيسير الفهم وتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، يقول حسان الباهي: " الاستعارة لا تمثل فقط تعددا في التركيب ولا تنوعا في الدلالة وإنما تعالقا بين معنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، بين ما تصرح به العبارة وتظهره وما تضره وتطويه ، وبذلك تكون الاستعارة قادرة على الجمع بين مستويات عدة حاجية كانت أم استدلالية"<sup>28</sup> . كما توظف الكناية في شبكة من العلاقات الحوارية القائمة على

المحاور ممتدة في نسق يتجاوز جزئيات في المشهد الحوارى إلى تصوير المشهد العام بحركاته وسكناته . ولعل هذا هو السر في عظمة أسلوب الكناية وروعيتها في الخطاب القرآني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



## هامش الفصل الثاني :

- 1- محمد خطايي : لسانيات النص، المركز الثقافي العربي ط 2 سنة 2006 الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان . ص 126 .
- 2- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان تحقيق محمد الاسكندراني ود . م . مسعود دار الكتاب العربي ط 2 سنة 1998 ص 72 .
- 3- الباقلائي : إعجاز القرآن دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 2001 ص 167 .
- 4- محمد فكري الجزار: سيميوطيقا التشبيه من البلاغة إلى الشعرية، نفرو للنشر والتوزيع سنة 2007 ط 1 مصر ص 27
- 5- أبو علي الحسين بن الرشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ج 1 سنة 2006 القاهرة ص 238 .
- 6- الرماني : النكت في الإعجاز [ ضمن ثلاث رسائل ] ، تحقيق وتعليق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام دار المعارف سنة - 75 .
- 7- المرجع نفسه ص 77.
- 8- المرجع نفسه ص 78 .
- 9- المرجع نفسه ص 78
- 10- الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 302 .
- 11- المرجع نفسه ج 2 ص 187
- 12- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديفي ط 1 سنة 1967 ص 58 .
- 13- عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 455 .
- 14- ابن المعتز: كتاب البديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل طبعة 1 سنة 1996 بيروت ص 2
- 15- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص 40 - 41 .
- 16- أبو بكر العزاوي: " نحو مقارنة حجاجية للإستعارة " مجلة المناظرة ، المغرب، السنة الثانية العدد 4 ماي سنة 1991 ص 81 .
- 17- عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 495 .

- 18- نزيه محمد أعلاوي : الشخصيات القرآنية ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 سنة 2006  
عمان الأردن ص 126
- 19- الزمخشري : الكشاف ج 2 ص 95 – 96
- 20- سيد قطب: في ظلال القرآن ج 6 دار إحياء التراث العربي سنة 1971 بيروت ص 3842 .
- 21- الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 375 .
- 22- المرجع نفسه ج 4 ص 24 .
- 23- ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 3 ص 537 .
- 24- السكاكي : مفتاح العلوم ص 512 .
- 25- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 234 .
- 26- المرجع نفسه ص 235 .
- 27- عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 496 .
- 28- حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، 2004  
ص 103 .

# الفصل الثالث

- أسلوبية الطباقة في الحوار القرآني
- أسلوبية التعريض في الحوار القرآني

جامعة الأزهر  
مركز الدراسات والبحوث  
للعلوم الإسلامية

## أسلوبية الطباق في الحوار القرآني :

محور التخالف [ الطباق ] : إن الحركة والتغير والضرورة هي أساس الوجود والأصل الأنطولوجي الأول الذي يستقطب الموجودات كافة ، وبالتغير يكتسب الوجود رسوخه وثباته، وما دام التغير جوهر الوجود فالتناقض كذلك من أصله وأساسه، لأن التناقض في أعماقه لا يعدو أن يكون ضربا من أضرب التغير، فالوجود دائما في مشاققة مع ذاته التناقض جوهره، والتغير قانونه الذي يجري عليه في تحققه " 1 .

الطباق من ألوان البديع التي تنهض طبيعتها الفنية على معنى [ التضاد ] وصلته بالصياغة أو العبارة صلة قوية يظهر أثرها في المعنى دون حاجة إلى تدقيق نظر؛ ولذا قال عبد القاهر الجرجاني عنه: " وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بما إلا من جهة المعاني خاصة " 2 .

ومصطلح [ الطباق ] أو " [ المطابقة ] هو المصطلح الأشهر لهذا اللون البديعي، وهو مأخوذ من قولهم طابقت بين الشيئين، إذ جعلتهما على حدو واحد وألزمتهما ؛ ومنه طابق الفرس في جريه إذا وضع رجله موضع يده، ولما كانت المطابقة الجمع بين المعنيين المتقابلين ناسب أن يتخذ من هذا المعنى لأن الفرس وقعت رجله ويده المتقابلتان في موطن واحد كوقوع المختلفين<sup>3</sup> ويعرفه ابن المعتز يقول: "المطابقة وهي من طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حدو واحد"<sup>4</sup> ويعرفه السجلماسي بقوله: " هو مثال أول لقولهم : طابق ومطابق، يخالف ونافر ومانفر، لا شاكل ووافق ولاءم، على ما يظنه قوم من العلماء ويغلط فيه كثير من الناس وجماعة من أهل الأدب. " 5 .  
وقد جرى استخدام المصطلح عند جمهرة العلماء، العسكري، وابن رشيق، والخفاجي... الخ .

### وظيفة الطباق :

إن الطبيعة الفنية للطباق تنهض بشكل رئيس على علاقة التضاد، وهذه العلاقة الرابطة بين طرفي [الطباق] ينتج عنها من داخل السياق نوع من التواصل والتفاعل يشد عرى المعاني المتواردة على هذين الطرفين؛ مما يتيح لهذه العلاقة أن تمد أطرافها لتتصل بأطراف العلاقات الأفقية المتجاورة بين سائر بني التراكيب، ومن ثم تشكل العلاقة المنوطة بطرفي [ الطباق ] جزءا رئيسا

من بناء التركيب بأكمله، ثم إن هذه العلاقة بتفاعلهما تلك ينتج عنها علاقة جدلية يبدو مظهرها في تصادمية الطرفين وما يترتب عليها من انفعال المتلقي بها .

ومن خلال هذه الطبيعة الفنية المنفردة للطباق تنبع وظيفته الرئيسة، حيث يتيح الجمع بين الضدين في هذه العلاقة الجدلية الكشف عن حقيقة كل منهما بوضوح، ويبرز أهم سماتهما، ويضع يد المتلقي على أدق ملاحظتهما ، فبالأضداد تتميز الأشياء، ولهذا وجدت هذه الدراسة أن الطباق يعد الأداة التعبيرية المثلى والمفضلة في السياقات الهادفة إلى كشف الحقائق، وتوضيحها وتمييز جيدها من رديفها، كما توظف في السياقات التي تقصد التأثير على المتلقي لإفناعه بالانحياز إلى طرف ضد نقيضه اختيارا حرا عاقلا ، وهذا التأثير يعتمد على ما يقدمه الطباق من إبراز الهوية البعيدة الفاصلة بين النقيضين، مثلما يتجلى ذلك في الخطاب القرآني، ثم إن الطباق يجمع بين هذين النقيضين وكل منهما في أقصى الطرف من الآخر يسمح للمتلقي أن يعبر جسرا طويلا ممتدا بين النقيضين، وهذا الجسر متعدد فيه وعليه درجات متفاوت من معنى النقيضين فتدنو من هذا الطرف بمقدار بعدها عن الآخر، وفي ذلك ما فيه من معاني الإحاطة والشمول ورحابة الرؤية، وهذه المعاني توظف -أحيانا- للتعبير عن قدرة من يملكها، وقد تصل إلى غايتها حيث تسند إلى المولى -عز وجل- فيكون التعبير بالقدرة على الأضداد والنقائض تعبيرا عن طلاقة القدرة الإلهية .

وستحاول هذه الدراسة، البحث عن تلك الطبيعة المميزة للطباق في إطار السياق العام للحوار القرآني .

### أشكال الطباق في الحوار القرآن الكريم:

سوف تركز هذه الدراسة في قراءتها لأسلوبية الطباق على أحد المضامين التي لا تكاد تخلو منها أي محاوراة قرآنية وهي قضية: الإيمان / والكفر، ولما لها من أهمية في البناء البلاغي لأسلوب الموازنة في الحوار القرآني..

الطباق المخض: ويعرفه القرطاجني بقوله: " المطابقة وتنقسم إلى محضة وغير محضة فالحضة مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى" <sup>6</sup> والطباق المخض هو الأصل الذي تفرعت عليه الأشكال الأخرى، كما إنه أقرب إلى الطبع والعفوية، وأبعدها من الصنعة والتكلف وقد توزع بنسبة 95% في الخطاب القرآني الكريم مقارنة مع باقي أشكال المطابقة الأخرى وبنسبة 62% في الحوار

المكي، مما يؤكد بالغ أهميته وتأثيره في إقامة أركان علاقة الموازنة؛ وعمق فاعليته في إنتاج الدلالات المنوطة به في الخطاب الحوارى القرآنى .

و في هذا الشكل الفني تتمحض علاقة الموازنة بين اللفظين المتقابلين للدلالة على معنى التضاد اتفاقاً أو اختلافًا، إيجاباً أو سلباً ويقدم الطباق المحض لدلالته الأصلية أرقى درجات الجدلية والتوتر وأعمقها تأثيراً لما تستهدفه علاقة الموازنة بين الطرفين .

وعلاقة الموازنة التي يمثل الطباق بنيتها الأساس في سياق الحوار القرآنى تقع فيه قضية الكفر/ الإيمان، ضمن محور العمل الدنيوي والجزاء الأخروي في سياق الموازنة.

تعتمد جدلية الطباق في علاقة الموازنة على التوازن بين تقديم العمل الدنيوي وما يترتب عليه من الجزاء الأخروي بالنسبة للفريقين، فريق المؤمنين وفريق الكافرين، وهذا التوازن الذي يحكم علاقة الموازنة يتيح لجدلية التضاد مزيداً من التأثير في آفاق تراحم أمام عيني المتلقي وعقله ليشمل سائر ما يتعلق بالفريقين عملاً وجزاء وفي هذا ما فيه من إثراء العلاقة والمعنى والمقصد،

وهذا المثال الحوارى في قوله تعالى يوضح ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابِ ۝٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦ الَّذِينَ

يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ [غافر 4-8].

لقد افتتح الخطاب [ لا يغرنك ] والخطاب هو للرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث

يخاطبه الله الا ينبغي أن يغتر، بأبي أمهاتهم وأتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتقبلون في البلاد

أي يتصرفون للتجارات وطلب المعاش، فأبى وإن أمهاتهم فأبى سأخذهم وأنتقم منهم كما فعلت

بأشكالهم من الأمم الماضية، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولحم الأموال الكثيرة يتحرون فيها ويربحون، ثم كشف عن هذا المعنى فقال: " **كذبته قبلهم قومه نوح والأحزاب من بعدهم** " فذكر من أولئك المكذبين قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الأمم المستمرة على الكفر كقوم عاد وثمود وغيرهم وقوله: " وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه " أي وعزمت كل أمة من هؤلاء الأحزاب أن يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويعذبوه ويحبسوه: " وجادلوا بالباطل " أي هؤلاء جادلوا رسولهم بالباطل أي بإيراد الشبهات: " ليدحضوا به الحق " أي بأن يزيلوا بسبب إيراد تلك الشبهات الحق والصدق: " فأخذتهم فكيف كان عقاب " أي فأنزلت بهم من الهلاك ما هموا بإنزاله بالرسول، وأرادوا أن يأخذوهم فأخذتهم أنا، فكيف كان عقابي إياهم، أليس كان مهلكا مستأصلا مهيبا في الذكر والسمع فأنا أفعل بقومك كما فعلت هؤلاء أن أصروا على الكفر والجدال في آيات الله، ثم كشف عن هذا المعنى فقال: " وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار " أي ومثل الذي حق على أولئك الأمم السالفة من العقاب حقت كلمتي أيضا على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم، وأن الكفار لما بالغوا في إظهار العداوة مع المؤمنين، بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش يبالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين<sup>7</sup> و حتى يصل المقصد إلى غايته تأثيرا في نفوس المخاطبين يأتي الطباق بذكر الحال النقيضة لحال المؤمنين وثوابهم ليجعلها في مقابل حال الكافرين وعقابهم وهذا التفصيل يضيف عمقا جديدا لمعنى التضاد مما ينعكس إيجابا على تحقيق الغرض من علاقة الموازنة .

وفي سياق آخر ينهض [ الطباق ] بوظيفته الرئيسة من خلال علاقة الموازنة بين حال المؤمنين وحال الكفار بيد أن نسق الموازنة هنا يقدم فيه حال المؤمنين في سياق الآية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ [ الأنعام ] [ 48-49 ]

فقد قدم حال المؤمنين وثوابهم في نسق الموازنة تواؤما مع تقديم التبشير في قوله [ مبشرين ] في حين آخر حال الكافرين لتأخير الإنذار في قوله [ منذرين ]، وبدأ يتضح أن هذه الحقيقة التي أبانت عنها الدراسة في الآية السابقة تتأكد مع المضي قدما فيه، والملاحظ أن الطباق في هذه الآية



جمع لحال المؤمنين في عملهم الدنيوي بين الإيمان والإصلاح، وهذا جار على عادة القرآن في هذا الشأن، وقابل [ آمن وأصلح ] بقوله : كذبوا بآياتنا، ليبين عن عمق التناقض بين حالي الكافرين في الدنيا، و بعد أن بين موقفهم من الإيمان، ثم رتب على هذا التناقض الهائل تناقضا مشيلا بين الجزاءين ؛ ليحقق بذلك مقصود الموازنة بين الفريقين، في إطار المحاوراة بصفة عامة .

وقريب من هذا نجد قوله تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِذَا بَاتَيْنَاكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَن أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ الأعراف 35 - 36 ].

يمثل أسلوب الشرط هنا نتيجة منطقية تترتب على تبين التقوى من الغي<sup>1</sup> وقد ربط الخطاب بفاء الترتيب " فمن " فجملة [ فمن اتقى وأصلح ] جواب الشرط، وبينها وبين جملة [ إما يأتينكم ] محذوف تقديره، فاتقى منكم فريق وكذب فريق ... ولما كان إتيان الرسل فائدة لإصلاح الناس لا لنفع الرسل عدل عن جعل الجواب إتيان الرسل إلى جعله التقوى والإصلاح، إيماء إلى حكمة إرسال الرسل، وتحريضا على أتباعهم بأن فائدته للأمم والرسل "، وقد جاء نسق الموازنة بين المطابقين بتقدم حال المؤمنين وثوابهم ؛ لأن الأصل المتفق مع الفطرة ؛ ولأن هذا الحال بما تسبى عليه من عمل هو تحقيق لوظيفة الرسل على المستوى الواقعي ، وبعد أن ذكر حال الفريق الأول بقوله : " والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها "، فقلوه [ كذبوا ] يقابل قوله [ اتقى ]، إذ يتضمن هذا الأخير " سبق الإيمان إذ التقوى والإصلاح هما ناشئان عنه ... وقابل الإصلاح بالاستكبار لأن صلاح العمل من نتيجة التقوى، والاستكبار من نتيجة التكذيب" وبهذا يبرز الطباق عمق التناقض بين حالي الفريقين وبين عمليهما في الدنيا ثم يبين ضمنا عن عمق التناقض بين نتيجتيهما على الفرد والمجتمع والحياة، ثم يمتد دور الطباق لتنهض عليه الموازنة بين حالي الفريقين في الآخرة، وقد سلك التعبير طريقة في التنظيم أتاحت للموازنة أن تحيط بأسباب التناقض بين الفريقين حتى تصل بكل الأطراف منهما إلى أبعد ما يكون عن تقيضه تعميقا له

1- قدم الدكتور سعد كميوني قراءة هامة لأسلوب الشرط في الخطاب القرآني في كتابه : الخطاب القرآني القرآن مرجعة للخطاب النهضوي، للمركز الثقافي العربي ط 1 سنة 2008 المغرب، بنظر ص 22 من الكتاب وما بعدها . . .

وتأكيدا عليه ومن أبرز ما اضطلع بهذه الوظيفة العدول عن عطف المفرد بأن يقال " فلا خوف عليهم ولا حزن " إلى التعبير بالجملة [ يحزنون ] ليأتي بذلك بناء المسند الفعلي على ضميرهم فيدل على أن الحزن واقع بغيرهم وهم الذين كفروا، فإن بناء الخبر الفعلي على المسند إليه المتقدم عليه يفيد تخصيص المسند إليه بذلك الخبر ... فيفيد أن الذين كفروا يحزنون إفادة بطريق المفهوم ليكون كالمقدمة للخبر عنهم بعد ذلك بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون " وبذلك يتحقق التناقض بين الفريقين مرتين.

ولنتأمل هذا الطباق في هذه الموازنة يقول سبحانه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ [ الأعراف 40- 42 ].

وقد ورد نسق الموازنة هنا بين المطابقين عكس سابقه؛ وذلك لأن " المقصود منه إتمام الكلام في وعيد الكفار، وذلك أنه قال تعالى في الآية المتقدمة: " والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها " ثم شرح تعالى في هذه الآية كيفية ذلك الخلود في حق أولئك المكذبين والمستكبرين<sup>8</sup>.

وقد جاء تحقيق وعيد الكافرين، وشرح كيفية خلودهم مفصلا ليكون هذا التفصيل تأكيدا لمعنى التضاد والتناقض المقصود إبرازه بين حالي الفريقين، وقد تآزرت العديد من أدوات التعبير لتحقيق الغرض ذاته ، ولعل أبرز من عمق هذا التناقض نفى دخولهم الجنة وتعليق ذلك الأمر مستحيل " حتى يلج الجمل في سم الخياط " ثم مقابلة هذه الحقيقة بنقيضها في جانب المؤمنين بتأكيد كونهم أصحاب الجنة " أولئك أصحاب الجنة " ولأن معنى التضاد والتناقض الذي يبرزه الطباق في هذه المحاوراة قويا وعميقا في نسق الموازنة هو الأداة الأهم في هذا السياق، وهو الرابط الأساسي الذي يشد عرى التراكيب المكونة له .

وهكذا يتضح أن الطباق يمثل الأداة التعبيرية الرئيسية التي منها تتكون بنية الموازنة ؛ لتكون هي السبيل الأمثل لعرض قضية الإيمان والكفر في السياق الحوارى خاصة في المواضيع التي تعرض أحوال الفريقين المتضادين .

وسياقات الموازنة المعنية بالجزء الأخرى لفريق المؤمنين والكافرين تنوعت تنوعا كبيرا في الحوار القرآنى فمنها ما جاء موجزا مجملا ، ومنها ما جاء مفصلا ، ولكن مع هذا يبقى الطباق بما يفجره من جدلية التضاد هو الأساس الذي يمثل بنية الموازنة في الحوار القرآنى .

فمما جاء فيه الطباق محدد الطرفين في نسق موازنة بحملة قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَعَابِتُنَا يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ [الأعراف 8-9]

وأىضا في قوله عز وجل : ( فَإِذَا نَفَخَ فِيهِ الصُّورُ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، تَلْفَحُ وَجوههم النار وهو فيها كالحبون ) .

ففي هذين النسقين ينهض الطباق بالدور الأهم في إقامة الموازنة بين جزاء الفريقين المتضادين ومصيرهما، وقد جاء بناء نسقي الموازنة في إطاره العام ومعناه الكلى، مع اختلاف في بعض التفاصيل الداخلية بناء ومعنى، ولعل أوضح مظاهر هذا التماثل وقوع طرفي الموازنة تفريعا في حقيقتين من حقائق القيامة حيث جاءت الحقيقة الأولى متمثلة في قوله تعالى: " والوزن يومئذ الحق "، وتمثلت الحقيقة الأخرى في قوله تعالى : " فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون "، فالطبق في الموازنة الأولى [ فمن ثقلت موازينه ] يقابله [ ومن خفت موازينه ]، وهما تفريع على كون الميزان الحق" فهو تفصيل للوزن ببيان أثره على قدر الموزون، ومحل التفريع هو قوله: [ فأولئك هم المفلحون وقوله [ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ] إذ ذاك مفرع على قوله : [ فمن ثقلت موازينه ]، و [ ومن خفت موازينه ]<sup>9</sup>

وكذلك الشأن في نسق الموازنة الآخر حيث وقع الطباق بين العبارتين ذاتهما [ فمن ثقلت موازينه ]، و [ ومن خفت موازينه ] إذ تفرعتا على قوله: " [ فلا أنساب بينهم ] وهكذا تماثل بناء نسقي الموازنة مع اختلاف يسير بين الأصلين المفرع عليهما كما بينت، وهو اختلاف مرتبط بسياق النسقين لا يؤثر في أصل المعنى المستفاد من الطباق والموازنة، وهو المعنى الذي يعمق من

التناقض بين جزاء الفريقين ويزيد من عمق هذا التناقض التصويري الجسد للجزاء في صورة ثقل الميزان وخفته، يقول بن عاشور: " وثقل الميزان في المعنى الحقيقي رجحان الميزان بالشيء الموزون وهو مستعار لاعتبار الأعمال الصالحة غالبية ووافرة، أي من ثقلت موازينه الصالحات، ... والثقل مع تلك الاستعارة هو أيضا ترشيح لاستعارة الوزن للجزاء، ثم الخفة مستعارة لعدم الأعمال الصالحة أخذًا بغاية الخفة على وزن عكس الثقل " <sup>10</sup>

وسواء أكان الوزن أو الميزان حقيقة، أم كان مجازاً، ففي كلا الحالين تبقى جدلية الطباق قائمة توضح مدى التناقض الهائل بين جزاء الفريقين، فالثقل تقابله الخفة، والحكم على فريق المؤمنين بالفلاح، يقابله الحكم على فريق الكافرين بالخسران، وهكذا يمضي توظيف الطباق في هذه السياقات ليحقق عبر الموازنة ما يناط بها من تقدم الحقائق المتعلقة دائماً بطرفي هذه الموازنة ليرتب عليها اختيار مفتوح وحر للمخاطبين جميعاً، وهو ما ينوه به في الطريقة الحوارية في الخطاب القرآني وأسلوبه في عرض القضايا الرئيسية المكونة لمنظومته، فالموازنة-إذن- من أهم أساليب التعبير الحوارية بجدليته المستمرة بتأثيرها وجدانياً وفكرياً لدى المتلقي .

ومن الأشكال الفنية المهمة للطباق في المحاوراة القرآنية، الطباق الذي يمتزج بدلالة الصورة البيانية، فتأتي حركة المعنى المنوطة بالطباق متوازنة؛ حركة المعنى الناتجة عن الصورة يقول حازم: " والمطابقة تنقسم إلى محضة وغير محضة فالحضة مفاجأة اللفظ بما يضافه من جهة المعنى " <sup>11</sup> و المتأمل في أنساق الموازنة في الحوار القرآني فيما يتعلق بقضية [ الإيمان / الكفر ] يبدو له بوضوح أن الطباق التصويري يكثر توظيفه حيث يقصد إلى تكوين مفاهيم ذات خصوصية بالمنظومة الإسلامية المتكاملة.

ومن أشكال الطباق التصويري هذا المثال، قوله تعالى تَعَالَى تَعَالَى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [ الأنعام 122 ] .

بني هذا النسق القرآني البديع على الموازنة بين حالتين ونفي المساواة بينهما، " فالحالة الأولى حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبهة بحال من كان ميتاً مودعا في ظلمات فصار حياً في نور واضح، وسار في الطريق الموصنة للمطلوب بين الناس، والحالة الثانية حالة

المشرك وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها<sup>12</sup> و هما " استعارتان تمثيلتان، و أما كاف التشبيه فهو متوجه إلى المشاهدة المنفية في مجموع الجملتين لا إلى مشاهدة الحالين بالحالين فمورد كاف التشبيه غير مورد تمثيل الحالين وبين الاعتبارين بون حفي<sup>13</sup> فالنور في تلك الهيئة مستعار للإيمان، كما أن الظلمات مستعار للكفر وبين [النور] و [الظلمات] طباق تصويري يجسم ما بين الإيمان والكفر من التناقض حتى يجعله شيئاً محسوساً معاشاً معانينا وواقعا واضحا أثره على طرفي الموازنة؛ فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، فدلالة الطباق التصويري تتكرر ليحصل مفهوم محدد للإيمان والكفر، فالإيمان نور، والكفر ظلمات، وبينهما بون بعيد، وهذا ما أراده هذا الحوار وحتى يترسخ في عقول المخاطبين، وفي قوله تعالى: " أو من كان ميتا فأحييناه " فالطباق التصويري [ميتا] و [أحييناه] يقدم مفهوما جديدا شاملا للإيمان والكفر، وذلك بالمرج بين دلالتى الطباق والصورة الإستعارية حيث استعار [الميت] للكافر، و استعار [الإحياء] للهداية للإيمان، فعلاقة التضاد بين الموت والحياة تنقل صورة لعلاقة تضاد مقابلة بين الكفر والإيمان، وآية العدول عن بنية التركيب الكلي [ أو من كان كافرا فهديناه للإيمان ] إلى بنية التركيب الظاهر في نسق الموازنة، وقد جاء هذا العدول بشكله الذي خرج عليه ليتولد عنه مفهوم جديد عبر دلالتى التضاد والصورة، فيحصل من الربط بين الموت والكفر أن يصبح الأول معادلا موضوعيا للثاني بحيث إذا ذكر الكفر تداعى إلى الأذهان الموت والعكس وكذلك الأمر في العلاقة بين الإيمان والحياة .

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [هود 24] وقع هذا النسق من الطباق في إطار محاورة بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، وأشارت المحاورة إلى بعض صفاتهم وأفعالهم ومآل كل فريق، وأعقب ذلك بالموازنة المبنية على توظيف الطباق التصويري [الأعمى / البصير]، [الأصم / السميع] يقول ابن عاشور: " بعد أن تبين الاختلاف بين حال المشركين المقتربين على الله كذبا وبين حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات في منازل الآخرة، أعقب بيان التنظير بين حالي الفريقين المشركين والمؤمنين بطريقة تمثيل ما تستحقه من ذم ومدح، فالجملة فذلكة الكلام وتحصيل له وللتحذير من موقعة سببه<sup>14</sup> فجدلية التضاد بين المطابقين لا تكتمل دلالتها إلا باعتبار دلالة الصورة التشبيهية

والمزج بين الداليتين فالكافر أعمى وأصم ، وعلى الضد منه وفي المقابل فالمؤمن بصير وسميع ثم إن المطابقة بين [ الأعمى/ البصير ] بدالتيها: التضادية والتصويرية، لا ريب أنها تستدعي إلى الأذهان والقلوب ما استقر فيها ورسخ من مفهوم الإيمان وارتباطه بالنور، ومفهوم الكفر وارتباطه بالظلمات ومن الظلمات إلى العمى، وهو انتقال منطقي من السبب إلى المسبب، فإذا كان الإيمان نورا فمن المنطقي أن يكون المؤمن بصيرا، وعلى الضد من ذلك ، إذا كان الكفر ظلمات فلا جرم أن الكافر أعمى، وبذلك يسهم الطباق التصويري في تجسيد المحاوراة القرآنية باعتبارها وسيلة من وسائل التبليغ والتأثير .

وقد يجمع نسق الموازنة بين المفهومين الرئيسيين المتضادين ينظر كل منهما إلى الآخر ويتفاعل معه وتقوم بينهما جدلية التضاد حتى تصل إلى منتهاها وغايتها فينكشف معها وبها عمق التناقض وبعد الهوة ما بين الحالين، يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۗ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۗ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۗ (٢٢) ﴾ : [عناظر 19 - 22] .

في هذا النسق من المحاوراة جمعت الموازنة بين المفهومين الرئيسيين اللذين أنتجتهما توظيف الطباق التصويري فحاء مفهوم [ الإيمان/النور/الحياة ] يضاد مفهوم [ الكفر/الظلمات/ الموت ]، كما جاء المفهوم الثاني [ المؤمن/ البصير/ الحي ] ووضده مفهوم [ الكافر/ الأعمى/ الميت ] والمفهومان وقعا في نسق الموازنة بنظم بديع معجز بني على الطباق التصويري المتتابع في إنجاز وتركيز وحسم قاطع، مما يضيف على دلالي الطباق التصويري جدلية التضاد، وحسية الصورة مزيدا من التأثير والفعالية العالية خاصة وقد صورت الموازنة مآل الفريقين المتضادين بما يناسب حالتهما ويوافقهما على ما هما عليه من التضاد وبعد الهوة، وذلك في قوله: [ الظل ولا الحرور ] فالطباق التصويري هنا عماد بناء النظم الحوارية .

وهناك نموذج آخر من الموازنة يقرر الإحاطة بالمشهد الحوارية بمقدماته ونتائجه والتي هي أفعال الفريقين المتضادين في الحياة الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۗ (٤) فَأَمَّا مَن آتَىٰ وَالْقَنَىٰ

٥) وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ٦) فَسَيِّسِرُهُ لِلْيَسْرِى ٧) وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَأَسْتَفْنَى ٨) وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ٩)

فَسَيِّسِرُهُ لِلْعَسْرِى ١٠) [ الليل 4 - 10 ]

في هذا النسق نجد أمامنا ثلاث مقدمات — أفعال يتصف بها فريق المؤمنين وهي: [ أعطى / اتقى / صدق ] وهي أفعال تتفرع على المقدمة الرئيسة لـ [ الإيمان وعمل الصالحات ] وتندرج تحتها ثلاث مقدمات هي على الضد منها— أفعال يتصف بها فريق الكافرين وهي: [ بخل / استغنى - كذب ] وهي بدورها أفعال تتفرع على [ الكفر ] أو هي من أحوله ومظاهره، فالإعطاء والتقوى هي من شعار المسلمين مع التصديق بالحسن وضد الثلاثة من شعار المشركين بخل واستغنى كذب، ويحمل الطباق الرابع بين [ اليسرى ] و [ العسرى ] بيان التناقض بين مآل هذا الفريق، مآل ضده مما يعمق من معنى التضاد واستمراره من بداية المحاوراة إلى نهايتها .

والناتج أن هذه الأنساق المبنية على المطابقة تميزت بالإحاطة الشاملة والمدهشة والمفصلة تفصيلا دقيقا ومؤثرا للمشهد الحوارى مما جعلها تضيف إضافة متميزة إلى البناء البياني للحوار القرآنى في عرضه المعجز لقضية [ الإيمان / الكفر ] .

إن التقابلات الضدية لا شك أداة مهمة لخلق حالة من الصراع في الذهن مما تؤدي إلى المعنى المطلوب منها ، والتناقض هو لب الحياة وسرها وفيه تتجدد وتستمر وبدونه تفنى وتلاشى . والطباق الوارد في الشواهد الحوارية الآتية كشف عن المفارقات، في أسلوب امتزجت فيه الصورة واختلطت بالاستعارة والتشبيه مما أضفى على المشهد الحوارى العام حيوية دافعة تستثير الفكر وتدعوه إلى التخيل، فيتحول الذهن إلى قوة خلاقة، ذلك أن رسالة الأنبياء مليئة بهذا الصراع الذى ينتهى إلى نتيجة متناقضة نجاة / هلاك .

### التعريض في الحوار القرآنى :

مفهوم التعريض: هو خلاف التصريح ، وجعل الشيء عريضا ، وأن يصير ذا عارضة في الكلام، وأن يشج الكاتب ولا يبين <sup>15</sup> .

ويقول ابن جرير الطبري " وأما التعريض فهو ما كان من لحن القول، الذى يفهم به السامع الفهم ما يفهم بصريحه <sup>16</sup> فكون التعريض لحنًا يستلزم قدرا من خفاء دلالته، ولكن هذا الخفاء



ليس بمانع من فهم المراد منه، فهما تاما ، كما يفهم من صريح الكلام، بيد أن هذا الفهم لا يستشفه إلا سامع فطن ففهم. على حد تعبير الطبري ..

وأما الزمخشري فيحدد مفهوم التعريض بقول: "الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقال المحتاج إلى المحتاج إليه : جئت لأنظر لوجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني التفاضيا .

وكأنه إمالة الكلام إلى عرض، يدل على الغرض، ويسمى التلويح؛ لأنه يلوح منه ما يريد<sup>17</sup> و ورد مفهوم التعريض عند أهل البلاغة حيث تناوله السكاكي مفرقا أثناء حديثه بينه وبين الكناية يقول: " الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويح ، ورمز، وإيماء، وإشارة " <sup>18</sup>

وأما التعريض عند الزركشي فهو " لفظ استعمل في معناه ، للتلويح بغيره، نحو قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ يَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [ الانبياء 18 ] حيث ينسب الفعل إلى كبير الأصنام، المتخذة آلهة <sup>19</sup> كأنه غضب أن تعبد الصغار معه ، تلويحا لعبادتها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم ، من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لا يكون عاجزا ، فهو حقيقة أبدا.

فإذا بقي لهذه الدراسة أن تحدد مفهوم التعريض ، بعبارة محررة، فبحسبها أن تحيل إلى تعريف ابن الأثير حيث يقول: "التعريض اللفظ الدال على الشيء ، من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي والمجازي <sup>20</sup> نفهم من هذا أن دلالة التعريض هي دلالة سياقية أو مقامية، ولعل الخطاب الحوار ي القرآني يمكن عدده التربة الخصبة التي نستشف من خلالها تحليلات التعريض ووظيفته في تشكيل المنجز الحواري. وقد ورد التعريض فيه إما من خلال العبارة القرآنية أو السياق أو المقام الحواري. و التعريض كثير الوقوع في الخطاب القرآني سيما في مقامات الحوار والجدال حيث يبدو فيها أكثر من أي مقام آخر من مقامات القول ، ومن يتتبع مواقعها فيه، يدرك مدى إثارة القرآن إياه في مقامات ومواقف كثيرة، لا تسع هذه الدراسة تناولها جميعا.



## - وظيفة الأسلوب التعريضي :

"يعتمد التعريض على درجات التسارع في الإمساك باللقطة من قبل المتلقي، وملاحظتها من المستوى السطحي المباشر إلى المستوى العميق غير المباشر، في فضاء الصياغة، وجدليتها الحركية"<sup>21</sup> يتوزع الأسلوب التعريضي في مقامات الخجاج والجدل الديني، ومواقف الحوار بين العقائد والنحل

وما يتصل بذلك، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى عما يصفون **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام 153]. فوصف الصراط بالاستقامة تعريض بغيره من السبل، سبيل المغضوب

عليهم وسبيل الضالين، و سبيل المشركين .  
و تعبق فاتحة الكتاب بشدى التعريض من ذلك: [ **رب العالمين** ] تعريض بالدهريين والملحددين.

[ **ملك يوم الدين** ] تعريض بمنكري البعث .  
[ **إياك نعبد وإياك نستعين** ] أي نخصك بالعبادة وطلب العون، نستعينك و لانستعين غيرك فيها أيضا تعريض، وأسلوب التعريض هو أحسن الطرق وأكثرها ملاءمة للمواقف التي يعلن من خلالها عن مخالفة الآخرين في العقيدة والدين دون استفزازهم .

والتعريض من أدوات السياسة النفسية الدقيقة، من خلاله تملك ناصية الخصم رغم عناده يقول الخالق **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [سبا 124] فالتسوية بين الفريقين يحمل على التأمل وهنا تولد الدلالة التعريضية .

وليس كالتعريض مسعفا حين يكون بين المخاطب والمخاطب ما يوجب احتشامه، وتخرجه من التصريح أمام من يخاطبه، إما لفرط قرب، وفضل ثقة، وإما لفرط بعد وفضل تميب، فهذا أيوب- عليه السلام- ينادي ربه **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ**

**أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [سورة الأنبياء 83].

إنه يسترحم ويسأل كشف ما به من ضرر، لكنه يعرض ولا يصرح، فمقام النبوة يملئ عليه أن يصبر، و مقام العبودية يقتضيه أن يجأر إلى ربه بالدعاء، وكان الدعاء وسيلته للتوفيق بين المتضيين والتعريض حل نفسي لمواقف الصراع، التي يقع فيها المرء تحت وطأة دافعين متضادين أو متكافئين، يؤازره أحدهما ليتكلم، ويصده الآخر ليصمت، ومن خلال هذا الحل معبرا عن نفسه بوساطة العبارة التعريضية، مثلا قوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام — للخضر — عليه السلام: **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾** | المزمع 77 | كان يعرض له باقتضاء أجر على إقامة الجدار الذي تعاوننا معا على إقامته؛ ذلك أن موسى-عليه السلام- وقع تحت وطأة دافعين قويين: الجوع، والخوف.

والتعريض مرآة يضعها المتكلم أمام المخاطب، فيرى فيها نفسه، أو يرى فيها صورة أشبه ما تكون به، وهنا يكون التعريض أقرب طرق القول وأنسبها بمقامات النصيح والتوجيه، حين تقتضي حال المخاطب وملايسات المقام أن تساق العظة بطريق غير مباشر، ويقدم التوجيه مقنعا غير سافر وفي ذلك تحفيز على التأمل والتفكير، وهو أقرب إلى الاستجابة والتقبل، يقول تعالى: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾** | اس 71 - 76 |.

هذه الآيات تعريض بمشركي قريش وهي بمثابة مرآة تعرض فيها صورتهم .

### التعريض في العبارة الحوارية:

سوف تعتمد هذه الدراسة في عملية انتقاء النماذج التي احتوت على أسلوب التعريض في الحوار القرآني على ما اتفق عليه جمهرة المفسرين لكتاب الله كالإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي والكشاف للزمخشري وجامع البيان للطبري ومفاتيح الغيب للرازي... الخ

يقول عز وجل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّالِعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَثِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿ [الأنبياء 51-67 ]

يشير السياق إلى أن حواراً عنيفاً وجدلاً حاداً دار بين خليل الله - إبراهيم عليه السلام - وبين أبيه وقومه، وأن إبراهيم عليه السلام أقسم على كيد أصنامهم، على حين غفلة منهم كيدهم أحكم خطته وتدبيره، لبيان لهم حسياً عجز آلهتهم وجهلهم العظيم في عبادتها، بعد أن تحداهم بالتوحيد، وباللجوء إلى المحاوراة .

بيد أن القوم حينما شاهدوا ما أصاب الأصنام تساءلوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ و هو سؤال يتضمن استبعاد أن يكون الفعل منهم.

وانحصر الاتهام في إبراهيم، وهو اتهام غير مباشر، يحاول من وجه أن يهون من شأن المتهم، أو يبعد عن نفسه ما قد يظن من معرفته به، ثم كان قرار المحاكمة، وتوجيه السؤال للمتهم " أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم " وهو سؤال محكم، يضيق الخناق على من وجه إليه، وفيه إشارة إلى أن المحاكمة تمت في ساحة المعبد، على مرأى من الأصنام. و يرد إبراهيم عليهم: " بل فعله كبيرهم

هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون" وهو جواب ينفي عنه الاتهام ويحوّله إلى كبير الآلهة ، وطالبهم بسؤال من أهموه بالاعتداء عليهم، وكانت صحوّة ضمير، ويقظة عقل، استبصروا الحق فيها: ( **فارجعوا إلى أنفسكم فقالوا إنكم أنتم الظالمين** ) .

ولكن سرعان ما انطفأت بصيرتهم ليعودوا إلى جهالتهم ، وتركوا القضية ، وتمادوا في الخصومة: " ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون " .

كانت القضية قضية آلهة اعتدي عليهم، والآن أصبحت قضية كبرياء وأنفة شخصية، لقد استدركوا مؤخرا ما لم ينتبهوا إليه عند الصدمة، لقد سخر منا إبراهيم حين قال: فاسألوهم، وهو يعلم أنها لا تنطق .

وهنا وابت الحجة إبراهيم، بعد أن هبأ لها الموقف ، لقد انتزع اعترافهم بأن آلهتنا عاجزة عن النطق والإفصاح عمن جعلها جذاذا، كما عجزت عن الدفاع عن نفسها، فكان هذا السؤال الذي يحمل من النكير والسخرية والتبكيت ما يحمل: ( **ألمتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم** ) .

وانتهى الأمر بهذا الضجر الغاضب عليهم وعلى آلهتهم: " أف لكم " " أفلا تعقلون " .

### الدلالة التعريضية :

المقصود بالدلالة التعريضية دلالة الكلام على المعنى المعرض به، دون غيرها من الدلالات اللفظية حقيقة كانت أو مجازا أو كناية .

واضح أن قول إبراهيم- عليه السلام- : ( **بل فعله، كجبرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون** )

إنما صدر جوابا لهم عما وجهوه إليه من هذا السؤال : ( **أنتم فعلت هذا وآلهتنا يا إبراهيم** )  
 وفحوى التعريض هو أن الأصنام عاجزة أن تفعل شيئا لا لنفسها ولا لغيرها، وبالتالي فاتخاذها آلهة تعبد باطل وضلال مبین، أما الذريعة إلى التعريض فهي كامنة في نسبة الفعل إلى الصنم الكبير وهو عاجز عنه. <sup>22</sup>

عناصر الدلالة في الأسلوب التعريضي :

يقول عز وجل: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ۝ ابوسه 150 في هذه الآيات عبارتان تعريضيتان :

- ( ما بال النسوة التي قطعن أيديهن ) .

- ( إن ربي بيدهن عليهن )

العبارة الأولى فيها تعريض سيدنا يوسف — عليه السلام — بنفسه للملك كأنه قال: ما بالي ؟ وماذا آل إليه الأمر في قضيتي ؟

العبارة الثانية فيها تعريض للرسول ألا يسأل، ولا يدخل في تفاصيل، وليحمل رسالة يوسف دون تعليق. وأما الملك فقد فهم ما عرض به يوسف، فلم يسأل عن حاله، وماذا كان بعد تقطيعهن

أيديهن، وإنما قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ۝ ابوسه 151 .

وهذا دليل على أن يوسف عرض، وأن الملك فهم ما عرض به، وهنا يبرز السياق عنصرا دالا بقوة في أسلوب التعريض .

والمتبع لأحداث القصة سوف يعود بذاكرته إلى وقائعها يستعيد ما إذا هي حية شاخصة، بمجرد أن يسمع هذه العبارة : " النسوة التي قطعن أيديهن " فهذه الإشارة كفيلا بتحديد الموقف كله، كأنما هو يقع هذه اللحظة بكل تفاصيله وملابساته الزمانية والمكانية وأشخاصه .

بهذه الإشارة وظف يوسف عليه السلام السياق، ليسترجع به المقام، ويستحضره أمام الملك، وكأنما نحن أمام إعادة نظر قضيته من جديد، بناء على طلبه، وقد حضر الشهود .

لقد جمع الملك النسوة وسأل : " ما خطبكن إذ راوَدتن يوسف عن نفسه " .إنما إعادة سؤال للشهود في قضية أتم فيها بريء، وأمضى في السجن بضع سنين. وكان جواهم، أو

اعترافهن: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ

سُوءٌ قَالَتْ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ أَلَيْسَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾  
[ يومه 51 ]

إنها تبرئة تأتي متأخرة لاتباعها اعتراف من أتمته زورا وبهتانا، " قالت امرأة العزيز: وقد استيقظ ضميرها: " الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين" [ يومه 51 ] أنا راودته أما هو فكما شهدت النسوة: " ما حملنا عليه من سوء"

وهنا أدرك الملك أن مطلب يوسف قد تحقق، ولم يعد ثمة ما يمنعه من تلبية دعوة الملك  
قَالَ تَمَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ أَسْتَخْطِضُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾  
[ يومه 54 ] وهو جواب تعريضي على سؤال يوسف التعريضي .

وفي هذه الكلمات [ اليوم ]، [ لدينا ]، [ مكين ]، [ أمين ] مفاتيح هذا التعريض.  
هذه الثلاثة هي : العبارة — السياق — المقام، هي عناصر الدلالة في الأسلوب التعريضي .  
العبارة في الأسلوب التعريضي:

العبارة التعريضية يمكن أن تكون من حيث هي لفظ دال - حقيقة لغوية- ويمكن أن تكون مجازا، ويمكن أن تكون كناية، وكل ذلك غير دلالتها التعريضية ، بحيث يسوغ لنا أن نقول: إنما حقيقة وتعريض، أو مجاز وتعريض، أو كناية وتعريض معا، في آن واحد، دون خلط بين أي من هذه الثلاثة وبين التعريض .

والتأمل لهذه العينات يمكنه أن يدرك كيف تتحلى العبارة التعريضية عبر تلك الأشكال التعبيرية، يقول عز وجل على لسان سيدنا نوح - عليه السلام- : قَالَ تَمَالَى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴾ [هود 45].

فكل جملة من هذه الجمل الثلاث تقرر حقيقة ثابتة بمقياس إنساني عام، كما في الأولى، وبمقياس إيماني خاص، كما في الآخرين، وهو في الوقت نفسه - تعريض من نوح عليه السلام بسؤال عن حكمة الله التي لا شك فيها- في غرق ابنه مع توفر موجبات نجاته، في نطاق هذه الحقائق الثلاث، التي تضمنها قوله، والتي تشكل موقفا يدعو إلى الحيرة، حيرة لا يعصم منها إلا الإيمان الواثق بوعد الله .

ويقول الخالق: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا

كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنعام 158]

في هذا النموذج تجلّى التعريض من قبيل المحاز المركب حيث تضمن ضرب مثلين ، كل منهما استعارة تمثيلية فيها تعريض بالمشركين وموقفهم من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودعوته، وأن الكافرين بعنادهم وتحديهم للحق- صرفوا أنفسهم عن مقتضى الفطرة ، من طيب وصلاح، إلى ما ينتجه الكفر من خبث وفساد، وهذا التعريض هو لب الموقف وهو محط الرحال بالنسبة لما سبقه ولحقه. وهكذا يلتقى التعريض والمحاز في كلام واحد، كما التقى التعريض والحقيقة في كلام واحد كذلك..

ولنتأمل هذا النموذج التعريضي يقول الله تعالى على لسان الهدهد في خطابه سليمان عليه

السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ

﴿٢٣﴾ [البقرة 23]

في هذا النموذج نلمح كثافة كنائية حيث تتثال ثلاثة عبارات كنائية وهي

- " تملكهم " : كناية عن خضوع أهل سبا لسلطان بلقيس .

- " أوتيت من كل شيء " : كناية عن بسطة الملك، وسعة السلطان .

- " ولها عرش عظيم " : كناية عن الأبهة ، وفخامة الشأن .

ويتوارى وراء هذه الكنايات أسلوب تعريضي من الهدهد بسليمان — عليه السلام —

حيث كان منه ما يشبه الإدلال بعلمه وملكه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [البقرة 16]، ثم

ساق الله إليه العظة ، ونبهه إلى ما في العلم والملك من عرض الفتنة .

وكانت البداية حين مر بجيشه على وادي النمل، و لفته النملة درسا في حسن الحفاظ على

الرعية : قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا

مَحْطَمَتَكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة 18] فليست العبرة بسعة الملك، وإنما



العبرة بتأدية الأمانة والوفاء بالمسؤولية . بعد أن غفل سليمان وجنوده عن الضعفاء من خلق الله ، غفلة توشك أن تحطم أمة من الأمم أمثالهم، وهم لا يشعرون .

و قد نبه حديث النملة، فتحول المشهد من عرض عليه: **﴿ قَالَ ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾** [النملة 17] إلى تفقد منه لرعيته **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾** [النملة 20] أو كان من نتائج

التفقد اكتشاف أن ثمة من غاب، ولا يدري سبب غيابه، إنه الهدهد: **﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾** [النملة 20]

ومنطق الحزم في أمر الملك قد يخل أحيانا- ودون قصد- بمقتضيات العدل **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾** [النملة 21] أصدر عليه حكما وهو غائب ولم يسأله عن ذنبه ، ولم يسمع منه دفاعا عن نفسه، وهنا استدرك: " أو ليأتيني

بسلطان مبين" ... ثم يجيء الهدهد ويفاجئ سليمان ومن معه بمنطق العدل **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَكَتْ عِثْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئَاتِنَا يَقِينِ ﴿٢٢﴾ ﴾** [النملة 22] ثم

يصف بلقيس وملكها **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾** [النملة 23].

بلقيس وهي امرأة " تملكهم " و " أوتيت من كل شيء " ، و " لها عرش عظيم " فماذا بقي لك " يا سليمان " لتفرد به، فتدل أو تعجب ؟

ثم وهذا هو الأهم **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾** [النملة 24] ترى: من المسؤول عن

إقامة التوحيد وإزالة الشرك ؟

من أتاه الله الملك والنبوة، هو سليمان- عليه السلام- دون سواه ، لكنه بدا مشغولا بملكه،

بنفخاته وضحامته، فذكرته النملة شكر من أنعم عليه بهذا الفضل **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي**

وَهَبْ لِي مَلِكًا لَا يَلْتَمِئْ لِي أَحَدٌ مِّنْ عِبَادِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ | سورة ص 35 | فهتف قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَبَسَّ صَاحِبًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ | اللؤلؤ 19 | ثم هاهو

ذا الهدهد- الضعيف- يزار بصيحة الحق : قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْأَسْحُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ | اللؤلؤ 25 | ثم بهذا التسييح والتوحيد قَالَ تَعَالَى:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ | اللؤلؤ 26 | هو وحده الملك الحق ، لا ملك

سواه سبحانه، فالهدهد يعرض بهذه العبارات الثلاث:

- " وجدت امرأة تملكهم "

- " وأوتيت من كل شيء "

- ولها عرش عظيم "

إنه يعرض لسليمان في هذه العبارات الثلاث؛ بأنه ليس بأوحد فيما ورث من ملك ؛ فهناك

امرأة مشركة تملك قومها علامة تعجب وبهذا التعريض القوي يذكر سليمان بمسؤوليته، في إقامة

التوحيد وتطهير أرض الله من الشرك، ومقولة الهدهد " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من

كل شيء ولها عرش عظيم " هذه الآية أعطتنا بلفظها ثلاث كنايات وبسياقها ثلاثة تعريضات،

كلها بالغ قوي.

والعبارة التعريضية- في دلالتها على المعنى التعريضي- يعرض لها الخفاء على نحو ما ، بحيث يعد

الخفاء خاصة تميزها ، ما دام التعريض يضاد التصريح في جوهره وينافيه .

دور السياق في السلوب التعريضي: سبق هذه الدراسة في موضع سابق تحديد العناصر التي تقوم

عليها الدلالة التعريضية، وهي العبارة والسياق ، و المقام، وقد فرغت الدراسة من الحديث بعض

الشيء عن العبارة التعريضية ، بقي الحديث عن دور السياق في أسلوبية التعريض ؟

السياق في اللغة لفظ ذو تشكيلات عديدة، وفي اللسان يأتي بمعنى المتابعة ، ومنه " ساق الإبل

يسوقها سوقا وسياقا، وتساوقت الإبل أي تتابعت " <sup>23</sup> ، وفي أساس البلاغة للزمخشري أن من الحجاز

قولهم: " فلان يسوق الحديث أحسن سياق " ، ومعناه هذا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه.

ولا ريب أن الكلمة قد مرت بتطورات عديدة حتى وصلت إلى معناها الذي يعرف اليوم ، وقد تكون كتب التفسير وكتب الأصول من الكتب الأولى التي تبلور فيها معنى السياق كمصطلح، كما نجد ذلك في [ الرسالة ] للإمام الشافعي [ - ت 204 هـ ] وتطلق لفظة السياق في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاءه في نسق واحد وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى كالمقام ومقتضى الحال والتأليف وغيرها .

وفي المعاجم الحديثة يعرف السياق بأنه بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه<sup>24</sup> ويعرفه آخرون بأنه علاقة البناء الكلي للخطاب في أي جزء من أجزائه ، و تشير هذه المعاجم إلى تظافر سياقات عديدة في النص تساهم في صياغة الرسالة اللغوية وهي السياقات النحوية والبلاغية، والصوتية . وانطلاقا منها يتداخل العديد من الاعتبارات النفسية والاجتماعية، وقد اهتم النقاد والداليون واللسانيون والأسلوبيون بالسياق من وجهات مختلفة فدرس [ أوستن ] استخراج السياق من خلال البنى المختلفة للرسالة اللغوية واهتم علماء الدلالة بالمعنى السياقي وقصدوا به المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الكلام استنادا إلى السياق كما في بحوث [ جون لايتز ] و [ فيرث ] وأبرز الأسلوبيون علاقة الأسلوب بمقتضيات السياق المقامي، وعلى رأسها الإطار النفسي للحديث، كما نرى ذلك في بحوث [ هايمز ] كما عد النقاد السياق دعامة رئيسة في تحليل النص الأدبي ونجد ذلك ماثلا في بحوث [ باختين ] وغيره.

والعناصر السياقية حسب تصنيف هايمز هي : المتكلم، والمخاطب، والمشاركون، والموضوع والقناة، والمقام، والسنن، وجنس الرسالة والحدث، والمقصد، لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر، ومن ثم - حسب براون ويول، يمكن الاكتفاء بما يلي: المتكلم، المخاطب، والرسالة، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة ، ففي رأي براون و يول كلما توفر المتلقي على معلومات من هذه المكونات تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها ، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى : " على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يرد فيه جزء من خطاب، إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل ، ومن هذه الحدود المعينات مثل : هنا، الآن، أنا ، أنت، هذا ، ذاك، من أجل تأويل هذه

العناصر، حيث ترد في خطاب ما، من الضروري أن تعرف- على الأقل- من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب" <sup>25</sup> ومع تعدد الميادين النفسية والاجتماعية واللسانية والأسلوبية واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها فإنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية، لدى كل من منتج الكلام والمتلقي، وأنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية ويأتي السياق في نوعين :

السياق اللغوي، السياق الحالي والأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص فهو يزيل اللبس عن الكلمة، بينما سياق الحال والمقام يزيل اللبس عن الجمل والنصوص، والسياق بهذا المفهوم يتعدى ما هو معروف من حيث أنه تتابع للأصوات والألفاظ ليشمل فضلا عن ذلك الجو البيئي والنفسي المحيط لكل من المتكلم والسامع ، ودراسة النص اللغوي وفهمه فهما عميقا يحتاج معرفة بالعوامل السياقية وفي مقدمتها الثقافة والبيئة والمحيط الاجتماعي ويعبر " قراهام هو " عن هذا المعنى بقوله: " إن قراءة القصيدة خارج سياقها لا تعد قراءة أبدا " <sup>26</sup> والسياق الذي نعنيه في هذه الدراسة هو الإطار اللفظي، الذي تقع داخله عبارة التعريض لأن السؤال : هل يمكن أن نتحدث عن سياق الخطاب الحوارية القرآني ؟، إن الجواب عن هذا السؤال لا يمكن في مثل هذا المقام، ذلك أن كتب التفسير والتأويل والقصص و التاريخ من شأنها أن تقرب السياق إلى المتلقي، فضلا عن الدراسات التي تناولت المفارقة الإعجازية بين الخطاب الإلهي والخطاب البشري..

إن خيوط الدلالة التعريضية تخرج من ثنايا السياق، وفي غياب السياق تقف دلالة العبارة عند معطيات اللفظ ، ومع السياق يتغير الموقف " إن السياق هو الإطار اللفظي لعبارة التعريض، وهذا الإطار اللفظي يتكوم من جملة من القرائن اللفظية، تترايط داخله وتتفاعل، فينشأ عنها تيار من الأفكار، يتفاعل هو الآخر مع المعنى اللفظي للعبارة ، فيحرك جانبها الخامل، وينشطه .  
والقرائن السياقية أشبه بالرموز، كأنها شفرة يستخدمها المتكلم ، فيفهمها المخاطب، ومن هنا كان ضروريا أن يكون بين المتكلم والمخاطب عهد سابق، أو معرفة، أو علم مشترك، بما تشير إليه تلك الرموز .

وقرائن السياق قائمة فيه : وهذا ما يميزها عن قرائن المقام التي تكون عبارة عن ملايسات خارجية حالية وقرائن السياق سابقة للعبارة التعريضية: أو لاحقة لها ، وإذا تضمن السياق سوابق ولواحق من القرائن، كان السياق موظفا في الاتجاهين معا: اتجاه التمهيد وتهيئة الذهن، واتجاه التعديل والتطوير، وكل ذلك إنما يكون لتفجير طاقات العبارة، وتوليد المعنى التعريضي<sup>27</sup>.

ولتأمل هذا النموذج، يقول الخالق سبحانه **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾** [سورة المائدة 60]. الله تعالى قصد بهذا الخبر إخبار اليهود، الذين وصفهم

قبل هذه الآيات بقبیح الأفعال و، ذمهم أخلاقهم، وكثرة ذنوبهم حتى سخط بهم الله تعالى، فمسح بعضهم قرده وبعضهم خنازير، خطابا منه لهم بذلك، الآية إذا من قبيل التعريض، وقد جاءت ردا على مقولة آثمة، وجهها اليهود للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، عندما سألمهم نفر من اليهود ، عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم - أؤمن بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .... فلما ذكر عيسى - عليه السلام - جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا من آمن به، فأنزل الله فيهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ**

**مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾** [سورة المائدة 59].

### سياقات العبارة التعريضية :

السياق يبدأ بالآية [ 12 ] وينتهي بالآية [ 82 ] وسوابقه ولواحقه التي تصب فيه :

في الآية [ 14 ] نص على أخذ الميثاق على النصارى، كما أخذ على بني إسرائيل من قبلهم

في الآية [ 15 ] خطاب للفريقين من اليهود والنصارى، تحت عنوان واحد: " يا أهل الكتاب "

و في الآية [ 18 ] : حكاية قول عن النصارى واليهود، ذكر فيه كل فريق باسمه: " وقالت اليهود

والنصارى "

وفي الآية [ 19 ] : عودة إلى خطابهم معا تحت عنوان: " أهل الكتاب "

وفي الآية [ 41 ] : تسلية للرسول — صلى الله عليه وسلم — من حزن سببه له : " الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا " و في الآية [ 53 ] تشير إلى فريق منافق، ليس من اليهود، ولا من النصارى، يسارع بالدخول فيهم، مثيرا عجب المؤمنين واستغرابهم.

وتنهي الآيتان [ 57 ]، [ 58 ] المؤمنين عن اتخاذ من يسخرون من دينهم أولياء، مشيرة إلى أن هؤلاء من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار .

وفي الآية [ 59 ] و [ 60 ] قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُّؤَبَّةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ

[ المائدة 60 ] ﴿ ٦٠ ﴾

فعلى ضوء هذا الوجه الآخر من السياق، يبدو لنا المراد بهما كما يبدو البرق من بين السحاب، يلوح ويختفي وحين يلوح يلوح بقوة، يكاد سناه يذهب بالأبصار، لكن ما يلبث أن يختفي ليلوح من جديد، وهذا شأن التعريض ؟

## هامش الفصل الثالث :

- 1- عاطف جودة نصر : السجع في تراثنا الشعري، مجلة (فصول) مجلد 4 عدد 2 ص 85 .
- 2- الجرجاني : أسرار البلاغة ص 20 .
- 3- ابن منظور : لسان العرب ج 4 ص 2638 .
- 4- ابن المعتز : كتاب البديع ص 36
- 5- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 48 .
- 6- فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، تقديم هاني الحاج، وعماد زكي البارودي، المجلد 14 المكتبة التوفيقية ج 27 القاهرة ص 28 - 29
- 7- المرجع نفسه ج 4 ص 75 .
- 8- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان بدون سنة ج 8 ص 110 .
- 9- أبو محمد القاسم السجلماسي : المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الفاسي مكتبة المعارف الرباط سنة 1980 المغرب ص 370 .
- 10- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج 4 ص 75 .
- 11- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج 8 ص 31 .
- 12- المرجع نفسه ج 8 ص 44 .
- 13- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج
- 14- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج 12 ص 40 .
- 15- الفيروز أبادي : القاموس المحيط ط 3 المطبعة الأميرية سنة 1923 القاهرة ص 16
- 16- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف ج 2. سنة 1957 مصر ص 320 .
- 17- الزمخشري : الكشاف ج 1 ص 282 .
- 18- السكاكي : مفتاح العلوم ص 190 .
- 19- الزركشي : الإقتان ج 3 ص 164 .
- 20- ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد الحوفي وبدوي طبانة ط 2 لهضة مصر سنة 1962 ج 3 ص 56 .



- 21- عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 510.
- 22- الزمخشري: الكشاف ج 2 ص 323 .
- 23- ابن منظور: لسان العرب مادة [ سوق ] المجلد 3 ص 243
- 24- رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية دار العلم للملايين سنة 1996 ط 1 بيروت ص 119 .
- 25- ج، ب، براون - ج يول: تحليل الخطاب ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع السعودية سنة 1997 ص 35 .
- 26- غراهام هو: الأسلوبية والأسلوب، ترجمة كاظم سعد الدين دار آفاق عربية سنة 1985 ص 52
- 27- إبراهيم محمد عبد الله الخولي: التعريض في القرآن الكريم دار البصائر ط 1 سنة 2004 مدينة نصر القاهرة ص 90 .

# العبارة الثالثة

البنية الصوتية في الحوار القرآني

جامعة الأميرة  
بدر  
العلوم الإسلامية  
للقادر

# المفصل الأول

تمهيد

- السجع في المأورة القرآنية
- الفأطة العوارية [ إطاء - صوتا ]
- القيمة الجمالية الفأطة
- في نفي السجع عن القرآن الكريم .
- الدور الوظيفي للسجع
- الفأطة العوارية .

## البنية الصوتية في المحاورة القرآنية

### تمهيد

للغة ناحيتان أساسيتان هما: ناحية اللفظ وناحية المعنى، والجمال اللغوي يرجع إلى هاتين الناحيتين وما يتفرع عنهما وما يتصل بهما، كالخيال والعاطفة وما عسى أن يكون للكلمات من إحاء وسحر ينشأ عن معناها أو عن جرسها، أو عما تثيره من ذكريات.

واللغة أيضا "نوع من الموسيقى، وجهازنا الصوتي أشبه بمجموعة من الآلات الموسيقية تخرج منها الألفاظ بنغمات مختلفة ودرجات متباينة من الشدة والضعف والسرعة والبطء، وغير ذلك من الصفات التي شرحها علماء الأصوات وعلماء التجويد والقراءات." <sup>1</sup> فللحروف مخارج من الحلق والفم واللسان والثنايا والشففتين والخيشوم ولها كذلك صفات كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والصفير والإطباق.

والحروف التي تتكون منها الكلمة تحدد رنائها ونغماتها وأثرها الموسيقي.

ولاختلاف المخارج والصفات في الحروف التي تتكون منها الكلمات تبعا لذلك مختلفة في الوضوح والشدة والسرعة، وفي رنينها ونغماتها الموسيقية وغير ذلك، فبعض الكلمات تبدو خافتة، وبعضها يبدو مجلجلا، وبعضها خفيف التموجات يجري كالماء، وبعضها تحس فيه صلابة، وبعضها تلمح فيه الرخاوة واللين إلى غير ذلك من الصفات التي تجعل للكلمة في النفس أثرا إيقاعيا خاصا.

"إن "كلام" أي لغة من اللغات ليس مجموعة من الأصوات المفردة؛ وإنما "كلمات" و"جملا" و"فقرات".

وإذا كانت كلمات كل لغة وجملة تتردد، من الناحية الصوتية، إلى مجموعة محدودة من "الأصوات"، فليس معنى هذا أن الأصوات في الكلمات أو في الكلام المتصل تحتفظ بخصائصها التي نسبناها إليها عندما وصفنا كل صوت على أنه وحدة مستقلة؛ تلك كانت عملية تجريد لازمة لوصف الوحدات البسيطة التي تتكون منها الكلمات، لكن ينبغي أن لا يصرفنا هذا عن تلك الحقيقة الهامة ألا وهي أن الصوت في الكلمة، وفي الجملة وفي الجمل يكتسب

خصائص جديدة. إن للأصوات فيما بينها "نحوا خاصا" إن علاقتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد مثلا إدغام صوت مع أصوات معينة في مواضع معينة؛ وقد ينقلب الصوت إلى صوت آخر في سياق معين، و قد يحذف الصوت إذا توفر فيه و فيما يجاوره من أصوات شروط معينة..."<sup>2</sup>

ومما يتحكم في الكلمة وفي خفتها أو ثقلها، انسجام حروفها وتجانسها . فينبغي الانتقال من حرف إلى آخر من غير تباعد، والإبتعاد عن تأليف الكلمات من الحروف المتقاربة أو المتباعدة، ففي التباعد طفرة وفي التقارب تعثر كالمشي في القيد .

قال الخفاجي في كتابه سر الفصاحة، على شروط فصاحة الألفاظ: " أن يكون تأليف اللفظ من حروف متباعدة المخارج. وعلّة هذا واضحة، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، ولتقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن التزاع فيه، كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة"<sup>3</sup> ولهذا السبب يقع الإدغام في اللغة العربية أو الإبدال في حالة تقارب الحروف أو اتحادها.

وقد نقل السيوطي في كتاب المزهري في علوم اللغة أن "رتب الفصاحة متفاوتة فإن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا ، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر: وأن أحسن التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط وأما ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، وما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيان في الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، وأقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط .

..... وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نقلة الانحدار من غير طفرة بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط...<sup>4</sup> ومن هذا يتضح أن الحروف التي تتكون منها الكلمات ينبغي أن تسير في تعاقبها سيرا منسجما يحقق ما أشارت الدراسة إليه، وأن الابتعاد عن هذا الانسجام في حروف الكلمة ينجم عنه تنافر الحروف وثقل النطق وقد أشار إلى ذلك علماء البلاغة في كلامهم عن فصاحة الكلمة.

وهناك ناحية أخرى لها أثر في رنين الكلمات وموسيقاها، وهي حركات الحروف وسكناها ونوع هذه الحركات، فالحركات الثلاث [الفتحة والضمة والكسرة] وتتابعها في الكلمة أو الكلمات، أو الانتقال من حركة إلى أخرى، أو جريان هذه الحركات دون أن يعترضها السكون؛ أو تكرار السكون على فترات منتظمة أو مختلفة كل ذلك له أثر في جرس الكلمات والعبارات ورنانها.

كل هذه العوامل الصوتية وغيرها، من مخارج الحروف وصفاتها وحركاتها وتتابع هذه الحركات أو تفرقتها، يجعل للكلمة قوة موسيقية خاصة.

هذا في الكلمة المفردة، وحين تتجمع الكلمات في الجمل والعبارات تكتسب جرسا موسيقيا آخر زيادة على ما كان لها من موسيقى فردية، وذلك مثل تشابه بعض الكلمات في الوزن والمكان من الجملة، أو تعاقب كلمتين متشابهتين في الوزن والرنين، أو في تجانس فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات وفي وزن كل منها، أو في التجانس في الكلمتين الأخيرتين في جملتين، أو في التشابه الذي يبرز في فترات متكافئة، أو في التدرج المتعادل، أو في التتابع المقرون بسرعة الجرس، إلى غير ذلك.

إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب الخطاب القرآني جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، ومن بين تلك الخواص نظامه الصوتي، والمراد بالنظام الصوتي "اتساق القرآن واتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكناته، اتساقا عجيبا، واتلافا رائعا، يسترعي الأسماع ويستهوئ النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور.

و بيان ذلك أن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية، وهي مرسلّة على وجه السداحة في الهواء، مجردة من هيكل الحروف والكلمات.... يشعر من نفسه ولو كان أعجميا، بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يعلها، والطبع أن يحجها، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا وإن طالت، على نمط يورث سامعه السأم والملل، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل، لأنه يتنقل فيه دائما بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة، على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب، وأعصاب الأفتدة.

وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسته الأذان العربية أيام نزول القرآن.

ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من مشور الكلام، سواء أكان مرسلا أو مسجوعا، حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر؟ ثم أنهم أدركوا في إيقاعه وترجييعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة، لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلا الشعر، ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا، حتى قال قائلهم-وهو الوليد بن المغيرة-: "وما هو بالشعر" معللا ذلك بأنه ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده...<sup>5</sup>

ماهية السجع: يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي [ت 175 هـ] أول من عرف السجع باستخدام طريقة "المشاهدة"، إذ يقول: "سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن"<sup>6</sup>.

الملاحظ أن تعريف الخليل أمله ميوّله وطبيعة اشتغاله، إذ انصب اهتمامه على الشعر، وصار الأصل الذي يقيس عليه كل شبيهه. والظاهر أن الخليل من خلال عبارة "من غير وزن" لم يكن يقصد أن الوزن لا مكان له مع السجع مطلقا، والتأمل الذي يبدو لهذه الدراسة أقرب إلى الصحة هو أن الخليل يعني أن الاتفاق في الوزن ليس مشروطا بقدر ما هو جائز؛ وهذا ما تؤكدّه الأمثلة المسجوعة التي أوردها من كلام العرب، إذ كان أغلبها متفقا وزنا.



أما ابن فارس [ ت 395 هـ ] فقد حذف عبارة [ من غير وزن ] حيث قال: " السجع في الكلام هو أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشعر كقولهم " من قل ذل، ومن أمر فل " وكقولهم : " لا ماءك أبقيت، ولا درنك أنقيت " ويقال سجعت الحمامة إذا هدرت <sup>7</sup>.

وأغلب الظن أن ابن فارس كان يضع في اعتباره ذلك الجدل الذي طرح على الساحة البلاغية حول قيمة التعادل الذي يحدثه اتفاق الوزن بين ألفاظ الفواصل، فأبو هلال العسكري [ ت 395 هـ ] يذكر في كتاب الصناعتين شيئا من هذا، يقول: " ينبغي أن تكون الفواصل على زنة واحدة وإن لم يكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن <sup>8</sup> "

وإذا كان علماء اللغة قد أسهموا - في حدود نشاطهم - في توضيح معنى السجع ، فإن كتب البلاغة العربية اضطلعت - بحكم موضوعها - بدور التعريف والرصد والتنظير والتحليل الممعن في المدرسين البلاغي والنقدي، نابعا من منطلقين في التأليف، أحدهما: الكشف عن تقاليد الفن في البيان العربي ، فعبير هذا الغرض تم معالجة السجع، وأسهم البلاغيون في تعريفه وتنميط أشكاله، إذ كانت مقولة السجع تمثل واحدة من مقولات تؤسس في مجموعها حقلا سمي علم البديع .

وكان من الطبيعي أن يكون المنطلق الثاني لتناول بنية السجع هو الاشتغال بالبحث عن مزية الخطاب القرآني والاحتجاج له بالإعجاز، ويمدنا عمل الإعجازيين من أمثال الرماني والباقلاني بمحاولات قصدية للتفريق بين السجع العربي وما ورد في الخطاب القرآني مما هو على شاكلته .

وفي مفتاح العلوم للسكاكي [ ت 626 هـ ] بناء على التعريف الذي استقاه من سابقه: " الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية <sup>9</sup> مكثفيا بالتشبيه دون أن يعتمد إلى تحديد مجال التشابه بين السجع والقافية .

يبد أن ابن يعقوب المغربي قد قام - فيما بعد - بتجريب بعض الارتباطات بينهما تبعا لقراءة ظاهر التشبيه وقراءة باطنه ، محاولا تحديد مفهوم السجع انطلاقا من تشبيهه بالقافية

ومن هذا المنطلق جعل يتساءل، علام يطلق "السجع" على اللفظة الأخيرة من الفقرة المسجوعة أم على التوافق الحادث بين اللفظين الآخرين من التركيب السجعي؟: "وعلى كل حال فليست القافية عبارة عن تواطؤ الكلمتين في آخر البيتين، يقول: "... فلما انفتح باب التأويل في كلام "السكاكي" جاز جملة على ما ذكر ... فتحصل من ظاهر ما تقرر عند السكاكي أن السجع قد يطلق على نفس الكلمة الأخيرة من فقرة أخرى، ومرجع المعنيين واحد" <sup>10</sup>.

وكما هو واضح من نص ابن يعقوب، فإنه عرف السجع بمقاييسه، فكان قياس السجع على القافية هو السبب في ترشيح ذلك المفهوم الذي تبناه، وإن يكن خالف به إجماع البلاغيين على أن المقصود بالسجع هو التوافق الحادث بين الألفاظ والفواصل المتماثلة في الحرف الأخير لا الكلمة الأخيرة ذاتها.

### في نفي السجع عن القرآن؟

يقول الباقلاني في إعجاز القرآن: " ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن . وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه . وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك مما يبين فضل الكلام، وأنه من الأسجاع التي يقع بها التفاضل في البيان، والفصاحة كالتجنيس، والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة .

وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام، ولما كان السجع قيل في موضع (هارون وموسى) ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل (موسى وهارون) قالوا: هذا لا يفارق أمر الشعر؛ لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه .

وإذا وقع غير مقصود إليه، كان دون القدر الذي يسمى شعرا. وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحم، كما يتفق وجوده من الشاعر. وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه. وبينون الأمر على تحديد معنى السجع.

قال أهل اللغة " هو موالاة الكلام على وزن واحد ". قال ابن دريد: " سجت الحمامة معناها رددت صوتها ". وأنشد :

طربت فأبكت الحمام السواجع      تميل بما صحوا غصون نوائع

وهذا الذي يزعّمونه غير صحيح . ولو كان القرآن سجعا، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها ، لم يقع بذلك إعجازا . ولوجاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز .

وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر.

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاعوا وكلموه في شأن الجنين: كيف ندي من لا أكل ولا شرب ولا صاح. فاستهل: أليس دمه قد يطل؟ فقال: " أسجاعة كسجاعة الكهان"؟ فرأى ذلك مذموما لم يصح أن يكون في دلالة، والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع ، وإن لم يكن سجعا... لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى. وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ. <sup>11</sup>.

ويمثل الباقلاني التوجه الرفض لإطلاق مصطلح السجع على ما ورد في الخطاب القرآني، ولعل هذه الحساسية الكارهة لذلك، نبتت جذورها في بيئة الإعجاز القرآني، مدفوعة بالأخص، بنهي الرسول-صلى الله عليه وسلم- نهما صريحا عما خلق إشكالا؛ إذ كيف ينهى عنه بالرغم من أن صورته ذات تجل وحضور في الخطاب القرآني ؟ لذلك تمخض عن هذا الإشكال اثنان من التوجهات البلاغية هي:

التوجه البلاغي الأول: ويرفض أصحابه إطلاق مصطلح السجع على ما ورد في القرآن الكريم من تماثل الحروف الأخيرة من الآيات المتتالية، وينصرف ذلك الفريق إلى استحداث بديل آخر لمصطلح " السجع " يضمن به فصم عرى أي علاقة بين الخطاب القرآني وما

ورد من قول في البيئة الجاهنية خاصة على ألسنة الكهنة، فاستبدلوا بمصطلح السجع مصطلحا آخر هو " الفاصلة " وتشددوا في التمييز بين المصطلحين .

والراجح أن مصطلح " الفاصلة " انبثق من رحم علم القراءات، ثم انتقل من أئمة القراءات إلى الدرس البلاغي وعلم التفسير. والتحول إلى استخدام ذلك المصطلح بدلا من " السجع " راجع إلى أسباب سوف يلي تفصيلها:

وإذا تتبعنا دلالة لفظة " الفاصلة " وجدنا صاحب كتاب " العين " يورد في مادة ما نصه " سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل، كقوافي الشعر من غير وزن "12 فمّن الواضح أن لفظة " فاصلة " تعني - عند الخليل - الكلمة التي عندها موضع انفصال العبارات.

وبتعمق تعريف الخليل يتبين أن السجع يعني عنده ؛ صفة الكلام، أما الفواصل فإنها شبيهة بالقوافي في أمرين، أن الفاصلة تمثل اللفظة التي تنتهي عندها العبارة من النثر وتنفصل عن العبارة التالية ، مثلما تعتبر " القافية " العبارة من النثر وتنفصل عن العبارة التالية، مثلما تعتبر "القافية" اللفظة التي ينفصل عندها البيتان من الشعر، وثانيهما، التشابه الصوتي بين أحرف الروي، وبناء على هذا فالفاصلة - عند الخليل - تعد جزءا من السجع.

و الفاصلة عند سيبويه [ ت 180 هـ ] تعني ما ينفصل عنده الكلام سواء أكان رأس آية أم لم يكن، يقول : "جميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل وفي القوافي، والفواصل قول الله تعالى : " والليل إذا يسر " و " ما كنا نبغ " و " يوم التناد "13

فكلمة [ نبغ ] في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغٌ فَارْتَدَّ عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف 64]

ليست من فواصل السجع حيث أنها وقعت في حشو الآية، وكذلك لفظة تناد، وهذا المفهوم ظل ملازما لكلمة "الفاصلة " في أحضان علم القراءات قبل أن تصير مصطلحا ذا سمات جديدة في ظل استخدام الدرس البلاغي لها.

ويبدو أن هذا الإجراء كان الإرهاصة الأولى لإحلال الفاصلة محل السجع ولتشكل الدلالة الاصطلاحية لها في الدرس البلاغي بأن صارت علامة على شيء آخر الوقف، ألا هو التشاكل الصوتي الحاصل بين الحروف الأخيرة من الآيات فيعرفها الرماني " بأنها متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"<sup>14</sup> ويتشدد في التفريق بين السجع والفواصل ناظرا إلى السجع على أنه نقيصة أسلوبية وعيب بينما توصف الفواصل بأنها بلاغة .

يبدو أن التخوف على القرآن وتقديسه وتثريه إعجازه عن النقائص ، أمور أفضت بالوجدان الإسلامي ردحا من الزمن إلى أن يلوذ بما لا ينور الخطاب القرآني، ولا يجلي بلاغته الرفيعة ونظمه المتلاحم، ونسقه الأسلوب، وهي مخاوف استنبتت بذرتها في تربة الجدل على أيدي المشتغلين بعلم الكلام وسرعان ما امتدت آثارها إلى الدرس البلاغي. "ومن خلال هؤلاء الأعلام نستنتج تواتر التحرج من مس القرآن باصطلاح "السجع" لأصله اللغوي في صوت الحمام، ولعيوبه الكثيرة التي لمسوها عند الخطباء المتقربين، وبعض المؤلفين في العصر العباسي، وانزاحت هذه الصورة من أذهانهم مع تقدم الزمن... وتكمن مشكلة التسمية إذن في رغبتهم في تثريه القرآن"<sup>15</sup> .

التوجه البلاغي الثاني: أما هذا التوجه الباحث في قضية السجع والفاصلة فإنه يتحرك في اتجاه نقيض لزاوية النظر السابقة، إذ لم يتوقف أصحابه عند نفي السجع عن القرآن، بل أنهم أقرروا وجوده فيه، وهو مذهب أبي هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي، وضياء الدين ابن الأثير، ولآخرين، يقول العسكري: "جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمين الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق"<sup>16</sup> .

إن أبا هلال العسكري الرجل الذي عاصر ميلاد تيار البديع، لم ير ما يستدعي معارضة ورود السجع في القرآن؛ لأنه بالفعل أداة أسلوبية ذات وجود مؤكد في نسيج الخطاب القرآني.

وفي سر الفصاحة رأي معتدل في قضية السجع والفاصلة، ففيه أن الفاصلة القرآنية على ضربين " ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا

وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعني التماثل والمتقارب من أن يأتي طوعا سهلا وتابعا للمعاني وبالصد من ذلك، حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو المذموم المرفوض، فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة متقاربة<sup>17</sup>.

ومن تحليل ابن سنان لأضرب الفواصل تبرز المعايير التي بواسطتها تتفاضل أنماط الفواصل، فالملحك الأساسي في ذلك هو أن تفضي المعاني إلى أي ضرب منهما إفضاء طبيعيا بحيث تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها، أما إن كانت الألفاظ هي المفضية إلى الفاصلة فإن ذلك يجعل الكلام بغرض الاستكراه والضعف والتكلف.

وأما ابراهيم أنيس فلا يجد ضيرا في أن نصف القرآن تتردد فيه القوافي "فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين لسان موسيقي تستمتع الأسماع بلفظ كلماته وتخضع مقاطعه في تواليها لنظام خاص يراعيه الناظم مراعاة دقيقة... فليس يعيب القرآن، أن نحكم على ألفاظه موسيقي كموسيقي الشعر، وقوافي كقوافي الشعر أو السجع، بل تلك ناحية من نواحي الجمال فيه، وليس يعيب القرآن أن نقول إن تردد مقاطع بعينها في قوله تعالى: **(وَأَلْقَى السِّحْرَ مَاجِدِينَ، قَالُوا أَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ)** قد جعل موسى يذكر في الآيات قبل هارون، في حين أنه ذكر بعده في قوله تعالى: **( وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَهُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حِينَئِذٍ أَتَىٰ، فَأَلْقَى السِّحْرَ سَجًّا قَالُوا أَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ )**.

ثم يقول: " نعم، قد اتفق مع القدماء في أن ما وقع في القرآن من آيات موزونة أو مقفاة لم يكن عن عمد أو قصد، وإنما هو الكلام العربي الموسيقي في أكثر نواحيه، وقد يقع كلام الناس موزونا دون إرادة الوزن، كأن يقول القائل " أغلق الباب واتني بالطعام "، أو أن يقول " أكرموا من لقيتم من تميم "، فكل هذا مما جاء في أوزان الشعر المعهودة، ولكن الجمال في أسلوب القرآن أن معظمه جاء متناسق المقاطع يصلح أن يضمن في شعر الشاعر دون مشقة

أو عنت. فمن جمال الأسلوب القرآني أن وقع فيه ذلك القدر العظيم من آيات موزونة موسيقية تطمئن إليها الأسماع وتنفذ إلى القلوب..<sup>18</sup> .

هذه المواقف المتباينة في قضية السجع توضح أن رفض السجع انبثق من أصل عقائدي، حيث حاول بعض الدارسين التماس ما يؤيد رفضهم، بيد أنهم تعسفوا نتيجة لهذا البعد فلم يتجهوا إلى الخطاب القرآني للمقارنة بين ما ورد فيه وما هو سجع .

لذلك سنحاول فيم يأتي معالجة الفاصلة في الحوار القرآني المكّي لاستجلاء هذه البنية الصوتية الهامة فيها.

### الفاصلة الحوارية [ إحصاءاً - صوتاً ]

سنحاول في هذا المبحث من الدراسة رصد مجموع الفواصل التي وردت في الحوار المكّي لاستخلاص الدلالة الكلية التي يمكن أن تحدد موقف الخطاب القرآني في الميل لهذه الطريقة.

مجموع الآيات القرآنية الحوارية الحالية من الفواصل	مرات تردد الآيات المفردة
1409	4827

### – القيمة الجمالية للفاصلة :

يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن المحسنات البديعية بوصفها زائدة عن الإفادة لتمثل زينة تعبيرية، يقول: " وألحقوا بما - يقصد علم البيان والبلاغة وعلم البيان - صنفاً آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه نوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منها لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك، ويسمى عندهم البديع"<sup>19</sup> ويصل ابن خلدون إلى الجزم، بأن السجع مجرد " زينة "، ليس ابن خلدون وحده ممن يحمل هذا الاعتقاد عن السجع بأنه مجرد زينة فهناك عدد كبير من الناس بالرغم من أن كلمة زينة لا تخلو من المراوغة، إذ أنها تطرح

علينا تصورا مفاده كون السجع زينة يفهم منه كونه جميلا، فهل صفة جميل ملازمة له دون قيد أو شرط؟

إذا كان التزيين هو التحسين والتجميل والزخرفة، "فإن الأمر لا يعدو كونه أمرا نفسيا تقرره الحقيقة الكونية التي مفادها أن الإنسان مهما علا شأنه أو انخفض، فإنه لا يعتقد إلا ما يراه زينا"<sup>20</sup>.

إن "التزيين أو التحسين ليس أمرا إضافيا أو هامشيا بالضرورة، صحيح أن الزينة أمر لاحق يعرض ويعن، إنه مضاف من الخارج إلى الطبيعة التي نقصدها، غير أنها حالما تتحقق تلتحم بالموضوع، ذلك أن من الزينة ما يبدو وكأنه بعض من الطبيعة ذاتها"<sup>21</sup> ويصبح إهمال التزيين عندئذ ضربا من الإخلال بطبيعة إظهار الأشياء ونوع من العقوق الفني المعيب.

وقد أدرك بعض القدماء شيئا من هذا بوعي ونفاذ بصيرة من هذا قول الإمام عبد القاهر الجرجاني "إن المعنى المقتضى اختصاصه على هذا النحو بالقبول هو أن المتكلم لم يفد المعنى نحو التحنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، حتى أنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه، ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه فيما ينسب إلى المتكلف من التحنيس المستكره، والساجع النافر"<sup>22</sup>.

إن البديع بوصفه فنا يتجه فيه المبدع بقوة صوب الشكل يعد أقوى الوسائل اللغوية إثارة للمتلقي وأعظمها تنمية للحساسية الجمالية لديه.

إن النص الجيد يحاول استخدام أي سمة فنية بقدر رحابة المعنى لها، وليس الأمر راجعا إلى كونها زينة، وهذا ما حدث في الخطاب القرآني حيث استخدم لمغزى، ولم يكن عفويا، حيث تتحرك الفاصلة داخل الخطاب القرآني في نظام منضبط أسهم في تكوين أثر معين على المتلقي.



النسبة المئوية للآيات المسجوعة	الآيات الخالية من السجع		عدد آياتها	السورة
	نهايات متباعدة في صفتها و مخارجها	نهايات متقاربة في صفتها و مخارجها		
71,42%	—	05	07	الفاتحة
18,4%	01	22	125	الأنعام
12,26%	3	10	106	الأعراف
10,09%	2	9	109	يونس
30,89%	22	16	123	هود
16,21%	1	17	111	يوسف
38,46%	15	05	52	ابراهيم
16,16%	/	16	99	الحجر
17,96%	/	23	128	النحل
43,24%	19	29	111	الإسراء
54,54%	43	17	110	الكهف
10,20%	10	/	98	مريم
16,29%	15	7	135	طه
06,25%	/	7	112	الأنبياء
03,83%	/	4	118	المؤمنون
20,80%	3	13	77	الفرقان
14,09%	5	27	227	الشعراء
08,60%	/	8	93	الزمر
05,68%	1	4	88	القصص
14,49%	1	9	69	العنكبوت
6,66%	/	4	60	الروم
29,41%	4	6	34	لقمان
10%	2	1	30	السجدة
18,51%	2	12	60	سبا
20%	3	6	54	فاطر
12,04%	/	10	30	يس
15,59%	3	26	54	الصفافات
30,68%	16	11	88	ص

الزمر	75	13	5	%24
غافر	75	13	20	%44
فصلت	54	06	8	%25,92
الشورى	53	15	11	%49,05
الزخرف	89	08	6	%15,73
الدخان	59	08	1	%15,25
الجاثية	37	02	/	%5,40
الأحقاف	35	07	/	%20
ق	45	09	8	%37,77
الذاريات	60	04	6	%16,66
الطور	49	02	3	%10,20
النجم	62	/	2	%3,22
القمر	55	/	/	%100
الواقعة	96	14	12	%27,08
الملك	30	02	/	%6,66
القلم	52	05	/	%09,61
الحاقة	56	09	/	%16,07
المعارج	44	06	3	%20,45
نوح	28	02	6	%28,57
الجن	28	06	5	%39,28
المزمل	20	/	3	%15
المدثر	56	/	6	%10,71
القيامة	40	02	1	%7,5
المرسلات	50	01	3	%8
النبأ	40	06	9	%37,5
النازعات	46	/	11	%23,91
عبس	42	/	8	%16,66
التكوير	29	04	/	%31,79
الانفطار	19	/	2	%10,52
المطففين	36	13	/	%36,11

الانشقاق	25	02	3	%20
البروج	22	01	2	%13,63
الطارق	17	04	13	%100
الأعلى	19	19	/	%100
الغاشية	62	14	12	%41,93
الفجر	30	17	13	%100
البلد	20	07	13	%100
الشمس	15	15	/	%100
الليل	21	21	/	%100
الضحى	11	08	/	%100
الشرح	08	04	/	%100
التين	08	08	/	%100
العلق	19	02	3	%100
القدر	05	05	/	%100
العاديات	11	07	1	%72
القارعة	11	05	/	%72
التكاثر	08	05	/	%13
العصر	03	03	1	%100
الهمزة	09	08	/	%100
الفيل	05	05	4	%100
قريش	04	/	/	%100
الماعون	07	07	/	%100
الكوثر	03	03	4	%100
الكافرون	06	04	/	%100
المسد	05	05	/	%100
الإخلاص	04	04	/	%100
الفلق	05	5	/	%100
الناس	06	06	/	%100

النتيجة الكلية للإحصاء:

مجموع آيات القرآن: 6236

مجموع الآيات المسجوعة : 4827

مجموع الآيات المكية المسجوعة: 1396

النسبة المئوية للآيات القرآنية المسجوعة : 77,41 %

النسبة المئوية للآيات القرآنية المكية المتقاربة في صفاها و مخارجها 10,96 %

مجموع الآيات الخالية من السجع 1409

النسبة المئوية: 22,25 %

الأصوات المتقاربة في القرآن الكريم 876

نسبتها في القرآن 14,02 %

نسبتها إلى الأصوات المتباعدة 61,29 %

الأصوات المتباعدة 552

نسبتها في القرآن 8,85 %

نسبتها إلى الأصوات المتقاربة 38,71 %

الأصوات المتباعدة في القرآن المكي 375

نسبتها إلى الأصوات المتقاربة في القرآن المكي 6,01 %

التعليق على الجدول:

يشير النظر الإحصائي سيطرة البنى السجعية على مساحة الأداء في الخطاب القرآني فنسبة السجع 77,75 % وهذا يشي على المستوى الأسلوبي بسيطرة الإيقاع التكراري أو ما يطلق عليه " المؤلفه " على المخالفة .

فالخطاب القرآني اتسم بإيثاره المؤلفه مؤكدا على القيمة الإيقاعية لها .  
يبلغ عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، المسجوع منها - فقط - هو مائة واثنتا عشرة سورة، إذا قمنا بتوزيعها على النسب المئوية الموضوعه فإن نصيب كل نسبة مقوية سوف يساوي إحدى عشرة سورة، والجدول دل على أن ثلاثة أرباع القرآن الكريم يأتي مسجوعا وتراوحت نسبة السجع فيه 70 % إلى 100 % وهذه دليل على هيمنة البنى السجعية ، وعلى اعتمادها قاعدة في الخطاب القرآني الكريم كما يشي بذلك الإحصاء السابق.

الدور الوظيفي للسجع :

لقد اثبتت كافة أدوات التعبير نتيجة الإمكانيات الهائلة لاستخدام اللغة، وبدخول هذه الإمكانيات في نسيج الكلام، وبتحوّلها من مجرد إمكانيات لغوية إلى وسائل أسلوبية تبين لها بعض الأدوار، واتضح الأثر الذي تحدثه في العملية الإبداعية، وبالممارسة استوعب المبدعون مهامها في النصوص، بحيث تمكن أن نقول إن كل استدعاء ناجح لأي أداة من أدوات التعبير البليغ هو قرين فهم يقيني لدورها الوظيفي.

لقد تجلّت أولى مراحل استخدام السجع في عصر ما قبل الإسلام، فإن ذلك يثير تساؤلاً مفاده: ما سر الحضور الواضح للسجع في نصوص هذه المرحلة؟.

المعروف جيداً أن صيغة التواصل الأدبي في ما قبل الإسلام كانت الأداء الشفوي- في أغلب لأحوال- وقد امتدت الشفاهية لتمثل صيغة التواصل فيما بعد الإسلام، متزامنة مع الكتابة في عصور التدوين "فلزمن طويل كان الصوت البشري أساس الأدب وشرطه ولحضوره فاعلية في تفسير الأدب الأول، ومن هنا أخذ الأدب القديم [ شعراً كان أو نثراً ] شكله وطابعه.<sup>23</sup> فجاء متسماً بالإيقاعية، إذ ركز على استعمال عناصر تعبيرية ذات خصائص سمعية مساعدة في سياق الأداء الشفوي، وهذا ما نعثر عليه في النصوص الشعرية والنثرية وبخاصة المسجوعة منها، فمن التعارض بين الشفرة المستخدمة [ النطق، الإنشاد، التلاوة ] وبين رغبة المبدع في أن يجعل عمله خالداً يحفظه الزمن برزت أشكال بلاغية عديدة وعلى رأسها السجع فالسجع بوصفه بنية إيقاعية هو مطلب من مطالب التفكير الشفاهي الذي يميل إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوجية يساعد على التذكر.

أدرك القدماء المهمة الموكلة بالسجع، يقول الجاحظ: "قيل لعبد الصمد بن فضل عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: ... لأن الحفظ إليه أسرع، والأذان لسماعه أنشط، وهو أدق بالتقييد، وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب

من جيد المنشور، أكثر ما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنشور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره<sup>24</sup>.

وكذلك ربط "ابن جني" بين الأثر النفسي الناتج من التوظيف الجمالي للسجع وبين عمليات التلقي والحفظ، إذ يقول: "فلو لم يكن المثل مسجوعا لم تأنس النفس إليه، ولو أنقت لمستعمه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وحيء به من أجله"<sup>25</sup> يبدو أن بنية المثل عند ابن جني ذات أثر سيكولوجي في النفس، ثم ينعكس هذا الأثر على عمليتي الإستيعاب والاسترجاع وغياب هذه البنية في المثل يصدّم انتظار القارئ ويصعب عليه عملية الاسترجاع.

تعد التلاوة الجهرية الأساس في انتشار القرآن، ومن ثم كان لا بد من احتواء النسيج القرآني على دعامة لغوية تسهم في استعادة ذلك النسيج بصورته لفظا ومعنى، فكان السجع بمثابة نتيجة طبيعية لشفاهية الأداء، وذلك لما به من جوهر موسيقي يعلق بالأفئدة، يقول عز

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [صورة القمر الآية 22].

ولعل الحلاوة والطلاوة التي استشعرها العربي في الخطاب القرآني، كانت نتيجة عنايته بالجرس والإيقاع من خلال توظيف الأدوات الإيقاعية "كالسجع" الذي يضمن في موضعه دلالة مستمدة من الطبيعة الصوتية للحرف بما يحقق من موسيقى تتسق مع إطار الآية وإطار السياق وإطار السورة كلها.

ولعل انشغال عبد القاهر الجرجاني بقضية النظم، التي لم تتخلص لا من الدوران في إطار ثنائية اللفظ والمعنى، ملتفتا إلى فضيلة الجانب الصوتي حتى أنه استبعد أن يكون البرهان الذي بان للعرب، والأمر الذي بهرهم في القرآن راجعا إلى الفواصل وأواخر الآيات.

### أبنية الفاصلة:

للفاصلة في الحوار القرآني، عدد من الأبنية من حيث حرف الروي أو الوزن أو طول القرينة، أو طول الفقرة؛ أو من حيث موقع الفاصلة، أو مقدارها من الآية، أو مدى التكرار، وقد رأى "محمد الحسناوي" أن الفاصلة تنبني على ما يأتي:

1- بحسب حرف الروي: ولم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروي دائما التزام الشعر والسجع؛ ولم تحمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها صبغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة .

أما المتماثلة وتسمى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التامة-فهي التي تماثلت حروف رويها، كقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكُنِبِ مَسْطُورِ ۝٢ فِي رَقٍ مَّنْشُورِ ۝٣ وَالْيَتِىِّ الْمَعْمُورِ ۝٤ ﴾ [ الطور الآية 1 - 4 ]

وقد تتفق الفاصلتان في حرف أو أكثر قبل الروي، من غير كلفة، ولا قلق، بل تنساب في لين وجمال وسلاسة. مثال التزام حرف، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [ الانعراج الآية 1 - 4 ] .

ومثال التزام ثلاثة أحرف: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِى اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰغِىٓفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا ۝١ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝٢ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُم بِفِي الْعَنَىٰ تَعْمًا لَا يُقْصِرُونَ ۝٣ ﴾ [ الانعراج الآية 201 - 202 ]

أما الفاصلة المتقاربة، فهي التي تقاربت حروف رويها، كتقارب الميم من النون: قَالَ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِىْمِ ۝١ مَلِكِ يَوْمِ الدِّىْنِ ۝٢ ﴾ [ الغانمة . 3- 4 ]

أما الفاصلة المنفردة- وهي نادرة- فهي التي تتماثل حروف رويها ولم تقارب، كالفاصلة التي ختمت بها سورة " الضحى " : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِىْمَ فَلَا تُفْهَرُ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ [ الضمى الآية 9 - 10 - 11 ] .

2- بحسب الروي : الفاصلة أنواع من حيث توافر الوزن أو عدمه ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر، أو انفراده، أقسام ، فهناك المطرف : وهو ما اتفق في حروف الروي لا في الوزن، نحو قوله عز وجل : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ ﴾ [ النور الآية 13 - 14 ]

3 - بحسب طول الفقرة: وهذا النوع على ثلاثة أقسام: قصير وموجز، ومتوسط معجز، وطويل مفصح مبين للمعنى مبرز .

أما الأول وهو القصير :فإن أقصر الفقرات القصار ما يكون من لفظ واحد، أو عدد من الحروف، كقوله تعالى: (طسم)، (الرحمان)، (الحاقة)، (القارعة)، وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات .

وما بين هذين متوسط، كقوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [البقرة 01 - 04].

4- بحسب طول القرينة : المراد بطول القرينة ، مقدار طولها بالنسبة إلى القرينة الثانية والثالثة ، وتنقسم الفواصل بحسب مقادير قرائنها إلى أقسام كالآتي :

أ- أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات لا يزيد بعضها على بعض، ولا تضر الزيادة في عدد الحروف، لأن التساوي فيها غير مشروط مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ

الْيَمِينِ ۝٣٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٣٨ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝٣٩ وَظَلِّ مَمْدُودٍ ۝٤٠ ﴾ [الواقعة 27 - 30]

ب- أن تختلف القرائن طولاً وقصرًا ، وهو أكثر من نوع :

1- أن تكون الثانية أطول من الأولى، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ ﴾ [الفرقان الآية 11-12] فالأولى : ثماني كلمات ، والثانية تسع، والثالثة نحو ذلك .

2- أن تكون الثانية أقصر من الأولى: كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ ﴾ [الغاشية، 17 - 18]

3- أن تكون الأولى أقصر-والثانية والثالثة متساويتان- كقوله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا

بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا

وَزَفِيرًا ۝١٢ ﴾ [الفرقان الآية 11 - 12] فالأولى من ثماني كلمات، والثانية والثالثة من تسع .

4- أن تكون الأولى والثانية متساويتين ، والثالثة زائدة عليهما، كقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ

۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ ۝٣١ ﴾ [الحاقة الآية 30 - 31] فخذوه : قرينة وغلوه : قرينة ثانية ، وهما



متساويتان، ولا عبرة بالفاء المأني بما للترتيب، " ثم الجحيم صلوه " : قرينة ثالثة، وهي أطول مما قبلها .

بحسب مقدارها من الآية :

من الفواصل ما هو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النوع الثاني هو النوع الغالب المطرد.

الفواصل التي تستغرق آية ترد في فواتح السور، وهي على شكلين :

الشكل الأول : المؤلف من مجموعة حروف مثل : " حم " أو " طسم " .

الشكل الثاني: المؤلف من كلمة مثل : " الرحمن " أو " الحاقة " أو " القارعة " .

أما الفواصل التي هي بعض آية ، فعلى وجهين :

أحدهما : ما كان جزءا من الآية، لا تقوم الآيات إلا به، ولا تستقل هي بمفهوم في غير آياتها،

وذلك كثير في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْتَجِرْ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

﴿النبي، 1 - 3﴾ أو أكثر قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو

من الاتصال .

ثانيهما : ما جاء وكأنه تعقيب على الآية، أو تلخيص لمضمونها، أو توكيد لمعناها. وقد

تصرف القرآن في هذا تصرفا عجيبا، فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنها رجع الصدى، أو

إجابة الداعي إذا دعا. <sup>26</sup>

ويتحرك الإيقاع الحوارية في الخطاب القرآني وفق أشكال متنوعة، سواء في بنية فواصله

أو في حركة الإيقاع العام للمحاورة، مجسدة في شكل توازنات صوتية أو أنماط دلالية ناجمة

عن طغيان بعض الأصوات دون غيرها، وهذه الأشكال التي ترد من خلالها الفاصلة في

الحوار القرآني هو ما سيكون مثار البحث في الفصل القادم من الدراسة ؟.

## هامش الفصل الأول :

- 1- عبد الحميد حسين : الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 سنة 1964 القاهرة ص 36 - 37 .
- 2- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت ص 187 - 188 .
- 3- ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة : تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبح القاهرة سنة 1969 ص 60 .
- 4- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي : الزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط وتصحيح فؤاد علي منصور، المجلد الأول دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 1998 ص 156 - 157 .
- 5- محمد عبد العظيم الزرقاني : العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز أحمد زمرلي دار الكتاب العربي بيروت ط 4 ج 2 سنة 2002 ص 244 .
- 6- الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين، تحقيق عيد الله درويش مادة [ س، ج، ع ] مطبعة العاني، بغداد سنة 1967 ص 244 .
- 7- أحمد بن فارس ابن زكرياء : معجم مقاييس اللغة مادة [ سجع ] اعتنى به محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ط 1 سنة 2004 ص 484 .
- 8- أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين [ الكتابة والشعر ] تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية ط 1 بيروت سنة 1981 ص 289 .
- 9- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، تحقيق وتقديم وفهرسة عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 2000 ص 542 .
- 10- ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح، دار الهادي بيروت ط 4 سنة 1996 ج 4 ص 445 .
- 11- القاضي أبي بكر محمد ابن الطيب الباقلائي : إعجاز القرآن ، تعليق أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 2001 ص 48 - 49 .
- 12- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، مادة [ سجع ] ص 244 .
- 13- سيويه أبو بشر عمر بن عثمان قبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة 1979 ج 4 ص 184 - 185 .
- 14- الرماني: النكت في الإعجاز [ ضمن ثلاث رسائل ] تحقيق وتعليق محمد خلف الله، زغلول سلام دار المعارف سنة 1956 ص 97 .

- 15- أحمد ياسوف : جمالية المفردة القرآني في كتب الإعجاز والتفسير ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 سنة 1994 سوريا ص 311 .
- 16- أبو هلال العسكري: الصناعتين ص 285.
- 17- ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ص 165 .
- 18- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3 سنة 1965 القاهرة ص 308 – 309 .
- 19- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر ص 407.
- 20- سعد كموي: الخطاب القرآني ص 94 .
- 21- عاطف جودة نصر: البديع في تراثنا الشعري، مجلة فصول مجلد 3 عدد 2 سنة 1984.
- 22- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة تحقيق محمد شاكر مكتبة الخالجي القاهرة ص 9 . 21.
- 23- محمد الماكري : الشكل والخطاب ، مدخل إلى تحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي ط 1 سنة 1991 ص 127 .
- 24- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ص 275 – 276 .
- 25- ابن جني: الخصائص تحقيق محمد علي النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 3 مصر ص 216.
- 26- محمد الحساوي : الفاصلة في القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع ط 2 . عمان الأردن . سنة 2000 . ص 145 – 156 .

# الفصل الثاني

- مركبة الإيقاع في الحوار القرآني
- التوازنات الصوتية في المحاور القرآنية
- السوامت الواقعة في الفواصل الحوارية
- ماء السكوت

لماذا يوظف الخطاب القرآني الهندسة المسافية للسمع

دون غيره ؟

- دلالة الفاصلة الحوارية

الإسلامية

حركية الإيقاع في الحوار القرآني : عندما لا تتوالى الفواصل على نفس الإيقاع فإن ذلك يحدث كسر توقع القارئ فالآيات القرآنية تتحرك في انتظام يزداد بتوقع سماع الصوت المسجوع في نهاية الآية، ثم تأتي آية فيها ترسل فيكسر فجأة توقع القارئ، ويقتل الرتبة التي قد يحدثها تحقق انتظار القارئ لتكرار الصوت المسجوع ..

وبذلك نطرح هذا السؤال: بأي كيفية تتحرك البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني؟

يعمد الخطاب القرآني إلى الجمع بين السجع والترسل، لكن السجع يمثل القاعدة، بينما يمثل الترسل العدول، فكيف يقوم العدول على المؤالفة إلى المخالفة بتشكيل أسلوبية النص وخدمته جماليا وداليا؟

إننا لا نستطيع أن نفهم دلالة التخلي عن السجع لصالح الترسل إلا في نطاق الخطاب ككل، والنظر في الخطاب القرآني يشير إلى أنه قد اكتفى في بعض مواضعه، توظيف إحدى البنيتين،

وفي مواضع أخرى كان يضاف بينهما، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُلْ أَصْحَابُ الْأَحْزَابِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البورج الآيات 1-7].

هذه الآيات تمثل وحدة دلالية واحدة لكن الروي لم يأت متماثلا فالآية الأولى محتومة بحرف "الجيم" بينما تنتهي بقية آيات الوحدة بحرف "الدال" ومبررات المخالفة الصوتية بين نهايات الفواصل لا تظهر إلا بوضعها في علاقة مع السياق الذي يبرز اختلافات دلالية دقيقة بين القسم في الآية الأولى والقسم في الآيات التالية، فالواقع أن المشاهد المقسم بها تنتمي إلى حلقات زمانية متباينة، فالسماوات ذات البروج مشهد يطالعنا في الحلقة الزمنية الأولى "زمن الحياة الدنيا" بينما يتصل "اليوم الموعود"، "وشاهد ومشهود" بالحلقة الزمنية التي يمكن أن نعتبرها حلقة ثالثة بعد الموت، وهي حلقة الحياة الآخرة، ومن ثم يمكن اعتبار السماع مدخلا أساسيا من مداخل تأمل الفروق الدلالية الدقيقة في التعبير القرآني ومن ثم التعبير الحوارى.

ويتجلى من خلال الإحصاء الذي قامت به الدراسة على الخطاب القرآني أن الآيات المفردة غير المسجوعة وردت خمسا وثمانين مرة، أي بنسبة 5,95% وأما التي وردت مسجوعة في هيئة حوار مكى فعددها 395 مرة أي بنسبة 77,75%.

وقد تجلت الوحدات المفردة في الحوار القرآني غير المسجوع في القصص خاصة عندما يستقل كل مشهد عن تاليه، بمحور معنوي له اتصال خفي بالدلالة العامة، ومن الإعجاز الصوتي في القرآن أن يتم في الغالب توظيف حرف مختلف تبعا لاختلاف المشاهد ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ [ الآية 22 سورة إبراهيم ]

- كما أن كل آية تبدأ بلفظة " إذ " تلك التي تحيل على مشهد مستقل عن تاليه، وقد جاء اختلاف الصوت الذي تنتهي به كل آية مؤشرا على هذا الاستقلال مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾ [ الأعراف الآية 10 ] .

- وفي الآيات التي تتناول الأحكام، حيث استقل كل حكم بذاته، والغالب فيها أن تكون على أحرف مختلفة أيضا، وقد تكون في إطار الموضوع نفسه، ولكن كل حكم مستقل عما قبله أو ما يليه مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذِّبِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوْفَوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ [ الأعراف 37 ] .

- وفي الآيات التي احتوت على أوامر من قبل الله عز وجل مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

﴿ [الأعراف 29]

### التوازنات الصوتية في الخطاب الحوارية القرآني المكّي :

التوازي هو عبارة "عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارة القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازنة، سواء في الشعر أو في النثر...<sup>1</sup> وعند علماء الأصوات ف التوازن أم الموازنات و"تألف من عناصر لغوية مشخصة، فهو عبارة عن تردد الصوامت والصوائت اتصالاً وانفصالاً في مستويات من التمام والنقص"<sup>2</sup> والتوازي وسيلة تهتم بالتوزيع والتنسيق الصوتي واللفظي والإيقاعي في الصياغة، وأول باحث في العصر الحديث أعطى مفهوما عميق وموسعا للتوازي الصوتي هو "رومان ياكسون" والذي قام بتصنيف أنواع التوازي إلى قسمين :

- التوازي الصوتي.

- التوازي اللغوي غير الصوتي ويضم فيه التوازي التركيبي والتوازي الدلالي القائم على التقابل الترادفي والتقابل الأضدادي.<sup>3</sup>

وقد تناولت الكثير من الدراسات في القديم والحديث التكرار الصوتي في الخطاب القرآني واستأثرت فواصل الآيات بالنصيب الكبير من عناية الباحثين الذين أسهبوا في الحديث عن أهميتها الموسيقية والإيحائية في الخطاب القرآني، فالزركشي يحدثنا عن أثر الفاصلة القرآنية في تحسين الكلام إذ يقول: "واعلم أن إيقاع المناسبة بين الفواصل حيث تطرد، يؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في النفس تأثيراً عظيماً"<sup>4</sup>.

وهذا النموذج من الذكر الحكيم قد يفيد في إعطاء لمحة عامة عن أكثر التنويعات الإيقاعية تواجدا في الخطاب الحوارية، ومن بينها الفاصلة الحوارية، على أن تقوم الدراسة بالتفصيل في قضايا الإيقاع الحوارية في مواضع لاحقة ..

لقد رغب الله تعالى الأمم في قبول دعوة الأنبياء عليهم السلام بالتخويف أولاً ثم بالترغيب ثانياً وذلك لأجل التنبيه على كثرة نعمه على الخلق والتي لا يليق بها التمرد والجحود، فقد حاور عز وجل إبليس لما رفض الامتثال لأمره بالسجود لأدم سماحاً له بالتصريح بأهوائه ومشاعره، بالرغم من علمه المحيط بها ومعرفته المسبقة بنهاية هذا الحوار، يقول الخالق تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَاتَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

[الأمرافه 11 - 18].

إن تكرار أجزاء متساوية في فواصل هذه الآيات [الواو، والنون]، [الياء، والنون] أضفى على هذه المحاورة نغمة موسيقية متناسقة مما أسهم في بنيتها المعمارية والتي تتمظهر أيضاً من خلال التنسيقات الصوتية والتي جاءت على أشكال منها ماهو " متصل أو منفصل أو مفروق أو مجموع، وفي تكرارات معجلة أو مؤجلة"5.

مما يسهم في إبراز الهندسة الصوتية الأساسية في هذه المحاورة .

فقد تحققت الهندسة الصوتية الخاتمة في نواتم كل الآيات باستثناء قوله عز وجل: " فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم" وذلك باستخدام المقطع [يم ]

وأما الهندسة الفاتحة فقد تحققت في استعمال فعل القول "قال" في صيغة الماضي كما تحقق التناظر الصوتي على مستوى الدوال بين :

- خلقناكم / صورناكم

- اسجدوا / فسجدوا



- خلقتني / خلقتة

- لأقعدن / لآتينهم ، فقد أعلن إبليس في هذه العبارة على المواظبة على الإفساد في الأرض مواظبة لافتور فيها ..

وتحقق التناظر المعنوي بين :

- نار / طين

فإبليس يرى أن النار أفضل من الطين، فالنار مشرقة علوية لطيفة حارة مجاورة للسموات وأما الطين فمظلم سفلي كثيف ثقيل بارد بعيد عن مجاورة السموات.<sup>6</sup>

وبين :

- أيمانكم / شمائلكم.

مما حقق تلاؤما صوتيا أثرى النسيج الصوتي لهذه المحاورة وأسهم في تأثيرها في المتلقي.

كما يلاحظ تراخ في الإيقاع في بداية المحاورة وفي ختامها وذلك باستخدام " ثم " التي

تفيد التراخي إنه تراخي إبليس عن قبول دعوة الخالق،

بينما يتسارع الإيقاع فيما تبقى .

وتشترك الآيات في تكرار المقطع [ ين، ون ] وقد وردت ملائمة لمعناها مستقرة في

قرارها، مرتبطة بالسياق وبالفكرة الهدف من دعوة الأنبياء للأمم، وهذا الشكل من التوزيع

الإيقاعي يرد على سبيل الكثرة والشيوع في الخطاب الحوارية القرآني، بيد أنه لا يشكل

توزيعا ثابتا في كل المحاورات، وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي :

- الصوامت والصوائت الواقعة في الفواصل الحوارية:

إن إهمال علماء الدرس العربي القديم، اللغة المنطوقة، أوقعهم في شائكات تحليلية، قادتهم

إلى عدم الصواب في التصور والبيان، وهم يتحدثون عن الصوامت والصوائت، ويقيمون

الأوزان ، ويعطون مركز الصدارة للأصوات الصامتة ، ويهملون الصوائت، وكل ذلك تأتي

من أحكامهم التي اعتمدت المكتوب دون الملفوظ .

الصوائت والصوامت : هي أصوات تصدر دون إعاقة تيار النفس الخارج من الرئتين ويتم التمييز فيما بينها بواسطة تغيرات حجم حجرات الرنين وشكلها وهذه الأخيرة تتكون من التجاويف فوق المزمارية ، أما الصوامت فإنها أصوات تحدث لتيار النفس عند نطقها في أحد مواضع النطق نوعا من الإعاقة التي قد تكون حقيقية أو شديدة ، أو نوعا من الإغلاق التام الذي قد يكون واحدا أو متكررا.<sup>7</sup>

وتتألف اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيمًا تركيبيا موزعة على النحو الآتي :

1 — ستة وعشرون فونيمًا للصوامت .

2 — فونيمان لأنصاف الصوائت .

3 — ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة .

4 — ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة .

والفونيمات التركيبية تتوزع وفق اعتبارات ثلاثة :

— طبيعة الانتقال الإهتزازي للأوتار الصوتية

— إلى مجهورة وعددها [ 15 ] وحدة صوتية : ب، م، ذ، ظ، د، ز، ض، ن، ل، ر، ي،

ج، غ، و، ع، ، ومهموسة وعددها [ 12 ] وحدة صوتية : ف، ت، ث، ط، س، ش،

ص، ك، خ، ق، ح، ه، ووحدة صوتية واحدة لا مجهورة ولا مهموسة وهي همزة القطع<sup>8</sup>.

النسبة المئوية (%)	مرات تردده	الصوت	عدد آيات المسجوعة المنتهية بصامت
17.22 %	2957	النون	4469
12.82 %	573	الراء	
07.99 %	357	الميم	
04.56 %	204	الذال	
02.71 %	121	الباء	
02.17 %	97	اللام	
00.90 %	40	الهاء	
00.81 %	36	التاء	
00.49 %	22	القاف	
00.49 %	22	العين	
00.22 %	10	السين	
00.20 %	09	الفاء	
00.13 %	06	الكاف	
00.11 %	05	الجيم	
00.07 %	03	الهمزة	
00.07 %	03	الحاء	
00.04 %	02	التاء	
00.04 %	02	الظاء	

الصوائت الواقعة في السجع القرآني :

النسبة المئوية	مرات تردده	الصوت	الآيات المسجوعة الحوارية المنتهية بصائت
% 66.76	239	الألف	358
% 33.24	119	الياء	

الأصوات الممثلة للسجع في السور المكية

النسبة المئوية (%)	مرات تردده	الصوت	عدد الآيات المسجوعة في السور المكية
61.42	2321	النون	3779
11.72	443	الراء	
06.32	239	الألف	
04.95	187	الذال	
03.94	149	الميم	
03.15	119	الياء	
02.72	103	الباء	
01.77	67	اللام	
00.95	36	التاء	
00.87	33	الهاء	
00.58	22	القاف	
00.53	20	العين	
00.23	10	السين	
00.24	09	الفاء	
00.16	06	الكاف	
00.13	05	الجيم	

00.08	03	الحاء
00.08	03	الهمزة
00.05	02	التاء
00.05	02	الظاء

من خلال الإحصاءات السابقة يمكن استنتاج ما يأتي :

— تُميل حَسَبَ الروي في السجع الحواري القرآني إلى الحرف الصامت فقد بلغت نسبة حضوره في أواخر الفواصل القرآنية 92.6% بينما لم تتجاوز نسبة ظهور الحروف الصائتة [ الألف ] و [ الياء ] نحو 7.42% .

نعل غلبة الحروف الصائتة في السجع القرآني يعزى إلى أمور منها : رحابة العطاء المعجمي المنتهى بصوامت، لأن الصوامت تشكل قوة ارتكاز إيقاعي ، و من ثم كان توظيفها أحد إجراءات التأثير على السامع، هذا والمفاضلة بين الصامت والصائت إنما تؤول قبلا إلى اختيار الخطاب لدال الفاصلة القادر على أداء المعنى الدلالي وخدمة مقام الحديث .

— من خلال الجدول نلاحظ هيمنة كل من النون والراء والميم والألف والذال والباء والياء واللام بالترتيب كروي للفاصلة الحوارية .

والحقيقة أن " النون " واحدة من أسرة صوتية تمثل كافة أفرادها داخل تصنيف الأصوات المهيمنة في السجع القرآني وتسمى هذه الأسرة باسم "الأصوات المتوسطة" وتتكون من : النون، الراء، الميم، اللام، وهي من أكثر الأصوات وضوحا في السمع وأكثرها إسهاما في التمكن من التطريب، ووردت النون على رأس الأصوات العربية نظرا لكونها أطول الأصوات من حيث المدة الزمنية التي تستغرقها في النطق كما أنها تتمتع بميزة موسيقية ظاهرة في الغنة، صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم، وتعطي إحساس المد، وتعادل قيمة موسيقية

ويعد الألف أكثر الصوائت شيوعاً في الخطاب القرآني كونه أسهل الصوائت الطويلة نطقاً ، وتحتل الألف المركز الثالث في السور المكية من حيث الأصوات المهيمنة تقع في حوالي 2.32% من مجموع الآيات المسجوعة.

والعامل المؤهل لشيوع الأصوات الصائتة في السور المكية إلى ما يثيره المد فيها في موضعها السياقي من ترنم وموسيقية وتطريب يتناسب مع طبيعة الخطاب المكّي الموجه إلى الوجدان بالدرجة الأولى ، فالصوائت تتميز بأنها أطول مدى من جميع الصوائت .

وهناك أمر مهم عن " الألف " وهو تحقيق الهمزة في بعض الفواصل القرآنية وبخاصة في مواضع كان الانسجام الموسيقي فيها يتطلب التسهيل مثال ذلك كلمة [ شيئاً ] في أربع

آيات من سورة مريم هي قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتِكُ

مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [ مريم الآية 9 ] وقوله ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ

وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٤﴾ [ مريم 42 ]

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝٦٧﴾ [ مريم 67 ]

إن الآيات الأربع السابقة لو قرئت بتسهيل الهمزة لكانت منسجمة مع الفواصل

الأخرى، تلك التي انتهت بالياء الممدودة بالألف في سورة مريم .

إن الهدف من تحقيق الهمزة يعزى لكونه عاملاً تطريزيا ينتج عنه نشوء نوع من النبر

يسهم في إبراز المقطع الأخير وجعله أكثر قوة للإسماع ولأجل إسناد قيمة إضافية للتعبير،

وهي التأكيد .

ولما كان أول مفاتيح النفس هي الأذان المدركة، فقد حرص الخطاب القرآني على أن

يتوسل بهذه الأصوات الموسيقية، وبغرض جذب الانتباه، وإيقاظ الوجدان، وإعمال العقل

والفكر وهذه الإيقاعية لا شك كانت عاملاً قويا في تكيف عقل السامع وثيقته لتلقي

الرسالة السماوية.

ويعد الوقف دعامة أساسية تسهم في إبراز الجمالية الإيقاعية للسجع، ذلك أنه يكفل لخاصية التوازن والتعادل من خلال ما يحدثه من جرس موحد ناتج عن مجيء التماثل الصوتي بين أحرف الروي مصحوبا بتماثل في الحركات النطقية. والوقف هو "انقطاع أو صمت يقع في نهاية المجموعة النفسية ويسبقه انخفاض وتغير هابط في التنغيم الصوتي، ويقوم الوقف في اللغة العربية بدور هام على صعيد الفصل بين المقاطع، وخاصة فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم، حيث أنه يستعمل ليرتاح نفس المتكلم، ويستعمل بغية إفهام السامع المضمون الدلالي للمرسله وغالبا ما يكون بالتسكين، وله أشكال منها الإشمام والتضعيف والنقل..."<sup>9</sup>

**هاء السكت** : السكت هو قطع الكلمة عما بعدها من غير تنفس، بنية استئناف القراءة ويكون في وسط الكلمة وفي آخرها<sup>10</sup>.

"لاحظ القدماء أن الوقف يضعف الحرف الأخير الموقوف عليه إذا كان صوتا من أصوات اللين، ولذا فإن هذا الصوت يكون بحاجة إلى تقوية تتم عن طريق إلحاقه بصوت آخر اجتمعوا على أن يكون "هاء السكت" ولعل السر في ذلك هو أن جهاز النطق عند إنحراج الحركات يكون مفتوحا، ويسمح للهواء بالمرور فيه دون عوائق وهذا معناه أن صوت اللين إذا كان في آخر الكلمة تبدد بسرعة مع الهواء الخارج بكمية كبيرة فيبدو ضعيفا خفيا، ولذا أنشأ الوقف هاء السكت لتقوية الحركة أو صوت اللين السابق عليها.

وفي الخطاب القرآني أنماط تؤكد توحيه للوقف على أواخر فواصله يقول عز وجل **تَعَالَى**:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِفَ كِتَبَهُ، بِمِيزِنِهِ، فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأْ وَأَوْ كِتَابِيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

[العاقبة 19- 20]

ويقول عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِفَ كِتَبَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾ وَلَرَأُودٍ مَا حِسَابِيَّةٌ

﴿٢٦﴾ يَلْبَسُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العاقبة 25 - 29]

هاء السكت في هذه الآيات تسهم في تمكين الصوت وتوفيقه ليمتد ويقوى في السمع، ومن ناحية أخرى تعد دليلا على أن ظاهرة الوقف في القرآن ليست ناشئة عن تدخل المتلقي في إنتاج جمالية النص، وإنما هي خاصية أصيلة في بناء الخطاب القرآني.

نلاحظ على السور المكية أنها تتميز في بنائها على الفقرات القصيرة والمتوسطة، وفي الجزء الثلاثين كانت الآيات أميل إلى القصر فطولها يتراوح بين مقطعين والعشرة مقاطع . والظاهر أن الخطاب الحواري القرآني كان حريصا على أن يأتي مناسبا لطبيعة المخاطبين، فالسور المكية تتناسب تماما مع طبيعة المكيين، فقد كانوا جابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة، وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة ، غير مسترسلة، وقول جاد حاسم يعد ويوعد تقصر معه الجمل ويبرز التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى.

إن هذه السمات الصوتية لا تنفك أبدا عن حرارة التعبير الذي يبرزها على المستوى الأسلوبي كل من أسلوب المحاورة وما يتضمنه من قسم واستفهام إنكاري وتحذير ووعيد وضرب أمثال للأفهام يقول عز شأنه : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدٌ خَلَقْنَا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ [الصفحات الآيات 11 - 15]

وتختلف السور المدنية عن السور المكية من حيث الفواصل المتساوية الطول، فالتوازن الإيقاعي الناتج عن التابع المنتظم لنفس الكم المقطعي يبرز في السور المكية — وبخاصة في الجزء الثلاثين حيث يظهر تواز كمي بنسبة 94.29% و يعزى ذلك إلى المقام حيث الحال الدلالي لهذه الآيات الموازية كميًا يأتي في مقام ذكر الله تعالى وفضائله على عباده، والتي تذكر بآيات الله في الآفاق ، و تلفت أنظار الناس إلى مشاهد الكون ونواميسه، وتعرف ما ينتظر العباد في الآخرة ، كما ورد توازي المسافات في سياق التضرع والنجوى ، وقد ورد كذلك في سياقات التهديد والوعيد الذي يعتمد فيه الخطاب الحواري إلى الاتكاء على التأثير

السمعي للردع والزجر . كما في قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِ كَسَطِيطِرَ الْأَوْلِينَ ﴿١٥﴾ سَتِيسُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾

[القهة الآيات 10 - 16]



تبين القراءة الفاحصة للسجع في الحوار القرآني أن نموذج الأطوال في كل وحدة سجعية قد جاء مقصودا ، فالملاحظ أنه جاء تابعا للمعاني يتكيف بشكلها، فإذا توازت المعاني وتزاوجت وتناظرت المسافات مثلها ، وإذا استرسلت مثلها ولتأمل قوله تعالى :

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٢﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٣﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٤﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٥﴾ [الفرع 1 - 4 ]

نلاحظ أن هذه الوحدة السجعية تشتمل على سلاسل متسقة من الجمل المتوازنة في المعاني، و في البنية النحوية وفي الأطوال وهو نفس الشيء يتحقق في سورة الفلق . وهناك أيضا مجموعة من الوحدات السجعية الحوارية التي بنيت شكليا على أساس التساوي العددي ، ولكنها قد توارت فيها الموازنة المعنوية ، بينما يبرز ملحظ جديد وهو التشكل النغمي المتوازن الذي توازن موجاته وأصدائه ودرجاته كما في قوله تعالى : ( قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون ) حيث ترابط الآيات نحويا توضيحيا متصلة بملاسات المقام والتفاعل بين أطراف الحوار وذلك بإيراد مقول القول ، ولعل أول ما ندركه من قراءة الآيتين هو التوازن النغمي ، فقد توجهت الآيات في دفقتين متساويتين نغما وعددا ، كل لها الوقع نفسه ، بالدفقة الأولى يتنبه حس المخاطب ، يستيقظ، ويتنظر، ويرتقب، ما الذي يقال ، يريد أن يعرف ما الخير ؟ فتأتيه الدفقة الثانية التوضيحية المساوية في نغمها وطولها لنغم وطول العبارة السجعية الأولى ، وفصل النموذج المسافي المتوازن الذي تشكله هاتان العبارتان عن نظام الخطاب القرآني في التعبير خاصة في السور المكية يحول — بالتأكيد دون إدراك التبرير الفعلي لتوظيف هذا النموذج في موضعه من الخطاب، إن هذه الوحدة السجعية القائمة على الإبانة تخاطب العقل، تفسر وتبين، وتوضح، وهي لذلك أشد حرصا على ألا تتخلى عن بعض المفاتيح السحرية التي تساعد على أن تجتاز النفوس، فتوسل بأساليب وأوتار إيقاعية من تلك التي تتوفر عليها قيثارة اللغة ، وحينئذ يتوفر لها أن تعرف لحنها المؤثر في النفس ، وتمثل هذه الأساليب في توخي التسجيع من جهة، وتساوي الكم المقطعي من جهة أخرى .

تبين القراءة الفاحصة للسجع في الحوار القرآني أن نموذج الأطوال في كل وحدة سجعية قد جاء مقصودا ، فالملاحظ أنه جاء تابعا للمعاني يتكيف بشكلها، فإذا توازت المعاني وتزاوجت وتناظرت المسافات مثلها ، وإذا استرسلت مثلها ولنتأمل قوله تعالى :

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٢﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٣﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٤﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٥﴾ [الفرخ 1- 4]

نلاحظ أن هذه الوحدة السجعية تشتمل على سلاسل متسقة من الجمل المتوازنة في المعاني، و في البنية النحوية وفي الأطوال وهو نفس الشيء يتحقق في سورة الفلق . وهناك أيضا مجموعة من الوحدات السجعية الحوارية التي بنيت شكليا على أساس التساوي العددي ، ولكنها قد توارت فيها الموازنة المعنوية ، بينما يبرز ملحظ جديد وهو التشكل النغمي المتوازن الذي توازن موجاته وأصدائه ودرجاته كما في قوله تعالى : ( قل يا أيها الكافرون، لا أحب ما تعبدون ) حيث تترابط الآيتان نحويا توضيحيا متصلة بملاسات المقام والتفاعل بين أطراف الحوار وذلك بإيراد مقول القول ، ولعل أول ما ندركه من قراءة الآيتين هو التوازن النغمي ، فقد توجهت الآيات في دفتين متساويتين نغما وعددا ، كل لها الوقع نفسه ، بالدفقة الأولى يتنبه حس المخاطب ، يستيقظ، وينتظر، ويرقب، ما الذي يقال ، يريد أن يعرف ما الخبر ؟ فتأتيه الدفقة الثانية التوضيحية المساوية في نغمها وطولها لنغم وطول العبارة السجعية الأولى ، وفصل النموذج المسافي المتوازن الذي تشكله هاتان العبارتان عن نظام الخطاب القرآني في التعبير خاصة في السور المكية يحول — بالتأكيد دون إدراك التبرير الفعلي لتوظيف هذا النموذج في موضعه من الخطاب، إن هذه الوحدة السجعية القائمة على الإبانة تخاطب العقل، تفسر وتبين، وتوضح، وهي لذلك أشد حرصا على ألا تتخلى عن بعض المفاتيح السحرية التي تساعدنا على أن تجتاز النفوس ، فتوسل بأساليب وأوتار إيقاعية من تلك التي تتوفر عليها قيثارة اللغة ، وحينئذ يتوفر لها أن تعرف لحنها المؤثر في النفس ، وتمثل هذه الأساليب في توحي التسجيع من جهة، وتساوي الكم المقطعي من جهة أخرى .

ويسمح تحليل الوحدات السجعية في الحوار القرآني بإدراك مختلف تجليات التوازي العددي في علاقته بالمعنى، ومنها :

1 — وحدات سجعية جاءت فيها العبارات المسجوعة المتوالية على الكم المقطعي نفسه، والبنية الصرفية، والتركيب النحوي، يجمع بينهما تواز معنوي، مثل قوله تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ**

**الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقَعًا ﴿٢﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٣﴾** [العنكبوت 4 - 5]

وقوله : **" فإذا النجوم طلعت، وإذا السماء فرجت،**

و قوله : **﴿ وَيَلُومُ كُذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾** [المرسلات 9 - 20]

2 — وفي كثير من الأحيان يكون الازدواج في المعنى والتركيب دون البنية الصرفية مثل

قوله تعالى : **﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾**

[سورة الدبر 19 - 20]

3 — وفي حالات أخرى لا تنال الوحدات من الأشكال المولدة للإيقاع غير تساويها

العددي وتوازيها المعنوي فحسب، مثال قوله تعالى : **﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**

**﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾** [المطففين 14 - 15]

4 — وأحيانا يتكرر الكم المقطعي نفسه في سلسلة العبارات الحوارية المسجوعة من أولها،

بل فيما بعد مبدئها، وذلك هو نوع الوحدات التي تبدأ بعبارة افتتاحية أو قاسم مشترك،

ومنها قوله تعالى : **﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾**

[الناس 1 - 3]

وقوله تعالى : **﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى**

**الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾** [الغاشية 17 - 20]

إن كل وحدة من الوحدتين السابقتين تبدأ بقاسم مشترك هو بعض من الآية الأولى تليه

عبارة سجعية متساوية أو قريبة من التساوي عدديا .

وقد يكون القاسم المشترك عبارة عن آية كاملة مثل قوله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

﴿ ١ ﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿ ٢ ﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿ ٣ ﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿ ٤ ﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿ ٥ ﴾

[الأعلى 1 - 5]

والملاحظ في الأمثلة السابقة أن التوازي المسائي قد وافق توازيا آخر في المعاني .

5 - وقد يكون التوازي المعنوي قائما على المقابلة ، وهو ما يسمى بتوازي الأضداد ومثله

قوله تعالى : "ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

"

6 - ومن أشكال التساوي العددي بالتوازي المعنوي، قوله عز وجل :

( " فَمَا مِنْ آتَمَةٍ وَاتَّقَى، وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى، فَسَنِيَسِرُهُ لِلْيَسْرَى )

( وَا مَا مِنْ بَخْلٍ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى، فَسَنِيَسِرُهُ لِلْعَسْرَى )

الناظر في هذا المثال يدرك التو أمة الحادثة بين الآيات الثلاث الأولى والآيات الثلاث

الأخيرة، في الطول.

7 - ونرصد طائفة أخرى من الوحدات السجعية التي تساوت تراكييها تساويا عدديا،

أو كادت بفارق مقطع واحد، والتي تعد بمثابة جملة واحدة جاء الاستئناف فيها للإبانة

والتوضيح فتكون في محل نصب حال قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿ ٢ ﴾ يَحْسَبُ أَنَّ

مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿ ٣ ﴾ [المعزة 2 - 3]

إن الهندسة الإيقاعية تأتي متوافقة مع الهندسة الشكلية لأن " هذا التوازي والتقابل المتعدد

الأبعاد فضائيا، يوازن آليا توازنا وتقابلا آخرين على مستوى التحقق الزماني في الأداء

الشفوي، بحيث يوظف الأول الثاني ويحد من امتداده منظما له في تواز هندسي تقدم معه

عناصر النص في نظام متشاكل . و هذا الإيقاع الهندسي المتناسب والمنتظم يتوافق والحالات

الشعورية والنفسية، أي يكون له أثر في تشكيل المعنى للمتلقى " و قد سبقه إلى هذا الرأي

حازم القرطاجني يقول : " كلما وردت أنواع الشيء وضروبه مرتبة على نظام متشاكل،

كان ذلك أدعى لتعجب النفس وإيلاعها بالاستماع من الشيء ووقع فيها الموقع الذي تتراح له "11

— لماذا يوظف الخطاب الحوارية القرآني هذا القالب في الهندسة المسافية للسجع المعنوي دون غيره؟

هندسة المسافات يوجهها مبدأ يسود النصوص عامة وهو تلون النبرة فيه بحسب ما يقتضيه معاني الكلام والموقف الذي سبق من أجله .

إذ تتنوع الهندسة المسافية للإيقاع الحوارية بتنوع الأجواء المصاحبة له، كما في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ ﴿٢٢﴾ وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَبْجُثُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَنْذَعُ السَّمْعُ أَوَّاهًا مُنْتَفِعًا ۚ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِي السَّمْعُ حَصْرًا ۚ ﴿٢٦﴾ وَأَنَّ لِلْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ لُغْوًا مَعْرُوفًا ۚ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۚ ﴿٢٨﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۚ ﴿٣٠﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدًا ۚ ﴿٣١﴾ [ الفجر الآية 21 - 26 ]

فبينما تدوي الكلمات بوقعها وإيقاعها في : " دكت " ، " دكا دكا " و " صفا صفا " ، " وجيء يومئذ بجهنم " ، " يعذب عذابه " ، " يوثق وثاقه "

فبينما تعنف هذه الكلمات وتشتد لعنف الموقف ورهيبته، إذ بموقف هادئ مقابل للموقف الصاخب، بل ويليه مباشرة، وأي موقف أهدأ من ذلك الموقف الذي ترشد إليه تلك المعاني والإيقاعات معا؟

يقول جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [ الفجر 26 - 30 ]

كما تتنوع الهندسة الإيقاعية في الحوار القرآني بما يبعث في النفوس القوة والنشاط وتنفخ في الأرواح معاني الجمال والجلال ، وعملاً القلوب إيماناً واطمئناناً .

بما تبدله فيها من نزعات قد تنحرف أو تميل، إلى إشرافات الأمل ودواعي الهدوء النفسي العميق، وليس أدل على هذا وأنسب من تلك الموسيقى المنبعثة من آيات الدعاء والرجاء ، وهذه واحدة منها ، قوله عز وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

وَأَسْحَقُ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ  
 دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

[إبراهيم الآية 39 - 41]

فعلى هذه الهندسة الإيقاعية تساق آيات الدعاء والرجاء في الحوار القرآني فلا غرو أن تصبحها إيقاعاتها العذبة الرخية الملائمة لجوها، ومن ثم كانت الكلمات المتموجة التي تغمر قلوب الأتقياء هدى ونفوسهم رضا .

وكذلك الهدوء الباعث على التأمل في الكون، وهو نوع فكري تأملي، ينبثق منه إيقاع هادئ ونغم له رنينه الساكن، وذلك من أجل لفت الذهن وإثارة مدارك الفكر، وتوجيه العقل نحو مشاهد الكون لإدراك العظمة الإلهية.

يقول عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية 17 - 20]

لقد ساعد الإيقاع الناتج عن الفواصل المتحدة في الحرف الأخير وهو التاء ألفاظ هذه المحاورة [ خلقت، رفعت، نصبت، سطحت ] ساعد في إغاشة القلب وتحريك الوجدان، وساهم في تكوين الحركة الجمالية المشتركة أمام جمال التناسق التصويري لمفردات الكون، كما أن حركة الفاصلة. حركة بناء للمجهول، تستدعي كوامن العقل لسير أغوارها والوقوف على فاعلها، وفك مجهوليتها، ليصل تلقائيا إلى أن وراء ذلك كله إلها واحدا لا شريك له، ولقد ساعد الإيقاع الداخلي الناتج عن تكرار اسم الاستفهام "كيف" الباعث على التساؤل عن الكيفية والحالية وهو استفهام إعجازي لأن العقل البشري لن يستطيع أن يعلم كيفية الخلق ولكنه يدرك أن الله هو الخالق المتفرد بالوحدانية .

والفواصل متساوية في الوزن تقريبا، والآيات ذات إيقاع موسيقى تتحد تبعا لذلك... الإيقاع هادئ متزن ساكن يتلاءم مع الدعوة إلى التأمل والتدبر .

وإذا كان التماثل في الفواصل الحوارية ظاهرة عامة فإن ثمة آيات حوارية تتقارب فيها مقاطع الفواصل تقارباً يحدث الإيقاع والرنين الصوتي، وذلك دون أن تتحد الفواصل في حرف واحد... وإن لم تخل من الوزن الجامع للفواصل...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَوَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥﴾ [ق الآية 1-5]

الآيات الكريمة من أول سورة ق... وهي سورة غنية بإيقاعها وبنائها التعبيري الذي يأخذ بجوانب النفس ودخائلها، وللواصل فيها جرس صوتي أخذ يتلاحق موجة إثر موجة، ونغمة إثر نغمة، متراوفاً بين حروف الدال، والباء - وهما الأكثر وروداً - والجيم ثم الراء. وفي الآية قسم بالحرف قاف وبالقرآن المجيد، المؤلف من هذه الحروف، ويلاحظ تكرار الإيقاع الداخلي الناتج عن تكرار حرف القاف حتى يكاد يتحول إلى مناخ صوتي في الآيات، وتذكر الآيات عجب الكافرين واستنكارهم للبعث ومع أن قضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة، وهي مشاهدة رأوا لها مثالا من الجذب والنماء، إلا أنهم نظروا إليها في سذاجة، وحمل الاستفهام الاستنكاري هذا المعنى.. إذ كيف يكون بعث بعد الموت والبلى؟ إن أجسادهم تتآكل، إنهم قوم مادتهم الأرض ولم يستقروا على شيء، ذلك أن كل ما عدا الحق الثابت مضطرب مانع مزعزع، ومن ثم تزل القدم ويفقد الإنسان الطمأنينة والقرار.

وفي الآيات الحوارية ليس ثمة اتحاد في الفواصل، بل تنوع وتغير، ومع هذا التغير تحتفظ الفاصلة بإيقاعها النغمي، إنه الإيقاع الناتج عن تقارب مخارج الحروف، الدال، الباء، الظاء، مع وجود حرف المد قبل الحرف الأخير وهو حرف الباء مجيد، بعيد، حفيظ، مريج...و من ثم يصبح نسق القول واحداً، والإيقاع متوازناً، بالرغم من أن الفاصلة لم تتفق اتفاقاً تاماً في



الحروف ... ويجمع ذلك كله اتحاد النغم الموسيقي في كل المقاطع الحوارية فهي مؤتلفة في حروفها وألفاظها وجملها.

ولعل هذه الدراسة قد لمست ما لهذه الإيقاعات الصوتية الحوارية من إشعاعات لفظها الخاص في شتى المواضيع تبعاً لقصر الفواصل أو طولها، وتبعاً لانسجام الحروف في كلماتها المفردة وانسجام الكلمات في جملها المركبة.

### دلالة الفاصلة الحوارية :

الفاصلة في الخطاب القرآني هي جزء من الآية، وعنصر تعبيرى متميز، ومثير قوي للإيقاع، وهي تنطوي على دالتين هامتين:

الدلالة الأولى: وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع والرنين الصوتي، المحكوم بنسق الآية والسياق العام.

الدلالة الثانية: دلالة معنوية تحمل تمام الآية في الفكرة.

ويمكن أدراك تلك الدلالات من خلال الشواهد الحوارية في الخطاب القرآني، يقول عز

وحل: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَتَابًا لَمْ يَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ [نفاخ الآية 71 - 74]

هذا لون من العذاب يحق بالكافرين يوم القيامة، فأيديهم تربط بالأغلال، والأغلال هي القيود التي تجمع في ربطها بيد اليد والعنق، وتتدلى من هذه القيود السلاسل حيث يسحبون منها إلى ماء حار ثم يحرقون في النار، والفاصلة يسحبون، من حيث المعنى مرتبطة بالسلاسل ومتصلة بقوله "في الحميم" و"يسجرون" أفادت التوكيد بالعذاب في جهنم المحرقة، لأنه لو وقفت الآية عند قوله تعالى "ثم في النار ..." لبقى المعنى محتاجاً إلى ثبات واستمرار وحبس وقرار ... فجاءت الفاصلة لتوضح هذا المعنى، كما أن فاصلة "تسحبون" متصلة



بقوله تعالى " **مَنْ حَمَلَ** " لبيان الضلال عن الحق والابتعاد عن التوحيد، ومن ثم وجب الوقف على الفاصلة برغم الاتصال.

ونلاحظ أيضا الإيقاع الممتد والمستمر والملاحظ في حرف المد في استمراره وطوله ثم استقراره وتمكينه في حرف النون.

والإيقاع والتلاؤم مع الموضوع ملمح جمالي في أداء الفاصلة لوظيفتها ، فنظم الحوار القرآني ونغمته تنبعث من الحروف والكلمات والأسلوب، فحروفه متآخية في كلمات ذات إيقاع موسيقي ونغم تهتز المشاعر منها اهتزازا وتسكن النفوس مطمئنة راضية ، والتلاؤم ملمح جمالي في الخطاب الحوارية القرآني، يرتبط بالإيقاع ارتباطا وثيقا، ومن ثم يتحدد الأداء التعبيري بدورها عبر السياق فالإيقاع الهادي، له موضعه الملائم له، والإيقاع الهادر الصاحب له أيضا موضعه، والإيقاع الساكن الرقيق له موضعه أيضا، ويتبدى التلاؤم في أن الآية تتصافر ألفاظها في نغم هادي إن كانت الآية في تبشير، أو داعية للتأمل والتفكير إن

كانت في عظة، وتتلأم نغماتها قوية إذا كانت في إنذار أو وصف عذاب <sup>12</sup>

والتأمل في آيات الضحى يلمح هذا الهدوء وتلك السكينة، البادية في نغمات الرحمة

الواسعة، والمنبعثة من التلاؤم والتآلف وإيقاع الفواصل :

قال تعالى : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ

مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴿ [الضحى، آية 1- 5]

سورة الضحى خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وفيها تسلية وإيناس وطمانينة، وتنبثق منها نسائم الرحمة ، ويشع منها الإيقاع الهادي الناعم لمسات الحنان والرحمة الإلهية، وجاء القسم بالضحى الرائق الصافي كما جاء الليل في رفته وسكونه وصفائه بما يشعر بالتواصل بين الكون والذات فتنتفي الوحشة ويتأكد الأُنس، وتؤكد الآيات على رعاية الله لمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت الفواصل في الآيات فيها تمهل واستقرار، ويغلب عليها التساوي في الوزن، كما يلاحظ على الفواصل أن كاف الخطاب قد حذفت مراعاة لسياق تواصل

الخطاب، فقوله تعالى "ما ودعك" خطاب موجه إلى الرسول، ولم يلاحظ الكاف في "ما قلاك" مثلا، وكذلك في آوى وهدى وأغنى، في كلية السورة. وقد جاء حذف الكاف لدالتين متمازجتين كل التمازج، وكان الحذف متلائما مع المعنى المراد.

فالدلالة الأولى دلالة صوتية تحفل بالرنين الهادئ الآخذ بالنفس، وهذا ناتج عن رعاية الفواصل في إيقاعها المتواصل، حيث يتوالى حرف المد بفيضه الشعوري وتعاليه النفسي . والدلالة الثانية دلالة معنوية نفسية تتنامى مع السياق الذي " تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللفظ، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: " وما قلاك" . لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب " <sup>13</sup> ومثل هذه الدلالات يمكن استشفافها أيضا من خلال نوع آخر من البنيات الصوتية، و من بين ذلك ما يعرف بمفارقة النغمة.

## هامش الفصل الثاني :

- 1 — عبد الواحد حسن الشيخ : البديع والتوازي ، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 سنة 1991 الإسكندرية ص 7 — 8 .
- 2 — محمد العمري : الموازنات الصوتية ، أفريقيا الشرق، المغرب لبنان سنة 2001 ص 9
- 3 — جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط 2 سنة 1987 ص 91
- 4 — محمد الصالح الضالع : الأسلوبية الصوتية ، دار غريب القاهرة ص 47 .
- 5 — الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ج 1 القاهرة سنة 1957 ص 60 .
- 6 — فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ج 14 المكتبة التوفيقية تقديم هاني الحاج ص 25 .
- 7 — عبد القادر عبد الجليل : هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 سنة 1998 عمان الأردن ص 36 .
- 8 — بسام بركة : علم الأصوات العام ، مركز الإنماء القومي ، بيروت بدون طبعة وسنة ص 77 .
- 9 — المرجع نفسه ص 103 .
- 10 — محمد الصادق قمحاوي : البرهان في تجويد القرآن ، مكتبة الشروق الدولية ط 1 القاهرة سنة 2003 ص 54 .
- 11 — حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ص 245 .
- 12 — محمد قطب عبد العال : من جماليات التصوير في القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2 القاهرة سنة 2006 ص 240 .
- 13 — عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البياني للقرآن دار المعارف سنة 1971 مصر ص 250 .

# الفصل الثالث

مفارقة النخمة

— مفهوم المفارقة .

— المفردة الوصفية الصوتية للجمر و الممس في

المحاورة القرآنية .

العلوم الإسلامية

## مفارقة النغمة :

النغمة : ذكر صاحب اللسان أن النغم هو "جرس الكلام و حسن الصوت" <sup>1</sup> و يكاد هذا التعريف يتكرر في كل المعاجم التي لجأت إليها الدراسة مما يعني أن التنغيم تتحاذبه مفردات ثلاثة ( نغمة، جرس، و لحن ).

و في الاصطلاح النغم أو التنغيم كلمتان مترادفتان تطلقان على منحني الجملة اللحني أي على ارتفاع تغير الصوت في السلسلة الكلامية و يقوم النغم بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب و يحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم و المخاطب ، فيميز بين الصيغة الإخبارية و الاستفهامية و ، التعجبية و الأمرية <sup>2</sup> ، أو هو " تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين " <sup>3</sup>

و تعمل في النظام النغمي أربعة مستويات لدرجة الصوت ، و تعرف هذه المستويات بالأرقام:

فالرقم 1 درجة منخفضة ، و الرقم 2 درجة متوسطة ، و الرقم 3 درجة عالية ، و الرقم 4 درجة عالية جدا.

و المؤكد أن هذه المستويات الأربعة ليست مطلقة بل نسبية ، و يلاحظ أن المستوى الرابع محدود الوجود و التوزيع ، و لا يبدأ به أي لفظ ، و غالبا ما يوجد في الألفاظ الانفعالية ، كالدهشة الشديدة أو الحزن و الفرح الشديدين و غيرها <sup>4</sup> .  
و يميز " هاليداي " بين خمس نغمات رئيسة تبعا للحركة النغمية :

## مفارقة النغمة :

النغمة : ذكر صاحب اللسان أن النغم هو "جرس الكلام و حسن الصوت" <sup>1</sup> و يكاد هذا التعريف يتكرر في كل المعاجم التي لجأت إليها الدراسة مما يعني أن التنغيم تتجاذبه مفردات ثلاثة ( نغمة، جرس، و لحن ).

و في الاصطلاح النغم أو التنغيم كلمتان مترادفتان تطلقان على منحني الجملة اللحني أي على ارتفاع تغير الصوت في السلسلة الكلامية و يقوم النغم بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب و يحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم و المخاطب ، فيميز بين الصيغة الإخبارية و الاستفهامية و ، التعجبية و الأمرية <sup>2</sup> ، أو هو " تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين " <sup>3</sup>

و تعمل في النظام النغمي أربعة مستويات لدرجة الصوت ، و تعرف هذه المستويات بالأرقام:

فالرقم 1 درجة منخفضة ، و الرقم 2 درجة متوسطة ، و الرقم 3 درجة عالية ، و الرقم 4 درجة عالية جدا.

و المؤكد أن هذه المستويات الأربعة ليست مطلقة بل نسبية ، و يلاحظ أن المستوى الرابع محدود الوجود و التوزيع ، و لا يبدأ به أي لفظ ، و غالبا ما يوجد في الألفاظ الانفعالية ، كالدهشة الشديدة أو الحزن و الفرح الشديدين و غيرها <sup>4</sup> .  
و يميز " هاليداي " بين خمس نغمات رئيسة تبعا للحركة النغمية :

النغمة	الرمز البصري	الحركة النغمية	الميل النغمي عند النهاية
1	1	هابطة صاعدة	منخفضة عالية
2	7	هابطة - صاعدة	عالية
3	-7	صاعدة	متوسطة
4	/7	[ صاعدة ] - هابطة - صاعدة	متوسطة
5	7]+	[ هابطة ] - صاعدة - هابطة	منخفضة

وللصوت في التنغيم اللغوي درجتان :

" الأولى : يقصد بها " الأثر السمعي الناتج عن تذبذبات الصوت زيادة و نقصانا ، في السياق التنغمي المنتهى بنغمة هابطة ، و هي النغمة التي تكون حزينة عادة ، كقوله تعالى :

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ العنكبوت الآية 28 - 29 ]

الثانية : و يقصد بها " الأثر السمعي الناتج عن تذبذبات الصوت زيادة و نقصانا ، و في السياق التنغمي المنتهى بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلى مما قبلها ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ

أُورِقَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنَبُ ۖ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

[ العنكبوت الآية 19- 20 ]

إذا فالتنغيم المقصود به الارتفاع و الانخفاض عند الكلام للتعبير عن معنى معين في الجملة كالاتفهام و التهديد... الخ " 5.

و لعل الحديث عن النغمة يستلزم إلقاء نظرة على النبر كمصطلح صوتي ، حيث ينقل ابن منظور أن " النبر مصدر نبر ينبر نبرا ، همزه ، و المنبور المهموز ، و يقال نبر الرجل إذا تكلم " ، و يذكر أيضا : " انتبر الخطيب ، أي ارتفع صوته ..... "

و في الاصطلاح يسجله محمود السعران : " بالبروز أو الجهاره ، و الارتكاز ، و يقيده بثلاثة عوامل : " الارتكاز ، و الضغط و درجة الوضوح السمعي و التنعيم "

أشار علماء الأصوات إلى درجات النبر وفقا للوضوح السمعي ، و البروز إلى ثلاثة درجات هي :

1 — النبر الرئيسي.

2 — النبر الثانوي.

3 — النبر الضعيف

فالنبر الرئيسي أو الأول يقع :

أ — على المقطع الأخير في الكلمة .

ب — على المقطع ما قبل الأخير في الكلمة .

ج — على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير .

— النبر الثانوي:

و يكون في الكلمة أضيق منه في الجملة ، أو المجموعة الكلامية ، و يوجد في الكلمات المتكونة من مقطعين فأكثر ، فالمقطع المنبور نبرا ثانويا يمكن أن نجده في السياق الأصواتي على فترات من النبر الأولي ، كالآتي :

أ — يقع النبر الثانوي على المقطع الذي يسبق المنبور نبرا أوليا ، إذا كان الصوت المنبور

نبرا ثانويا طويلا مثل : ( و لا الضالين )



ب - على المقطع السابق للمقطع المنبور ، و يليه مقطع منبور نبرا أوليا ، نحو : (علمناه).

ج - على المقطع المنبور نبرا أوليا تكون نسقا أصواتيا ، نحو : ما عرفناهم .<sup>6</sup>

و من أمثلة أنواع النعمة القرآنية الاستفهامية و دلالتها:

- قوله تعالى : ﴿ قَالَ اتَّعَبُونَ مَا لَكُمْ بِمَا كُنتُمْ تُعْبَدُونَ ﴾ [الصافات الآية 95] وهي نعمة مستوية هابطة تحوي دلالة التوبيخ .

- و قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ [الضحى 6] وهي نعمة مستوية دلالتها التقرير .

- و قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ أَصْلُ نَارٍ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود 87] وهي نعمة هابطة دلالتها التهكم .

و أما عن أمثلة نعمة الخبر أو التقرير :

قوله تعالى ( الله الصمد ) و هي نعمة مستوية دلالتها التقرير .

و قوله تعالى : ( الماعز المتكاثرة ) و هي نعمة مستوية دلالتها إظهار الحزن .

و لأسلوب الأمر هو الآخر صور من التنعيم و مثاله قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إنا لله حرمهما على الكافرين ﴾ [الأعراف الآية 50] و هي نعمة هابطة مستوية دلالتها الحيرة .

و قوله تعالى : ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴾ [الروم 43] و هي نعمة صاعدة دلالتها الإثارة . و من صور التنعيم في

أسلوب النهي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِيعُوهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝١١ ﴾ [العلق الآية 19] وهي نعمة صاعدة دلالتها النهي المحض .

وقوله تعالى : ( مفقرتك فلا تنسى ) وهي نعمة مستوية دلالتها التوجيه والإرشاد .

ومن صور التنعيم في أسلوب النداء قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلِّغْ لِي آيَاتِكَ لَعَلَّيْ نُرَىٰ ﴾ [العلق الآية 19] وهي نعمة هابطة دلالتها إظهار الحزن .

[العلق 25] وهي نعمة هابطة دلالتها إظهار الحزن . أوت كِتَابَهُ ۝٢٥ ﴿

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْلَا مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَنَّاتِهِمْ أَزْوَاجًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [العلق الآية 19] وهي نعمة صاعدة دلالتها إظهار الحزن .

مفهوم المفارقة: ثمة أسئلة تدور في ذهن حول المفارقة ؟ ماذا تتخذ من أشكال ؟ وما وظائف المفارقة و فوائدها ؟

يشير عبد الواحد لؤلؤة في موسوعة المصطلح النقدي أن: " أهمية المفارقة لا يمكن الفصل فيها بتحديد مدى ما ظهرت في مختلف الأفعال والأفكار والأقوال ... وأن التقليل من أهمية المفارقة ، كون أكثر الناس يفتقرون إلى الحس بها " <sup>7</sup>

و المفارقة صيغة من التعبير، تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يكمن فيه من ناحية ، و من ناحية أخرى ، فإنه يدرك أن هذا المنطوق - في هذا السياق - لا يصلح معه أن يخذ على قيمته السطحية، و يعني ذلك ، أن هذا المنطوق ، يرمي إلى معنى آخر ، يحدد الموقف التبليغي ، وهو مناقض عادة لهذا المعنى العرفي الحرفي . <sup>8</sup>

بناء على ذلك تبدو المفارقة نوعا من التضاد، بين المعنى المباشر للمنطوق، و المعنى غير المباشر. و هذا التضاد يلحبه المتلقي من خلال السياق ، و من أشكال المفارقة : مفارقة النعمة، و المفارقة اللفظية ، و المفارقة البنائية ، و يدلنا استقراء الخطاب القرآني ، على

تواجد حالات أخرى ، بالإضافة إلى تلك الأشكال؛ و هذا ما تناولته الدراسة في مواضع سابقة من البحث كما ستعكف على تناوله .

و مفارقة النعمة تعني أداء المنطوق -على الكلية- بنعمة تحكيمية ، يعول عليها في إظهار التعارض و التضاد؛ بين ظاهر المنطوق و باطنه، بين سطحه و عمقه، بحيث تقتلع هذه النعمة التهكمية، محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المضاد.

و مفارقة النعمة نوع من التهكم ،الذي يبدو ذما في ثوب المدح ، و يشير ليش إلى أن هناك نوعا آخر من مفارقة النعمة ، هو توجيه إهانة في كياسة أو أدب لا لوم عليهما ، لكن يشترط في هذا ، البعد عن المغالاة أو المبالغة.

و تتميز مفارقة النعمة ، بوجه عام ، بنعمة عالية سامية ، و ذلك لإظهار التهكم على المستويين : اللفظي و التركيبي .

و إذا تأملنا في الحوار القرآني ، وجدنا هذا اللون من المفارقة ، في قوله تعالى: ﴿ خذوه فاعتلوه إلى سوء الجحيم ﴾ (٤٧) ثم صبوا فوق رؤسهم من عذاب الحميم ﴿٤٨﴾ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴿٤٩﴾ [الحجرات 47-49]

و يفسر الإمام الزمخشري رحمه الله ، يقال : " ذق إنك أنت العزيز الكريم " على سبيل الهزؤ و التهكم بمن كان يتعزز و يتكرم على قومه ، و روى " أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين جليلها أعز و لا أكرم مني ؛ فوالله ما تستطيع أنت و لا ربك أن تفعل بي شيئا .<sup>9</sup> ، فقتله الله يوم بدر و أذله بكلمته ، و أنزل : " ذق إنك أنت العزيز الكريم " في ضوء هذا ، يمكن القول أن قرينة المفارقة ، تقع في علاقة تضاد دلالي مع الآيات السابقة عليها ، بعبارة أخرى : بين قرينة المفارقة و الآيات التي تقدمت عليها عدم ملاءمة ، و القدرة على تعرف عدم الملاءمة تعني في ذاتها أن هناك انحرافا عن التوقعات ، و

أن هذا الانحراف يمكن التعرف عليه من مقارنة المحتوى الدلالي لقريفة المفارقة ، بالمحتوى الدلالي لما تقدم عليها من قرائن أخرى ، هكذا يلحظ كسرا للتوقعات في المفارقة .

و إذا تأملنا قريفة المفارقة ذاتها : " **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** " و هي تمثل أدائيا جملتين نغميتين اثنتين :

1 — المجموعة النغمية الأولى ، تبدأ و تنتهي بالجملة النحوية " **ذُقْ** " و هي متلوة بوقفصة قصيرة ، و إذا تأملنا درجة الصوت أي الذبذبات الرئيسية للمقاطع المتتابعة في التعبير على الوحدة الصرفية " **ذُقْ** " في ضوء المستويات الأربعة لدرجة الصوت في النظام النغمي ، لوجدنا أن أنسب المستويات ، هو المستوى الثالث الذي تكون فيه درجة الصوت عالية ، و لعل السبب في ذلك ، هو أن أنسب المستويات لإظهار النغمة التهكمية العالية ، التي تقتضيها هذه المفارقة ، و ذلك بتشديد الأمر — في الأداء — على هذه الوحدة الصرفية .

و إذا كانت " **ذُقْ** " تمثل نحويا جملة فعلية طلبية ، فهي منبورة " أي وقوع الضغط على هذا المقطع و إبرازه بالنسبة للمقاطع الأخرى له ، و يتم ذلك بتغيير رفي قوة المقطع المعني / أو ارتفاعه / أو مدته ، فعند النطق به يلاحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط بحيث يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع"<sup>10</sup>

و لفظة "ذُقْ" مبنية على مقطع واحد، و هو مقطع طويل مغلق ، يقع عليه النبر بالطبع ، و معلوم أن الكلمة ذات المقطع الواحد تستقبل نبرا أوليا فحسب ، أي أما لا تستقبل النبر الثانوي و لا النبر الضعيف"<sup>11</sup> ، و معلوم كذلك أن قوة إسماع المقطع المنبور، أشد من غير المنبور ، لا سيما أن النبر على " **ذُقْ** "، نبر أولي و يؤدي ذلك إلى علو النغمة ، إذن " فللنبر دور وظيفي في التأكيد على المعنى و كأنه دور يقتصر على لفت نظر السامع إلى أهمية مقطع في كلمة أو كلمة في سياق فيوليتها عناية خاصة و لكن ليس له دور تمييزي "<sup>12</sup>

2— المجموعة النغمية الثانية ، فهي قوله تعالى : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾<sup>(٤٩)</sup>

﴿ [الدخان 49] ﴾ و نجد هنا أن الدراسات الصوتية العملية ، تثبت أن الذبذبات الأولية

للمقاطع المتتابعة في جملة خبرية ما ، تبدأ من المستوى الثاني لدرجة الصوت [ أي الدرجة المتوسطة ] و يمتد هذا المستوى خلال التعبير حتى المقطع الأخير ، حيث يتزل فجأة إلى المستوى الأول [ أي درجة الصوت المنخفضة ] و يمثل هذا النمط من الكلام المتوازن المستمر و الذي ينخفض عند الوقف ب : [ 1 — 2 — 2 — ]<sup>13</sup>

يبد أن التأمل في الجملة الخبرية في قوله تعالى : " **إنك أنت العزيز الكريم** " نجد أن أنسب تعبير هو أن يبدأ من المستوى الأول [ لأن التعبير تتقدمه أداة ] ثم تنتقل درجة الصوت إلى المستوى الثالث ، أي درجة الصوت العالية ، التي تتحلل التعبير بدءا من " أنت " ، و تستمر مع " العزيز " ، حتى تنتهي الذبذبات الأولية إلى المستوى الأول ، مع كلمة " الكريم " ؛ أي أن هذا النمط ، يمثل له حينئذ — فيما يبدو — هكذا [ 1 — 3 — 2 ]

و يظهر المستوى الثالث ، في هيئة قمع ، عندما يشدد [ في عملية النطق ] على بعض المقاطع أكثر من غيرها<sup>14</sup>

كما ينبغي أن تكون الحال مع التشديد و الضغط على المقاطع : أن / في " أنت " ، و / زي / في " العزيز " .

و يكسبها النبر نطقا أشد ، كما يكسبها مدى أطول ، و يؤدي ذلك إلى إبراز النغمة التأنيبية التهكمية ، أو لنقل : إنه يرتبط بها و يلتقي في آن معا .

3 — و معلوم أن التنغيم يسخر لوظائف خطابية و لعل ذلك ، يعني هنا أن نغمة الأمر في " ذق " ينبغي لها أن تؤدي أداء مختلفا عن نغمة الأمر في " خذوه " و " صبوا " و " اعتلوه " وذلك أن هذه الأفعال ترتبط بجزء من الخطاب ، النغمة فيه ، نغمة أمر بإنزال العقاب ، بينما هي نغمة أمر في تأنيب و تمك في الفعل " ذق "

و يلاحظ هنا أن ، عنصر المفاجأة ، يقوم بالتمييز بين الحركات النغمية لا من خلال الانتقال من أفعال الأمر الممدودة بالواو و هي أنقل الحركات نطقا ؛ كأنها تحكي ثقل وطأة

الموقف ، كما تحكي حركة الجذب و العتل و الانتقال من هذه الأفعال إلى الفعل " ذق " الذي يخلو من مثل هذا المد .

يقول عبد الحلیم حفي : " إن أهم أسباب الشعور بالطرافة التي تثير الفكاهة أو العجب هو مفاجأة الذهن بما لم يكن يتوقع ، أو بعكس ما كان يتوقع ، و الذهن هنا يتابع وصف العذاب الرهيب الذي يعد لهذا السيد الذي كان يحتل وحده قمة السيادة في المجتمع في حياته الدنيا ، و يتابع الإهانة و الإذلال الذي يعامل به في الآخرة ، فقد أعد له عذاب فظيع، ثم أخذ به إلى هذا العذاب في أسوء صور الإذلال لمثله " نخذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم " 15

و العتل هو الجذب في عنف و قسوة و هذا أبلغ الإهانة . و تحقق بذلك على مستوى هذه المفارقة النغمية انحرافا عن التوقع ، و ذلك باستخدام إستراتيجية الذم في ثوب المدح . و يتوزع هذا الشكل من المفارقة على كثير من آي الذكر الحكيم المكبي ، و يعزى ذلك طبعا ، لما تتطلبه مخاطبة الكفار المعاندين من شدة و وعيد و تهكم و سخرية . و هي من الوسائل المؤثرة في الدفاع عن الدين، و التي لا يساوي في خطورتها و تأثيرها أي سلاح آخر مادي أو معنوي .

### الهندسة الوصفية الصوتية للجهر و الهمس :

المقصود بالهندسة الوصفية الصوتية " الصفات الصوتية المتماثلة التي تحدث إيقاعا صوتيا ثابتا أو متغيرا في النص الأدبي ، و من هذه الصفات الصوتية الجهر ، و الهمس ، و النبر ، و التنغيم و الانفجار و الرخاوة" <sup>16</sup> و التماثل الصوتي لهذه الأنماط الصوتية مع بعضها البعض يحدث هندسة صوتية إيقاعية .

— فما دلالة الهندسة الصوتية للجهر و الهمس في الحوار القرآني ؟

لا تقف الهندسة الصوتية للنص عند تماثل المقاطع أو الحركات الصوتية لكنها تمتد أيضا لتشمل التماثل الصوتي الوصفي للأصوات المجهورة و المهموسة ، و تكاد أغلب الدراسات

اللغوية تجمع على أن الأصوات المهموسة هي : [ س ، ك ، ت ، ف ، ح ، ث ، ه ، ش ، خ ، ص ، ط ، ق ] و المجهورة هي : " ب ، ج ، د ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، ي ، و ]

و تجدر الإشارة أن هذه الدراسة في تناولها للجهر و الهمس في الحوار القرآني اقتصرت على الأصوات الصامتة المجهورة و المهموسة فقط و استثنت منها صوت الهمزة لأنه لا صوت بالجمهور و لا بالمهموس — على رأي غالبية علماء اللغة — كما أن صوتي الواو و الياء لا تعني بهما الدراسة إذا كانا صوتي علة ، إلا إذا كانا أنصاف علل أو أنصاف حركات كما في كلمتي [ ولد ، بيت ] و يعزى ذلك إلى أن أصوات العلل هي امتداد صوتي للحركات الصوتية السابقة عليها ، و ليست أصوات أصيلة في بنية الكلمة و من خلال رصد الأصوات التي تنتهي بها فواصل الحوار القرآني المكفي هي كالاتي :

فسورة [ الأنعام ] تنتهي مائة و ست و أربعون آية منها بفاصلة واحدة ؛ فاصلة " النون " ، مثل : يعدلون ، ثمثرون ، تكسبون ، معرضين ، يستهزؤون ، يؤمنون ... إلخ . ففاصلة سورة الأنعام هي " النون " و صفاته الصوتية " صامت أسناني لثوي أنفي — مائع مجهور " و هذا التكرار في " 146 آية " و يليه حرف الميم في العدد ، و صفاته الصوتية " صامت شفوي أنفي مائع مجهور "

وسورة [ الأعراف ] تنتهي كذلك مائة و خمس و تسعون آية منها بحرف النون ، و ثمان آيات بحرف الميم ، و آيتان بحرف اللام ، و آية واحدة بحرف الصاد .

و كذلك سورة [ يونس ] تنتهي تسع و تسعون آية منها بحرف النون ، و تسع آيات فقط بحرف الميم ، و آية واحدة بحرف اللام . و تظهر الاستمرارية كذلك في سورة يوسف ؛ إذ تنتهي خمس و تسعون آية منها بحرف النون و أربعة عشرة آية بحرف الميم و آية بالراء ، و أخرى باللام . و سورة [ الحجر ] فيها اثنان و ثمانون آية تنتهي بالنون ، و ست عشرة آية بالميم ، و آية واحدة باللام .

و أما سورة [الإسراء] فإنها كلها تنتهي بفاصلة واحدة ، باستثناء الآية الأولى ، و تليها سورة الكهف على الفاصلة نفسها و تسير سورة مريم على الفاصلة نفسها باستثناء خمس آيات لا تتفق مع هذه الفاصلة ، و كذلك سورة [طه] " تنتهي آياتها كلها بفاصلة واحدة باستثناء ست آيات فقط .

و سورة [الأنبياء] تنتهي مائة و ست من آياتها بالنون ، و ست آيات فقط بالميم . و سورة المؤمنون " تنتهي مائة و خمس عشرة آية ب النون ، و ثلاث آيات بالميم .

و من السور ذات الفاصلة الواحدة كذلك [التوبة] ، و [المطففين] ، و [يس] ، [الفرقان] ، [القمر] ، [الجن] ، [الأعلى] ، [الشمس] ، [الليل] ، [القدر] ، [الهمزة] ، [الفيل] ، [الكوثر] ، [الإخلاص] ، [الناس] .

و كثيرا ما حملت هذه الفواصل الدلالات المناسبة لصفاتها الصوتية من شدة و جهر و رقة و لين ، فسورة الأعلى هادئة في إيقاع آياتها ، و دلالاتها ، و بالتالي فواصل آياتها تميل إلى اللين لا الشدة و كذلك الأمر في سورة الكهف و مريم و طه . و هذا الجدول يرصد الأصوات المجهورة و المهموسة التي تنتهي بها فواصل الحوار المكّي :

الأصوات المجهورة في الفاصلة الحوارية المكّيّة	الأصوات المهموسة في الفاصلة الحوارية المكّيّة
ن ، ل ، و ، م ، ر ، ب ، ز ، د ، ع ، ي ، ض .	ك ، ص ، ق ، ت ، س ، ش ، هـ ، ح ، ث .

- نسبة الأصوات المجهورة إلى الأصوات الكلية 93 ، 97 %

- نسبة الأصوات المهموسة إلى الأصوات الكلية 07 ، 02 %



و هي نسبة توضح مدى اعتماد النص على الأصوات المجهورة و علة ذلك أن تلك الأصوات " الراء ، و اللام ، و النون .. تشبه الحركات في أهم خاصة من خواصها و هو قوة الوضوح السمعي " <sup>17</sup> وهو أمر يتوافق مع نبرة الحوار القرآني المكّي الذي تضمن الوعد و الوعيد و الدعوة إلى التوحيد و نبذ الشرك و محاجة المعاندين و الرد عليهم. و يربط الرافعي بين مادة الصوت و الناحية النفسية يقول : " و ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، و أن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرج فيه مدا أو غنة أو لنا أو شدة ، و بما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه و تتابعه على مقادير تناسب ما في النفس في أصولها ؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز و الاجتماع ؛ أو الإطناب و البسط ، بمقدار ما يكسبه من الحدة و الارتفاع و الاهتزاز و بعد المدى و نحوها ، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى " <sup>18</sup>

و هو الأمر الذي ينسحب أيضا على تواجد الأصوات المهموسة في الحوار القرآني الذي يأتي في شكل مناجاة أو مخاطبة الخالق للأنبياء للشد من أزرهم أو مخاطبته لعباده الأتقياء . و بذلك فالتنغيم الصوتي مصطلح وظيفي استطاع حل الكثير من المشكلات المتعلقة بالدلالة ، من بينها دلالة التهكم و السخرية ، كما يشكل الإيقاع التنغيمي فضلا عن الجهر و الهمس ظواهر أسلوبية متميزة في الخطاب القرآني و في الخطاب الحواريّ المكّي بصفة خاصة ، لأنه نزل في الفترات الأولى للدعوة الإسلامية ، و لما يستدعيه الحوار القرآني من أساليب شتى في التعبير من تأكيد و إقناع و ترهيب و ترغيب .....

## هامش الفصل الثالث :

- 1 — ابن منظور لسان العرب ، المجلد 7 تحقيق عامر أحمد حيدر ، مراجعة عيد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية سنة 2005 بيروت ص 545 .
- 2 — بسام بركة : علم الأصوات العام ص 100 .
- 3 — ماريو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ط 8 سنة 1998 ص 93 .
- 4 — سلمان حسين العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ترجمة ياسر الملاح النادي الأدبي الثقافي جدة ط 1 سنة 1983 ص 141 .
- 5 — سمير العزاوي : التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر و التوزيع ، سنة 2000 الأردن ص
- 6 — محمود السمران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت . ص 206 .
- 7 — عبد الواحد لؤلؤة : موسوعة المصطلح النقدي المجلد الرابع ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط ط 1 سنة 1993 ص 9 — 10 .
- 8 — تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1955 القاهرة ص 164 .
- 9 — محمد العبد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ط 2 سنة 2006 القاهرة ص 15 .
- 10 — الزمخشري : الكشاف ج 4 ص 183 .
- 11 — بسام بركة : علم الأصوات ص 101 .
- 12 — سلمان العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ص 134 .
- 13 — صائل رشدي شديد : عناصر تحقيق الدلالة في العربية ، دراسات لسانية الأهلية للنشر و التوزيع ط 1 سنة 2004 الأردن ص 96 .
- 14 — المرجع نفسه ص 11
- 15 — المرجع نفسه ص 14 .
- 16 — عبد الحليم حفني : التصوير الساخر في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992 القاهرة ص 223 .
- 17 — مراد عبد الرحمان مبروك : الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري ، مركز الحضارة العربية ط 1 سنة 200 القاهرة ص 162 .

- 18 - كمال بشر : علم اللغة العام ط 4 سنة 1975 مصر ص 101 .
- 19 - مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي سنة 2005 بيروت ص 153 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# العبارة العربية

البناء اللغوي في المحاور القرآنية

جامعة الأمير  
العلوم الإسلامية

# المفصل الأول

– تمهيد

– بنية الحوار بين الخير والإنشاء

– الاستفهام

– مؤكلات الإنكار

– أسلوبية السؤال في تجسيم دلالة الإنكار

– مؤكلات الإنكار

– أسلوبية الجواب

## تمهيد

البحث في لغة الحوار القرآني لا يخفي أهميته بل إمكانية استقلاله ليشكل بحثاً متكاملاً، ويرجع ذلك لتشعب المستويات اللغوية التي أسهمت في بلورة المحاور القرآنية من استفهام ونداء والتفات وتقديم وتأخير وحذف... الخ، يقول أحد المهتمين باللغة وماهيتها: " اللغة أصوات في حروف، وحروف في كلمات، وكلمات في جمل، وجمل في نحو، ونحو في بيان، وبيان وحدة لا تتجزأ... "1

ويذهب الجرجاني إلى أن اللغة " ليست مجموعة ألفاظ بل مجموعة من العلاقات، وفصاحة الكلام ليست في توالي ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وذلك من خلال قوله: " يجب أن تكون الألفاظ مرتبة على المعاني المرتبة في النفس ليحيى التلاحم بينها " 2

وقد أورد عبد القاهر الجرجاني كثيراً من الجوانب النظرية بتطبيقات مهمة عن التقديم والتأخير، والفصل والوصل. والحذف والعطف وما إليها من الومضات التي ستكون محور هذه الجزئية من الدراسة.

لقد استوعب الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " كل ما أثاره السابقون عليه من قضايا كقضايا اللفظ والمعنى، وطريقة نظم الكلام وصياغته، وكان له في كل هذه القضايا موقف خاص ينم عن فهم واستيعاب واضحين.

قدم الإمام عبد القاهر في " دلائل الإعجاز " نظرية متكاملة لعملية الصياغة الفنية للغة تستوعب كل الاستيعاب عناصرها الثلاثة المبدع والمتلقي والرسالة، وكانت وسيلة عبد القاهر في ذلك هي النحو، فالنحو في نظره وسيط يجتمع عنده المبدع والمتلقي، كما أنه المنوال الدقيق الذي تصاغ وفقاً لقواعده الرسالة الإبداعية، فبالنسبة للمتلقى تحدث عبد القاهر عن الفوارق النبوية في طبيعة الرسالة الموجهة للإعلام والإخبار، والموجهة لدفع الشك والإنكار.

أما عن المبدع، فقد تحدث عنه عبد القاهر بوصفه منشئاً للمعاني في نفسه أولاً ثم يصورها في عبارات الرسالة، أما عن الرسالة فقد نالت أكبر عناية عند عبد القاهر وقدم في التأصيل لنقدها أخطر نظرية في التراث العربي وهي نظرية النظم، يقول: " اعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع

كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه .

فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك " زيد منطلق " و " زيد ينطلق " ، وينطلق زيد " ، و " زيد منطلق " ، " المنطلق زيد " ، " زيد هو المنطلق " ، " زيد هو منطلق " .

وفي الشرط والأجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج .

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعا، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع، أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع . فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له .

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في نخاص معناه، نحو أن يجيء ب " ما " في نفي الحال، وب " لا " إذا أراد نفي الاستقبال، وب " إن " فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ب " إذا " فيما عرف أنه كائن .

وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، من موضع " ثم " وموضع " أو " من موضع " أم " ، وموضع " لكن " من موضع " بل " . ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، ويضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له .<sup>3</sup>

ومن أهم ما قام به عبد القاهر في الدلائل التركيز على أهمية الترابط بين الدوال وتعلقها بعضها بأهداب بعض والقيمة الدلالية التي يضيفها كل دال ، تلك القيمة التي ما كانت لتوجد لو أنا استبدلنا هذا الدال أو ذاك بدال لآخر، ويطول بهذه الدراسة المقام لو حاولت الوقوف عند كل القضايا التي كان فيها عبد القاهر باحثا عظيما سابقا لعصره، تلك القضايا التي جعلت دلائل الإعجاز من أخطر كتب النحو العربي .

فإذا ما انتقلت الدراسة إل قراءة الجهود اللغوية الحديثة للأسلوب وجدت " أنه من الممكن تقسيم الجزء الأخير من ميدان الأسلوبيات اللغوية إلى مدرسة تنظر في الأسلوب باعتباره انحرافاً عن القاعدة ، ومدرسة تنظر في الأسلوب باعتباره استغلالاً خاصاً لإمكانات النحو .<sup>4</sup>

ولعل الاتجاه الذي يرى أصحابه أن الأسلوب تكثيف في استخدام صيغة نحوية بعينها يكسب يكون التصور الذي تفضله الدراسة في تعاملها مع الخطاب الحوارى في القرآن الكريم، ويعزى ذلك لمميزات في هذا التصور، من بينها :

أولاً : أنه يمكننا من دراسة الأسلوب دراسة علمية قائمة على الإحصاء الدقيق وتجنب الإغراق في الأحكام النسبية غير المبررة .

ثانياً : أنه يمكن الدراسة من مقارنة الأسلوب بمختلف مستوياته، مستوى الدال مفرداً ومركباً كما أنه يمكن من دراسة الأبنية السطحية والعميقة للأسلوب، ذلك أنه في الخطاب الحوارى مستويان، مستوى سطحي ومستوى عميق، وهذا الأخير يتحكم في توجيه المستوى العميق وتفسيره .

### بنية الحوار القرآنى بين الخبر والإنشاء :

توقف العلماء العرب عند الجملة في الواقع الإبداعي توقفاً طويلاً ليتأملوا طبيعة ترتيب دوالها، وصلة تلك الجملة بكل من الواقع والمتلقى والمنشئ وخصصوا لهذا الأمر علماً قائماً بذاته من علوم الثالث البلاغى، هو علم المعاني ، فعلم المعاني في أحد تعريفاته هو : " تنبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان ، وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره " <sup>5</sup> وكون المنظور إلى الخطأ والصواب في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال وليس ضبط أواخر الكلمات أو مطابقة المعنى الذي يريد المتكلم فهذا يعني ؛ الحديث عن مستوى آخر من نظم الكلام مختلف عن المستوى الإبداعي والمستوى المؤلف ، " ويظهر السكاكي في تحديده ، فيلسوفاً، ومتكلماً، ورجل منطق، وهو يخضع النص البلاغى لهيمنة الفكر، والتوجه الذهني، والعقلي أكثر منه في الجانب النذوقى " <sup>6</sup> وأما





الخطيب القزويني فيعرفه بقوله: " علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"<sup>7</sup>.

بيد أن العلماء العرب برغم إدراكهم لهذه التفرقة لم يجعلوا كل لغة من اللغتين مستقلة منفردة، بل ربطوا بين اللغتين وجعلوا واحدة منهما هي [ اللغة المألوفة ] أصلاً للأخرى، ومن ثم جاءت أحكامهم عامة صالحة للانسحاب على اللغة الإبداعية والمألوفة كما أنهم — برغم جهودهم في تحليل أبنية الجمل — فلم يتجاوزوها إلى البحث في سياق الخطاب الإبداعي ككل . ومن هنا يستمد البحث الأسلوبي ، فيما تظنه هذه الدراسة مشروعية وجوده ، ذلك أن البلاغة والأسلوبية ليسا بديلين — كما أشارت الدراسة في موضع سابق — بل هما وريشان، ومنه سنحاول في هذا الفصل البحث عن أهم الملامح الأسلوبية في لغة الحوار القرآني ؟

## بنية السؤال :

الاستفهام : يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية ، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم ، فإن المرسل يستعملها للسيطرة على ذهن المرسل إليه ، وتسيير الخطاب تجاه ما يريد المرسل ، لا حسب ما يريد الآخرون .

من بين تعاريف الاستفهام " طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل " ومنه فالسؤال : " هو طلب الفهم والمعرفة، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة"<sup>8</sup>

والاستفهام في اللغة العربية حقيقته طلب الفهم، وهذا الفهم إما أن يتعلق بالمسند إليه أو يتعلق بالإسناد ذاته، فإن كان الأول فهو التصور بمصطلح النحاة ، وإن كان الثاني فهو التصديق . وللتصور والتصديق — فيما يرى النحاة — أدوات تدل عليهما، فهل مختصة بطلب التصديق، والهزمة لطلب التصور، ولطلب التصديق، وسائر الأدوات للتصور دون التصديق .

وقد يخرج الاستفهام بالهزمة عن حقيقته فيأتي لثمانية معان فيما يذكر ابن هشام هي :

- 1 — التسوية — 2 الإنكار الطلبي — 3 الإنكار التوبيخي — 4 التقرير .<sup>9</sup>



وللاستفهام في القرآن الكريم وظائف غير طلب الفهم، وسمي النحاة طلب الفهم " استفهما على بابه " إذ يعدون طلب الفهم هو الباب أو المدخل إلى الاستفهام في أصل الاستعمال يسدل على ذلك طريقة النحاة في التأصيل والتفريع ولا يدل على حرية الإبداع الأسلوب الذي قد يرى الالتزام بالأصل قيذا على تصريف المعاني، من هنا يعدل الأسلوب عن طلب الإفهام إلى الإنكار حيناً وإلى التحضيض أو العرض أو التعجب الخ حيناً آخر " 10

ويشكل السؤال ملمحاً أسلوبياً بارزاً و مهيمناً في لغة الحوار القرآني، فقد جاء في أربعمئة وأربعة عشر موضعاً، أي ما يعادل نصف التراكيب المكونة للغة الحوار في القرآن الكريم . حظيت الحوارات المكية بثلاثمئة وسبعة وثلاثين موضعاً مقابل سبعة وسبعين تركيباً في الحوارات المدنية، وذلك يرجع إلى احتلال الحوار في القسم المكي مساحة واسعة تفوق تلك التي يحتلها في القسم المدني .

ولو كانت مساحة الحوار المدني توازي المساحة التي يحتلها الحوار المكي لتضاعفت نسبة تواجد السؤال في الحوار المدني لارتباط السؤال بالحوار، فقد بلغ عدد الآيات المكية التي ورد فيها الحوار ألفاً وثلاثمئة وستاً وتسعين آية، نسبة السؤال 39% .

وسائر السؤال مضامين الحوارات المكية والمدنية، واستوعب تفجرات الدلالة المنبثقة من شحنات التفاعل الحوارية الذي قام جله بين أطراف متصارعة وأقطاب متنافرة، ولا تخفى الطاقة الإثارية والتأثيرية التي يفجرها السؤال، فهو وعاء لغوي تفرغ فيه الأطراف المتحاوره مشاعرهما وانفعالهما مبرزاً حضوره الأكبر في إنتاج دلالات النص وتقديم حيثيات المضامين الحوارية .

وتنوع الوجود الفعلي لتركيب السؤال في النصوص الحوارية خارجاً من دائرة المفهوم الحقيقي للاستفهام إلى دلالات أخرى باستثناء نماذج محدودة، والذي يعني هذه الدراسة هنا هو هذا الخروج؛ لأنه مناط تألق التركيب وجماليته، وسيله إلى ولوج عالم الأساليب الانفعالية والتعبيرية والوجدانية، وهذا ما تعني الدراسة الأسلوبية به، فهي تعالج السؤال بوصفه اختياراً بين بدائل من تراكيب نحوية عديدة، وقد أثبت التوظيف الفعلي لهذا الاختيار هيمنته على سائر التراكيب في تركيب السؤال، كأن يأتي الأمر أو النهي أو التمني في صورة هذا التركيب، ولا يحدث أن يرد تركيب السؤال في صورة التراكيب السابقة . " إن الحوار لا يكفي أحياناً بقناة

واحدة، بل كثيرا ما يمر عبر قنوات اتصال متعددة المسالك ومتنوعة الأساليب والإجراءات . كما أنه لا يجري على مستوى واحد ولا يتجه وجهة واحدة بل يتردد بين الإثبات والإنكار وبين التصديق والتكذيب وبين الظن واليقين وبين التسليم والاعتقاد الجازم والتراجع الكلي عما سبق التسليم به ... إلى غير ذلك من المواقف التي تبرز أن العملية الحوارية لا تمر في خط أفقي مستقيم وجامد، بل تتم عبر تجاذب حوارى يتخذ طريقة الإقبال والإدبار سبيلا إلى الإقناع والافتناع " <sup>11</sup> ولنا أن نتساءل عن علة اختيار السؤال من بين التراكيب اللغوية الأخرى ليكون القالب الذي تتقوّل فيه معظم الدلالات التعبيرية ؟

لقد التفت عدد من الدارسين قديما وحديثا إلى ميزة جوهرية من ميزات السؤال يمكن أن تعد إحدى علل ذلك الاختيار تتمثل في البعد النفسي المكثّر في السؤال، والمتشكّل في مستويين ؛ مستوى المرسل ودلالة اختيار السؤال من بين البنى التركيبية الأخرى، ومستوى المتلقي ومدى فاعلية السؤال دون ما عداه من هذه البدائل . " فقد تجاوز هذا الأسلوب الدلالة التقريرية النمطية إلى فضاءات تعبيرية، جسدت الصياغة الفنية المتميزة، باحتوائه على عنصر الإثارة ، والإقناع، والتشويق والتحسر ، و التعظيم والتأنيب " <sup>12</sup>

وهذا يعني أن التجاء أحد أطراف الحوار إلى السؤال لتفريغ شحنته الانفعالية أو لإنتاج شحنات انفعالية في نفس المتلقي ليس مجرد صدفة عشوائية ، وحتى وإن تغيّب الوعي الكامل في عملية الاختيار، فالسؤال يكتنر بوسائل تأثيرية تجسّم انفعالات السائل أو توتراته وتمارس فاعليتها في المخاطب، لا لكونه سؤالاً فحسب، فالسؤال يتفاعل مع نفس المخاطب قاطعا رتبة تلقيه للتراكيب الجاهزة، ومثيرا دهشته لتنشأ أقصى درجات التفاعل بين أطراف المشهد الحوارى .

ويكون السؤال أحادي الدلالة في سياق حوارى، ومتشعب الدلالة في سياق آخر، ويحتاج الكشف عن دلالات السؤال إلى وقفة تأملية تحيط بأبعاد الموقف الحوارى، فقد يجيء السؤال الواحد في حناياه دلالات وإيحاءات تستعصي على التحديد لغزارتها وتشابكها، هذا بالإضافة إلى الخصوصية التي يتمتع بها كل سؤال في سياقه، وتميزه في موضعه عن سؤال آخر قابع في سياق مشابه، الأمر الذي يعني ضرورة الاحتراز من التعميم في معالجة دلالة التركيب، فليس كل سؤال

دل على الإنكار، سواء فالدلالة الواحدة قد تتشعب إلى مجموعة من الدلالات الفرعية التي تتبدل بتبدل السياقات مثبتة استعصاء السؤال على التحديد والانعصار في دلالات بعينها، وهذا مظهر من مظاهر الانحراف في أسلوبية السؤال حري بالتأمل .

التفت عبد القاهر الجرجاني إلى إمكان إفادة التركيب أكثر من دلالة في بعض استعمالاته، مؤسسا أرضية انطلاق تدعوا للوقوف على أقصى إمكانات تراكيب السؤال في توليد الدلالات، ففي تعليقه على قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم في حوارهم معه قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أَأنتَ

فَعَلْتَ هَذَا يَا إلهَتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء 62] قال: "واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم كان، وتويخ لفاعله عليه " <sup>13</sup>، استنارت العبارة السابقة تأمل الدارسين العرب القدامى والمحدثين فحاولوا الكشف عن دلالات أخرى أفادها التركيب مبينين أن ما ذكره عبد القاهر لا يفيد دلالات السؤال حقها، فبقيل من التأمل نجد السؤال هنا يفيد التحقير أيضا، لوضعهم المخاطب إبراهيم، عليه السلام، موضع مقارنة مع آلهتهم التي يجلوها ويقدمسونها تحقيرا لم يطبقوا معه النطق بهذا الفعل، فاكتفوا بالإشارة إليه: " فعلت هذا " والمقارنة هنا مشربة بدلالة التضاد بين أن يفعل هذا الفعل بالآلهة، على زعمهم، وأن يفعل منه هو هذا الفعل، فالسؤال يضع المخاطب دون الجرأة على القيام بهذا الفعل، ويضع الآلهة فوق أن يقع عليها مثله .

والسؤال يشير، إلى جانب ذلك، إلى نيرة تهديد غير خافية، فما يسألونه ليكافئوه أو يهملوه أو يتركوه، وإنما يسألونه ليحلوا به أقصى عقاب ممكن، إذا ما أقر بأنه فعل ذلك، ويمكن التماس التهديد في السؤال من الإجابة إذا لم يفصل السؤال عن سياقه، فمع أن إبراهيم، عليه السلام، كان من الجرأة والشجاعة واليقين والثقة بحيث فعل ما فعل، إلا أنه لم يقر بالفعل إقرارا صريحا، نعم إن الإجابة قد تحمل دلالة السخرية منهم ومن معتقداتهم، ولكنها سخرية تدفع إلى التفكير والتأمل والتدبر، وفيها محاولة لإثناهم عن أن يحلوا به عقابا على فعله .

ويمثل الكيفية السابقة ستحاول الدراسة تبين بعض دلالات التركيب في المعالجة التطبيقية المنصبة على عدد من المشاهد الحوارية، مع الإقرار المسبق بعجز الدراسة عن حصر الدلالات المتنوعة التي تشرها التركيب في السياقات المختلفة الوارد فيها أو الإحاطة بها، وستسلم الدراسة المحاولة إلى الحديث عن الأبعاد النفسية المكتشفة من دلالات التركيب المرتبطة بالسياق وطرفي

الخطاب، ليتأكد أثر السؤال الذي لا يتوفر للتركيب اللغوية الأخرى، وبالوقوف على فاعليات السؤال في إنتاج الدلالة تكون الدراسة قد توصلت إلى علة الاختيار وطاقات السؤال الإبداعية وقيمه الأسلوبية التأثيرية الموجهة إلى التركيب (من المرسل) أو الناتجة عن التركيب في (المتلقي)، مع بيان أثر الدلالات المتشكلة في السؤال في كيفية وروده في النص الحوارى، فالسؤال حين يوجد على درجة من الهيمنة في النص يتوزع وفقا لخصوصية المنجز الحوارى التي تميزه وتشكل وجوده الخاص، ولذا ستأمل أيضا عددا من النصوص الحوارية التي يشكل السؤال سمة مهيمنة في بنيتها اللغوية .

### فاعلية السؤال وأسلوبيته في إنتاج الدلالات وتجزيمها :

لعل هذه الدراسة لا تبالغ في أن لكل سؤال خصوصية في سياقه لا تكون لسؤال غيره، صحيح أن الأسئلة قد تتشابه كما تتشابه بعض السياقات، بيد أن خصوصية ما تظل تميز كل سؤال جاعلة منه وجودا قائما بذاته لا تحده مقولات ولا تحصره تصانيف، وستحصر الدراسة لفاعلية السؤال وأسلوبيته ، في إنتاج دلالتين هما : دلالة الإنكار و التعجب ودلالة التقرير ؛ لأنهما أكثر الدلالات تشكلا في أسئلة الحوار القرآني، كما أن للأسئلة التي حوتها طابعها الخاص في النص الحوارى، هذا بالإضافة إلى انطواء كثير من الدلالات تحت مظلة هاتين الدلالتين .

وستبدأ الدراسة بدلالة الإنكار التي تجسمت في سبعة وخمسين سؤالا، وهذا يعادل مانسبته 32,3% من الدلالات المكتتزة في أسئلة الحوار القرآني .

### ظواهر في الإنكار :

قد يوجه الإنكار إلى فعل واقع يريد المرسل بيان أنه ما كان ينبغي أن يقع، فيقبح فاعله أو يوبخه أو يتهمك عليه أو غيرها من الدلالات التي يكشف عنها السياق واعتبار طرفي الخطاب، ومن ذلك ما حكاه الله على لسان لوط في خطابه لقومه : ﴿ قَالَ ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَتِحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ | الاموراه 80 | وقوله على لسان موسى في حوار مع الخضر ﴿ قَالَ ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَنَلَهُ، قَالَ أَقْنَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٦﴾ | القصص 74 . | وقوله: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ

خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا الْغُرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ [الجمعة 71] فإتيان الفاحشة  
 وقتل النفس وخرق السفينة أفعال واقعة من المخاطب . 14

ومنه ما حكاه الله على لسان هود في حوارهِ مع قومه قال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ  
 يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقَوْنَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام 65] ومنه ما حكا على  
 لسان إبراهيم في حوارهِ مع قومه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَاجِبُهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَذْتَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي  
 وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام 85]

فالإنكار قد وجه للمخاطبين لأنهم لم يتقوا ولم يتعقلوا ولم يتذكروا، وهم موبخون على هذا  
 الترك مطالبون بالتقوى والتعقل والتذكر، وجاء هذا الأسلوب الإنكاري في ختام الجمل مشكلا  
 نهاية متوترة تستفز المتلقي، وقد صدر أكثره على ألسنة الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم،  
 واتصلت الأفعال في جميع مواطنها بواو الجماعة، كما تنكر الأفعال غير الواقعة، ويراد بإنكارها  
 نفي وقوعها واستبعاده ، وفي عدد من المواطن أنكرت أفعال لم تقع كأنها واقعة (إنكار الواقع في  
 المستقبل) لتحقيقها ضرورة، كقول مؤمن آل فرعون لهم وقد تأمروا على قتل موسى : قَالَ تَعَالَىٰ:  
 ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ  
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ  
 بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه 28] فالقتل لم يقع،  
 ولكنه أنكر كأنه واقع ؛لظهور أمارات تحققه وهي قول فرعون لحاشيته: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ  
 فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ  
 الْفُسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [طه 26] فقد أنكر الملائكة الجعل ولم يكن قد وقع ؛لأنه جاء في وعد  
 الصادق الفعال لما يريد الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

وقد يقع الإنكار على متعلق الفعل المقدم عليه، فيفيد قصر إنكار الفعل بحال تعلقه بمعموله السابق قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَرَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ [الأبغاب 164]

فالمنكر اتحاد رب غير الله، لاتحاد الرب وقوله: ﴿ثُمَّ نَبَيَّةٌ آتَتْ مِنْ الْأَنْثَيْنِ وَأَمْرٌ مِمَّنْ بَيْنَهُمَا فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ فِي خَلْقِهِمْ فَجَعَلَ مِنْهُمُ النَّبِيَّ الَّذِي يَدْعُونَ بِرَبِّهِمْ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَاقِينَ لَوْلَا الَّذِي رَفَعَهُمْ إِلَيْنَا وَكَرَّمَ رَحْمَةً لِّرَبِّكَ الْأَنْثَيْنِ ﴿١٦٤﴾ [الأبغاب 164]

يَعْلَمُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأبغاب 143] فالمراد إنكار التحريم أصلاً بإنكار وقوعه على جميع متعلقاته التي ارتبط بها .

والغالب أن يوجه المتكلم إنكاره إلى من يخاطبه، ولكنه قد يوجهه إلى نفسه وهو يريد غيره تلطفاً منه في النصيح بالبعد عن المحامرة بالنكير، وعن نسبة المخاطب إلى قبيح، كقول الرجل المؤمن لقومه الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يس 22-23] فكانه قال (وما لكم لا تعبدون الخبي فطركم وإليه ترجعون ؟

أَتَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ؟) وقد يؤكد المتكلم نسبة الفعل المنكر إلى فاعله بزيادة الضمير المنفصل العائد عليه ؛ واضعاً المخاطب في مواجهة مع ذاته ملاحقاً إياه ؛ ليرغمه على الاعتراف

بالحقيقة، كقول قوم إبراهيم له قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَتِ هَذَا الَّذِي كَفَرْنَا بِكَ يَا بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأبغاب 62] فالعنى التوصيلي المباشر كان يمكن أن يكفي فيه بقوله (أفعلت هذا بالهتينا يا إبراهيم ؟) لكن تلك الزيادة جاءت لمحاصرة إبراهيم، وإدائه بتأكيد نسبة الفعل المنكر إليه،

وأكد التأكيد بمناداته أيضاً : (يا إبراهيم) وقد يؤكد المتكلم نسبة الفعل المنكر إلى فاعله ليرى ذاته من هذا الفعل قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَمَنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ

الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ شَاقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [مبا 32] فقد كان من الممكن الاكتفاء بقولهم (أصددناكم عن الهدى) ولكنهم أرادوا أن يؤكدوا إنكارهم وقوع هذا الفعل منهم فأبرزوا



الضمير المتصل محاصر بين الفعل (صد) بضميرين يعودان على ذات المتكلم . كما قدم الفاعل على فعله في عدة مواطن لتأكيد إنكار نسبة الفعل إلى فاعله المقدم كقوله تعالى في حواره التلقيني

للسؤال قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ

عَلَى اللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ [يونس 59] فقد قدم الفاعل (الله) على فعله

(أذن) لتأكيد إنكار صدور الإذن من الله ومجابهة المتلقي بإفترائه، ولذا أتبع السؤال بسؤال آخر وطلب من المتلقي التعين ظاهراً، أي أن السؤال الثاني إجابة تريت بري السؤال: (أم على الله تفترون) لتحذير المتلقي من المتقدم وتخويفه<sup>14</sup> وقد يراد إنكار نسبة الخير إلى المبتدأ فيقدم الخير:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَيُؤْمِنُنَاكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾

[يونس 53] فالمشركون يسألون الرسول منكبين مستهزئين أن يكون ما خبرهم به من العذاب الموعود حقاً، ولذا قدموا (الحق) على المبتدأ (هو) العائد على العذاب؛ لتسليط إنكارهم وسخريتهم على هذا الخبر، قال الرغششري: "وقرأ الأعمش: الحق هو، وهو أدخل في الاستهزاء

لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل، ومثله قول موسى، عليه السلام، لفرعون وحاشيته قَالَ تَعَالَى: ﴿

قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ [يونس 77]

فجملة (أسحر هذا؟) حكاية لكلامهم، وقد بدؤوا سؤالهم بالخبر (سحر) لإنكار الحق الذي جاء به موسى، وبت القول في أنه سحر على سبيل السخرية والاستهتار، فما كان منه، عليه السلام، إلا أن أنكر إنكارهم مؤكداً أن ما جاء به ليس سحراً وإنما حقيقة تفحم إنكارهم.<sup>15</sup>

ويحذف الفعل الواقع ليسلط الإنكار على وقت وقوعه كما في قول الملك الموكل بإغراق فرعون

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ [يونس 91] وقول

الملائكة للكافرين وقد آمنوا حين وقع عليهم العذاب قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَأْمَنْتُمْ بِهِ ءَ

ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ [يونس 51] أي الآن تؤمنون؟ فإنكار الفعل مقيد بهذا

الوقت الذي لا ينفع فيه الإيمان .



## مؤكدات الإنكار :

تؤكد دلالة الإنكار التي يجوبها السؤال من خلال مراعاة السياق واعتبار طرفي الحوار وطبيعة العلاقة الرابطة بينهما، وهذا يعني تجاوز النظرة الجزئية الضيقة التي تبتتر التركيب من سياقه فتحول دون استشفاف طبيعة الإنكار المكتنزة فيه، فليس كل سؤال خرج إلى دلالة الإنكار سواء. وتعد القراءة الارتدادية للسياق الذي جاء فيه السؤال تأكيدا معنويا لدلالة الإنكار التي يجوبها، ولكن قد تؤكد هذه الدلالة أيضا بمؤكدات لفظية مذكورة في بنية النص، كأن تسبق

السؤال الإنكاري جملة تقوي الإنكار كما في قوله تعالى **تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا**

**تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾** [الأنعام 150] فقد سبقت جملة القول عبارة تبين الحال التي كان عليها موسى لما رجع إلى قومه، فقد كان غضبان أسفا، وهذا يجسم صورة مرئية للماض وجهه وصورة مس معية لتنغميم ما سيقوله، وحين تكلم استهل كلامه بجملة: **(بئسما خلفتموني من بعدي)** التي ذم فيها فعلتهم وأكد إنكاره لها، وانتهت هذه الجملة بصرخة إنكار: **(أعجلتم أمر ربكم؟)** ويبدو أن الإنكار كان أكبر من الكلام، فتحول إلى فعل ينفض عنفا وغضبا **(والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه)** وهكذا فقد أحيط السؤال الإنكاري بجملة تقوي دلالة وتجسمها.

وقد تلحق السؤال الإنكاري جملة تقوي دلالة وذلك في عدة صور منها: أن تكون الجملة حالا كقوله تعالى على لسان لوط في حواره مع قومه **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ طَآئِفًا لِّقَوْمِهِ**

**أَتَاتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴿٥٤﴾** [الذمل 54] فإنكار إتيان الفاحشة يرداد حدة في حال إبصارهم إياها، وقوله على لسان موسى في حواره مع قومه **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ**

**مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾** [الصافات 55] فإيقاع الأذى به في حال علمهم

علما يقينا أنه رسول الله إليهم يقوي دلالة الإنكار في تساؤله، ويبرز المفارقة بين علمهم وتصرفهم ؛ لأن من عرف الله وعظمته، عظم رسوله.

وقد تكون الجملة التالية للسؤال الإنكاري جملة استئناف، كقوله تعالى على لسان موسى في حوارهِ مع الخضر وقد خرق السفينة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [القصص 71] وقوله له وقد قتل الغلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِنَفْسِي زَكِيًّا بَدَّلْتُ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

نُكْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [القصص 74] فقد سأل سؤالاً إنكارياً وعلق على الفعل في السؤال بأنه سيئ (إمر) في السؤال الأول، وشيء (نكر) في السؤال الثاني، والإمر والنكر يدلان على فعل منكر مستهجن فاعله، وهكذا يؤكد درجة الإنكار التي يجوبها السؤالان .

وقد تكون الجملة المؤكدة للإنكار إضراباً ببل، كقوله تعالى على لسان كفار قريش المنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القمع 25]

وقول الذين استكبروا للذين استضعفوا وهم يختصمون في نار جهنم: ("أبعن صددناكم من الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين) .

كما تأتي جملة شرط بعد السؤال الإنكاري مؤكدة دلالاته كقول قوم عاد لسيهم قَالَ تَعَالَى:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنَّا لِهَاتِنَا فَإِنَّا يَمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الاحقاف 22] فقد أنكروا بحجته بدعوة جديدة تصرفهم عن آلهتهم، وأكدوا إنكارهم وسخريتهم بأن أمره أن يأتيهم بما وعدهم، وأتوا بالشرط الذي يؤكد إنكارهم " إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ " ولا يخفى ما لتقدم جواب الشرط : (فأتتنا بما تعدنا) على جملة الشرط : (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ) " من تأكيد إنكار وقوع العذاب واستخفافهم بتحذير الرسول، فهم يطالبونه بالفعل والتنفيذ .

وقد يؤكد الإنكار بتلاحق الأسئلة وتواليها على لسان المتكلم كقول ملائكة العذاب للكافرين الذين أعلنوا إيمانهم حين وقع عليهم العذاب : قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ مِّنْ يَدَيْهِ أَلَكُنَّ وَقَدْ

كُنْتُمْ بِهِ سَتَعَجِلُونَ ﴿٥١﴾ | يونس، 51] فقد أكدوا إنكار إيمانهم بعد فوات الأوان بتكرار أداة السؤال، وتوجيه الإنكار إلى كلمة (الآن) الدالة على الوقت الحاضر المؤكدة لمدلول كلمة (ثم) ومن تكرار الهمزة لتأكيد الإنكار ما جاء في أسلوب "إذا" و"إن"، كما في قوله تعالى حكاية عن المنكرين للبعث: **قَالَ تَعَالَى: ﴿٥١﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ**

﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ | الواقعة 47-48] إن مجيء السؤال جوابا للشرط أكد الإنكار؛ فالمتحقق ما جاء بعد أداة الشرط (إذا) وهو كون المتحدثين ترابا في المستقبل وهذا مبرر إنكارهم وعلته، ولا يخفي أن مجيء السؤال مكررا في جملة الشرط وجوابه تأكيدا للإنكار، كما لا يخفي أن العطف على فعل الشرط يضاعف تأكيد استبعاد جواب الشرط أن يكون، كما أن تكرار السؤال (أو ءاباؤنا الأولون) يؤكد يقينهم في إنكار البعث، وقد تتلاحق أسئلة بأدوات مختلفة كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم في حوارهِ مع الملائكة المبشرين إياه بغلام عليهم **قَالَ تَعَالَى:**

﴿٥٤﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَيَّ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بَشَرْتُمْ أَنَا وَمِثْلَ هَذَا بِالْإِنْكَارِ، فَإِنَّ الَّذِي هُوَ مَحْضُ الْمَعْنَى أَنَّهُ لِيَتَّبِعَهُ السَّمَاعُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَحْجِلُ وَيَرْتَدِعُ وَيَعْبَأُ بِالْجَوَابِ، إِمَّا لِأَنَّهُ ادْعَى الْقُدْرَةَ عَلَى تَعْتَهُ أَنَّهُ هَمَّ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يَسْتَصِوبُ فَعَلَهُ، فَإِذَا ثَبَتَ عَلَى تَجْوِيزِهِ وَبَسَخَ عَلَى نَفْسِهِ وَقِيلَ لَهُ: فَأَرِنَاهُ فِي مَوْضِعٍ وَفِي حَالٍ، وَأَقَمَ شَاهِدًا عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي وَقْتٍ " 16، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْإِنْكَارَ الْمُتَشَكَّلَ فِي السُّؤَالِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْإِنْكَارِ الْخَيْرِيِّ؛ فَهُوَ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ، وَأَقْدَرُ تَعْبِيرًا عَمَّا يَجُولُ فِي خَاطِرِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ انْفِعَالَاتٍ وَتَوْتِرَاتٍ .

### أسلوبية السؤال في تجسيم دلالة الإنكار :

يقول عبد القاهر الجرجاني مشيرا إلى أثر السؤال الذي لا يتوفر للتراكيب الأخرى في الدلالة على الإنكار وأثره في نفس المتلقي: "واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيحجل ويرتدع ويعبأ بالجواب، إما لأنه ادعى القدرة على تعنته أنه همَّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا ثبت على تجويزه وبسخ على نفسه وقيل له: فأرناهُ في موضع وفي حال، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت " 16، وهذا يعني أن الإنكار المتشكل في السؤال يختلف عن الإنكار الخيري؛ فهو أكثر تأثيراً في نفس المخاطب، وأقدر تعبيرا عما يجول في خاطر المتكلم من انفعالات وتوترات .

وتشير كثرة توليد دلالة الإنكار إلى طبيعة العلاقة بين أطراف الحوار، فجمل النصوص الحوارية دارت بين أقطاب متنافرة في الاعتقاد والممارسة، فيأخذ كل طرف بالدفاع عن اتجاهه ودحض الاتجاه الآخر منكرا أفكارا حالية، موبخا أو منهكما أو مشفقا أو منذرا أو غيرها من

الدلالات المرتبطة بالإنكار والمخبوءة وراءه، التي يكشف عنها تأمل الظروف المحيطة بالمنجز الحواري .

ومن الأمثلة على ذلك اكتناز الأسئلة بدلالة الإنكار في الحوارات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم مجسمة حدة الصراع بين الطرفين .

وجاءت هذه الأسئلة على لسان الأنبياء أحيانا وعلى لسان أقوامهم حيناً، وقد يتنازعها الفريقان فيرد أحدهما على السؤال الإنكاري الموجه إليه بسؤال إنكاري ينكر ما جاء في السؤال الخصم 17.

لتأمل السؤال الذي وجهه نوح، عليه السلام، لقومه في حوارهم معه وقد امتزجت فيه دلالة الإنكار بمشاعر الحرص على هاديتهم، والخوف عليهم من سوء العاقبة التي ستحيق بهم، والتقرير والتوبيخ واللسوم يقول : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا

﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ [نوح 10-14].

لقد جسم هذا السؤال بتنغيمة الصاعد تأزم مشاعره، عليه السلام، فأظهر صرخة إنكار متألمة تفرع المخاطبين على استكبارهم وعنادهم وعدم استجابتهم لدعوته التي طالت وامتد زمانها، وظهر كأنه وشاية تصور رد فعل المخاطبين على كلامه الذي استهله بجدوء الناصح المذكر أمرا... ولا آذان صاغية ولا قلوبا واعية، وعندها تعلو نبرة الخطاب لتشد انتباههم منفسه عن ضيق المتكلم وتذمره .

وشكل السؤال سمة مهيمنة لها وضعية خاصة في الخطاب الذي وجهه موسى — عليه السلام — إلى قومه وأخيه مجسما صدمة المرسل بالواقع وتوتره وغضبه، الذي وصل به حد الانهيار، وهذا يثبت خصوصية السؤال وتفوقه على التراكيب الأخرى في استيعاب الشحنات الإنفعالية الوجدانية التي تموج في نفس المتكلم، وإيصال نبضها وحرقتها إلى المتلقي وتطويقه بها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِقَوْمٍ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسِنًا

أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾

[طه 86] وبعد أن يجيبه قومه ميررين تصرفهم، يلتفت موسى إلى أخيه هارون

ويسأله بالأسلوب ذاته قائلا : ﴿ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ ﴿٩٣﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ

أَمْرِي ﴿٩٤﴾ [طه 92-93] إنه لا يأبه بإجابة المتلقي بل لا يريد لها ؛ لأنها مرفوضة مستتكرة،

ولذلك نجده — عليه السلام — يجب عن المتلقي المسؤول موجهها له الخطاب في قالب السؤال الذي يستوعب تجسيم مشاعره، وبهذا يكون قد فاجأ مخاطبه بالسؤال الإنكاري والإجابة المتقولية في تركيب السؤال الإنكاري مدخلا إياه في مواجهة مع نفسه تشعره بقيق فعله وسوء عاقبته .

وبدأ موسى خطابه لقومه بندائهم (يا قوم) إنها صرخة غضب وأسف يريد بها المرسل الإحاطة بمخاطبته ومحاصرته بخطابه، وقد بين الله الحال التي كان عليها موسى حين رجع إلى قومه

بعد أن أخبره عزوجل أن قومه قد عبدوا العجل في غيبته قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

غَضِبِينَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ

يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ [طه 86] وهذا يعلل سبب الإنكفاء على

الأسئلة في مواجهة المتلقي ؛ فمشاعر الغضب والأسف التي كانت تموج في نفس موسى دفعته إلى السؤال دفعا لا إراديا : (ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟) يذكر موسى بهذا السؤال قومه

بوعد ربهم مقررا إياهم بأسلوب السلب الذي يفيد الإثبات، والتوكيد منكرا تجاهلهم هذا الوعد ، موجبا لاثما ولا تخفى دلالة التحسير والأسف المكثرة في السؤال، فهو يتحسر عليهم

ويحسرهم على أنفسهم .

ويتبع التساؤل الإنكاري التقريري تساؤل آخر يحوي تفسيراً للدافع قد يكون وراء تصرفهم

المنكر : ("أفطال عليكم العهد؟) وفيه يبرز ما يمكن أن يكون دافعهم في قالب السؤال ليواجه

متلقيه بكل ما يحويه السؤال من دلالات الإنكار والاستخفاف بقدرتهم على الصبر، ويتصاعد

الغضب في نفس المتكلم متجسما في سؤال ثالث يحوي دافعا آخر وجه إليه سيدنا موسى إنكارا:

(ألم أردتكم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم مواعدي؟) وفيه قدم النتيجة على السبب ؛

ليجابه المتلقي بسوء العاقبة المترتبة على إخلالهم الموعد، فهو يجعل من حلول غضب الله غاية سعوا

إليها وأرادوها، ولذا فهو ينكر ما وقع من إرادتهم حلول الغضب: ("أم أرحمتهم أن يعزل ملكهم  
تخضب من ربكم).

ويلتفت موسى إلى أخيه موجهًا إليه سؤالًا ينكر فيه مانعه الذي حال دون اللحاق به قال  
تعالى: ﴿ قَالَ نَهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَذَلَّتْكُمْ بَصَرٌ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَأَكْفِبُوكَ عَنِ  
الْأَسْئَلَةِ ۚ إِنَّهُمْ كَارِهُوا السَّؤَالَ ۚ ﴾ [ طه 96 ] ويتبع سؤاله سؤال يحوي إجابته التعليلية لما يرجح أن يكون سببًا وراء فعله المستنكر قال تعالى:

﴿ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [ طه 93 ]

ولا تخفي قدرة السؤال وطاقته على المواجهة الكلامية الصادرة من فرد إلى جمع غفير؛ إنه  
سلاح قوي المفعول، يلجم الألسنة موقف المتلقي على رسالة المرسل الكلامية، وكأني بهذه الأسئلة  
المتوالية لكلمات يوجهها موسى إلى قومه، فهو لا يريد بها استشارة تأملهم ولكنه يريد أن، يصرخ  
بهم ويعاقبهم محرقًا إياهم بالنار المتأججة فيه، فلو استطاع أن يضربهم لفعل، ويؤكد هذا التوقع  
التجسيم الفعلي للغضب الذي تملك موسى؛ فقد ألقى الألواح التي كتبت عليها تعاليم دينهم،  
وأخذ برأس أخيه يجره من شعره، وتشير آية سورة الأعراف إلى أن إلقاء الألواح جاء بعد الأسئلة  
التي خاطب بها قومه، أي أن التجسيم الفعلي للغضب جاء بعد التجسيم الكلامي.

لكنه يفعل العكس مع أخيه هارون، فقد بدأ بجر شعر لحيته ورأسه، ثم وجه له سؤالين  
إنكاريين، الأمر الذي يثبت أن ترجيح الفعل على القول أو العكس يخضع لطبيعة العلاقة بين طرفي  
الحوار؛ فعلاقة الأخوة التي تربط بين موسى وهارون جعلت موسى يجسم انفعالاته فعليًا قبل  
تجسيمها كلاميًا، بينما تحول العلاقة مع الطرف الأول دون ذلك.

وقد تتوالى الأسئلة الإنكارية على لسان الرسل في حوارهم مع أقوامهم حين يواجهون بوابل  
كلامي ينكر دعوتهم، أو يسخف أفكارهم، أو يهدد وجودهم، فيشبهون السؤال سلاحًا في تلك  
المبارزة ومن ذلك الأسئلة الإنكارية المتتابعة التي وجهها إبراهيم، — عليه السلام —، إلى قومه  
حين حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه، فقال لهم قال تعالى: ﴿ وَحَاجَّه قَوْمُهُ قَالُوا

أَمْحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدِينَا وَلَا آخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي  
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [ ٨٠ ] وَكَيْفَ آخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ

أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ [الأبعاث 80-81] لقد بدأ بسؤال تمتاز فيه دلالة الإنكار بالتيئيس وإحباط أية محاولة تضليل يقوم بها الخصم المخاطب، وفيه إيحاء وتجسيم لنبرة المتكلم الواثق من سلامة العقيدة التي يعتنقها وينادي بها وقد لحقت بالسؤال جملة حال تقوي الإنكار المتقوّل فيه : (وقد هذان ولا أخافه ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما) "فهو، وحاله هذه، فوق أية محاولة تضليل يقوم بها مخاطبه، ويتصاعد انفعال إبراهيم متبلورا في سؤال إنكاري ثان تمتاز فيه نكهة الأمر والتوبيخ بدلالة الإنكار : "أفلا تتذكرون؟" فترك التذكر والتأمل واقع مسن المخاطبين، وقد أنكر هذا الترك، وطلب عدم التذكر، ولا يراد النفي في الحال فقط، بل في الماضي كذلك، فهم لم يتذكروا في الماضي ولا في الحاضر

ويتلو هذا السؤال سؤال آخر يعمق الدلالات السابقة ويرسخها معيدا إشعالها من جديد : (وحيثما أخافه ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟) إنه يؤدي الإنكار بالأداة (كيف)، مؤكدا إنكار وقوع فعل الخوف متعجبا ووقوعه، ومسخفا طلبهم ومقرعا إياهم، وينهي خطابه معهم بسؤال إنكاري جاعلا له نهاية مفتوحة تستفز تأمل المخاطب، وتحته على الإجابة التي لا يملك منها فرارا طالبا من المخاطب التحديد والتعيين : (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ، إنها إجابة في هيئة السؤال مشكلة نتيجة للتساؤلات التي سبقتها، لثير انتباه المخاطب وترغمه على الاعتراف، ولو في نفسه، بأن الفريق الأحق بالأمن هو الفريق المؤمن بالله وحده .

كما توالت الأسئلة الإنكارية في الخطاب الذي وجهه لوط إلى قومه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْطًا

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ

دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ ﴿٥٥﴾ [الذمل 54-55] إنه الإنكار المزوج بالاستهجان والتقرز والتوبيخ في السؤال الإنكاري الثاني ولا تخفي قدرة السؤال في تجسيم انفعال لوط، عليه السلام، وتوصيل صرخته للمتلقى لردعه وتقيح فعله .



وأحيانا يفصل بين الأسئلة الإنكارية فاصل يقوي دلالة الإنكار في السؤال الأول، ويؤجج الانفعال ويرزه في السؤال الثاني، ومن ذلك ما حكاه الله على لسان إبراهيم، عليه السلام، في حوارهِ مع قومه المصيرين على تقديس الأصنام وعبادتها وإيقاع أقسى ألوان العقوبة على من يتعرض لها بسوء مع علمهم بسنيتها الدائمة؛ فهي لا تضر ولا تنفع: **قَالَ تَعَالَى: ﴿۱۶﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿۱۷﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿۱۷﴾** - [الأنبياء 66-67] فقد استهل خطابه بسؤال ينكر عبادتهم لغير الله، ويوجههم متعجبا من عنادهم وإصرارهم ويحقر آلتهم التي لا تضر ولا تنفع، وتؤكد دلالات السؤال بزفرة التذمر والتفجر المتمثلة بكلمة (أف) التي وجهها لهم ولما يعبدون دون خوف منهم أو احتراس، ويتصاعد انفعاله متقولبا بسؤال ثانٍ يحتم به خطابه جاعلا منه نهاية مفتوحة يتردد صداها في سمع المتلقي كاسرة جمود تفكيره: ("أفلا تعقلون؟").

وتشير دعوة الرسل إنكار أقوامهم فيجسمون هذا الإنكار في تراكيب سؤالية متوالية قَالَ تَعَالَى: ﴿۱۸﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَّعُوثُونَ ﴿۱۹﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوْلُونَ ﴿۱۸﴾ [الواقعة 47-48] فقد أنكر المشركون أن يبعثوا، وانصب الإنكار على جملة "أءءنا لمبعوثون" وجملة "أءءنا آءءنا الأولون"، والإنكار فيهما إنكار وقوع ينفي ويستبعد نسبة الخير إلى المبتدأ، والخير في الأولى مذكور (مبعوثون) وقد حذف في الجملة الثانية لأنه مفهوم من السياق والتقديم والتأخير، (أءءنا آءءنا الأولون مبعوثون أيضا)، وقد جسم هذا الحذف إنكارهم الساخر نعم بحسيم، "فلعلمهم كانوا يتناولون مادة هذا الحديث أضحوكة في مجالسهم، وكانوا يستغرقون في السخرية إلى درجة عدم القدرة على إتمام عباراتهم" <sup>18</sup>.

وقد يتبادل الفريقان المتحاوران الأسئلة الإنكارية، فيأتي السؤال الإنكاري ردة فعل كلامية على سؤال إنكاري صدر عن أحد الأطراف .

ومثال ذلك أسئلة الإنكار المتبادلة بين نوح وقومه في الحوار الآتي الذي دار بينهما :



قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ ﴿ قَالُوا أَنْزَمْنَا لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾

﴿ الشعراء 105-115 ﴾

لو استفتح نوح حوارَه بسؤال إنكارى يمتزج بدلالة الأمر والحث على فعل التقوى، ثم قولب الفكرة في قالب الأمر ليؤكد لها بتغيم آخر: "فاتقوا الله وأطيعوا" وينهي خطابه بتكرار العبارة السابقة إلحاحاً على مضمونها، "فاتقوا الله وأطيعوا" ورد قومه على تساؤله الإنكارى بتساؤل إنكارى يؤكد نفي وقوع إيمانهم به وتيسره من استجابتهم لدعوته فقولهم: "أنؤمن لك" يعني لن نؤمن، واتبع قوم نوح تساؤلهم بجملة الحال: "واتبعك الأردلون" التي أكدت الإنكار وما ارتبط به من دلالات السخرية والتحقير.

ويتصدى نوح لتساؤلهم بتساؤل مماثل، يقولب فيه دلالة النفي وما ارتبط بها من تعجب ودهشة، وهذا يختلف في تأثيره عن النفي المحض؛ فالأخير يوصل المعلومة مجردة من مشاعر المرسل وانفعالاته، (لا علم لي بما كانوا يعملون) بينما تنفجر المشاعر في قوله: "وما علمي بما كانوا يعملون" ملاحقة المتلقي، كاشفة عن حرارة الصراع بين الفريقين، كما ويخلق السؤال إجابة خفية في نفس المخاطب تسلم بما يقوله الرسول، وبذلك يكون السؤال تمهيداً إقناعياً يعبر فيه المتكلم عن تأثره ويؤثر في الوقت ذاته على متلقيه، تعقبه إجابة عن تساؤلهم تفسر وتعلل وتوضح ويمتد السؤال ليشكل رؤية كاملة للنص الحوارى الذى دار بين موسى، عليه السلام، والحضر، فقد اشترط الحضر على موسى أن لا يوجه إليه أي سؤال ينكر فعله، أو يطلب تعليلاً له إن أراد أن يرافقه في رحلته، أي أن استمرار العلاقة بين الطرفين مرهون بعدم طرح الطرف المشارك أية أسئلة قَالَ

تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [القصص 70]

ولكن الحضر كان على يقين بأن سيدنا موسى لن يتحمل ما سوف يراه وسيدفعه انفعاله إلى

السؤال دفعا فلما قال له موسى قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ

عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ (٦٨) [الصفحة 67-68]

وقبل التعرض لدلالة السؤال الإنكاري الذي وجهه الخضر لموسى، عليه السلام، لتأمل دلالات السؤال الذي استهل به موسى حواره مع الخضر .

لقد قوبل موسى طلبه بقالب السؤال تأدبا في العرض، فهو لا يفرض صحبته على الخضر حتى وإن تمناها وتلهف على حصولها، وإنما نراه ينتظر بسؤاله الإذن من المخاطب؛ ففي السؤال تخفيف من حدة الطلب فلو قال: (اجعلني تابعا لك على أن تعلمني مما علمت رشدا) مستخدما تركيب الأمر لينفي عن التركيب دلالة إحساس موسى عليه السلام بالحاجز النفسي الذي يولده اللقاء الأول مع شخص غريب، هذا الإحساس الذي يحول دون أن يستهل المتكلم خطابه بأسلوب الفرض الذي نستشفه من فعل الأمر، فقد يكون طلب الشيء بصيغة الأمر أمرا مقبولا بين الطرفين بينهما معرفة سابقة، ولكنه ليس بالأمر اللائق مع مخاطب لم تتجاوز معرفته بضع دقائق .

كما يوحي السؤال برغبة موسى، عليه السلام، بفتح آفاق الحوار مع الخضر والتفاعل معه، لأن السؤال يتطلب من المسؤول إجابة؛ وبذلك ستنشأ علاقة جدلية حيوية بين المرسل والمستقبل وتأتي إجابة الخضر مشفوعة بسؤال يعللها ويخفف من وقوعها على نفس المتلقي، فحين قال: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا"، قد يتوهم المتلقي أن المرسل يقلل من قدرته على الصبر والاحتمال معليا من قدرته هو على ذلك، ولذا أتبع ما أكده في بداية إجابته بسؤال جاعلا، بتلويحه الصوتي، عدم القدرة على الصبر أمرا لا يلام عليه المخاطب؛ لأنه يجهل الحكمة المرادة من هذه الأفعال، وقد صيغ هذا التنبيه بقالب السؤال؛ لدفعه إلى التدبر والتفكير الذي يسلم إلى المحاولة التصبر؛ توقعا وترقيا يخففان من وقع الفعل الغربية في نفسه. <sup>19</sup>

ولا ينعقد تساؤل الخضر من دلالة استفزاز الفضول في نفس المخاطب؛ فإنكار الخضر لعدم وقوع الصبر، والتعجب من إمكانية هذا الوقوع، أثار رغبة موسى وتشوقه لمشاركة الخضر في

رحلته قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩) [الصفحة 69]

وتبدأ الرحلة فيأخذ الخضر بممارسة أفعال هي في ظاهرها مناكير، فلا يتمالك موسى — عليه السلام — أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذ رأى ذلك، ويأخذ في قولبة مشاعر الإنكار والاستهجان

والتوبيخ في قالب السؤال الذي استوعب أقصى درجات التوتر والانفعال التي وصلت به حد الانهيار قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِطُغْرُقَ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا نَأْخُذُ بِمَا فَرِسْتُ وَلَا تُرْهِقُنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الصفحة 71-73].

أثار حرق السفينة إنكار موسى وفزعه واستهجانه فاندفع بالإنكار والفزع والاستهجان إلى السؤال دفعا ناسيا شرط إتباعه للحضر، وتؤكد الدلالات النابعة من سؤاله بالتعليق على فعله بأنه فعل عظيم القبح: "لقد جئتم شيئا إمرًا"، ولا تخفي قدرة السؤال، بتغميمه الصاعد، على تجسيم صرخة الانفعال التي أطلقها موسى عليه السلام، وكان السؤال يجسم ثورة المتكلم وتوتره أكثر من طلبه إجابة من المخاطب تعلق أو تفسر سر تصرفه، ويواجه الحضر هذا السؤال حيث ينكر طرح السؤال، ويقرر المخاطب بأسلوب النفي: "لولا أفل لك" مذكرا ومعاتبا ومؤكدا توقعه الذي صرح المخاطب به في مستهل حوارهما قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الصفحة 67]، فيعترف موسى للحضر مبينا أن ما حدث أنساه الشرط الذي بينهما .

ولكن غصة الحيرة والفزع والإنكار وغيرها من المشاعر المضطربة ما زالت متأججة في نفس موسى، ولذا لم تلبث إلا وقد طفت متقولة في تساؤل آخر قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الصفحة 74-76].

خلق تساؤل موسى كما من الإنكار يفوق ذلك القار في التساؤل الأول، ويمكن أن نعلل السبب بالنظر إلى نتيجة الأفعال التي قام بها الحضر، فحرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك، وربما يؤكد ذلك استخدام كلمة (إمرا) في وصف شيء في الجملة التي تلت التساؤل المنكر فعل الحرق قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِطُغْرُقَ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الصفحة 71]. واستخدام كلمة (نكرا) في

الجملة التالية للسؤال الذي ينكر فعل القتل قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۗ﴾ [القصص 74] وللسائل أن يسأل عن الإمر والنكر وهل يصلح أحدهما في موضع الآخر أم لكل واحد معنى يخصه بمكانه؟.

جاء في الكشاف: "وقيل معناه، ويقصد نكرا، جئت شيئا أنكروا من الأول؛ لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا، وقصد القتل، لا سبيل إلى تداركه".<sup>20</sup> ويجب الخضر عن التساؤل الإنكاري الأول، ولكنه أكثر بجرعات إضافية من الدلالات ذاتها؛ ليناسب الزيادة في شحنة الإنكار التي ظهرت في سؤال موسى، فعتاب الخضر في سؤاله الثاني قد ازداد حدة وعنفا وصل به حد الإنكار المزوج بالتوبيخ، لكونها المرة الثانية التي يخرق فيها موسى — عليه السلام — شرط اتباعه، ولعل زيادة (لك) في السؤال الثاني وإحلاء السؤال الأول منها يبرهن صحة ما أورده الدراسة.<sup>21</sup>

يقول الزمخشري: "قال قلت: ما معنى زيادة (لك)؟ قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية"<sup>22</sup>

ويشعر سيدنا موسى بالتحلل من انفعاله المتكرر الذي يدفعه دفعا إلى خرق شرط اتباعه للخضر بطرح الأسئلة الإنكارية، فيضع شرطاً على نفسه مجنبا الخضر الحرج الناتج عن تذكيره المستمر لشرط الإتيان قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۗ﴾ [القصص 76] لقد جعل مواصلة رحلته مع الخضر مرهونا بعدم طرح أي تساؤل قَالَ

تَعَالَى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَنَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ۗ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ﴾ [القصص 77] لم يتمالك موسى لما رأى الحرمان ومساس الحاجة أن قال ما قال طالبا من الخضر أن يأخذ أجرا على بنائه الجدار؛ ليستدفع به الضرورة، لقد حمل قوله بين طياته سؤالا خفيا بل مجموعة أسئلة يمكننا أن نقدرها ب:

لم بنيت الجدار الآيل للسقوط في هذه القرية التي أبي أهلها أن يضيفونا؟

لماذا أقمت هذا الجدار؟

ألا تتخذ علي إقامة الجدار أجرا ؟

ولتساءل عن علة تخفي تلك الأسئلة في قناع الجملة الخبرية ؛ أهي تعبير عن مرحلة استنطاق فيها موسى أن يضبط انفعالاته، فلم تعد صرخات الإنكار تتفلت منه متشككة في تركيب السؤال ؟ أو أن بناء الجدار لم يثر انفعالات سيدنا موسى، وإن أثار فضوله، كما فعل حرق السفينة وقتل الغلام ؟ فهل كانت هذه محاولة ذكية أخفى فيها موسى سؤاله في القلب خبري كي يشفي غليل فضوله دون أن يستفز عتاب الخضر وإنكاره ؟ ربما أومأت هذه التساؤلات إلى محاولة تعليل، ومهما يكن من أمر، فقد كشفت إجابة الخضر عن مقولة سيدنا موسى كشفت السؤال المخبوء فيها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

﴿ [الجمعة 78]

لقد استشف الخضر السؤال الكامن في مقولة موسى، فأشار إليه بقوله (هذا) وجعله مبتدأ وأخبر عنه: "فراق بيني وبينك" فالسؤال الثالث سبب الفراق وفقا لطلب موسى عليه السلام: "إن سألتك من شيء، بعدهما فلا تصاحبني".

ويأخذ الخضر بتفسير الحكمة الكامنة وراء أفعاله مراعيًا الترتيب في التعليل ممرًا كل إجابة بالكلمة المحور التي وقع عليها الفعل مثار السؤال، كما برزت الأسئلة المكتنزة بدلالة الإنكار في الخطاب الإلهي الموجه للكافرين أو العصاة توجيهًا غير مباشر (بواسطة متلق وسيط بين المنكر والمنكر منه) أو مباشر (دون واسطة).

وتوالت الأسئلة وتلاحقت في حل أمثلة النمط الأول من الخطاب مشكلة سمة أسلوبية مهيمنة، في حين أنها لم تتلاحق ذاتها في الخطاب الإلهي المباشر، ولعل السبب في هذا يستشف من البحث عن فاعلية السؤال في تلك السياقات فالأسئلة الإنكارية تتوالى في النمط الأول لتطارد فكر المخاطب وتحاصره ممارسة فعلها الإقناعي الذي يدفعه إلى التأمل والتدبير والتفكير، إنها وسيلة مختارة لقننها الله لرسوله ؛ ليحابه بما تحويه من دلالات إنكار الكفار وسخريتهم وعنادهم، وتفحم بتواليها جدلهم العقيم وتحرسه وقد جاءت هذه الأسئلة التقريرية التي تستل الإجابة القاطعة من المخاطب نفسه، أو يتولى المخاطب الوسيط الإجابة عنها، فتكون هذه الإجابة الشرارة المولدة للسؤال الإنكاري .

ويختلف الدور الذي تؤديه الأسئلة الإنكارية في الخطاب الإلهي المباشر الموجه إلى العصاة أو الكافرين، فهي تمارس طاقتها التأثيرية التي تدفع المخاطب إلى الإحساس بالألم والندم والحسرة والخجل، ولا شك في أن الإنكار المباشر أشد وقعا على نفس المتلقي، فغياب العلاقة الندية بين طرفي الحوار، وشعور الطرف المسؤول بالتقهقر أمام قوة السائل -عز وجل- يشحن السؤال بطاقة تأثيرية تطوق المسؤول وتلجمه، فالتأثير واقع لا محالة، إنه لا يحتاج إلى سلسلة متوالية من الأسئلة تطوق المسؤول وتلجمه فالتأثير واقع لا محالة، إنه لا يحتاج إلى سلسلة متوالية من الأسئلة لتؤكد، من الأمثلة على النمط الأول من الأسئلة، الأسئلة الإنكارية المرتدية ثوب التقرير، وقد وجهها الله عز وجل للكافرين المنكرين البعث على لسان رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- في الحوار التلقيني الذي يتولى فيه الله طرح الأسئلة وطرح إجابات حتمية ستصدر عن المسؤولين تعقبها أسئلة إنكارية بلسان السائل الوسيط :

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّجِجِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مَلِكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون 84-89] إنه حوار يعج بالإنكار، فالأسئلة التقريرية التي يأمر الله رسوله بتوجيهها لكفار مكة تحوي إنكارا يمتزج بالتقريع والتبكيك والتحدي؛ لأن السائل العليم يستنطقهم بالإجابة التي لا يملكون منها فرارا، إنها إجابة تؤكد نفيهم الكامل بنسبة ملكية الأشياء المسؤول عن مالكتها إلى الله وحده لا شريك له : (الله).

وأبعت إجاباتهم في كل مرة بتساؤل إنكاري يمتزج بالتقريع والتعجب من إصرارهم على الكفر، كما يمتزج بدلالة الأمر والحث على التذكر والتأمل والتقوى : (أفلا تذكرون ؟ أفلا تتقون؟ فأنى تسحرون ؟) إن ملاحقة المخاطب بالأسئلة يضعه في موضع المواجهة مع ذاته كاشفا عن تناقضها . إنها مطاردة ومحاصرة عقلية تدفع المسؤول إلى التدبر والتأمل والتفكير وصولا إلى القناعة التامة، فمسألة الخصم لانتزاع إجابته وسيلة تكشف الحقائق وترسخها، وتفحم المسؤول بإجابته

التي لا يملك منها فرارا، ولا تخلق مثل هذه المثيرات في الأسلوب الخيري الذي يقتصر على إيصال المعلومة للمتلقي بدلالاتها الجاهزة، ومن هنا كان صب الإنكار وما ارتبط به من دلالات في قالب السؤال أسلوب الطرح الأمثل الذي أملاه الله على رسوله لمواجهة كفار مكة، الأمر الذي يثبت فاعلية السؤال في مجال الدعوة والإقناع . الذي شكله الحوار المكي .

وتتوالى الأسئلة التقريرية المملة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ليحابه بها الكفار في تكثيف يلاحقهم ويحاصرهم لتحقيق التفكير والتأمل والتدبر الذي يسلم إلى الإقرار والإذعان، تعقبها أسئلة إنكارية تولدها إجابة المخاطب، أو إجابة السائل الوسيط نفسه قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ

مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ

فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا

أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَكْبَدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ قُلْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿[يونس 31-35]

إنها مواجهة خطابية يشكل السؤال سمة مهيمنة في بنيتها اللغوية، فيبرز بوصفه طاقة فاعلة في إبداع الدلالات التي جاءت بمثابة الروافد التي تصب في مجرى دلالي واحد يتمثل في إنكار كفرهم وعنادهم وإصرارهم على السير قدما في طريق الضلال رغم وضوح الأدلة وإقرارهم بها، فقد جاءت الأسئلة التقريرية، وتجسدت في النص الحوارية، نتيجة لذلك، صياغة محكمة في بعدها العقلي، فاعلة بعدها التأثري.

لقد أمر الله عزوجل رسوله أن يستهل حوارهم مع الكفار المعاندين بأربعة أسئلة تقريرية متوالية تستفز تفكيرهم، وتستثير تأملهم فلا يملكون حيالها إلا الإقرار والإذعان، إنها أسئلة مكثرة بدلالات التحدي والتعظيم والتعجيز بنفي إمكانية نسبة هذه الأفعال لأحد من الخلق، ونسبتها لله وحده، كما نستشف منها توبيخا وتقريعا لغفلتهم وتجاهلهم اختصاص الله بهذه الأفعال



،وعجزهم وعجز معبوداتهم عن فعلها وإنكار هذا التحايل وتلك الغفلة، إن تجسيم هذه الدلالات في تراكيب السؤال أسلوب حكيم اختاره العليم بخبايا النفس البشرية وما يثيرها ويستفز تأملها وتفكيرها، وتبدو أهمية هذا الأسلوب في طرح الفكرة عند مقارنته بأسلوب آخر، كأن يواجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) هؤلاء الكفرة بجمل خبرية، غايتها إيصال المعلومة بدلالاتها الجاهزة للطرف المتلقي دون أن يشارك هذا الأخير في إنتاجها .

ومن هنا كان أسلوب طرح الأسئلة أكثر استدعاء لمثيرات المتلقي، عن مواجهة المسؤول بتركيب ذي دلالة ناقصة يستدعي مشاركته في إكمال إنتاجها، فتقوى أوامر التواصل بين مرسل السؤال ومستقبله .

كما أن مساءلة الخصم لانتزاع إجابته وسيلة لكشف الحقائق وترسيخها وإفحام المسؤول باعترافه الذي لا يملك منه فرارا، وتواجه إجابتهم بسؤال إنكاري يمتزج بدلالات التوبيخ والتعجب والحث على تقوى الله ( أفلا تتقون ؟) إنه تساؤل ولدته إجابتهم، التي أكدت ما يحويه من دلالات وأبرزتها، مجسما صرخة إنكار تجابه تناقضهم وتعجب منه وتوبخهم عليه، ويتبع هذا التساؤل تساؤل يبرز في تركيب لاف تبدو غرابته في إتيان السؤال متبوعا بالإجابة، ويبدو الموقف أمام هذا التركيب أكثر إدهاشا لكون الإجابة ليست مجرد اقتراح أو احتمال أو إجابة مشكوك فيها، إنما إجابة قاطعة صارمة لا يحتمل السؤال سواها : **(هَذَا كَلِمَ اللَّهِ وَبِهِ الْحَقُّ فَهَاتُوا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)** إنه يقف على الإجابة ويوقف المتلقي عليها بوضعه وجهها لوجه أمام وسم واقعه بالضلال ليحملة على رفضه.

ويبرز إحكام الصياغة بالسؤال الذي لا جواب سوى ما طرح في التركيب القصري للسؤال، فدلالة النفي لا تنفصل هنا عن أداة السؤال (ماذا) التي تتبعها أداة الاستثناء (إلا) لتسيطر دلالة القصر على التركيب فلا تدع أمام المتلقي سوى هذا الاختيار الوحيد، وهذا يسلم إلى الحديث عن علة إثارة النفي بتركيب السؤال على النفي الصريح، فلو استخدم تركيب النفي الصريح في : ( لا يوجد بعد الحق إلا الضلال ) لا تنفي عن التركيب دلالة استمرار التفاعل والتوتر بين الفريقين، ولأبان هذا النفي الصريح عن استقرار يقتل إيصال نبض المتكلم إلى المتلقي، أما تركيب السؤال



فحمل بعدا انفعاليا يجمع بين الدلالة والمتلقي في تفاعل لا يهدأ صابغا النفي بمشاعر المتكلم محطما برد الاستقرار في نفس المتلقي .

ويأتي بعد السؤال سؤال تعقيبي يكشف دلالة الإنكار وما امتزج بها من تعجب وتوبيخ مبقيا جذوة التوتر مستعرة بين المرسل والمتلقي: (فأني تصرفون؟) ويشكل هذا السؤال بداية متأججة لمجموعة جديدة من الأسئلة التي يقصد منها آفاق الرؤى التي أدرك المتكلم غيابها عن أذهانهم ليثير فيهم التأمل الدافع إلى يقين يحرص أن يحملهم عليه وأن يقنعهم به .

وإزاء هذه التساؤلات يغيب صوت المتلقي فلا تسمع إجابته، ويتولى صانع الأسئلة الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها؛ فهو مدفوع إلى السؤال والإجابة بثبات اليقين، بل إن جل حرارة الموقف تكمن في هذا اليقين، الذي يؤكد بالإجابة الحقيقية التي طرحها عبر السؤال، فما تلك الإجابة سوى ضرب آخر من الملاحظة والمطاردة على أي محاولة إخفاء أو تردد تنطوي عليها نفس المخاطب، فهي تقتضي أن السائل الجيب يعلم رسوخ هذه الحقيقة في نفس المتلقي مهما حاول إخفاءها وعدم التصريح بها، مؤكدا دلالة التحدي التي يحويها السؤال ونفي وجود شريك لله تنسب إليه هذه الأفعال، ويؤكد التقدم والتأخير المتجسد في بنية الإجابة الدلالات المكتنزة في السؤال؛ ليلبغ التأثير والإقناع مبلغه في نفس المخاطب، إذ جعل الفاعل (الله) يتقدم على فعله في قوله: "قل: الله يبدؤا الخلق ثم يعيده" وقوله "قل: الله يهدي للفقير" واضعا الحقيقة في بؤرة شعور المخاطب، وأتبع الإجابة في كل مرة بتساؤل إنكاري يعج بالتعجب والتفريع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ؟ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾

فَأَنِّي تَوْفَّكُونَ ﴿٣٤﴾ [يونس 34]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ

أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [يونس 35]

لقد انتهى هذا الحوار بتساولين أفضت إليهما التساؤلات السابقة، الأول وضع المخاطب أمام مقارنة بين من يهدي إلى الحق وبين من لا يهدي، ممارسا طاقته الإقناعية في انتهاك المساواة بينهما بشكل مطلق .

وتتجه بنية السؤال الأخير: "فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟" نحو التركيز على الإنكار والتوبيخ والتعجب فهو يضع المخاطب موضع المواجهة مع ذاته بزيادة "فَمَا لَكُمْ"؛ فالعنى التوصيلي المباشر كان يمكن أن يكتفي فيه بقوله: "كَيْفَ تَعْمَلُونَ"، وكان الختام بالسؤال، تكتيفا لعملية الملاحظة والمطاردة التي يمارسها السائل على المخاطب؛ إنها تتحول إلى طاقة تدمر استقرار المتلقي مثيرة توتره الدائم الباعث على التفكير، فالله عزوجل يلقن رسوله السؤال ويأمره أن يجيب عنه منهيًا إجابته بتساؤل إنكاري؛ مجردا المتلقي من المشاركة الحوارية، وكأن بالإنكار قد وصل حدا فاق فتح باب الحوار إلى الاستمتاع إلى إجابته.

كما شكلت الأسئلة الإنكارية المباشرة أداة من أدوات التعذيب المعنوي الذي أوقعه الله على المعذنين في جهنم، فقد حاصرتهم الأسئلة ملهية مشاعر الحسرة والندم واليأس في نفوسهم مولدة صراعا داخليا عنيفا قد يؤول إلى صراع خارجي أو إلى صمت مطبق يشوبه صراع داخلي؛ ومن ذلك قوله تعالى للمكذبين بآياته قبل أن يكذبوا في النار قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ

أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ [النمل 84] إنه يذكرهم

بجريماتهم التي أدت بهم إلى هذا الموقف مقولبا الخير بتركيب السؤال، لأنهم يعلمون ما فعلوا؛ ولكنه عزوجل يبرز هذه الأفعال بتنغيم السؤال إنكارا وتوبيخا وتقريعا يبعث الحسرة في النفوس، ويتبع السؤال الأول سؤال آخر يشحن الخطاب بشحنة إنكار إضافية تابعة من توالي الأسئلة.

يلقى الزمخشري على دلالة السؤال الثاني بقوله: "أَهَا حَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" للتبكي لا غير، وذلك أنهم لم يعملوا إلا الكذب، فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو الكذب، ومثاله أن تقول لراعيك، وقد عرفته رويعي سوء: أتأكل نعمي، أم ماذا تعمل بها؟ فتجعل ما تتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده، وترمي بقولك: أم ماذا تعمل بها، مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل؛ لتبته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها، وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والصلاح، لما شهر من خلاف ذلك أو أراد: أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله، أم ماذا كنتم تعملون

من غير ذلك؟ يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره...، ويغشاهم الإنكار فيمنعهم من النطق والاعتذار

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [٨٥] .<sup>24</sup>

وقد يوجه الله سؤالاً مزدوجاً للدلالة؛ ظاهره التقرير وباطنه الإنكار إلى متلقٍ وسيطٍ ليس مقصوداً بالإنكار، وإنما هو وسيلة تنقل الإنكار وما ارتبط بها من دلالات إلى الذي حق عليهم القول الذين يؤدون دور المتلقي المهمش المقصود في الفعل الحوارية، وهذا يجعل التقرير أشد والتعبير أبلغ، والحجل أعظم؛ لأن المتلقي المقصود سيضع بسؤال السائل ويحاجبه المتلقي المخاطب، ومن ذلك السؤال الذي طرحه الله على الملائكة في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا

مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [صبا 40-41]

يقول الزمخشري في تفسيره للآيتين: "هذا الكلام خطاب للملائكة وتقرير للكفار، وارد على المثل السائر: إياك أعني واسمعي يا جاره" <sup>25</sup>، ففي توجيه السؤال للملائكة احتقار وتجاهل للكافرين بجرماهم حتى من شرف الحوار المباشر مع الله، وهذا يعني أن دلالة الإنكار وما اتصل بها من دلالات أشد تركيزاً وتأثيراً من تلك التي تحويها الأسئلة الموجهة توجيهها مباشراً إلى الكافرين المعذنين، ويؤيد دلالة الاحتقار الكامنة في السؤال استخدام لفظة (هؤلاء) للإشارة إلى المعذنين، ففيها تنكير مقصود يجرّد الكافرين من أية صفة أو لقب فهم لا شيء يذكر .

كما يبرز أسلوب التقديم في بنية السؤال، وذلك بتقديم المفعول به (إياهم) على جملة "كانوا يعبدون"، وكأني بالله عز وجل يريد بهذا التقديم استشارة المتلقي المخاطب بتخصيصه بوقوع فعل العبادة عليه، ليقوم المتلقي بإنكاره هذه النسبة وتزيه ذاته منها وإظهار حرصه على نفي مضمون السؤال، وهذا يحقق السؤال تأثيراً مزدوجاً ينصب على فئتين من المخاطبين .

وتفاوت دلالات الإنكار وحدته أو طبيعته بتفاوت العلاقة بين أطراف الحوار، ففي عدد من المشاهد الحوارية تواجهنا أسئلة إنكارية خرج فيها الإنكار عن اللون الصارخ الذي صبغه في الأسئلة السابقة، وذلك لغيب العلاقة الضدية السلبية بين المتحاورين، الأمر الذي يجعل للإنكار نكهة أخرى يكشف عنها السياق واعتبار طرفي الخطاب، ومن ذلك: السؤال الإنكاري الذي

وجهه سيدنا إبراهيم، عليه السلام، لضيفه حين بشره بسلام عليهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾** [العبر 54] ولنا أن نتخيل وقع هذه البشارة على نفس رجل مسن انقطع أمله بأن ينجب، وزوجته لم تنجب في شياهما فكيف ستنجب وهي عجوز هرمة؟ إنها بشارة تثير إنكار المخاطب وتعجبه ودهشته، فيقولب هذه المشاعر في سؤالين متوالين يجسمان صرخة داخلية غنية بالأحاسيس المتناقضة، وكأن سيدنا إبراهيم يريد بهما التحقق مما سمعه، والتأكد من تخصيصه بهذه البشارة وهو في تلك الحالة، ففي السؤال الأول يتعجب من بشارتهم معللا سبب إنكاره لها وتعجبه ساخرا من ذاته، ومؤكدا هذه الدلالات بالسؤال الثاني: **(هَبْ تَبَشِّرُونِ؟)** " إنه يئس الملائكة من حالة مينا أن إنجاب الغلام ليس بمقدوره، فليستبعدوا هذا الأمر عنه .

لقد خفف التساؤلان من وطأة الدهشة التي سيطرت على مشاعر إبراهيم وذلك بمحاكاة الطرف المثير بالرفض؛ رفض رسالته وإنكارها، ليثيره فيدفعه إلى تفسيرها وتعليلها أو تأكيد صحتها، ولنا أن نستشف دلالات الأسئلة من إجابة ضيوف إبراهيم المبشرين أيضا **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾** [العبر 55] إنهم يؤكدون بشراهم ناهين إبراهيم عن القنوط، لقد استشف ضيف إبراهيم ما حوته أسئلته من دلالات اليأس والاستبعاد والاستحالة، فأمره بالتخلص من تلك المشاعر، وهنا يتأكد إبراهيم من صحة وقوع البشارة واختصاصه بها **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾** [العبر 56] إنها تركيبة لافتة أتى فيها السؤال متبوعا بالإجابة القاطعة الصارمة التي ليست مجرد اقتراح أو احتمال أو إجابة مشكوك فيها، إذا استعمل إبراهيم، عليه السلام في سؤاله (من) التي يطلب بها التصور، ولكنه لا يلبث أن يقوم بتعيين المطلوب: (إلا الضالون) إنه يقف على الإجابة ويوقف ضيفه عليها مؤكدا تصديقه للبشارة مزها ذاته عن القنوط من رحمة الله.

لقد أحكم الصياغة بالسؤال الذي لا جواب له سوى ما طرحه إبراهيم في التركيب القصري للسؤال، فدلالة النفي تنفصل هنا عن أداة السؤال (من) التي تتبعها أداة الاستثناء (إلا) لتسيطر

دلالة القصر على التركيب مؤكدة للمتلقى انحصار القنوط بالضالين، وهو ليس منهم وهذا يعني تجرده من القنوط وإيمانه بأن الله على كل شيء قدير.

وجاء النفي مقولياً بتركيب السؤال لا بتركيب النفي الصريح: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) واختيار هذا الأسلوب أهميته النفسية أو الانفعالية، فتركيب السؤال يجسم نبض المتكلم وانفعاله وثروته الداخلية، ولا يكفى بالنفي المجرد.

وهكذا فقد أثارَت الدلالات المكتنزة في سؤالي إبراهيم — عليه السلام — ضيفه الذي تناول الدلالات السلبية التي تضمنتها أسئلته محاولاً تطهيره منها، فقام بدوره بتأكيد تجرده منها بسؤال وجواب مدفوعين بثبات اليقين .

لنرى الآن كيف تلقت زوج إبراهيم البشري قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ۗ﴾ (٧١) قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ [هود: 71 - 72] ، لا شك أن وقع البشارة عليها كان أشد من وقعها على إبراهيم، فهي لم تنجب في شبابه وقوتها لأنها عقيم، ولنا أن تصور تعطش العقيم للولد، وها هي تبشر وهي عجوز هرمة بأنها ستلد غلاماً وسينجب هذا الغلام غلاماً، إنما ستضحى أما وجددة، وهذه بشرى عظيمة تثيرها موجحة انفعالاتها، فهي لم تكذب تستوعب أنها ستؤدي دور الأم حتى بشرت بأن ابنها سيكبر وينجب غلاماً، لقد تملكها مشاعر متناقضة، سعادة ممزوجة بخوف وتعجب ولهفة وحجل عبرت عنها بصرخة الندبة "ياويلتي" فهي غير قادرة على استيعاب ما سمعت، فندبت ذاتها، واستخدام هذا الأسلوب معروف عند النساء، فالمرأة حين تملكها مشاعر التعجب والخوف أو الإنكار تعبر عن انفعالها بكلمات مخصوصة غالباً ما ترافقها حركات جسمية تعبيرية، كأن تضرب صدرها بيدها، وهذا يعني توتراً مضاعفاً، وانفعالات متناقضة تبوئ سؤالها درجة تفوق درجة سؤالي إبراهيم معاً: "ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً؟" وكأنها بهذا السؤال أرادت استفزاز المخاطب . ليعيد على سمعها مضمون رسالته أو يؤكد لها أو يوضحها .

إنما لا تقصد بإنكارها توجيه أية دلالات سلبية إلى المتلقين، فهي لا ترمي إلى دحض رسالته، وإنما تعبر عن انفعالها، طالبة تعليلاً يبين كيفية تحقق مضمون الرسالة وهي بتلك الحالة التي يستحيل

فيها التحقيق، وأكدت ما حواه السؤال من إنكار تعجبي أو تعجب إنكاري بقولها: ("إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّعْجِبٌ") وينكر الملائكة إنكارها التعجبي ويتعجبون من عجبها، ولكنه إنكار تطمئني، يؤكد البشري وإمكانية تحققها بقدره الله، فإنكار الإنكار يبطله، معيدا التوازن الانفعالي للمستلقي:

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

﴿ ٧٣ ﴾ [هود: 73]

وقد تختلف الدراسة مع ما أورده الزمخشري في تفسيره لدلالات السؤال في الآية الكريمة السابقة حيث قال: "وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف: "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوفر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب .

إن التفسير يتجاهل وقع البشارة على زوج إبراهيم، جاعلا من إنكارها توبيخا للملائكة وعتابا لهم وقنوطا من رحمة الله، ولكن استشفاف مشاعر المتكلم يرجع كون تساؤلها صرخة، يؤكد هذا سؤال الملائكة لها (أتعجبين؟) أي لا تعجبي وقريني عينا وتأكدي من تحقق ما سمعت، حتى وإن دل السؤال على العتاب، فإنه ليس كأبي عتاب؛ فلم يقصد به التقرير أو إظهار استياء الملائكة مما سمعوا، وإنما قصد به رد التوازن الانفعالي لها وتذكيرها بقدره الله، فالانفعال يغيب إدراك الفرد .

كما أن الملائكة على يقين بقوة الإيمان في نفس إبراهيم وزوجه، هذا الإيمان الذي يحول دون التشكيك بقدره الله، ولذا فإنكار الملائكة جاء للتذكير والتأكيد لا للتوبيخ والتقرير والاستهجان، فليس الإنكار في كل النصوص على درجة واحدة أو بطبيعة متماثلة، واستشفاف هذه الطبيعة وتلك الدرجة يحتاج إلى تأمل السياق واعتبار طرفي الخطاب، ويؤكد ما ذهبت إليه الدراسة، إتباع الملائكة تساؤلهم بجملة دعائية تؤكد حب الملائكة لأهل البيت قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ ﴿ ٧٣ ﴾

[هود: 73]

وتختلف الدلالات التي يجويها السؤال ذاته باختلاف المخاطب، فدلالة الإنكار التي يصفع بها السائل مخاطبه قد تختفي أو تحول إلى دلالة أخرى حين يوجه السؤال إلى مخاطب آخر، ومريم عليها السلام، حين بشرها الروح، الذي تمثل لها بشرا سويا، بأنه سيهب لها غلاما صرحت به متسائلة

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۗ﴾ [مرية 20] إنما تنكر البشرى التي جاء بها موجحة إياه، فقد تلبسها الخوف من هذا الغريب الذي اقتحم عليها

خلوها وارتابت من نواياه قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ﴾ [مرية 18]، لقد جسم تساؤلها صرخة دفاع عن شرفها وطهرها، وأكدت إنكارها بجملتين منفيتين توضحان حالها التي يستحيل معها أن يكون لها غلام (لم يمسنني بشر ولم أك بغيا) وتؤكد البشرى بمخاطب الملائكة لها قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۗ﴾ [آل عمران 45] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّابِرِينَ ۗ﴾ [آل عمران 46-45] فالملائكة تؤكد البشرى، وتوضح لمريم صفات الغلام الذي سيهبه الله لها، بعد تسميه، ناسبة إياه لها: "عيسى ابن مريم" فهو مخلوق منها وحدها بلا أب، وهذا يكشف هوية الرجل المائل أمامها، إنه ملك أرسله الله لها ليشرفها، وبهذا تتلاشى مشاعر الخوف والإنكار والاستهجان من نفس مريم وتحل مكانها مشاعر اللهفة والدهشة والترقب الممزوج بالتعجب من كيفية خلق هذا الغلام بلا أب، فتتوجه مريم إلى الله بالسؤال ذاته الذي سبق أن وجهته إلى الملك ولكن بالدلالات الجديدة التي ذكرناها؛ فتغير مشاعر المستكلم واختلاف المتلقي بغير الدلالات التي يجويها السؤال قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۗ﴾ [آل عمران 47]

[آل عمران 47] ويؤكد حذف عبارة (ولم أك بغيا) في هذا السؤال ما ذكرته الدراسة من تغير الدلالات؛ فهي تخاطب الله عز وجل العليم بحالها، فلا تحتاج أمامه أن تدافع عن شرفها أو نكره ذاتها من الخطيئة .



وتتحلى دلالة الإنكار باستحياء من نافذة دلالات أخرى مكثرة في بنية السؤال حين يكون السائل دون منزلة المسؤول، ويريد أن يوجه إليه خطابا ينكر فعله دون أن يثير غضبه أو استهجانته، مغريا إياه بتنفيذ ما يأمره به، أو الابتعاد عما ينهاه عنه ومن ذلك: قول الملأ من قوم فرعون له

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْزَرْنَا مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ

وَأَهْلِكَ قَالَ سُنْقِلُ أَنَّهُمْ وَنَسْتَحِي، نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ | الأعراف

127 | إنه تساؤل ماكر يظهر الحرص على فرعون وأهله؛ ففيه إنكار فعل فرعون إنكار المعظم ذات المنكر منه، المقدس إياه، المشفق عليها، الحريص على مصلحتها، الراض أية إساءة أو تقصير في حقها ولو كان المسؤول هو فرعون ذاته .

فالإنكار يحول وسيلة يكسب بها المنكر رضا المنكر منه وثقته حين يتقوّل في تركيب السؤال الذي يستوعب تنغيمات التملق والتعجب والعتاب .

ويؤي هذا الأسلوب أكله فتور حمية فرعون، ويغضب لذاته فيعلن أنه سيوقع عقوبة شديدة ببني إسرائيل ولا يتوقع ردا مماثلا لو اختارت حاشيته في خطابه تركيبا خيريا أو أمرا وهيا صريحين، وإن حملت هذه التراكيب الحرص ذاته، كأن يقولوا له: (إننا ننكر تركك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وأهلك، فلا تذرهم والحق بهم واقض عليهم)؛ لأن نفس فرعون المتعالية المتعجرفة ترفض الإنصياح للأوامر والنواهي وإن كانت لصالحه، كما أنها تكره المعارضة الصريحة، ولذا كان لابد من تغليف خطابهم له بغلاف السؤال الذي يقدم الأفكار ذاتها، ولكنه يمزجها بانفعالات المتكلم ومشاعره، فيعطي خطابه المشروعية، بل ينال استحسان المخاطب وقبوله، ومنه

قول إبراهيم عليه السلام لأبيه قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ | هود 42

لقد اختار إبراهيم السؤال بداية يستهل بها خطابه مع أبيه بمشاعره الخاصة نحوه، فالإنكار المتقوّل في السؤال يختلف في تأثيره عن الإنكار الجرد، إنه يحاصر المتلقي برفق وعتاب لطيف، داعيا إياه إلى التأمل والتفكير في أمر غاب عن ذهنه، رغم وضوح بطلانه، فعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عن عبادة شيئا فعل عبثي منكر فاعله .



وهذا يعني أن السؤال يصل إلى المتلقي بدلالة ناقصة تنتظر منه أن يكملها بلسانه أو في ذهنه، وبالتالي تقوي اللحمة والتواصل بين المرسل والمتلقي، وهذه غاية سعى إليها إبراهيم -عليه السلام- إنه يريد أن يفتح باب الحوار المنطقي الهادئ بينه وبين أبيه، ولذا نراه يستهل سؤاله ببناء والده متحبيبا متلطفا: (يا أبايتم) ميرزا العلاقة التي تربطه بمخاطبه فتدفعه إلى الخوف عليه والمحرض على هدايته " الأمر اللافت في لغة إبراهيم - عليه السلام - وهو ما نحتاجه اليوم، إنما لغة تعتمد التهجم على الآخر، أو التسخيف لمعتقده، بل تعتمد الاجتهاد الحثيث لإظهار قدراته في الكون بما يتلاءم مع قدرات الخصم على الفهم والاستيعاب... وهذا ما نحتاجه فعلا في دعواتنا إلى ما نعتقد أنه السبيل الصحيح إلى التقدم... فليس هناك من عداوة تقتضيها الدعوة .." 24

وقد استخدم أبناء يعقوب الأسلوب ذاته للتأثير على والدهم وإنزاله على رغبتهم مازحين إنكارهم باللوم والعتاب مظهرين تبرمهم لانعدام ثقة والدهم بهم قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ [يوسف 11] إنهم يضعون أباهم وجها لوجه أمام التناقض الضمني الذي حوته نية السائل (لا تأمنا على يوسف - وإنما له لناصيون ؟) ليسلمه هذا التناقض إلى الشعور بالشفقة عليهم، والندم على سوء الظن بهم، والسعي إلى إرضائهم بتنفيذ طلبهم، وبهذا يحقق البعد الانفعالي الذي يجمع بين المرسل والمتلقي بعدا إقناعيا، فاختيار السؤال وطيد الصلة بمشاعر المرسل؛ لأنه أقوى في دلالة النفسية من النفي الخبري الذي يكفي أن يقرر واقعا بعيدا عن نفس طرفي الخطاب، بقوله: (يوسف تعصمون) "لقد زلزلت تلك الزيادة استقرار المخاطب الممكن تولده بعد انتهاء الخطاب المنتهي بجملة خبرية .

ولذا كان الختام بالسؤال تكثيفا لعملية الملاحقة والمطاردة التي يمارسها السائل على المخاطب؛ إنما تتحول إلى تدمير استقرار المتلقي مثيرة توتره الدائم الباعث على التفكير، فالله عز وجل يلقي رسوله السؤال ويأمره أن يجيب عنه منهيًا إجابته بتساؤل إنكاري؛ مجردا المتلقي من المشاركة الحوارية، وكأني بالإنكار قد وصل حدا فاق فتح باب الحوار معه والاستماع إلى إجابته. لتأمل الآن عددا من الأسئلة الإنكارية التي وجهها الله - عز وجل - توجيهها مباشرة إلى من عصى أوامره وإلى الكافرين المعذنين في جهنم، لقد صدرت هذه الأسئلة الإنكارية أو ستصدر في مكان صدور النمط الأول من الأسئلة الإنكارية، ورافق هذا الاختلاف اختلاف في طريقة الطرح؛

فخطاب للبشر العاديين الموجودين على الأرض يتم بواسطة الرسل، أما خطابه لمخلوقاته في السماء فجله مباشر دون وساطة ومن ذلك: السؤال الإنكاري الذي وجهه الله لإبليس حين رفض السجود لآدم (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقته بيديّ استخبرته أم كذب من العالمين).

إنه سؤال صنعه السائل العليم الخبير بحبايا مخلوقاته ودوافعهم، ينكر فيه المانع الذي حال دون سجود إبليس، ويجيب على هذا التساؤل بتساؤل آخر يؤكد ما حواه السؤال الأول من دلالات الإنكار والتوبيخ والتهديد: "استخبرته أم كذب من العالمين؟" مطالبا إبليس بتعيين المانع الذي لا يخرج عما حدده الله في سؤاله وهي موانع مستنكرة مستقبحة، ولا يخفى دور السؤال في إبرازها وتحليلتها لفضح نوايا المتلقي وهو احسنه الخفية بتتغيم السؤال الصاعد .

وتؤكد إجابة إبليس عن تساؤله عز وجل انحصارها في الدافعين اللذين قولهما الله في سؤاله "قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" فقد استهل إجابته بالإخبار عن أفضليته الموحية باستكباره: "أنا خير منه" ثم علل حكمه مفصلا بعقد مقارنة بينه وبين آدم، تؤكد شعوره بفوقيته التي تدفعه إلى تعظيم ذاته واحتقار الآخر: "خلقتني من نار وخلقته من طين".

وقد يوجه الله سؤالاً مزدوج الدلالة؛ ظاهره التقرير وباطنه الإنكار إلى متلق وسيط ليس مقصودا بالإنكار، وإنما وسيلة تنقل الإنكار وما ارتبط بها من دلالات إلى الذي حق عليهم القول الذين يؤدون دور المتلقي المهمش المقصود في الفعل الحوارية، وهذا يجعل التفرغ أشد، والتعبير أبلغ، والحجل أعظم؛ لأن المتلقي المقصود سيضع بسؤال السائل وإجابة المتلقي المخاطب؛ ومن

ذلك السؤال الذي طرحه الله على الملائكة في الحوار الآتي: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُخَشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبا 40-41].

يقول الزمخشري في تفسيره للآيتين: "هذا الكلام خطاب للملائكة وتفرغ للكفار، وارد على المثل السائر: إياك أعني واسمعي يا جاره، ففي توجيه السؤال للملائكة احتقار وتجاهل للكافرين بجرماهم حتى من شرف الحوار المباشر مع الله، وهذا يعني أن دلالة الإنكار وما اتصل بها من دلالات أشد تركزا وتأثيرا من تلك التي تحويها الأسئلة الموجهة توجيهها مباشرة إلى الكافرين

المعذنين، ويؤيد دلالة الاحتقار الكامنة في السؤال استخدام لفظة (هؤلاء) للإشارة إلى المعذنين: ففيها تكبير مقصود مجرد الكافرين من أية صفة أو لقب فهم لا شيء يذكر .<sup>25</sup>

كما يبرز أسلوب التقديم في بنية السؤال، وذلك بتقديم المفعول به (إياكم) على جملة: "كانوا يعبدون"، وكأنني بالله عزوجل يريد بهذا التقديم استثارة المتلقي المخاطب بتخصيصه بوقوع فعل العبادة عليه، ليقوم المتلقي بإنكار هذه النسبة وتزويه ذاته منها وإظهار حرصه على نفي مضمون السؤال، وبهذا يحقق السؤال تأثيراً مزدوجاً ينصب على فئتين من المخاطبين.

إن الله سائل السؤال سائل عليم، يعلم كون الملائكة وعيسى مزهين من مضمون السؤال الإنكاري المرتدي ثوب التقرير، وغرضه أن يجيب المسؤولان بما أجابا تقرّيعاً لغيرهم وإنكاراً، وكان الله -عزوجل- يريد إظهار الحقائق والإخبار عنها بلسان المفترى عليهم ليدافعوا عن أنفسهم، ويقوموا بالحجة على المفترى (المتلقي المهمش) .

الدالة على تزويه الله من أن يكون له شريك، والموحية بتنغيم الاستهجان والإنكار .<sup>26</sup> وتتفاوت دلالات الإنكار وحدته أو طبيعته بتفاوت العلاقة بين أطراف الحوار، ففي عدد من المشاهد الحوارية تواجهنا أسئلة إنكارية خرج فيها الإنكار عن اللون الصارخ الذي صبغه في الأسئلة السابقة، وذلك لغياب العلاقة الضدية السلبية بين المتحاورين، الأمر الذي يجعل للإنكار نكهة أخرى يكشف عنها السياق واعتبار طرفي الخطاب، ومن ذلك: السؤال الإنكاري الذي وجهه سيدنا إبراهيم عليه السلام، لضيفه حين بشره بسلام غلام عليهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي**

**عَلَيْكُمْ أَنْ مَسَّنِي الْكَبِيرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥١﴾ [العنبر 54]** ولنا أن تنخيل وقع هذه البشارة على نفس رجل مسن انقطع أملة بأن ينجب، وزوجته لم تنجب في شبابه فكيف ستنجب وهي عجوز هرمة ؟ إنما بشارة تثير إنكار المخاطب وتعجبه ودهشته، فيقول هذه المشاعر في سؤالين متوالين يجسمان صرخة داخلية غنية بالأحاسيس المتناقضة، وكان سيدنا إبراهيم يريد بما التحقق مما سمعه، والتأكد من تخصيصه بهذه البشارة وهو في تلك الحالة، ففي السؤال الأول يتعجب من بشارتهم معللاً سبب إنكاره لها وتعجبه ساخرًا من ذاته، ومؤكداً هذه الدلالات بالسؤال الثاني: **"فَبَشِّرُونِي؟"** إنه يئس الملائكة من حاله مبينا أن إنجاب الغلام ليس بمقدوره، فليستبعدوا هذا الأمر عنه .

لقد خفف التساؤلان من وطأة الدهشة التي سيطرت على مشاعر إبراهيم وذلك بمحاكمة الطرف المثير بالرفض؛ رفض رسالته وإنكارها، لئلا يندفعه إلى تفسيرها وتعليلها أو تأكيد صحتها، ولنا أن نستشف دلالات الأسئلة من إجابة ضيوف إبراهيم المبشرين أيضا قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [العنبر 55] ، إنهم يؤكدون بشارتهم

ناهين إبراهيم عن القنوط، لقد استشف ضيف إبراهيم ما حوته أسئلته من دلالات اليأس والاستبعاد والاستحالة، فأمره بالتخلص من تلك المشاعر وهنا يتأكد إبراهيم من صحة وقوع

البشارة واختصاصه بها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [العنبر 56]

[العنبر 56] إنها تركيبة لافتة أتت فيها السؤال متبوعا بالإجابة القاطعة الصارمة التي ليست مجرد اقتراح أو احتمال أو إجابة مشكوك فيها، إذا استعمل إبراهيم، — عليه السلام — في سؤاله (من) التي يطلب بها التصور، ولكنه لا يلبث أن يقوم بتعيين المطلوب: (إلا الضالون) إنه يقف على الإجابة ويوقف ضيفه عليها مؤكدا تصديقه للبشارة مترها ذاته عن القنوط من رحمة الله .

لقد أحكم الصياغة بالسؤال الذي لا جواب له سوى ما طرحه في التركيب القصري للسؤال، فدلالة النفي تنفصل هنا عن أداة السؤال (من) التي تتبعها أداة الاستثناء (إلا) لتسيطر دلالة القصر على التركيب مؤكدة للمتلقى انحصار القنوط بالضالين، وهو ليس منهم وهذا يعني تجرده من القنوط وإيمانه بأن الله على كل شيء قدير .

وجاء النفي مقولبا بتركيب السؤال لا بتركيب النفي الصريح: "ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون" ولاختيار هذا الأسلوب أهميته النفسية أو الانفعالية؛ فتركيب السؤال يجسم نبض المتكلم وانفعاله وثورته الداخلية، ولا يكتفي بالنفي المجرد .

وهكذا فقد أثارت الدلالات المكتنزة في سؤالي إبراهيم — عليه السلام — ، ضيفه الذي تناول الدلالات السلبية التي تضمنها أسئلته محاولا تطهيره منها، فقام بدوره بتأكيد تجرده منها بسؤال وجواب مدفوعين بثبات اليقين .

وقد يدفع التلطف بالنصح وحشية استشارة غضب المخاطب المرسل إلى أن يوجه الإنكار إلى

ذاته، ومن ذلك: قول الرجل المؤمن لقومه الذين كذبوا المرسلين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا

الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْقِدُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿٢٤﴾ [ص 20-24] إنه يوجه بسؤالين المتلاحقين الإنكار وما ارتبط من دلالات التوبيخ والاستهجان والنفي والتعجب إلى ذاته وهو يريد مخاطبيه، وهذا انحراف ذو عمق جوهرى في تكوين التركيب فبه ينبه المخاطب؛ لأنه كسر توقعه فقد بدأ المرسل خطابه بنداء المتلقي (يا قوم) ثم أمره بإتباع المرسلين معنلا سبب طلبه: (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) في أثناء ذلك تبدأ خطوات تفاعل المتلقي مع المخاطب، ويتأجج الصراع الداخلي بتوقع إنكار يوجهه المرسل إلى متلقيه، فيستعد الأخير لرد فعل مقاوم لكنه يتفاجأ بالمرسل وقد صب جام إنكاره على ذاته مسائلا إياها، ويقف المتلقي مستمعا إلى هذه المسألة أو لنقل إلى هذا البوح الوجداني دون أن يضيق بما تحويه من دلالات، ودون أن تهيج نائثرته على الرسل، فتصل إليه دلالات السؤال بل تصفعه دون استفزاز أو تثوير، وهذا يؤكد أن السؤال من أشد الأساليب مراوغة لأنه يحمل من الدلالات الضمنية أضعاف ما تشير إليه دلالاته الظاهرة المباشرة .

### تجسيم السؤال لدلالة التعجب

من الدلالات التي حوتها الأسئلة الحوارية (التعجب) وهي دلالة تنطوي تحت مظلة الإنكسار، ورد في لسان العرب: "العجب والعجب إنكار ما يرد عليك لقلته اعتياده، قال الزجاج: أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: قد عجبت من كذا" <sup>27</sup> .

وقد اختير السؤال من بين التراكيب النحوية ليحسم التعجب الذي انتاب أحد أطراف الحوار، لكون المتعجب يلتمس سر الشيء الذي خرج عن المألوف مسببا له الانبهار والحيرة، فهو يطلب المعرفة، وهو السبيل إلى برد اليقين، يتحول المتعجب بدلالته الناقصة إلى المتلقي ليكملها فيصل السائل إلى الاستقرار ومن ذلك السؤال الذي حكاه الله على لسان زوج إبراهيم حين بشرتها الملائكة بأنها ستنجب غلاما قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَتُوبَلِّغُنِيَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: 72] تجسم عبارة "يا ويلتي" وقع المفاجأة عليها موضحة درجة

الانفعال التي وصلت حدا اختلطت فيها المشاعر؛ فتلقاها للبشرى شابه تلقي مصيبة أو كارثة لأنها تجهل الكيفية، فتحوّلت إلى المبشرين بسؤال تعجب فيه من التناقض الصارخ بين البشرى وحالها وحال زوجها الذي يحول دون تحقيقها، إنه تعجب يمتزج باستنكار، واستنكار يمتزج بأمر وإلحاح يلاحقان المخاطب ليفك اللغز ويؤكد البشارة. <sup>28</sup>

تأكدت دلالة التعجب التي يحويها السؤال بالتعليق الذي ختمت به تساؤلها: "إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" لقد صرحت بوصف الإنجاب منها ومن زوجها وهما في تلك الحالة بأنه شيء عجيب، أي يدعو إلى العجب، كما تأكدت دلالة التعجب التي حوّاها تساؤلها بالرد الذي وجهته الملائكة لها قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَّتْهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ

﴿ [ سورة مود ] 73 ]

لقد أنكر الملائكة تعجبها الواضح طالين منها أن لا تعجب لأنه أمر الله الذي لا تعجزه الأسباب، ثم يردون على تساؤلها التعجبي بتساؤل يحوي تعجبا من تعجبها لإبطاله وتأكيد تحقق ما جاؤوا به من بشارة.

وقد يمتزج دلالة التعجب بالسخرية والتسخيف والتكذيب كقوله تعالى على لسان الكافرين المنكرين نبوة سيدنا محمد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَجْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَجِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ [ احص الآية 4 - 5 ] وتأكدت هذه الدلالات بالتعقيب الذي أمّوا به سؤلهم: "إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" أي بليغ في العجب، وهذا يؤمى بدرجة التعجب المكتثرة في السؤال، التي فاقت درجة التعجب القارة في السؤال زوج إبراهيم واختلفت في طبيعتها، فقد وسمت زوج إبراهيم إنجابها للطفل وهي عجوز وزوجها شيخ كبير بأنه شيء عجيب ووسم كفار قريش جعل الآلهة لها واحدا بأنه شيء عجاب، فما الفرق بين العجب والعجاب؟

وجاء في اللسان أن، هنالك فرقا بينهما؛ "أما العجيب فالعجب يكون مثله، وأما العجاب

فالذي تجاوز حد العجب" <sup>29</sup>

ولا شك أن دلالة التعجب في سؤال زوج إبراهيم ترتبط بأمر مرغوب فيه، فإنجاب الغلام شيء قد تافت إليه في شبابه، وبات أمنية مكبوتة تحت تراب الزمن كشفتها البشارة ودبت فيها الحياة، أما دلالة التعجب في سؤال كفار قريش فترتبط بأمر مستهجن ومستنكر ومرفوض، ولذا كان تساؤلهم أقرب إلى الاستنكار منه إلى التعجب، فهم يستنكرون استنكار المندعش المتعجب المعترض غير الموافق، أو يتعجبون تعجب المستنكر

وهذا يؤكد كون الانحراف خاصية دائمة التجدد مع السؤال في مختلف سياقاته، فلا يمكن أن يكون التحليل الذي يقال في أحد الأسئلة الدالة على التعجب صالحاً لأن يقال في تحليل كل سؤال يحمل دلالة التعجب. 30

ويشكل السؤال التقريري الموجه إلى المعذنين في نار جهنم أداة تعذيب معنوي، يستنتقهم السائل (الله خزنة جهنم، أصحاب الجنة) به تقريباً أو تحسيراً أو تهكماً أو غيرها من الدلالات التي تلجم المخاطب عن الكلام، أو تدفع به إلى الإجابة الموجزة المؤكدة المتمثلة بكلمة (بلى) التي تجسم حالة الاستسلام المطلقة المحيطة بالمعذب وقد يقر المخاطب بما حواه السؤال من مضمون؛ فثبت ما جاء فيه بأسلوب التقرير الخبري ممثلاً حالة من حالات البوح الوجداني الذي يمارس فيه المعذب ما يمكن أن يسمى بجلد الذات، ومن ذلك قوله تعالى للذين كفروا يوم القيامة قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَأَنْتَى تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا فَمَا أَصْبَرْتُمْ وَلَكُمْ قَوْمًا مَّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ

اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَارِيْبٌ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾

[البابية 31-32].

يجابه الله الذين كفروا بما وقع من أفعالهم وجدالهم مع أنبيائهم بسؤال يستوجب الاعتراف بالثبوت فقوله: " أفلم تكن آياتي تتلى عليكهم" يعني: (كانت آياتي تتلى عليكم)، وهذه الحقيقة المؤكدة التي لا يملك المخاطب إنكارها، تؤدي قولبتها في تركيب السؤال إلى ارتداد المخاطب إلى الزمن الذي وقع فيه الفعل وتجسيمه في الذاكرة، وقد أعاد الله كلامهم بصوتهم؛ ليقسم الحجة عليهم، ويزيد إحساسهم بالخل والندم والحسرة، فيلجم لسانهم الذي تفوه بهذا الجدل العقيم؛ وقد يقرر الله الذين كفروا بما يرونه من العذاب الذي طالما أنكروه في الدنيا مكذبين رسالهم مستهزئين بهم، فتقلب الأدوار ويضحى المستهزون مستهزأ بهم.



قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّئَا قَالَفَدُّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ [ الأحقافه 34 ]

لقد استنطقهم الله عزوجل بسؤال يفيض تقرّيعاً وتحمكاً مقرراً إياهم بالنار المتأججة التي تنتظر التهامهم، وقد فتحت أبوابها لاستقبالهم؛ إنها الحقيقة الماثلة التي لا يشوبها شك، والتساؤل عنها كشف للمشاعر المتأججة في نفس المسؤول، واستنطاق له بالإجابة، لتكون حسرة عليه لوقوعها بعد فوات الأوان: **قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبِّئَا** " إنه إقرار واستسلام يلفهما الفزع والترجي بل التشبث بالسائل، لينقذهم من العذاب المحقق، ولذا أتبع حرف الجواب (بلى) بالقسم بالسائل، عزوجل، وفي هذا أيضا تأكيد لإيمانهم بالله وقد أفادت بلى في الآية الكريمة الإقرار بإحياء الموتى لا لرؤيتهم " <sup>31</sup> ولكن، جاء هذا الإقرار متأخرا ولهذا استحق الكفار العذاب: **"فَدُّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"** وهكذا جاء السؤال التقريري أداة كشف عن التحول الجذري في شخص الكافرين من معاندين مكابرين في الدنيا إلى مستسلمين أذلاء يوم القيامة .

كما يوجه خزنة جهنم أسئلة تقريرية مماثلة، وكأني بهم يعيدون صفع المذنبين بما تحويه هذه الأسئلة من دلالات التقرّيع والتهمك والتحسر التي سبق أن صفعهم الله بها **قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَذَّبُوا**

**تَمَرًا مِّنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا**

**وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [ الملك 8-9 ]**

وقد يأتي السؤال التقريري بدل النفي في رد خزنة جهنم على طلب من طلبات المعذنين فيها، وهذا أبلغ في الرد، وأكثر إذلالا للمخاطب **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّقُ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ**

**بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ [عافر 49-50]**

يمثل السؤال رفضا غير مباشر لطلب الكافرين: **"ادعوا ربكم ينجفهم منا"** يفوق في قطيعته عبارة بديلة كقولهم (لن نفعل) مثلا، لأن السؤال يؤزم الصراع الداخلي في نفس المخاطب، وقد يفتح بدالاته الناقصة، آفاق توقعه، فتأرجح مشاعره بين حافتي اليأس والأمل، وتحول دون قدرته



على الجدل أو النقاش "قالوا: بلى" إنها إجابة موجزة تفيض بالترقب مستنطقة السائل أن يكمل كلامه عله يومئ ببصيص أمل .

وتأتي الصدمة في تلك اللحظة الحافظة بين الطلب (فأدعوا) وبين التعليق على هذا الطلب "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال". إنهم يصعدون بمشاعر الأمل إلى القمة حين يأمرهم المعذنين بالدعاء، ولكنهم لا يلبثون أن يهروا بها إلى قاع سحيق حين يوضحون عاقبة هذا الدعاء، كما وجه أصحاب الجنة سؤالاً تقريرياً إلى أهل النار يبرز التناقض بين حالتهم، مظهراً سرور السائل وسخريته من المسؤول، رابطاً الحاضر بالماضي الذي أنتجه قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [ الأعراف 44].

ولعل الفعل (نادى) يعلل، أيضاً، استخدام تركيب السؤال في تقرير أهل جهنم؛ فالنداء يوحي بوجود مسافة فاصلة بين المتحاورين أو حجاب "وبينهما حجاب" الأعراف 36 يحول دون الحوار وجها لوجه، ولذا يحرص المتكلم على إيصال رسالته للمخاطب بصوت واضح، وبتركيب قادر على استيعاب الانفعالات وتجسيمها، وهل أقدر من السؤال على ذلك ؟ لقد جاءت بنية السؤال بطريقة تعمق دلالات الغبطة والشماتة، وتريد في غم المخاطب وذلك بتقديم حال السائل وإبرازها، وتأخير حال أهل النار، ويعكس هذا مشاعر السائل؛ فالمسرور بحاله يجب أن يظهرها للآخر، فكيف إذا كان الآخر خصمه اللدود الذي دأب على السخرية من كلامه وتكذيبه ؟ لا شك أن المكذب سيحابه كم كذبه بالحقيقة حين تثبت وتظهر بقوة وسطوع ليكده ويفحمه، وربما يؤكد حذف المفعول في قولهم (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) دلالات قريبة الصلة من الدلالات السابقة .

قال الزمخشري: "فإن قلت: هل قيل: ما وعدكم ربكم، كما قيل: ما وعدنا ربنا؟ قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم" <sup>32</sup>

وقد يجسم هذا الحذف طبيعة العلاقة أو مقدار الصلة بين هؤلاء والله عز وجل ؛ فهي قوية وطيدة بين المؤمنين والله في الدنيا تجعل الوعد يصل إليهم مباشرة ؛ لتمسكهم بتعاليمه وإيمانهم برسله، بينما كانت العلاقة مبتورة بين الكافرين وبين الله لابتعادهم عن تعاليمه وكفرهم برسله، فكان وعد الله لهم بالحساب والعذاب.

ويقرر الله الكافرين في الدنيا بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ملقنا إياه السؤال والإجابة القاطعة التي سينطق بها الكافرون والمتمثلة بكلمى (بلى) ، أو سيواجههم بها الرسول فيكون سائلا ومجيبا في الوقت ذاته، وقد طرحت هذه الأسئلة وطرحت إجابتها بأساليب عدة منها:

ما قد جاء فيه السؤال متبوعا بإجابة على لسان السائل نفسه، آخذنا الشكل التجريدي الآتي : (قل ... : سؤال تقريرى ، قل : ... جواب) ، كقوله تعالى لرسوله **قَالَ تَعَالَى: ﴿١٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ**

**مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾**

[عبا 24].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّونَهَا وَنُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام 91]

وقد تتوالى الأسئلة التقريرية وإجابتها متخذة الشكل التجريدي الآتي : (قل : سؤال تقريرى ؟ قل : إجابة، سؤال إنكاري ؟ قل : سؤال تقريرى ؟ قل إجابة، سؤال إنكاري ؟) ، كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم **قَالَ تَعَالَى: ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنِّي تَوَفَّكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُنَبَّأَ أَمَّن لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**

﴿٣٥﴾ [يونس 34-35].

إنها محاصرة المتلقي بحقائق مسلم بما لكونه يعلمها لكنه يخفيها تحت تراب الكفر والعناد، وقد احتير السؤال في هذه المجابهة ليقف المخاطب وجها لوجه مصطدما بالحقيقة المخبأة، مستسلما مبهورا أمام ما يحمله عليه السائل من إجابة، وأمام ما يطرحه من إجابة تعقب السؤال، فيدخل المسؤول في مواجهتين عنيفتين، ويعزى ذلك إلى التناقض بين اليقين الكامن في المسؤول وبين تصرفه المناقض لهذا اليقين، تتحسم المواجهة الأولى في السؤال الذي ينقل للمتلقي دلالات التحدي والتعجيز والتوبيخ؛ ليظل التفاعل بينه وبين الدلالات قائما في جدل لا ينضب؛ يصدده ويدخله في مواجهته مع نفسه، دافعا به إلى التأمل في أمور غاب عنها تأمله مستخدما فيه (مسن) التي يطلب بها التصور .

ولكن السائل لا يلبث أن يقوم بتعيين المطلوب، فتقع المواجهة الثانية المتمثلة في تلك الإجابة القاطعة الوحيدة التي لا يحتمل السؤال سواها "قل، الله" وهذا أسلوب لافت في الخطاب، تبدو غرابته في كون المرسل سائلا ومجيبا في الوقت ذاته، فهو مدفوع إلى السؤال والجواب بثبات اليقين، بل إن حل حرارة الموقف تكمن في هذا اليقين الذي تنطق به الإجابة .

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن في محاولة تحديد الغرض من السؤال هنا هو القول بأن غرضه التقرير، ولكن هذا القول يستدعي التساؤلات التي سبق طرحها عن إثارة التقرير بتركيب السؤال على التقرير الصريح، فلو استخدم المرسل الأسلوب الأخير (الله يبدأ الخلق ثم يعيده)، لا لنفى عن الخطاب الدلالات التي وضحت، ولأبان هذا الإخبار عن استقرار من نوع ما، ربما يكون استقرار الاصطدام بالحقيقة، وربما يكون استقرار الرضوخ لهذه الحقيقة، وربما يكون ذلك كله، أما تركيب السؤال ففيه تأجيج للصراع الذي يحول دون وصول المتلقي إلى الاستقرار أيضا كان نوعه، لتبقى جذوة السؤال وإجابته القاطعة متقدة في نفسه تثير فيه التأمل الدافع إلى اليقين .

كما أن في تقسيم الحقيقة إلى سؤال وجواب زيادة في التركيز والإبراز، بحيث يختص السؤال بالأفعال المعجزة الخارقة التي تفوق طاقة المخاطب وقدرته، ويختص الجواب بإبراز الفاعل الأوجد لها الذي تنسب إليه دون غيره، فيزيد التأمل في الفعل وفاعله، وجاءت الإجابة مجسمة في كلمة

واحدة(الله) أو في عبارة تعاد فيها العناصر الموجودة في السؤال تأكيدا وترسيخا، وقد قدم الفاعل (الله) على فعله (يبدأ) لإبرازه ومجاهة المخاطب به .

سبق أن بينت الدراسة، دور الأسئلة التقريرية في توليد السؤال الإنكاري أو التمهيد له، فيها يتأزم الصراع، ويستنطق المخاطب، ويقرر فيقر مدعنا بإجابة داخلية أو إجابة متفود بها (صريحة)، تقابل بسؤال ينكر التناقض بين الاعتقاد والممارسة الذي يكشفه السؤال التقريري .

وقد يأمر الله رسوله أن يحاضر خصومه بأسئلة تقريرية متوالية مخبرا إياه بإجابته، طالبا منه

أن يرد عليها بسؤال إنكاري قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ

اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [ يونس، 31].

لقد جسمت الأسئلة أداة الكشف التي أمر الله رسوله أن يوجهها للكافرين لينفض تراب كفرهم وعنادهم الذي ترسب على الحقيقة وهنا يظهر التناقض، فالحقيقة تظهر على لسان المخاطب، إنه حوار كامل يضعه الله بين يدي رسوله، شكلت الأسئلة التقريرية جل بنيتة، وعرفت رد الخصم عليها قبل أن توجه إليه، ولقن السائل الوسيط الرد على تلك الإجابة بسؤال إنكاري جاء حصيلة ونتيجة منطقية للحوار السابق له الذي كشف التناقض بين يقين الكافرين وتصرفاتهم.

لقد أراد الله أن ينكر عدم تقوى الكافرين وإصرارهم على السير قدما في طريق الضلال، ولكنه لم يوجه هذا الإنكار مباشرة، وإنما خلق حوارا حيا يستنطق به الكافرين بأسئلة تقريرية ليقيم الحجة عليهم، ويلفتهم إلى الحقيقة الراسخة فيهم، متخذا من إجابتهم البرهان الذي يوجب صوت السؤال الإنكاري التالي لها، كما جعل الله إجابتهم واقعة في جواب الشرط مؤكدا لرسوله

أنهم لن يتفوهوا إلا بما إن توجه إليهم بالسؤال قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ [العنكبوت، 61]

وقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ [العنكبوت، 63].

وهكذا أكد يقينهم بثلاثة أساليب :

**الأول:** أمر الرسول بتوجيه سؤال أو أسئلة تقريرية والإجابة عليها، فيكون سائلا ومجيبا في الوقت ذاته، ويكون صمت المخاطب إقرارا لا يعرف الجدل .

**الثاني :** أمر الرسول بتوجيه سؤال أو أسئلة تقريرية واستنطاق المخاطب بالإجابة القاطعة التي لا يملك منها فرارا .

**الثالث:** تأكيد صدور هذه الإجابة إن سألهم الرسول مقررًا إياهم .

هذه هي أهم مواطن توزع الأسئلة التقريرية في الحوار القرآني، أما بقية الأسئلة فقد تنازعتها أطراف الحوار في مواطن متنوعة، وألصقت بها عدة غايات، منها ما طلب من المسؤول إجابة واضحة ومحددة .

وقد يقرر السائل مخاطبه طالبا منه إجابة ليسجلها عليه، كقول السحرة لفرعون **قَالَ تَعَالَى:**

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْخُذُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [ الشعراء 41 ]، فهم

يريدون منه أن يؤكد لهم الأجر الذي ينتظرهم إن كانت لهم الغلبة على موسى -عليه السلام- وفي هذا السؤال دلالات عدة منها : طلب الأجر والجزاء على صنيعهم، واستنطاق فرعون بالموافقة على ذلك الطلب، ليقوم بتنفيذه حين يحققون الفوز، وقد ترك أمر تحديد ذلك الأجر ونوعه إليه بدلالة تنكير الكلمة (لأجرا) كما نستشف من السؤال حرصهم على أن يؤكد لهم فرعون موافقته، فقد أكدوا طلبهم بأن واللام وتقدم شبه الجملة (لنا) على الأجر ليخصوا ذواتهم به، كما قدموا جملة جواب الشرط " **أئن لنا لأجرا** " على جملة الشرط " **إن نحن الغالبين** " مظهرين تشوقهم لتأكيد الجزاء وتحقيقه، وكأن التغلب على موسى وقهره أمر مؤكد لا يؤرقهم .

وكان جواب فرعون المتعطش لقهر موسى، المستقل أي أجر يندل لذلك **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قَالَ

**نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ الشعراء 42 ]** إنه يوافق على طلبهم ويزيده تأكيدا بأن

يعطف عليه القربى عنده والرفى، وقد أكد رغبته في تحقيق الغلبة بقوله: (إذا) أي سيستحق ذلك وأكثر إذا غلبتموه، هذا هو الشرط والغاية التي يريد، وقد تفيد قولية التقرير في السؤال تنبيه

المخاطب إلى المقرر لما فيه من توجيه الانتباه وتركيزه كقوله تعالى لموسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [ طه 17 ] .

لفت التساؤل عن العصا انتباه موسى إليها، فأصبحت غاية بعد أن كانت وسيلة لا تحظى بالتأمل، لقد سأله الله ليريه عظم ما يخترعه في تلك الخشبة اليابسة من قلبها حية حقيقية تفهر فرعون وسحرته ليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة، فبعد أن أقر موسى بماهية العصا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبُ بِهَا عَلَىٰ عَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَرَبٌ أُخْرَىٰ ﴾ [ طه 18 ] أمره الله أن يلقبها ليحدث التغير الجذري قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى ﴾ [ طه 19-20 ] .

كما يستنطق السائل مخاطبه لاختباره كقول سليمان، عليه السلام، لبلقيس: " قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْبَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [ النمل 42 ] .

ففي سؤاله دعوة إلى التأمل وإمعان النظر في العرش الموجود أمامها، وملاحظة أوجه الشبه بينه وبين عرشها، إنه يؤجج الصراع في نفس بلقيس تأجيحاً ما كان ليحصل لو أخبرها بأنه عرشها وقد أحضره إلى مجلسه رغم أنها غلقت عليه الأبواب، ونصبت عليه الحراس، وأولو وجه إليها السؤال بأسلوب آخر كأن يقول: أهذا عرشك؟ لقد سألتها: " أهكذا عرشك؟ " أي: أمثل هذا عرشك؟ موقعا سؤاله على (هكذا) المكونة من: حرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة: ولعل في تقديم هاء التنبيه على كاف التشبيه محاصرة لانتباه المتلقي ومفاجأة، وهذا لا يتحقق في: (أهكذا) .

ويوقع السؤال الملكة في حيرة وتساؤل عنيفين، فاستخدام كاف التشبيه جازم بتغير العرشين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فكأنه قال لها: أعرشك مثل عرشنا؟ أيتشابه عرشنا مع عرشك؟ كما رافقت المكر في السؤال مظاهر التنكير والتغيير على العرش، فقد أمر سليمان حراسه أن يغيروا من هيئة العرش وشكله لإثارة تأملها وتحديدها ومعرفة مقدار علمها ورجاحة عقلها من إجابتها التي ستحاول بما الخروج من مأزق السؤال " قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا

نَنْظُرَ أَهْنَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ [النمل 41].<sup>33</sup>، وظهر ذكاء الملكة في جوابها

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

[النمل 42]

قال الإمام الزمخشري عن جواب الملكة: "لم تقل هو هو. ولا ليس هو، وذلك من رجااجة عقلها حيث لم تقع في المحتمل، فلو أجابت (هكذا هو) مطابقة السؤال، أدلت إجابتها على وضوح التغاير بين العرشين ووقوع الشبه بينهما لا غير، لكنها لا تكاد تجرد ذلك التغاير واضحا، إنه عرشها، ومظاهر التنكير والتغيير عليه لم توقعها في اللبس، ولم تقل (هذا عرشي)، مع أنها كادت أن تصرخ: هو هو، لأنها لو أجابت بهذه الإجابة لكانت قد اهتمت رجال سليمان بأخذ العرش من قصرها، وهذا الاتهام سيوقعها في الخطر؛ لأنها في أرض سليمان بعيدة عن وطنها غريبة، كما لا يتفق هذا الاتهام وأصول "الكياسة" الرسمية فكيف تبدأ الملكة زيارتها باقحام رجال الملك بسرقة عرشها؟ ولم تقل (ليس هو)، وكيف تقول ذلك أمام الشبه الواضح بين هذا العرض وعرشها؟ لقد كان جوابها (كأنه هو) قمة في حسن التخلّص الذي يومية بحصافتها وفطنتها ولباقتها؛ فلا هي اعترفت أنه هو، ولا هي نفت أنه هو لقد أبقت هذه الإجابة الباب مفتوحا لكل الاحتمالات؛ إنها إجابة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغير بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، وتلك حال بلقيس<sup>34</sup>

ومن الأسئلة التقريرية التي لا يطلب السائل فيها من مسؤوله التفوه بالإجابة، وإن كان صدورها محتملا، السؤال التقريري الذي وجهه الله لآدم وحواء بعدما أزلهما الشيطان، فأكلا من الشجرة التي حرمها الله عليهما في الجنة: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَدَلَّيْنَهُمَا يَبْغُرُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ

لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ [الأنعام 22] أفاد السؤال تذكيرا بتأكيد ما وقع من

تحذير بأسلوب النفي، فقولته تعالى: ( ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكم عدو مبين؟ ) إثبات لفعل النهي (فهيتمكما) وفعل القول (قلت لكم)، وقد امتزجت في السؤال دلالات التقرير والوعيد والتخويف من انتهاك المحذور، فالسؤال يوحي بنبرة الوعيد المنذر بأمر لا تحسن عقباه .



إنه تساؤل يضع المخاطبين في بؤرة المواجهة محاصرا إياهما بما حوته بنيته من تأكيدات تسلط الإنكار تسلطا مباشرا عليهما، وذلك بتكرار (كما)، فالمعنى التوصيلي المباشر كان يمكن أن يكفي فيه بقوله: (ألم أهلكهما عن تلك الشجرة وأقل: إن الشيطان عدو مبين)، ولكنه، عز وجل، أراد تأكيده بتوجيه النهي إليهما، وتوجيه القول إليهما كذلك، وفيه حصر عداوة الشيطان لهما دون غيرهما وذلك باعتراض (لكما) بين اسم إن (الشيطان) وخبرها (عدو مبين) لتخصيص هذه العداوة وتأكيدهما، وحتى حين أشار إلى الشجرة استخدم ضمير الاثنين (تلكما).

ولعل في هذا ردا على من يدعي أن حواء هي التي أغوت آدم بالأكل من الشجرة، فالظاهر من بنية النص معاملة المخاطبين بمساواة بجمعها في بوتقة واحدة، وكانت نتيجة السؤال إقرار آدم وحواء بذنبيهما ثمهيدا لطلب المغفرة والرحمة من الله: **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف 23]**، ولعل إحساسهما بالخجل والندم الذي زاد في تأجيجه السؤال، جعلهما يتورعان من توجيه طلب مباشر من الله بصيغة الأمر، فقد قالا: " وإن لم تغفر لنا وترحمنا) [الأعراف 23] ولم يقلوا: (اغفر لنا وارحمنا) جاعلين من المغفرة والرحمة هبة يهبها الله لهما إن شاء، مبينين عاقبتهم إن لم يغفر الله لهما، وفي ذلك طلب خفي شديد الإلحاح، كشفه التوكيد في كلمة (لنكونن) بلام القسم وتون التوكيد، فتوكيد الحسارة يوحى بتوكيد الاعتذار والرجاء.

ومنها كذلك الأسئلة التقريرية التي يلاحق بها السائل ذاكرة مخاطبه ليستحضر خطابا سبق أن وجهه إليه وذلك لغايات يكشفها السياق، وهذا يعني تمثلا لحركة ارتداد إلى الخلف تدب الحياة في أوصال خطاب كان، واضعا إياه في بؤرة حوار حاضر، ففي السؤال السابق قرر الله آدم وحواء بما وقع من نهي وتحذير موبخا إياهم مقيما عليهما الحجة **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ لَبِئْتُمَا بِغُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا**

**الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَكُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنه يواجه مخاطبيه**

**تِلْكَمَا الشَّجْرَةَ وَأَقْل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف 22]** إنه يوجه مخاطبيه بخطاب سبق أن وجهه إليهما، ويقولبه في السؤال المنفي الذي يفاجئ المسؤول بما يعنيه من إثبات، وهذا يوجب مشاعر الندم والحسرة في نفس المسؤول الذي ارتد التساؤل بذاكرته إلى قوله تعالى



قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَتَعَادَمُ اسْتَكُنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعرافه 19] وهذا ما نقل الله معناه بقوله: "قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقُلْنَا يَتَعَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [١١٧] طه 118] الذي جاء في مقولة قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِرُؤُوسِهِمْ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعرافه 22].

كما أعاد التساؤل التقريري الذي وجهه الخضر لموسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف 75] لقد أعاد هذا التساؤل إلى ذاكرة موسى محملا بالعتاب لنسيانه شرط اتباعه القائم على عدم طرح أية أسئلة، وينسى موسى شرط الإلتباع فيطرح تساؤلا إنكاريا ثانيا، فيرد عليه الخضر بالسؤال التقريري السابق ولكنه يزيد في بنيته شبه الجملة (لك) وفيها زيادة في توكيد مقولته واختصاص موسى بها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف 75] لقد طرحت هذه المقولة مرتان لإقامة الحجة على المتلقي، وحثه على الصبر، ففي كل مرة تخور فيها قدرة موسى على الصبر فيصصرخ منكرا، كان سؤال الخضر يعيد إلى ذاكرته توقعه اليقيني بتقهقر قدرته أمام ما سيشاهده من عجائب .

وفي قول يعقوب - عليه السلام - لقومه حين جاءه البشير بقميص يوسف وألقاه عليه فارتد بصيرا قال قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسفه 96]، إن يعقوب - عليه السلام - يرتد بقومه إلى ما سبق أن ذكره لهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسفه 86] وذلك في رده على قولهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا

تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾

[يوسفه 85]

ولا يخفي البون الشاسع في مشاعر يعقوب بين القولين، لقد حالت مشاعر الحزن والألم إلى الغبطة، جسمتهما بنية السؤال خير تجسيم، وقد يرد المسؤول على سؤال سؤاله تقريرى، ومن ذلك مل جرى في الحوار الآتي بين يوسف وإخوته :

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْ تَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ

اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ [يوسفه 89-90]

التأمل للأسئلة التقريرية التي تبادلها طرفا الحوار لحظة الكشف في قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - لا شك يجد أن السؤال الذي سأله يوسف لإخوته يحمل في طياته خيرا يبين أن المتحدث إليهم إنما هو يوسف، إنه يكشف لهم عن هويته بتساؤل العليم العارف بخبايا مكيدتهم، اللائم إياهم على عداوتهم وتجنيتهم، ولكنه لوم فيه لطف وإشفاق، فكأنه يقول لإخوته لم فعلتم؟ لم ظلمتموني، وظلمتم أبانا، وظلمتم أنفسكم؟ فالسؤال يستنطقهم ليقروا بذنبهم فيتوبوا.

وقولية الإخبار بفعلتهم الشنيعة في قالب السؤال يوحي بحلم يوسف وحرصه على عدم كشف القبيح، وهذا ما يؤديه السؤال الذي يصل المتلقي بدلالة ناقصة يكملها هو دون أن تخرج كلها إلى حيز الوجود، وهذا يعني حرص يوسف على كرامة إخوته في أرض غريبة، وحبه لهم، الذي يحول دون خدشهم أو توبيخهم صريحا أمام الغرباء، يؤكد هذا تنكيره فعلتهم باستخدام (ما) التي لا يعلم مدلولها سوى إخوته، كذلك تعليقه على فعلتهم بقوله (إذ أنتم جاهلون) يمثل اعتذارا عنهم؛ لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحة أسهل من فعله على علم، وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلقوا عذرا كهذا.

لقد دفع سؤاله - عليه السلام - بذاكرة إخوته إلى أحداث بدأت بتأمرهم على أخيهم

وإلقائه في غيابات الحب، وانتهت بقولهم، مجاهرين بعداوتهم والتجني عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا

إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ

أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ [يوسف 77]، كما فسر السؤال لهم لغز

طلب السائل في اللقاء الأول بهم : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ

أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ [يوسف 59] ، وكيف غاب عنهم أن

يدركوا أنه هو يوسف على الرغم من هذه الإشارة .

لقد عصفت كل هذه الأحداث التي جرت في أزمان متباعدة بذاكرة إخوة يوسف متركرة

في لحظة خاطفة يمكن أن نحددها بفترة سماعهم السؤال وبعد انتهائه، لقد حاضوا صراعا عنيفا مع

السؤال بدأ من كلمة في بنيته هي (يوسف) التي هالتهم بما تثيره من مدلولات، فأنعموا فكرهم في

مغزى سؤاله، ودققوا نظرهم في ملامح وجهه، فانتقلوا من دور (الإنكار)؛ أي إنكارهم له

وعدم معرفتهم به، إلى دور (الشك)؛ أي شكهم في أن الذي يكلمهم هو يا ترى يوسف أم لا ؟

ثم إلى دور (اليقين) ؛ يقينهم بأن الذي يكلمهم هو يوسف، فاندفعوا إلى السؤال قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَيْ تَنْكَ لَا نَتَّيُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ

وَيَصِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ [يوسف 90] أي سؤال هذا ؟ وكيف

يمكن أن تحده مقولات البلاغيين أو تصنيفهم ؟.

لقد امتزج في ردهم السؤال والجواب في بوتقة تثير تفسيرات لا حصر لها، إنها تجسيم لغوي

ينبض بذهول الموقف ودهشته ومفاجأته، لعلهم توقفوا مضربين عن السؤال الذي استهلوا به

عبارتهم، لأن شكهم قد انتقل بسرعة إلى يقين تبلور في أكثر من توكيد (إن واللام وتكرار ضمير

المخاطب )، وكأني بالسؤال صرخة انفعال تحاصر يوسف حامله من هول المفاجأة ما تحمل، ميرزة

التأكيد الذي بعدها، ، وأكد يوسف تأكيدهم بقوله : "أنا يوسف وهذا أخيه" ، فإن قلت : قد

سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه ؟ قلت : من باب تطمين أخيه وتفريجه، فهو يؤكد

العلاقة التي تربطه بالمشار إليه، ولعله أراد أن يتمتع سمعه ولسانه برنين هذه اللفظة التي يتلفظ بها .

وتبرز تركيبة لافته في بعض تكوينات السؤال التفريري، يأتي فيها متبوعا بالإجابة المقاطعة

الصارمة التي ليست مجرد اقتراح أو احتمال أو إجابة مشكوك فيها ليقف السائل على الإجابة

ويوقف المتلقي عليها مؤكدا إياها حاملا المتلقي على الإقرار بها، فالسؤال يفتح باب التأمل المفضي لليقين، ومن ذلك : ما جاء في قوله تعالى على لسان رسوله في الحوار التلقيني الذي سيواجه به

الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس 32]

[يونس 32] وقوله تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ

أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة 52]

[التوبة 52] حيث يبرز دال القوة في إحكام الصياغة بالسؤال الذي لا جواب له سوى ما طرحه الله في التركيب القصري للسؤال (إلا) لتسيطر دلالة القصر على التركيب، فلا تدع أمام المتلقي

سوى هذا الاختيار الوحيد، وهو في النص الأول لتأكيد حال المخاطب بأنه يقبع في ضلال بجانب الحق، وإبراز تلك الحال يفيد تحذير المخاطب من سوء واقعه وضرورة تغييره قبل فوات الأوان؛

ويفيد حصر التربص بإحدى الحسينين مكيدة الكافرين بتأكيد حسن عاقبة المتكلم (المسلمين) في كل الأحوال، فإما النصر أو الشهادة .

ومنه أيضا قول امرأة العزيز لزوجها وقد ألفتها عند الباب وهي على تلك الحال المريبة : قَالَ

تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْحَنَ أَوْ يُعَذَّبَ أَلَيْسَ ﴾ [يوسف 25]، لقد مثل السؤال ردة فعل

دفاعية، تلاحق المتلقي وتلجمه، بسؤال وإجابة محددة ثنائية الدلالة ؛ ففيها تهديد ليوسف وتخويف، وفيها إبراز غضبها لزوجها ومحاولة تبرئة ساحتها من أي اتهام أو شبهة، ولهذا طالبت زوجها

بإيقاع عقوبة من عقوبتين اختارهما هي مظاهرة دور المعتدي عليه المتعطش لعقاب المعتدي.

والتأمل طبيعة هاتين العقوبتين يدرك حب امرأة العزيز ليوسف وحرصها على سلامته وبقائه

حيا، فهي التي حددت العقوبة مقررة زوجها بذلك مستلة منه الاعتراف والتأكيد بخيرة إياه بين هاتين العقوبتين فقط، وكأنها تحاصرهما .

### تعاقب الاستفهام :

إن تعدد الاستفهام وتعاقبه من الظواهر التي تشيع في المحاوراة القرآنية وخصوصا في

مجالات الخصومة والجدل، وهي ظاهرة تستحق الرعاية وطول النظر، وسواء كان تعاقب

الاستفهام من أحد المتحاورين قبل جواب الطرف الثاني بالاستفهام أيضا أو بغيره فإنه في كل حالة له مغزاه الذي لا ينفك عن المغزى الأساسي للحوار .

- وأما الحالة الأولى أو النمط الأول : أن يتعاقب الاستفهام من أحد المتحاورين قبل جواب الطرف الآخر، ويكثر هذا النمط في مقامات دعوة الرسل أقوامهم، كقوله تعالى قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [ الشعراء 106 ] حتى قوله

: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٧﴾ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ

﴿١٢٤﴾ [ الشعراء 124 ] حتى قوله ﴿ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [ الشعراء 129 ]

فإن كلام هود ونوح مشتمل على استفهامين الأول منهما للحث على التقوى والثاني للإنكار ، ولقد تعددت الأشياء التي أنكرها معطوفة بالواو بما يوحي بالتبكيث .

ومجئ جوابهم بعد هذا ( سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ) يشير بمدى ما عناه هود ونوح - عليهما السلام - مع قومهما وهذا هو المغزى الذي يدور في إطار الغرض الأساسي للسورة وهو التسرية عن محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يشق عليه إعراض قومه عن رسالته .

- النمط الثاني أو الحالة الثانية أن يسأل أحد المتحاورين ثم يرد على جواب خصمه بالاستفهام وأكثر ما يكون هذا في مقام التوبيخ والإنكار ومثاله قوله تعالى : ( وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ... ) فإنهم ينكرون البعث عن طريق إنكار الطرف الذي يكون في حالة منافية له من باب إنكار الشيء بدليله، ولذا عمدت الإجابة إلى هدم الدليل والسخرية به : ( قل كونوا حجارة أو حديدا ... ) أي كونوا كما شئتم من التكوين وعلى أي شيء مما تستبعدون معه التحول للحياة فلا مفر من البعث ، وفي السؤال الثاني والإجابة عليه تدرج طبيعي وتتبع الخطوات التفكير في هذا الأمر مع حث العقل على الالتفات لحجة قوية لاتصالها بوجود الإنسان ذاته قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْفُرُونَ فِي صُدُورِكُمْ

فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ [الإسراء: 51]

- النمط الثالث أن يكون أكثر كلام الطرفين استفهاما وهذا يدل على خطورة ما يدور حوله الحوار كالذي دار بين موسى - عليه السلام - والعبد الصالح كما يحكيه القرآن قَالَ لَهُ

مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَ مِنْ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا

﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي

السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُجُوعِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى

إِذَا لَبِيا غُلَامًا فَقَالَتْ قَالَ أَقْبَلْتِ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ [الحج: 66 - 75].

هذه هي بعض الانحرافات الأسلوبية القارة في بنية السؤال الحوارية في القرآن الكريم وقد تضافرت مع البعد الانفعالي الكامن في السؤال جاعلة منه طاقة فاعلة في إبداع الدلالات، ليلغ التأثير والإقناع مبلغهما في نفس المخاطب، كما وتؤكد هذه الانحرافات الخارجية في بنية السؤال انحرافا ذا عمق جوهري يتمثل في التجدد الدائم لدلالات السؤال في سياقاته المختلفة.

### أسلوبية الجواب :

أثارت الأسئلة في عدد من المشاهد الحوارية ردة فعل كلامية عند الطرف المخاطب، وألحمت في مواضع أخرى لسانه فقبح صامتا لا ينبس برد .

وجاءت الإجابات على لسان المخاطب في جل هذه المواطن، وخرجت عن الأصل في مواطن أخرى فذكرت بلسان السائل نفسه في الحوار التلقيني خاصة، حيث لقن الله رسوله

- صلى الله عليه وسلم - السؤال ولقنه الإجابة أيضا .

وقد يلقنه السؤال ويلقنه إجابة المخاطب المحددة التي لا يملك منها فرارا، فيكون صلى الله عليه وسلم علم مسبق بتلك الإجابة، وقد طلب منه أن يرد عليها بسؤال :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٥ ﴾ | المؤمنون 84-85 ]

إنها إجابة واحدة تتكرر مع كل سؤال، تدل على استسلام المسؤول، وبقينه التام مميزة التناقض العجيب بين الإقرار الكامل فيها والتصرف الفعلي للمجيب الذي بعكس إجابته، ولذا أمر الله رسوله أن يرد على هذه الإجابة بسؤال إنكاري يبرز التناقض السابق، ليشير تأمل المجيب، ويحثه على التصالح مع إجابته وقد ينقل الله مضمون السؤال لرسوله صلى الله عليه وسلم دون أن يحاكي قول السائل، ويلقنه الإجابة الواضحة المحددة المبينة، لكونها أسئلة شرعية تطلب إجابة لا لبس فيها وقد تمتزج الإجابة مع السؤال في بوتقة واحدة، ومن ذلك قوله تعالى على لسان رسوله (ص) في الحوار التلقيني السابق ذكره الذي سواجه به الكافرين .

وقد يتولى السائل مهمة الإجابة عن تساؤله ليؤكد ما فيه من إنكار مجردا بهذه التركيبيية خصمه من مجادته مغلقا في وجهه باب الحوار، فهو يطرح سؤالا إنكاريا محملا إياه بدلالات الرفض والاستهجان، ويتبعه بإجابة يستهلها بأداة الإضراب (بل) ومن ذلك قوله تعالى على لسان قوم صالح قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَجِدًا نَبِّعُهُ إِنْآ إِذَا لَفِيَ ضَمَلًا وَسُعْرٍ ﴾ (٢٤) أَلَمْ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿ ٢٥ ﴾ | القمر 24-25 ]

وقوله على لسان المستكبرين، الذين حق عليهم القول، للمستضعفين في نار جهنم قَالَ

تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا انْحَرُوا صَدَدَنكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَل

كُنْتُمْ تُحْمِلُونَ ﴾ (٣٢) [سبا 32] فما كان من المستضعفين إلا أن نقضوا إجابة المستكبرين مؤكداين

أهم السبب في ضلالتهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ النَّبْلِ

وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا

الْأَعْنَاقَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣٣) | سبا 33 ]



لقد شكلت الإجابات السابقة تأكيدا لدلالات الأسئلة السابقة لها، كما تهمت معناها، وتضافرت معها في تفرغ انفعالات المتكلم والوصول بها إلى نقطة استقرار لها في الإجابة من مواجهة مباشرة حاسمة .

وتراوحت أطوال الإجابة التي ولدها السؤال بين الكلمة والجملة، وذلك وفق الإثارة التي كونها السؤال في نفس المسؤول، أو الغاية التي على المحيب أن يوصل إليها سائله ؛ فتلبورت الإجابة في في كلمة واحدة موحية بالإقرار والاستسلام واليقين التام الذي لا يحتاج جدلا أو توضيحا في مواطن، وطالت مستوعبة التوضيح والتفصيل في مواطن أخرى ، وظهر هذا اللون الأول من الإجابة في سياقين؛ الأول : في الحوار التلقيني الذي أمر الله رسوله أن يوجه فيه مجموعة من الأسئلة التقريرية المتعلقة بصفات الله وقدراته المتفردة، التي لا يستطيعها أحد إلى الكافرين أمرا إياه بالإجابة عنها في مواطن، ومخيرا إياه بإجابة الكافرين، وقد اقتضت هذه الإجابة على كلمة واحدة هي ( الله ) أو (الله) ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوهُ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ

اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا

يُذَكِّرُونَ ۚ وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَن تَشْرَوْا بِآبَائِكُمْ قُلِ اللَّهُ تَعَزَّزَهُم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾

[الأنعام 91]

إنه أسلوب المواجهة الأمثل الذي اختاره الله ولقنه لرسوله، ففيه تقولبت الحقائق في سؤال وجواب يجذب كلاهما المتلقي لجزء من الحقيقة ويجاهمه بها .

ويتولى الرسول — صلى الله عليه وسلم — مهمة الإجابة عن تساؤله موقفا المتلقي عليها واضعا إياه في بؤرة الحقيقة التي تمرب منها وتجاهلها . ولعل تكفله، — صلى الله عليه وسلم — ، بالإجابة التي قد تفضي إلى جدل عقيم، ولذا أمر الله رسوله أن يقول ما أمره به ثم يتركهم في خوضهم يلعبون .

وقد يطلب من الرسول أن يستنطق خصومه بالإجابة ليقم عليهم الحجة ويبرز لهم التناقض

الرهيب بين إجاباتهم وأفعالهم : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴿٨٧﴾ [المؤمنون 86 - 87]



والمتلقي قد يتخيل تنعيم الكافرين وقد نطقوا بهذه الإجابة، لا شك أن الدهشة والاستسلام والحجل وغيرها من مشاعر الإفحام التي حيمت عليهم خففت أصواتهم وطأطأت رؤوسهم ، وظهر هذا النمط من الإجابة على لسان المعذنين في نار جهنم موحية باليأس والإفحام والاستسلام والألم وغيرها من المشاعر التي تلحم اللسان وتحول دون القدرة على إتمام الكلام أو الإطالة فيه، ومن ذلك إجابتهم الواردة في المحاورة الآتية : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ

النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ

اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [الأعراف: 44]

لقد استخدم المعذبون حرف الجواب ( نعم ) التي سدت مسد الجواب. ومثلها إجابتهم ب ( بلى ) ردا على السؤال الوارد في الحوار الآتي: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعْتُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [مآفر: 50]

في هذا المثال أغنت (بلى) عن جملة الجواب ( أتينا رسل ربنا بالبينات ) وأفادت إثبات ما جاء منفيًا في السؤال . ويتجاوز المحيب في عدد من المشاهد حدود الكلمة الواحدة، فيذكر مع حروف الجواب السابقة الجملة التي كان يمكن أن تعني عنها كما جاء في الحوار الآتي :

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِيَكُمُ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ

جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [الملك: 8-9]

أفاد ذكر جملة (قد جاءنا نذير)، التي يصح حذفها للدلالة (بلى) عليها، زيادة تأكيد واعتراف وإذعان ليبيي عليها ما بعدها (فكذبنا وقلنا)، فقد تلبسهم الإحساس بالندم والشعور بالحسرة، فأخذوا يستذكرون الفرصة التي أتحت لهم وكيف أضاعوها، وكأنهم بهذا يقرعون أنفسهم ويجلدون ذواتهم .

كما أنهم يريدون إظهار يقينهم التام بحقيقة ما رأوه، لعل هذا ينقذهم من عذاب جهنم، ولكن يجعل الله من إجابتهم سببا لوقوع العذاب عليهم، لأنها جاءت بعد فوات الوقت، ولنا لاحظ كيف ربطت الفاء بين إجابتهم وبين وقوع العذاب (فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) ويرجعنا

الحوار السابق إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلٌ إِيَّ وَرَبِّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ [يونس 53].

وهذا يعلل سبب استنطاقهم بالإجابة، ويوضح الانقلاب في موقف أولئك الكافرين، فقد كانوا يستخبرون رسول الله عن العذاب استخبار المستهزئ الساخر المنكر، ولذا أمر الله رسوله أن يؤكد لهم وقوع هذا العذاب ملقنا إياهم الإجابة المفعممة بالتأكيد؛ فقد تلا حرف الجواب (أي) القسم (وربي) وأداة التوكيد (إن) ولام التوكيد .

وفي عدد من الإجابات ارتبطت حروف الجواب بجمل خالية تؤكد وقوع ما جاء في السؤال ببيان حالة السائل وقت الوقوع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَيْ ذَا

مُنَّا وَكُنَّا نُرَآهُ وَعَظْمًا آيَاتًا لَمَجُوعُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ آيَاتُوا الْآلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾

[الطافات 15-18]. أي: نعم تبعثون وأنتم داخرون (خاضعون خلا وصغاراً) وكأنها مواجهة بالمثل، فالسخرية أو التسخيف التي يعج بها السؤال قابلتها الإجابة بما حوته من حال تجسم انقلاب أوضاعهم يوم القيامة؛ فاستكبارهم وسخريتهم سيغدوان ذلاً وخضوعاً يجعلهم عرضة للسخرية .

وقوله تعالى على لسان فرعون وقد سأله السحرة قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا

لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرُ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ [الشعراء 41] أي (نعم لكم أجر إن خبثت

الغالبين، وإني لكم إذا لمن المقربين)؛ وفي هذه الإضافة تشجيع للسحرة وتحفيز لهم، ففرعون يؤكد الأجر ويزيد عليه وصف حالهم عنده المتمثلة بنيل شرف الخطوة والتقريب من شخصه .

فقد ذكر النبيون جملة (أقررنا) التي حواها السؤال، وقد كان يعني عن ذكرها حرف الجواب (نعم) تمكيناً لإقرارهم وتأكيداً، وهذا يناسب لغة المواثيق والعهود التي تمتاز بوضوح كل لفظة وصراحتها ليكون كل طرف مسؤولاً عما اتفق عليه، ولذا ربط الله شهادتهم بالإجابة التي قابل بها يوسف سؤال إخوته في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أءِنتَ يَا يُوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ

وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ [يوسف 90] فيوسف - عليه السلام - لم يقل (نعم) ليناسب تصريحه لحظة

الكشف، وليؤكد اليقين الكامن في سؤال إخوته، ويظهر شخصه الذي غيبه من حياتهم بحقدهم وغيرتهم، شخصه الذي أخفاه تحت لقب العزيز؛ إنه بوح مظلوم انتصر يطوق إلى تكشيف الحقائق، حتى إنه تجاوز في إجابته حدود سؤالهم، فقد ذكر أخاه (وهذا أخي) مقرونا باسمه دون سؤال منهم، ومنها إجابة قوم إبراهيم عن سؤاله في الحوار الآتي :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ

أَصْنَامًا فَظَلَّ لَهَا عَٰنِكِينَ ۗ﴾ [الشعراء 69-71]

لقد سألهم إبراهيم عن معبودهم فحسب، فكان القياس أن يقولوا: أصناما، ولكنهم جاؤوا بقصة أمرهم كاملة، يدفعهم إلى هذا الابتهاج والافتخار بولائهم لأصنامهم، وورغبتهم في إظهار ذلك الولاء، وإجابة الحوارين عن سؤال عيسى عليه السلام .

فالحواريون لم يكتفوا بقولهم (نحن) أو (نحن أنصار الله) وإنما زادوا جوابهم تأكيدا وتفصيلا بذكر إيمانهم وإشهادهم عيسى على ذلك تطمينا له، وتذكرنا إجابتهم بإجابة أبناء يعقوب .

لقد عمم يعقوب، عليه السلام، سؤاله باستخدام (ما) ولو قال (من تعبدون) لم يعمم وكأنه يختبر اختيار أبنائه، فلو قال (من تعبدون) لحدد اختيارهم وفرض عليهم ماهية المعبود وكان أبنائه أدركوا خوف والدهم عليهم الضلال من بعده، كما أدركوا رغبته الشديدة في معرفة مقدار تمسكهم بالشرعية التي جاهد هو وآباؤه من قبل في نشرها وتطبيقها، ولهذا لم يكتفوا بقولهم: "نعبد الله أو نعبد إلهك"، وإنما أخذوا، يخصصون ويحصرن عبادتهم بالإله الواحد الأحد الذي دعا إلى عبادته يعقوب وآباؤه الذين ذكروا أسماءهم مبينين لأبيهم بهذا التسجيل المفصل معرفتهم لدينهم وتذكرهم الدائم له وحرصهم على صيانة تلك الأمانة، بالإضافة إلى التفصيل السابق نجد بنية إجابتهم محملة بتأكيدات أخرى، فقد أكدوا إدراكهم لوحداية الله وتخصيصه وحده بالعبادة بقولهم: (إلهنا واحدا) التي جاءت بدلا من إله آبائك، ويتقدم شبه الجملة (له) التي ترجع الهاء فيها إلى الله عز وجل على خير المبتدأ (مسلمون) هذا بالإضافة إلى أنهم ينصون نوا صريحا على أنهم مسلمون بجملة الحال المؤكدة المبينة: (ونحن لهم مسلمون) أي مخلصون التوحيد ومدعون .

وهكذا فقد حملت بنية الإجابة، من التأكيدات والتفصيلات ما حملت لطمأنة المتلقي، والبوح بالقضية التي تشغل باله وكأنها دستور محفوظ بكل تفصيلاته .

ومثاله أيضا الجواب الذي قابل به فرعون سؤال حاشيته الإنكاري في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ وَءِ الْهَتَكَ قَالَ

سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأمراء 127] فقد تضمن رده جوابه الصريح وهو (لن أذر موسى وقومه) مبينا الكيفية التي سيكون بها عدم ترك موسى وقومه إبرازا لقدرته على التنكيل بهم، وكأني بفرعون، وقد أجاب بما أجاب، قد انتفض لقدرته التي شكك فيها سؤال الملأ بطرف خفي .

وقد يتخير المحيب جزءا من السؤال ليعلق عليه أولا ثم يتخير جزءا آخر دون أن يكثرث بترتيب السائل لتلك الأجزاء في سؤاله، ويعكس هذا أهمية ذلك الجزء بالنسبة للمحيب، فما قدم باللسان كان مقدما في الجنان، ومثاله رد موسى على فرعون في الحوار الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلَمْ

تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِتِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ

الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ [الشعراء 18-22] .

## المصادر ،

- 1 — ربيعة أبي فاضل : جولة في بلاغة العرب وآدابهم، دار الجيل ط 1 سنة 1988 بيروت ص 25 .
- 2 — عبد القاهر الجرجاني : دلالات الإعجاز، دار الكتاب العربي، شرح وتعليق محمد التنجي ط 3 سنة 1999 بيروت ص 57 .
- 3 — المرجع نفسه ص 77 — 87 .
- 4 — عمر أركان : اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق سنة 2001 المغرب بيروت ص 172 — 176 .
- 5 — أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي : مفتاح العلوم تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب ط 1 بيروت سنة 2000 ص 70 .
- 6 — عبد القادر عبد الخليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ط 1 سنة 2002 عمان ص 127 .
- 7 — الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ص 12 .
- 8 — الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي سنة 1972 ص 224 .
- 9 — محمود أحمد نخلة : لغة القرآن الكريم في جزء عم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت سنة 1981 ص 500 .
- 10 — تمام حسان : البيان في روائع القرآن عالم الكتب ط 2 ج 2 سنة 2002 القاهرة ص 194 .
- 11 — حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق سنة 2004 الدار البيضاء ص 41 .
- 12 — الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : ص 267 .
- 13 — عبد القاهر الجرجاني : دلالات الإعجاز ص 101 .
- 14 — الزمخشري : الكشاف ج 2 ص 339 .
- 15 — المرجع نفسه ج 2 ص 347 .
- 16 — عبد القاهر الجرجاني : دلالات الإعجاز ص 119 .
- 17 — عبد الحلیم حنفي : التصوير الساخر في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992 القاهرة ص 215 — 216 .
- 18 — الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 86 .
- 19 — فوز سهيل كامل نزال : لغة القرآن الكريم ص 117 .
- 20 — الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 591 — 592 .
- 21 — المرجع نفسه ج 3 ص 421 .
- 22 — المرجع نفسه ج 3 ص 591 — 592 .
- 23 — المرجع نفسه ج 3 ص 605 — 607 .
- 24 — سعد كموني : الخطاب القرآني ص 44 ،

25 - الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 433

26 - المرجع نفسه ج 3 ص 83 .

27 - ابن منظور لسان العرب تحقيق عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل دار الكتب العلمية بيروت المجلد I ص 532

28 - فوز سهيل كامل نزال : لغة الحوار في القرآن الكريم ص 139 .

29 - لسان العرب ص 531 .

30 - لغة الحوار في القرآن الكريم ص 141 .

31 - محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول الجزء الثاني ص 81

32 - الزمخشري : الكشاف ج 2 ص 155 .

33 - المرجع نفسه ج 3 ص 55

34 - المرجع نفسه ج 3 ص 409 .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

# المفصل الثاني

الأمر ، النهي ، النداء ، التكرار في المداورة  
القرآنية

– أسلوبية الأمر في المداورة القرآنية

– أسلوبية النهي في المداورة القرآنية

– أسلوبية النداء

– أسلوبية التكرار

## تمهيد :

لقد جعل بعض الدارسين المتقدمين الأمر قسما مستقلا من أقسام الكلام، كما صنفه الكثير من المحدثين على أنه جزء من الأفعال التوجيهية، ومنهم " سارل " و " براون " وغيرهم وقد احتل الأمر مساحة واسعة في الحوارات القرآنية؛ فقد جاء في خمسمائة وأربعة وثلاثين موضعا، أي ما يعادل 34% من مكونات الحوار، وهذا يتماشى مع طبيعة سير الحدث الحوارى، فكثيرا ما ينشأ حوار بين طرفين لتوجه أحدهما بطلب تنفيذ فعل ما إلى الآخر.

والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمال نحو : ليترل، وأنزل، ونزال .... على سبيل الاستعلاء ... ولا شبهة في أن طلب المتصور، على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى مرتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه الأصل الاستعمال بالشرط المذكور، أفادت الوجوب، وإلا لم تقف غير الطلب ... " I فالأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء اختصاص الأمر بالعلو على المأمور وهذا هو أصل المعنى الذي تنتجه بنية التركيب، ولكن كثيرا ما يكسر الوجود الفعلي للتركيب في النصوص قيد المعنى الذي تنتجه بنية التركيب، ولكن كثيرا ما يكسر الوجود الفعلي للتركيب في النصوص قيد المعنى الأصلي منتجا دلالات لا حصر لها، تتفاوت بتفاوت العلاقة بين طرفي الحوار، ولذا سيكون استحضار البعد التداولي الأساس المعول عليه في بيان دلالة التركيب، بيد أنم ثمة ملحظا آخر لأحد مظاهر الانحراف في أسلوبية الأمر حري بالتأمل يتمثل في التجاوز الدائب للتركيب في النصوص المختلفة، فليس كل أمر خرج عن دلالاته الأصلية إلى دلالة الدعاء، مثلا سواء، وحتى حين تلتزم من تمثل أبعاد الموقف الحوارى؛ لاستشفاف الدلالات التي قد تبرز مع المعنى الأصلي للبناء، فالأمر الذي يوجهه الله لأحد الرسل مثلا ليؤدي مطلوبا ماقد يمتزج بالشفقة والإناس كقوله لنوح عليه السلام ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۗ وَأُمَّمٌ سَنَمِتْعُهُم ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ [هود 48] بينما يمتزج بالغضب والسخط حين يوجه الأمر ذاته إلى الشيطان



قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَأَهِيظْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ [الأعراف: 13].

بناء على ما سبق فإننا سنقف على تجاوزات التركيب في وجوده الفعلي في النص الحوارية لقيد المعنى الأصلي، وذلك بطرح عدد من النصوص التي تفاوتت فيها دلالات بنية الأمر: ففي قوله

عز وجل مخاطبا إبليس ﴿ وَأَسْتَفْزِزْ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ [الإسراء: 64]

تولد أفعال الأمر المتوالية دلالة التهديد المزروعة بغضب المتكلم من المخاطب، وعدم رضائه عن المأمور به، فقوله تعالى يرتد في العمق إلى: (استفز من استطعت منهم بصوتك وسترى نتيجة استفزازك، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وسترى عاقبة إجلائك، وشاركهم في الأموال والأولاد وسترى نتيجة مشاركتك، وعدهم وسترى نتيجة وعدك ) وتشير إلى هذا العمق التقديري قرائن

الأحوال المصاحبة، فقد أمر الله الملائكة أن يسجدوا فسجدوا إلا إبليس الذي قال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٥﴾ [الإسراء: 65]

61؛ إنه يرفض منكرا وقوع فعل السجود الذي أمره به الله، ويقف متحديا متوعدا ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْسِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٦٦﴾ [الإسراء: 66] ويقابل هذا التحدي تحد أعنف، فقد أمره الله أن يفعل ما يريد وينتظر نتيجة أفعاله، وهذا يعني أن العلاقة الرابطة بين النتيجة والأمر علاقة (تضاد) .

وفي قوله تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوجه مقولة القول التي يحوي أمرا إلى الكافرين المكذابين، خرج الأمر إلى دلالة التعجيز والتحدي: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتَّقُوا

بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ [هود: 13]

لقد ادعى الكافرون أن الرسول افترى القرآن واحتلقه من عند نفسه وليس من عند الله، فأمره الله أن يسايرهم واضعا إياهم في بؤرة التحدي، وذلك بأن يقول لهم : هبوا أي اختلقته من

عند نفسي وأن الأمر كما قلت، فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله، فأنتم عرب فصحاء لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام، وادعوا من استطعتم ليعينكم في تنفيذ هذا الأمر، وهذا يعني أن قوله تعالى يرتد في العمق إلى: ( فأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن، وهو محال عليكم كم أنه محال علي ) وما كانت تلك الإيجاعات لتتولد لو جاء رده، عليه السلام، مقتصرًا على نفي التهمة عن نفسه بقوله ( لم أفر القرآن ) ، لأن هذا الرد لا يعكس اختيار تركيب الأمر .

وهكذا فإن العلاقة التي تتيح (لالأمر) إنتاج (التعجيز) هي التضاد ولكن مع مفارقة واضحة بين الأمر والتعجيز، وتمثل في أن الأمر يتوجه إلى ما هو ممكن، وتوجه التعجيز إلى ما هو مستحيل.

لقد أثبت الأمر العليم أن المأمور الأول (الملائكة) لن يستطيع تحقيق المأمور به، بينما يستطيع المأمور الثاني (آدم) تحقيقه، وهذا يعني أن الأمر الموجه للملائكة يحوي تعجيزًا لكونه يطلب المحال، أما الأمر الموجه لآدم فالتزم بمعناه الأصلي. وانتظر تحقيقًا للمحال الذي صار ممكنًا بإرادة الله. وقد يمتزج التعجيز الذي خرج إليه معنى الأمر بدلالة التكذيب والسخرية كقول قوم نوح له

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا قَأْنَابًا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ [هود 32] إهم يستخفون بتحذيره، عليه السلام، مظهرين عدم المبالاة به، ولذا يطلبون منه تنفيذ وعيده، ليقينهم أن الفعل المأمور به لا يتحقق أصلاً وهذا يعني أن كلامهم يرتد في العمق إلى: (فأتنا بما تعدنا إن كنت صادقًا، ولكنك لن تستطيع لأنك كاذب فما تتوعدنا به أمر محال ) ،فما كان من نوح إلا أن أكد وقوع وعيده، ناسبًا الفعل إلى من لا يعجزه شيء إلى

الله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ [هود 33] إنه يوافقكم بكون إتيانه بالعذاب الأليم — الذي حذرهم منهم — أمرًا مستحيل الوقوع إن كان هو الفاعل، لكنه أمر غير معجز لمن أمره إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون وأظهر، عليه السلام، تأدبه مع الله ،فحين نسب الفعل إليه — عزوجل — أتبعه بالجملة المعترضة (إنشاء الله ) التي تفيد الاحتراس، فتحقيق الوعيد أمر مرتبط بمشيئة الله، إن شاء الله حقق مطلبهم الذي عدوه محال التنفيذ، وإن شاء أحر التنفيذ إلى الوقت الذي يريد .

ومن الدلالات التي نخرج إليها الأمر (التسوية) حيث يطرح الأمر أمرين فيتوهم المتلقي أن أحدهما أرجح من الآخر، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مِمَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [التوبة 53] الذي يترد في العمق إلى: (أنفقوا طوعاً أو كرهاً فهما سواء في عدم التقبل).

ويولد الأمر (التمني) حين يوجه الأمر إلى المخاطب طلباً لا سبيل إلى تحقيقه، ومع هذا فهو يتوق إلى تحقيقه ليتخلص من واقع أليم يعايشه، ومثاله قول الذين ظلموا لما رأوا العذاب يوم القيامة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِذَ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعَ الرُّسُلُ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم 44] إنهم يعلمون أن طلبهم لن يتحقق لأن الله قد حكم بين العباد، ولكنهم يحاولون جاهدين الخروج من نار جهنم قاطعين الوعود بأن يسيروا على طريق الهداية ويمتدح التمني بالرجاء والإحاح على المخاطب، لكنه، عز وجل، يرفض طلبهم متخذاً منه سبباً لتحسيرهم وزيادة تعذيبهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِذَ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعَ الرُّسُلُ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [٤٤] وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيُنَا

لَكُمْ كَفٌّ فَعَانَا بِهِمْ وَضَرَيْنَا لَكُمْ الْأَمثَالَ ﴾ [إبراهيم 44-45].

ومنه أيضاً ما جاء في خطاب أصحاب النار لأصحاب الجنة: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف 50] إن طلب أصحاب النار يناسب قدرة المأمور، فهم لم يطلبوا أهل الجنة بإخراجهم من جهنم، كما طلبوا من الله، ولكنهم تمنوا أن يفيضوا عليهم من ماء الجنة أو مما رزقهم الله من خيراتها.

ولعل القارئ لا يخالف الدراسة الرأي في توقع تحقيق الأمنية في الحوار الثاني وصل إلى حد الممكن، لأنهم مخاطبوا بشرا يمكن تحريك مشاعرهم أو تأجيج شفقتهم، بينما يحتضر توقعهم وهو يولد حين يتوجهون بطلبهم إلى الله؛ ليقينهم بأنه — عزوجل — قال كلمته التي لا تتغير أو تتحور، ومع هذا فقد كرروا طلبهم في مشاهد حوارية كثيرة، مظهرين قمة الخشوع والتذلل والاستسلام.

وخرج الأمر في كثير من المواطن إلى (الدعاء) وفيه يوجه المتكلم الطلب على حال التضرع والخضوع حيث يكون المتلقي هو الأعلى مطلقاً، أو بالنسبة للمتكلم، واقتصر توجيه الدعاء في الحوارات القرآنية إلى الله — عزوجل — لأنه القوة المطلقة التي يتشبت بها فريق من أطراف الحوار، هو الفريق المؤمن بوجودها، والذي يستعين بها في مواجهة الفريق الآخر، أو في مواجهة هموم الحياة المختلفة.

وليس كل أمر خرج إلى دلالة الدعاء سواء، ففرق كبير بين دعاء سليمان عليه السلام: ﴿قَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل 19] وبين دعاء لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت 30].

فسليمان توجه إلى ربه بدعائه وهو مسرور ومرتاح من أية صراعات؛ إنه محاط بالنعمة والراحة والسلام، بينما توجه لوط إلى ربه بالدعاء حزينا خائفا من فحش قومه، ووقوفهم ضده وقفة رجل واحد مطالبينه بأن يخلى بينهم وبين ضيفه، إنه مشهد يتأجج صراعا وعنفا ومواجهة وتوترا.

### أسلوبية (الأمر) في الحوار القرآني :

شكل الأمر سمة أسلوبية مهيمنة في بنية عدد من النصوص الحوارية، فقد توالى أفعال الأمر خارجة من دلالاتها الأصلية إلى الدعاء والتضرع في جل خطابات، عليهم السلام، مع الله، دالة بهذا التوالي على شمول الدعاء، وتعلق أمل الداعي بالمدعو في تنفيذ طلباته، مؤكدة قدرة المدعو

وطاقته على استيعاب كل هذه الطلبات وتنفيذها، ومنها : أفعال الأمر المتوالية في قول موسى، عليه السلام، مخاطباً الله : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَرُونَ أَخِي ۝٣٠ أَشَدِّ بِهِ أَزْرَى ۝٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَى نُسِجِكَ كَثِيْرًا ۝٣٣ وَنَذْرَكَ كَثِيْرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ۝٣٥ ﴾ [ طه 25، 5 ] .

لقد أظهر موسى بطلباته المتوالية بتنظيم إيقاعي مكنونات نفسه بكل ما فيها من هواجس وضعف وخوف ؛ لأنه يخاطب العليم بالخوافي، الذي يملك مخرج كل ضيق، إنه يشرح ويفصل في دعائه، مبرزاً تعلقه بقدرة الله، ورغبته في مناجاته، بدت أفعال الأمر في خطابه فواصل قسمت الخطاب إلى مجموعة جمل متساوية، انتهى كل منها بالمفعول الذي وقع عليه فعل الأمر ، و قد أضيفت ياء المتكلم إلى هذه المفاعيل مؤكدة خصوصية حاجته .

وتولت أفعال الأمر في وصية لقمان الحكيم لابنه بتكثيف يجعلها شريعة يسهل على المتلقي حفظها وبالتالي تذكرها والعمل بها، وما كان هذا الهدف يتحقق لو كانت الفجوة المكانية بين أفعال الأمر واسعة : ﴿ يَبْنِيْ أَقِيْرَ الصُّكُوْةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوْفِ وَإِنَّهٗ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ ۝١٧ ﴾ [ لقمان، 17 ]

كما توالى أفعال الأمر في خطاب الله الموجهة إلى إبليس حين أوى السجود لأدم، مشكلة سلسلة من التحديات التي كثفت في جزء من الخطاب بما تحويه من تحد ووعيد، كمي تكسر من كسره وغروره : ﴿ وَأَسْتَفْزِزْ مِّنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ إِلَّا غُرُوْرًا ۝١٤ ﴾ [ الإسراء، 164 ]

لقد توالى أفعال الأمر في الخطابات السابقة بوتيرة الأمر الأول فيها، والنمط الذي تشكل فيها ووجهت إلى مخاطب بعينه، ووقعت على مفاعيل واحدة أو متقاربة تدور في إطار واحد، وهذا يخلق إيقاعاً خارجياً يعكس نبض المتكلم وانفعالاته وموقفه من المخاطب، فالحالة الانفعالية التي تلقى الحدث الكلامي تسير على وتيرة واحدة .

وفي نماذج حوارية أخرى يتكرر فعل الأمر ذاته على لسان الأمر نفسه، أو على لسان أكثر من أمر، وهذا التكرار دلالات يكشفها السياق، فمن الأول تكرار الفعل (اذكروا) على لسان هود في خطابه للذين كذبوه من قومه ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُولَةً ۗ فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [الأمر: 69]

إن تكرار الفعل اذكروا يجسم إلحاح هود وحثه لقومه على التذكر والتدبر، إنه يلاحقهم بهذا التكرار مستفزاً تفكيرهم وتأملهم، ساعياً بهذه الاستثارة إلى تغيير موقفهم من الكفر إلى الإيمان، والملاحظ أن متعلقات الفعل الأول هي أيضاً متعلقات الفعل المكرر، لكنها جاءت مفصلة مع الأول، ومجملة بكلمة (آلاء الله) مع الثاني.

وقد يتكرر الفعل حين يقاطع المتلقي كلام المرسل بتعليق أو تساؤل يدور حول تنفيذ الأمر، فيجيبه المرسل، ثم يردد إلى الأمر الذي سبق أن طرحه، فيعيد ذكره، ليكون التكرار وصلة تستأنف بها بقية الخطاب، وهذا ما أفاده تكرار الدال في الحوار الذي دار بين الله، عز وجل، وموسى عليه السلام، فحين أمر الله موسى، عليه السلام، أن يذهب بآياته إلى فرعون الطاغية قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه 24] تفاجأ موسى بهذا الطلب، وتلبسه الخوف، لضعف قوته وحقته أمام قوة فرعون وبطشه. وقد دفعه هذا الخوف دفعا إلى التوجه إلى الله بالدعاء طالبا النصر والقوة والمعين، وقبل أن يعرف الرسالة التي يريد الله أن يبلغها لفرعون.

ويستجيب الله لدعائه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ [طه 36] ولكنه عز وجل، لا يذكر رسالته، وإنما يواصل طمأننة موسى، وبث السكينة في نفسه، ليتلقى الرسالة بنفس هادئة، ويستوعبها بقوة وعزم يدفعان إلى التنفيذ، فيذكره بنعمه المتواصلة عليه، ورعايته له، وكيف دلل أمامه كل العقبات التي واجهته، فكان دائما في كنف الله ورعايته، وبعد هذا الحوار الطويل الذي أثار الأمر بالذهاب إلى فرعون، يكرر الله الطلب ليكمل خطابه الذي يريد من المتلقي إيصاله إلى فرعون، ولمن يحدث تغيير في بنية فعل الأمر تعكس استجابة الله لدعاء موسى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا

مَنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ [ طه 29 - 32 ] فإله، عز وجل، وجه أمره إلى موسى وهارون، وذلك بإضافة ألف الاثنين إلى فعل الأمر (أذهب) مينا موافقته على إشراك هارون في أمر الذهاب إلى فرعون : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَأْيِيكِ وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴾ ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ [ طه 42 - 44 ] ويدفع الخوف من حديد بموسى وهارون إلى أن يبوحا بخوفهما من هذا اللقاء، قبل أن يسمعا الرسالة التي كلفهما الله بحملها إلى فرعون : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ﴿٤٥﴾ [ طه 45 ] فيرد، عز وجل، مخاوفهما مؤكدا نصرته لهما ثم يعيد طلبه ( فقولا ) ويطرح رسالته التي تأخر طرحها بسبب مداخلات المتلقي : ﴿ فَأَنبَأَهُ فِقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِتَأْيِيدٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِ الْأَعْدَاءِ ﴾ ﴿٤٧﴾ [ طه 47 ]

وهكذا فقد شكل تكرار فعل الأمر وصلة يرتد بها إلى الدال الأول، ويستأنف بعدها ما توقف من خطاب، فيبدو الحوار متماسكا يدور في بؤرة واحدة

وتنوعت الضمائر المتصلة بفعل الأمر الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿٨٧﴾ [ يونس 87 ] .

وقد علل الزمخشري هذا التنوع في الخطاب بقوله : " فإن قلت: كيف نوع الخطاب، فننا أولا ( تبوءا )، ثم جمع ( واجعلوا، وأقيموا )، ثم وحد آخر ( بشر )، قلت : خطوب موسى وهارون — عليهما السلام — أن يتبوا لقومهما بيوتا، ويختارها للعبادة، وذلك مما يفوض للأنبياء . ثم سيق الخطاب عاما لهما، ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ؛ لأن ذلك واجب على

الجمهور، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض، تعظيما لها وللمبشر بها " 2



وبهذا تكون الدراسة قد توقفت على أهم تشكيلات تركيب الأمر في الحوار القرآني بقي الآن البحث في أسلوبية ردة فعل المأمور الكلامية في عدد من المحاورات .

لقد تأرجحت حل ردود المأمور الكلامية بين ثنائية رفض التنفيذ وقبوله عاكسة طبيعة العلاقة بين الأمر والمأمور، فمن الطبيعي أن تسبب نظرة المأمور العدائية إلى أمره رفضا لقبول الانصياع لأمره وتنفيذه، مهما حاول الأمر إقناعه، وهذا ما تلحظه الدراسة في رد الكافرين أو

العصاة على الأوامر التي وجهها رسل الله إليهم، ومن ذلك المحاورة التالية : **قَالَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ**

**لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ [الفرقان 60 ]**

إنهم ينكرون متعلق فعل الأمر (الرحمان) بسؤالين ؛ الأول يتعلق بماهية الرحمان كاشفا عن تجاهلهم واستهانتهم بالرحمن، ويتعلق السؤال الثاني بإنكار أمر السجود وما يقع عليه .

ويبدو القلب المكاني واضحا في تساؤلهم، فما تأخر في خطاب الأنبياء تقدم في سؤا لهم، وما تقدم عند الأنبياء تأخر عندهم، ومثاله أيضا السؤال الإنكاري الذي وجهه الله للمعذنين في نار

جهنم رافضا طلبهم وذلك في المحاورة التالية **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا**

**نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمْ**

**النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر 37 ]** فسؤاله يلاحقهم بدلالة التوبيخ

مفحما إياهم بما فيه من استنطاق إعترافهم الذي لا يملكون منه فرارا، وفيه من الرفض ما يلجم لسان الطالب محبطا أي أمل له في التنفيذ، وقد اتبع السؤال بأمر يؤكد ما فيه من دلالات، ويقابل أو يصد طلبهم، وقد تحوي جملة الرد خبرا مؤكدا توجي برفض ضمني وهذا ما نجده في رد مالك

على طلب أهل النار : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَادُوا بِمَلِكِكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مِّنْكَوْثٌ ﴿٧٧﴾**

[الزخرفة 77 ]

فقد أكد مالك واقعا سيلازمهم، وهو المكوث الخالد في نار جهنم، وهذا يعني رفض طاعتهم،

في أن يقضي الله عليهم و رد إسماعيل على طلب أبيه إبراهيم في الحوار الآتي **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا**



بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ آيَاتَ آذْبِحْكَ فَآنظُرْ مَاذَا تَرَى<sup>٤</sup> قَالَ يَتَأْتِ أْفَعْلُ مَا

تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [المطافات 102]

إنما قمة الاستسلام لأمر الله الذي جاء لإبراهيم في المنام، فإسماعيل يؤكد لوالده الذي بدا حزينا متألما صبره وتقبله تنفيذ الأمر، أمرا إياه البدء بالتنفيذ ( افعل ما تؤمر ) إنه أمر يحوي دلالات العزم والحث، يواجه به الأمر الذي وجهه والده له وقد ظل باستحياء وحرص ؛ خوفا من مشاعر ولده، وهويانا لرقع الأمر على نفسه، فقد أمره أن يبدي رأيه فيما سمع، دون أن يأمره بأن يستسلم مباشرة لسكينه، فقد شاوره في أمر هو حتم من الله بالأمر الذي جاء في تركيب السؤال، ليأتي الأمر على لسان إسماعيل، فيكسب مثوبة الانقياد لأمر الله بإرادته، وهذا ما حدث بالفعل، فقد جاء الأمر الصريح على لسان إسماعيل .

### أسلوبية النهي في المحاورة القرآنية:

يقول السكاكي في شأن النهي : " للنهي حرف واحد وهو(لا) الجازم في قولك لا تفعل ؛ والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال : لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك، أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب" 3  
والتعامل مع بنية النهي يستدعي حضور حالة شعورية وذهنية تبدأ فاعليتها من منطقة [الإثبات]، لأن [ الكف ] فعل يحصل بشغل النفس بضد المنهي عنه، وهو ما يستدعي تقدم الشعور بالمكفوف عنه، لأننا لا نطالب أحدا بعدم الفعل — أي تركه — إلا وعند عزم على هذا الفعل، أو على الأقل وعي بإمكانية وقوعه، إذ لا يعقل أن يكون هناك إنسان لا يعي شيئا عن فعل ما، ولا يعتزم فعله، ثم أمره بتركه. 4

ولقد ورد أسلوب النهي في مائة وست عشر موضعا حواريا، ورد جلها في خطابات الله ورسله وعباده الصالحين ، أما في خطاب الكافرين والعصاة فقد ورد في أربعة مواطن فقط .  
وقد عكس أسلوب النهي في حوارات الله ورسله وعباده الصالحين موقف هذه الأطراف في الكف عن فعل صدر أو يخشى صدوره لما يترتب على تنفيذه من سوء عاقبة تحقيق بالفاعل .  
ولعل اختيار تركيب النهي في طلب الكف والأمر بالترك يحقق مواجهة وتفاعلا مع الطرف الآخر لا يحققهما تركيب بديل، فالنهي عن ممارسة الفعل يستفز تأمل المنهي في حقيقة الفعل

الذي كان يؤديه أو سيؤديه، وعاقبة هذا الفعل، فالنفس البشرية تستثيرها صيغة [ لا تفعل ]، وهل أدل على ذلك من استغلال إبليس للنهي الذي وجه الله لآدم وحواء في إغوائهما وإثارة فضولهما لمعرفة سبب هذا النهي **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا**

**مِنْ سَوَاءٍ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَيْتُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾**

**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**

**وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ**

**الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ [الأعراف 20 - 22]**

والانحراف عن دلالة النهي الأصلية ( الاستعلاء ) خاصة تتجدد بتجدد الواقع الفعلي لنبية النصوص، ويحتاج لأجل استشفاف الدلالة إلى حضور طرفي الحوار بكل مكوناتهما الداخلية والخارجية ؛ فقد امتزج النهي بالرجاء والتلطف في قول إبراهيم لأبيه: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَّابِتْ لَآ**

**تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ [ هديه : 44 ]**

كما أفادت بنية النهي التهديد والتوبيخ والتحذير في قول موسى - عليه السلام - لفرعون وسحرته **ك قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَاتَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَسُحِّتُمْ بِعَذَابٍ**

**وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي ﴿٦١﴾ [ طه 61 ]**

وأفاد النهي في مواضع أخرى من الحوار القرآني التحدي وقلة المبالاة بتهديد المتلقي في قول نوح لقومه: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّ كَذِبَكُمْ عَلَيَّ كُفْرًا**

**مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِمَا أَنْتَ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ**

**أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ [ يونس 71 ]**

ويمتزج التحدي بالتهديد والإنذار في بنية النهي الواردة في قول سليمان للملكة سبأ وقومها

**قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ [ النمل : 31 ]** فهو الأقوى الذي يأمر وينهى

وعلى الجميع الاستسلام لأمره ونهييه .

وتباينت الدلالات التي احتوتها النواهي الإلهية وتعددت باختلاف أحوال المخاطبين ؛ ففرق كبير بين الدلالة القارة في بنية النهي الواردة في قوله تعالى لأصحاب جهنم : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون 108]** وبين الدلالة التي أفادتها بنية النهي الواردة في قول تعالى لنوح - عليه السلام - **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَفُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: 37]** ففي الخطابين نهي عن ممارسة فعل الكلام، ولكنه نهي يمتزج بالتوبيخ والتقريع والإهانة التي تحملها النبرة الصاعدة التي يحويها السياق، فالله غاضب من أهل جهنم، لا يريد سماع توبتهم التي جاءت بعد فوات الأوان، لكن غضبه في نيه لنوح عن الكلام ليس موجها إليه، وإنما هو موجه إلى قومه الكافرين ولذا تلاشت الدلالات السابقة القارة في بنية النهي الأولى لاختلاف المخاطب، وحوث دلالة التيسير وإفحام أي محاولة شفاعاة أو وساطة يقوم بها نوح، لا لأن شفاعته لا وزن لها عند الله، ولكن لتعلقها بالكافرين الذين وقع عليهم غضب الله وعذابه .

ولنتأمل هذا التركيب الذي تكرر فيه تركيب النهي، قال تعالى على لسان شعيب : **قَالَ**

**تَعَالَى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعِدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَلُ أَشْيَاءِهِمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعَدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَتَّبِعُونَ سَبِيلَ عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ [الأعراف 85 - 86]**

تقوم بنية هذه المحاوراة على مجموعة من الأوامر والنواهي التي انبثقت من قوله: ( قد جاءتكم بينة من ربكم ) أي معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي، والأخذ بما أمركم به، والانتهاة عما أهلككم عنه إنه، عليه السلام يلاحقهم بهذه الأوامر والنواهي، واضعا

إياهم في بؤرة الموقف، فهم المطالبون بالتنفيذ وهم المطالبون بالكف عن ممارسة أفعال تبعد عن الصراط المستقيم، أو هم المطالبون بتركها، ويخلق الأمر بترك الفعل صراعاً في نفس المتلقي قد يؤول إلى الرفض، ولذا أحاطه التامهي بحجج ونصائح تقنع المتلقي بضرورة الانتهاء، ترغبه حيناً: (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين)، وترهبه حيناً آخر ( وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) وقد أدت أفعال الأمر في الحوار دور الإقناع محاصرة تراكيب النهي المتلاحقة مميزة ما فيها من تحذير " إن المنهج القرآني الإقناعي وما فيه من أساليب تعددت وتوعت في خطاباتها وتلونت في حوادثها وشخصياتها، هي كفيلة بإقناع البشرية التي وقعت أسيرة، لإرث الأجداد

والأعراف والقبيلة وعادات الانحطاط، أو تلك الأمراض النفسية من الكبر والحقد والحسد والخوف، أو أسيرة لشمهوات الفرج والبطن والشهرة والظهور، القرآن كفيل ببرد تلك البشرية إلى صوابها ورشدها، إلى بر الأمان والقناعة"<sup>5</sup>

والنهي لأجل الإقناع يتطلب التعليل وبيان الأسباب الدافعة إليه ويتجلى ذلك من خلال بعض المحاورات من بينها بنية النهي في قول لوط لقومه وقد أمره أن يخلي بينهم وبين ضيفه

ليفحشوا بهم : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾

[المعجم 68 – 69] وجسم النهي محاولة قوم لوط الاعتداء على ضيفه وتكرار صد لوط لهم والتعرض بينهم وبين ضيفه، ويفيض تركيب النهي ( فلا تفضحون، ولا تخزون ) رجاء وخوفاً وحجلاً راغباً في إخفاء أفعالهم عن أعين ضيفه، فقد كان لوط يرجوا قومه أن لا يفعلوا ما يشين، وكان خائفاً من تفهقر قوته أمام قوتهم الزاحفة المسعورة .

وتراوحت ردود فعل المتلقين إزاء النهي بين صمت مطبق يروحي بموافقة المتلقي وإقراره بما

ينهى عن فعله مثل غياب رد الابن على النصيحة التي وجهها له أبوه لقمان : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا

تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ [لقمان 18] .

ورفض وتمرد على الانتهاء والكف المطلوب مثال إغواء الشيطان لآدم وحواء في الأكل من

الشجرة.

## أسلوبية النداء في المحاورة القرآنية :

من بين تعاريف النداء : طلب الإقبال بحرف نائب مناب أذعو .

وأدوات النداء ثمان : الهمزة، وأي، ويا، وآ، وآي وأيا، وهيا، ووا، وقد ينحرف النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من القرائن، كالزجر والتحسر والإغراء 6 ، يقول أحمد المتوكل : " يجب أن يميز بين " النداء " كفعل لغوي، شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، و " المنادى " كوظيفة أي كعلاقة تسند إلى أحد مكونات الجملة، وبالرغم من أن النداء والمنادى يتلازمان فإنهما مقولتان مختلفتان، في الجملة مثلا، يتحتم التمييز بين النداء كفعل لغوي يحدد جهة الجملة والمنادى كوظيفة مسندة إلى المكون زيد : يازيد، أخوك مقبل .

- الوظيفة المنادى وظيفة تداولية تؤاسر المبتدأ والذيل والبؤرة والمحور فإسنادها، كإسناد هذه الوظائف الأربع، مرتبط بالمقام وليس المنادى وظيفة دلالية كالمنفذ والمتقبل والأداة، ولا وظيفة تركيبية كالفاعل والمفعول لأنه لا يقوم بأي دور بالنسبة " للواقعة " التي يدل عليها محمول الجملة ولا يسهم في تحديد " الوجهة التي ينطلق منها في تقديم هذه " الواقعة " . 7

### أسلوبية النداء :

وبنية النداء بنية مهيمنة في الحوارات القرآنية، فقد جاءت في مائتين وثمانين موضعا حملت أحوال المنادى وانفعالاته المختلفة إلى المنادى مجسمة رغبته للتواصل مع الآخر استمالة وإقناعا وإثارة اهتمامه لمضمون الرسالة التي يريد إيصالها، وأما أكثر أدوات النداء استعمالا في الخطاب الحوارية هي ( اليا ) فقد جاءت في ( 138 ) موضعا، وحذفت أداة النداء في (88) موضعا وحذفت بنية النداء في ثمانية مواضع .

شكل النداء ركيزة البدء في كثير من المنجزات الحوارية، إذ يستهل به كل طرف حديثه مع الطرف الآخر من ذلك ماجاء في هذا الحوار : قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَأَنْقَضُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ [ يوسفه 4 - 5 ]

فكلا الطرفين يستهل خطابه بندااء الطرف الآخر مبرزاً العلاقة الرابطة بينهما وما تومئ به من مشاعر ؛ فنداء يوسف الصبي الصغير لأبيه وقد أعجبه حلم رآه في منامه فوقف مزهوا سعيدا بخبره بما رآه، يختلف عن نداء أبيه الذي أدرك معنى حلمه فحشي عليه من كيد إخوته، وهذا يعني امتلاء صوت يوسف الذي حمل لفظه ( أبت ) دهشة وسعادة، بينما يمتلئ صوت الأب يعقوب فرحة مشوبة بخوف وقلق وحرص فيظهر خافتا مرتجفا

كما شكل النداء بنية الاستهلال في الحوار الآتي الذي دار بين نوح - عليه السلام - والله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ

الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْلُبْ لَكَ بِهِ عِلْمًا إِنَّي

أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا

تَعَفَّرَ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [ هود 45 - 47 ]

وتكشف القراءة الارتدادية والبعدية للأحداث المحيطة بالنص الحوارى السابق الدلالات المكترة في بنية النداء ؛ ففي قول نوح (رب) التي استهل بها خطابه مع الله بمتزج الرجاء الخيرة والألم والإلحاح الخجول، فقد كان متلهفا على ولده الذي رفض أن يركب السفينة فأصبح من المغرقيين، وكان مهموما مختارا، فقد وعده الله أن ينجي أهله، فما بال ولده ؟

ويبين الله لنوح - عليه السلام - السبب الذي جعل ابنه من المغرقيين مستهلا خطابه بمناداته (يا نوح) التي امتلأت عتابا وتحذيرا نستشفهما من مضمون الخطاب الذي جاء بعدها، وقد دار حول نفي العلاقة الرابطة بين نوح وابنه بسبب كفر الأخير وعصيانه، واستخدم ضمير الغائب في الحديث عن ابن نوح مبالغة في نبذ وتجاهله، وكأن الله يحث نوحا بهذا التغييب لشخص ابنه والتركيز على صفته أن ينسأه ولا يألم لغرقه . وأعقب هذا تحذيرا حملته بنتا النهي (فلا تسألن) و(أعظك أن تكون) أي (لا تكن) . فما كان من نوح إلا أن قابل الدلالات المكترة في ندائه - عز وجل - ببنية نداء مطابقة لندائه الأول (رب) لكنها تخالفه دلالة، فقد حوت اعتذارا وخوفا ورغبة في أن يسامحه المنادي على ما في ندائه الأول من دلالات .

وأدى استشعار المندي لقرب المنادى المعنوي أو المادي إلى تغييب أداة النداء في عدد من التراكيب، انحصر جلها في مناداة الخالق للخلق، لما فيها من استشعار المندي حضوره — عز وجل — وسماعه لدعائه دون أي وساطة ومن ذلك ماجاء في دعاء زكرياء عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥﴾ بَرِّئُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ٦﴾ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ ﴿ امریه [6-3]

إنه ينادي ربه نداء خفيا هامسا كي لا يسمعه أحد مستشعرا قرب الله منه، وسماعه لدعائه الخفي الذي فيه ما فيه من البوح الحزين المغلف بالضعف والشعور بالقلق والخوف. وقد تغيبت إزاء هذا القرب أداة النداء، وأضيفت ياء المتكلم إلى المنادى موحية بالتعلق والرجاء وقمة الاستسلام والخضوع .

وتكرر ظهور البنية، بما فيها من حذف، في جسم الخطاب دالة على ذلك الإحساس المتعمق في نفس المنادى ؛ فالمعنى الإيصالي المباشر في قوله : ( ولم أكن بدعائك رب شقيا )، ولكن المنادى يظهر بهذه الزيادة أدبه وتدلل في عخطابه مع الله، لأن في النداء تخفيضا وتلطيفا من حدة توجيه الخطاب بضمير المخاطب . ومثله توسطه لبنية النداء بين المفعول الأول لفعل الأمر (اجعل) ومفعوله الثاني رضا في قوله : ( واجعله رب رضىا ) إظهارا للخضوع والرجاء واحتراسا من ظهور أية همسة استعلاء قد يومية بما تركيب الأمر .

ومن المواطن التي غيب المنادى فيها أداة النداء ما جاء في قول العزيز به : قَالَ تَعَالَى:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ٢١﴾ ﴿ امریه [ 29 ] وفي هذا الحذف تجسيم لموقف العزيز من يوسف، فقد اقترب منه ملاطفا هامسالا خوفا من شيوع هذه الفضيحة التي تمس عرضه وشرفه، وطلب منه كتمان هذا الأمر وعدم التحدث به .



وفي مشاهد حوارية نجد النداء ورد مصاحبا بنى الطلب الأخرى وتظافر معها لتحقيق أقصى درجات التفاعل بين أطراف الحوار، وتقدم عليها في مواطن وتقدمت عليه في أخرى من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءِ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُصِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [ هود : 44 ] وقول شعيب لقومه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْحَمُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ [ العنكبوت 36 ]

فقد أفاد تقدم المنادى في تركيب الأمر في الخطابات السابقة تبييه المخاطب وتوجيه اهتمامه للفعل المراد تنفيذه، وحصر هذا التنفيذ به دون غير، كما لا يخفى ما لاستهلال بنية الأمر بالنداء من أثر في تخفيف حدة دلالة الاستعلاء الملازمة لها، والتي قد تسبب استفزازا للطرف المأمور، لا لكونها متعلقة بتنفيذ فعل ما، ولكن لكونها أمرا فحسب .

وقد يتقدم الأمر على النداء حين يكون هدف المتكلم تنفيذ الفعل دون أن يورقه مقام المنفذ أو مكانته، كقول فرعون لهامان ساعده الأيمن ومعاونه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي نَارًا مِنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ

إِلَىٰ إِلَهٍ مُّوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [ القصص 38 ] فقد كان هم فرعون

منصبا على تحدي موسى والسخرية منه، ولذا توجه إلى مساعده هامان بأمر فيه من التحدي وإبراز القدرة ما فيه، وما نداؤه لهامان إلا إسناد ينسب فيه مهمة التنفيذ إليه، دون أن يضع الأخير في بؤرة تفكيره واهتمامه " النداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي، ولهذا لما جاء بعده

الخبر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ

ضَعُفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ [ الحج : 73 ] شفعه الأمر في قوله : ( فَاستَمِعُوا لَهُ )<sup>8</sup>



ويلزم النداء بنية السؤال في كثير من المواضع الحوارية منها قول أبناء يعقوب لأبيهم: **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾** [ يوسف : 11 ] وقول يوسف عليه السلام — لصاحبه في السجن : ( يا صاحبي السجن ، أربابهم متفرقون خيرا أم الله الواحد القهار ؟ ) ولا يخفى أثر استهلال السؤال بالنداء، ففيه زيادة لإثارة أفق توقع المتلقي وتلقيه، وأيقاظ اهتمامه، لتخصيصه هو دون غيره بالسؤال وما يحويه من دلالات .

وتنوعت دلالات الكلمات التي وقع عليها فعل النداء، فقد ينادى أحد الأطراف الطرف الآخر باسمه، ومن ذلك : مناداة — الله عز وجل — الأنبياء بأسمائهم باستثناء محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد ناداه بقوله : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾** [ الأنفال : 70 ]، ولم يناده باسمه قط، وفي هذا اعتراف من الله بنبوته وإكرام له، فقد هنا الله مناداته باسمه مجردا كما ينادي الناس بعضهم بعضا .

ونادى الله جميع أنبيائه ورسله بأسمائهم، ونادى نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — بوصفه الشريف : ( يا أيها النبي ) [ الأحزاب : 1 ] ( يا أيها الرسول ) [ المائدة : 67 ] ( يا أيها المزمل ) [ المزمل : 1 ] ( يا أيها المدثر ) [ المدثر : 1 ] ومن دعاء الله الأنبياء بأسمائهم ما جاء في قوله مخاطبا موسى — عليه السلام — : ( وما تلك بيمينك يا موسى ) [ طه : 17 ]

وقد يغيب المنادي اسم مخاطبه داعيا إياه بلفظة تدل على طبيعة العلاقة الرابطة بينهما: ومن ذلك : استهلال هارون خطابه مع موسى بقوله ( ابن أم )<sup>٩</sup> وذلك أدعى إلى العطف والرقه وإثارة الشفقة في نفس موسى — عليه السلام — الذي تملكه الغضب والأسف فاحذ يجر أخيه بعنف كما ظهر في هذا المشهد والذي سبق تناوله في موضع سابق من هذه الدراسة :

**﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾** [ الأعراف : 150 ]

ودعوة نوح لابنه بقوله **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ**

**أَبْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَغِي أَرْكَبَ مُعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾** [هود: 42] إنه

- عليه السلام - لا ينادي ابنه باسمه، وإنما يناديه بنسبه، تحفزه عاطفة الأبوة إلى هذا الاختيار؛  
فكلمة ( بني ) توحى بالعطف والحرص والشفقة والحب التي يكنها المنادي للمنادى

وقد ينادي أحد الأطراف الكرف الآخر واسما إياه بصفة ما توحى بموقفه تجاهه، كقوله

تعالى مخاطبا الكافرين يوم القيامة: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾** [يس: 59]

فقد ستمهم بالجرمين توبيخا لهم على كفرهم ز ضلالهم وتقريرا وتعديبا. <sup>10</sup> وحسم النداء في عدد  
من الخطابات انفعالات المتكلم وأحوال نفسه وعواطفها من حب وبغض وحسرة وأسف .. إلخ

. ومن ذلك: قول الرجل الذي التقط يوسف - عليه السلام - من البئر **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ**

**سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشَرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا**

**يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾** [يوسف: 19]، إنه ينادي البشري، كأنه يقول لها: تعالى، فهذا وقتك، وفيه

تعبير عن فرحته الغامرة المترجة بالتعجب الناتج عن عثوره على غلام جميل هي الطلعة بجبل الدلو  
ز وهذا يعني رزقا سيناله من بيع الغلام الذي حصل عليه دون عناء. و [ بشري ] بسكون الياء

نكرة مقصودة مبني، نادى البشري، كأنه يقول تعالى: فهذا أوانك.

وأجرى محمد عبد الخالق عضيمة مسحا لأشكال النداء في الخطاب القرآني من حيث

وقوعه مضافا أو نكرة مقصودة أو نكرة غير مقصودة، ومواضع حذف الياء في نداء ( الرب )

كما قدم نظرة في نداء الأنبياء وغيرهم في القرآن الكريم . 11

## أسلوبية التكرار في المحاوراة القرآنية:

ظاهرة التكرار من الظواهر البارزة في أسلوب الحوار القرآني ، حيث يؤدي مهمته في

تثبيت العقيدة في النفوس، وإرساء الفضائل في أعماق النفس، وقد انقسم في تناول هذه الظاهرة

الدارسون إلى فريقين:

فلقد كانت هذه الظاهرة المعجزة عند الفريق الأول، ماثرا لظعن الطاعنين ممن لم يفهموا ولم يتذوقوا أسرار التعبير وما قد يستدعيه المقام من المقال، فراحوا يخوضون في آيات الله بغير علم، وأخذوا يتقولون على الآيات المحكمات بما ليس لهم بحق ... وكان أولى بهم أن يعلموا أولا ليحكموا ؟

لقد توهموا أن التكرار إنما هو " تجاوز في زيادة اللفظ زيادة ظاهرية عن المعنى بما يشعر بوجود فضول في التعبير لا طائل من ورائه "12 كما استنكر بعضهم أن يوجد في القرآن هذا التكرار المضعف في مثل قوله تعالى : في سورة الرحمان: ( **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ) وفي سورة المرسلات ( **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ) وليس واحد من المذهبين محمودا عند أهل اللسان، ولا بالمعدود في النوع الأفضل من طبقات البيان<sup>13</sup> وأما الفريق الثاني فقد رأى في التكرار إعجازا وبلاغة في التعبير، وتأكيذا في الكلام وجمالا في الأداء، يقول الزركشي : " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أجمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا ... وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة "14 ولقد أكد الرافعي هذا المعنى قائلا : " وههنا معنى دقيق في التحدي، لا نظن العرب إلا قد بلغوا منه عجا، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طريق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، فالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعدة وتثبيت الحجة ونحوها ... "15

والتكرار في المعجم هو : " الكر مصدر كرّ عليه يكر كرا وكرورا وتكرارا : عطف، وكرر الشيء وكرره : أعاده مرة بعد أخرى، والكرة المرة، والجمع الكرات، ويقال، كررت عليه الحديث وكررته إذا رددته عليه، والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار "16

إن التكرار آلية أسلوبية ينفذ بها المضمون، مما يستوجب لهذه الدراسة الكشف عن المضامين التي تشكلت فيها الأبنية التكرارية في لغة الحوار القرآني، لمحاولة تبيان مدى ملاءمة هذا الأسلوب للموضوعات التي عولجت من خلاله، وما أفرز ذلك من دلالات مختلفة ..

لقد كان التكرار في الحوار القرآني موجها لتحقيق غايات وأغراض مختلفة، وقد ورد التكرار في أنماط أسلوبية شتى .

فلنتأمل تكرار كلمة ( يوسف ) الواردة في سؤال أبناء يعقوب في إجابة يوسف على سؤالهم: ( قالوا : إنك لأنت يوسف ) تركيب استفهامي

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أُولَئِكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۗ

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ [ يوسف ، 90 ] تركيب خبري .

ويفيد تكرار التصريح بالعلم ( يوسف ) توكيدا من المخاطب المسؤول وتقوية وإثباتا، فقد كان من الممكن أن تكون إجابة يوسف — عليه السلام — عن سؤالهم : أنا هو، أو : نعم، لكنه أعاد التلفظ بعبارة من جنس لفظتهم واصلا بظنهم إلى درجة اليقين، ففي سؤالهم ظن وشك في نسبة ( أنت ) إلى خبره ( يوسف ) فجاءت عبارته ( أنا يوسف ) مثبتة ومؤكدة نسبة الضمير إلى الخبر ذاته .

وقد يكرر أحد أطراف المحاورة كلمة قالها الطرف الآخر مع تغيير شكلها مكسبا إياها

دلالة إضافية، ومثاله : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿١١﴾ [ هود : 69 ]

لقد رد إبراهيم — عليه السلام — تحيتهم بأحسن منها، وإن كانت من جنس تحيتهم ؛ ففي قول الرسل : ( سلاما ) مصدر سد مسد فعله، وأصله : نسلم عليك سلاما . وأما قوله : (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف، معناه : عليكم السلام، وفي هذا دلالة على ثبات السلام وتمكنه ورسوخه، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذنا بأدب الله تعالى، وإكراما لهم " 17

وشكل تكرار المنادى في رؤوس الجمل ظاهرة لافتة في الوصايا والنصائح لاستدراج المخاطب والتلطف في استمالاته، فيناديه المتكلم نداء المشفق التودد مكررا نداءه باسمه أو بصفته مينا تخصيصه بمحتوى الرسالة دون غيره، ومثاله، تصدير كل نصيحة من النصائح التي وجهها

إبراهيم — عليه السلام — لأبيه بقوله : ( يا أبت ) توسلا إليه واستعطافا **قَالَ تَعَالَى: ﴿٤١﴾ وَأَذْكُرُ فِي**  
**الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾** إذ قال لأبيه **يَتَأْتٍ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي**  
**عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَأْتٍ إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مَنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾**  
**يَتَأْتٍ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتٍ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ**  
**عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾** ﴿ امرية : 41 - 45 ]

لقد أظهرت مقولة إبراهيم حرصه على هداية أبيه ونجاته من العذاب الذي ينتظره إذا بقي على كفره وعناده، فأخذ يرجوه مكررا مناداته والإلحاح عليه ويجسم هذا التكرار المشهد الحواري الذي دار بين إبراهيم وأبيه، فيصور الأب معرض عن ابنه، ساخرا من كلامه ن يشيح بوجهه عن إبراهيم الذي يلاحقه مناديا ليسمع كلامه ونصحه، وهذا يعني وجود طرف معرض يرفض استقبال رسالة الطرف الآخر، فيلجأ الأخير إلى استخدام منه تعبير يمتثل في تكرار مناداة الطرف المعرض لإيصال رسالته إليه .

وتكرر توجيه النداء إلى لفظة ( قوم ) المضافة إلى ياء المتكلم المختزلة إلى كسرة تخففا في النطق، وذلك في عدد من المشاهد الحوارية التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم لتنبههم واستمالتهم وفي حوار مؤمن آل فرعون مع فرعون وقومه تكرر توجيه النداء إلى لفظة ( قومه ) ست مرات لتنبههم وتحذيرهم، لأن فرعون كان يقاطعه متجاهلا كلامه ومسكنا صوته كي لا يؤثر في قومه، فكان الرجل المؤمن يكرر نداءه لقومه ليعيد انتباههم لكلامه كلما انقطع تواصله بهم بتدخل فرعون الكلامي **قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٩﴾ يَنْقُورِ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ**

**بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ**  
**الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ**  
**وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ**

**تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾** ﴿ مخافة : 29 - 33 ]

ويواصل الرجل المؤمن حوارَه مع قومه دون أن يناديهم لعدم وجود قاطع كلامي يحول اهتمام المتلقي ويشير حوارَه فرعون من جديد، فيقاطع خطابه بقول ساخر **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ نَهَمْتُمْ أَنِّي لِي صَرَحًا لَعَلَّيْ أَنْلَعُ الْأَسَدَ ﴿٣٦﴾ أَسَدَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى اللَّهِ مُوسِيًّا وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ**

**فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾** [مخافه : 36 - 37] ويدرك الرجل المؤمن اقتراب نهايته لجرأته وصراحته، فيدفعه ضيق الوقت المتاح له أن يكثف المنبه التعبيري (يا قومه) في خطابه لعله يجد آذانا صاغية **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾** [مخافه : 38 - 39] إلى أن يقول : ﴿ **وَيَتَقَوَّمُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾** [مخافه : 41]

وبعد استعراض المواطن التي استهلّت بما (يا قومه) في حوار الرجل المؤمن مع قومه، يمكن ملاحظة أن كل دال مكرر تعلق بجملة فيها درجة من التصريح بإيمان المستكلم تفوق تلك الموجودة في الجملة التي سبقتها، فالتصريح يتنامى تصاعدياً في تلك الجملة . ويشكل تكرار الأدوات المخصصة في عدد من سياقات التحدي والمكابرة ومثاله تكرار (بل) في حوار الكفار مع بعضهم دالة على اضطرابهم وتحيرهم من كلام الرسول ورسالته

**قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَامٍ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾** [الأنبياء : 5] إنهم يقولون القول ثم يضربون عنه، فقد أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه أحلام كاذبة ثم إلى كونه كلاماً مفترى من عنده، ثم إلى اسمه بقول شاعر .

يقول الزمخشري : " وهكذا الباطل لجج، والمبطل متحير رجاع ثابت على قول واحد، ويجوز أن يكون تزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد ؛ وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث "18 وتكررت (ما النافية) في المواجهة الحوارية بين الكافرين ورسول الله دالة على إصرارهم على رفض قبول دعوتهم وذلك في عدد من المشاهد

الحوارية التي دارت بين الرسل وأقوامهم، نذكر منها قول الله تعالى على لسان قوم عاد في حوارهم مع هود **﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ۖ قَالَ الْوَايُ هُوَ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ [هود: 53]** فقد وردت ( ما ) في كلامهم ثلاث مرات، تعلقت في كل مرة بمرور واه لعدم إيمانهم بدعوة هود، وفي تكرار النفي دلالة على أنهم قوم جفاة، لا يلتفتون إلى النصيح، كما دلت على رغبتهم في تيميس هود من الإجابة .

## مأمش الفصل الثاني :

- 1 - أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ص 428 .
- 2 - الزمخشري : الكشاف ج 7 ص 351 .
- 3 - السكاكي : مفتاح العلوم ص 429 .
- 4 - محمد عبد المطلب : البلاغة العربية [ قراءة أخرى ] الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1994، القاهرة ص 297
- 5 - طه عبد الرحمن محمد السبعواوي : أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية ط 1 سنة 2004 بيروت ص 67
- 6 - علي الحارم : مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ديوان المطبوعات الجامعية وهران الجزائر ص ( د . ط ) ، ( د : سنة ) ص 211 - 212 ،
- 7 - أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب ط 1 سنة 1985 ص 162 - 163 .
- 8 - الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 644 .
- 9 - عبد الخالق عزيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج 3 القسم الأول ص 26
- 10 - المرجع نفسه ص 521 - 534 .
- 11 - ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص 25 .
- 12 - الخطابي : بيان إعجاز القرآن ( ضمن ثلاث رسائل ) ص 36 .
- 13 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 9 .
- 15 - مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار الكتاب العربي سنة 2005 ص 134 - 135 .
- 16 - ابن منظور : لسان العرب ، تقديم الشيخ عبد الله العلابلي، دار الجيل بيروت ، سنة 1988 مادة ( كر ) المجلد 5 ص 252 .
- 17 - الزمخشري : الكشاف ج 4 ص 10 - 15 .
- 18 - الزمخشري : الكشاف ج 4 ص 391 - 392 .



# الفصل الثالث

- التقديم و التأخير و الحذف و الالتفات في  
المحاورة القرآنية
- أسلوبية التقديم و التأخير
  - أسلوبية الحذف
  - أسلوبية الالتفات
  - ماهية الالتفات
  - أنماط الالتفات .

## أسلوبية التقديم والتأخير في المحاوراة القرآنية

لما كان الحوار مراجعة بين أشخاص، يسجل القرآن من خلالها حوارهم وأفكارهم، فإنه يتوخى لنقل هذه الأفكار والحواطر طرفاً تعبيرية مناسبة منها التقديم والتأخير " فاللغة في عموم مدونتها، لا تلتزم بجانب الحتمية المطلقة، لهذا كانت سياقات التقديم والتأخير، المؤسسة على نظام هذه اللغة في ثنائية [ الثابت والمتغير ] تقوم على بديهية الكون الكلية، الثابت ضد المتغير، ما استقر في أصل مكانه، والمتغير، ما فارق مكانه المخصص إلى آخر بناء على علة معينة " <sup>1</sup>.

أدرك علماء اللغة وأهل البلاغة العرب مند عهد مبكر أهمية التقديم والتأخير كأداة في تكوين الخطاب الإبداعي . فقد نقل عبد القاهر عن سيبويه أن من أهم أغراض التقديم والتأخير العناية والاهتمام يقول : " واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام . قال صاحب " الكتاب " ويقصد سيبويه - ، وهو يذكر الفاعل والمفعول : " كأهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعني، وإن كانا جميعاً يهماتهم ويعنيانهم " <sup>2</sup>

وقد تنبه البلاغيون واللغويون بعد سيبويه كثيراً عند التقديم والتأخير، ولكن فيما يبدو هذه الدراسة أن التقديم والتأخير لم يوضع في إطاره الصحيح وبشكل دقيق ناقد أو بلاغي عربي كما وضعه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز فهو يقول : " إذا جاء التركيب بينا أنه لا تحتما إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه، وأن الصواب إلى فكر رزية فلا مزية وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في الظاهر الحال غير الوجه السذي جاء عليه زحها آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر ورأيت الذي جاء عليه حسنا وقبولاً يعد مهما إذا أنت تركته إلى الثاني " <sup>3</sup>

فبعد القاهر يرى أن الكرم له مستويان مستوى قريب ظاهر ومستوى بعيد، وأن الكرم المميز هو الذي يراد منه الوجه البعيد لا القريب، ولا شك في أن التقديم والتأخير يقوم بدور لا يستهان به في تكوين المستوى الغير المؤلف، وهو يعتبر المستوى المؤلف في الخطاب الأدبي تاماً، بيد أنه يعطي الفضيلة للمستوى الثاني الذي يصل إليه المتلقي بعد أن يعمل عقله .

ويلاحظ على عبد القاهر أنه عنى عناية كبيرة بمسألة التقديم والتأخير تتمثل ليس في تقديمه على الوجوه الأخرى من النظم فحسب بل في كثرة أمثاله وتشعبها، وتعدد طرق التحليل،

ومعايره وأدواته، حيث بدأ بمعالجة مسائل التقديم والتأخير في الاستفهام أولاً، ثم النفي ثم الخبر، كما أنه قد بدأ بالجمل المحددة للقاعدة النحوية العامة ودلالة كل تركيب، ثم أعقب ذلك بأمثلة الخروج عن القاعدة، وبيان علة فساده، وتحديد العلاقة بين الانتهاك الذي يحدث على مستوى التراكيب والفساد الذي يحدث على مستوى المعنى، مما يوحي أن التأخير أصل للأول .

إن عملية التقديم والتأخير ليست مجرد نقل للدال من مكانه المفترض له سلفاً إلى مكان آخر قبله أو بعده على مستوى النطق والكتابة فقط، وإنما هي في جوهرها تمثل تزاوج الفكر واللغة، ذلك أن تغييراً في حركة الصياغة يتبعه بالضرورة تغيير في الفكر الذي تجسده، إذ الفكر واللغة وجهان لعملة واحدة، وحركة الفكر لا بد أن تتوافق معها حركة الصياغة لإتمام الهدف الإيصالي والتأثيري معاً ومادام الفكر لا يرجع إلى الخلف البتة، بل هو في تقدم إلى الأمام؛ فإن التأخير ذاته يعد نوعاً من أنواع التقديم .

إنه من الصعب الزعم أن التقديم من أغراضه فقط التنبيه أو العناية والاهتمام والتأكيد وأن من أغراض التأخير، التردد أو غيره من الأغراض، فالغرض من الظاهرة أمر يحدده السياق وحده .  
التقديم والتأخير سمة بارزة في الحوار القرآني، فظروف المقام الذي سيق فيها التخاطب تقتضي عدول الألفاظ عن مواقعها ومراتبها الأصلية، فيقدم المتكلم ما حق تأخيره ويؤخر ما حقه التقديم .

و يقوم التقديم والتأخير على أصل مفترض قد يتقدم الكلام عليه وقد يتأخر ويخضع ذلك الأصل لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، كتقدم المبتدأ على الخبر والفعل على الفاعل والعمدة على الفضلة ، ويتم العدول عن هذا الترتيب الأصل لغايات معينة ووفق اعتبارات محددة، فالمواضع التي يجوز فيها العكس تستند إلى ضوابط نحوية بحيث لا يستعمل العكس إلا في المواطن التي يؤمن فيها اللبس .

ويقسم عبد القاهر الجرجاني التقديم إلى قسمين :

الأول : تقديم يقال أنه على نية التأخير، ويعني به كل ما يتقدم ويظل على حكمه الذي عليه، كما في الخبر إذا قدم على المبتدأ، والمفعول عندما يتقدم على الفاعل.

و الآخر . تقدم يراد به نقل الشيء عن حكم إلى حكم وجعله في باب غير بابه، فإذا قلب التركيب " ضربت زيدا " إلى " زيد ضربته " صار زيد " مرفوعا بالابتداء بعد أن كان مفعولا به.<sup>4</sup> لذا فإن سياقات التقديم والتأخير لا بد أن تعالج بشيء من الحذر، وأن تراجع محتواها بدقة ؛ " لأن تقدم جزء آخر من الكلام لا يمكن أن يتولد اعتباطيا في سياقات النصوص، إنما يقوم على وظيفة أسلوبية مخصوصة "<sup>5</sup>

وعلى الرغم من أن في التقديم والتأخير دوافع وأهداف يقصدها أولا يقصدها المنشئ، فهما لا يصلحان في كل موقف، فقد يؤديان إلى غموض المعنى وثقل التركيب وإلى التكلف، وهذا رفض أهل البلاغة التقدم الذي يؤدي إلى اختلال نظم الكلام وهو ما يطلقون عليه لفظ " التعقد " ؛ أي " ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به "<sup>6</sup> والكتب البلاغية تمتلئ بالشواهد المتوارثة الدالة على هذا التعقيد اللفظي أمثال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ، لذلك يأتي دور المتلقي " إن المتلقي في فلسفة التقدم والتأخير عنصر جوهري يتوقف عليه تكامل المنتج الإبداعي، ولا بد من إثارته إيجابا، وتشويقا، وتعديلا في أواصره الفكرية، وإثرائه بالتنوعات الفكرية " .<sup>7</sup>

وتتضح أهمية التقدم والتأخير في لغة الحوار القرآني من حيث أن كل تقدم وتأخير فيه حكمة بالغة وفطنة أسلوبية جاذبة، بغية التأثير على المخاطب .

ويتضمن أسلوب التقديم والتأخير أبعادا نفسية ونكتا ولطائف بلاغية تنبع من طبيعة التجربة الشعورية المحيطة بالمتحاورين، والمعنى المراد نقله، والانفعال الذي إحداثه في نفس المخاطب، وهذا يعني أن ترتيب الكلمات في لغة الحوار القرآني لا يرد اعتباطا، إنه ترتيب يعكس ترتيب المعاني في النفس، فالمعنى إذا كان مقدما في النفس تقدم في الجملة، يقول الجرجاني : " .. اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ،.. "<sup>8</sup> ويرى سعيد حسن البحيري أن عملية النظم عند الجرجاني " تختص بمستوى عميق غير ظاهر، يقع في نفس المتكلم ؛ حيث ترتب المعاني فيها أولا، أو يتحقق التلازم بين العلاقات الدلالية والتركيبية، ثم ينقل ذلك المستوى التحريدي إلى مستوى واقعي، تتحقق فيه تلك العلاقات من خلال عمليتي نطق الألفاظ المناسبة للمعاني المجردة، والتنسيق أو التعليق بينها "<sup>9</sup>

وبالتالي فالمبدأ الأساسي في مسألة التقديم والتأخير هو تيمة القول، وسنحاول من خلال هذه الدراسة البحث في التقنية اللغوية التي تبلور من خلالها المحاور القرآنية باعتبارها مؤشرا هاما سجل الحركة الانفعالية الوجدانية لدى الأطراف المتحاوره في الخطاب القرآني المكثف.

حصر علماء الإعجاز القرآني التقديم والتأخير في القرآن الكريم تحت أنواع رئيسة تنسب إلى فروع كثيرة يقول الجرجاني: " واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

— تقديم يقال إنه على نية التأخير، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل.

— تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا.<sup>10</sup>

وقد رصد الزركشي أشكال التقديم والتأخير في البرهان:

— ما قدم والمعنى عليه.

— ما قدم والنية به التأخير

— ما قدم في آية وأخر في أخرى

— ما قدم وأخر في آية واحدة.<sup>11</sup>

التقديم والتأخير الذي قدم والمعنى عليه:

هذا النوع من التقديم والتأخير مقدم في الأصل، فهو في موضعه الذي جاء عليه، فالكلمة لم تغادر موقعها الأصل في التركيب إلى موقع جديد مغيرة بذلك نمط الجملة ناقلة معناها إلى معنى جديد. ولكن حتى في الموقع الأصل نفسه توجد منازل ودرجات تتبوأها الكلمات، فقد تسبق كلمة كلمة أخرى إلى حيز الوجود الكلامي لغايات ترتبط بالسياق.، وقد ذكر الزركشي أسباب هذا النوع من التقديم، جامعا إياها في خمسة وعشرين غرضا منها: السبق، العلة والسببية، المرتبة، الداعية، التعظيم، الشرف، الغلبة، مراعاة اشتقاق اللفظ، الاهتمام عند المخاطب، الترقى، التحذير، التنقل...<sup>12</sup>

وقد رصدت الدراسة كثيرا من الأمثلة على هذا النوع من التقديم في الحوارات القرآنية المكية، وسنكتفي بحصر بعضها نظرا إلى أن هذا الأمر يتطلب جهدا في بحث خاص مستقل .

و لتأمل هذا النوع من التقديم والتأخير في هذه النماذج المقتضبة من محاورات :

— البدء بتقديم الذات على الآخر لإلزام النفس قبل إلزام الغير، إظهارا لإنصاف الخصم وتوخيا للموضوعية . وتكرر هذا في حوارات الأنبياء مع أقوامهم أتباعا كانوا أو معارضين

ومن ذلك قول هود — عليه السلام — لقومه قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي نَوَّكْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ

دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: 56] وقوله تعالى

مخاطبا رسوله - صلى الله عليه وسلم - : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلكُمْ

عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ [يونس: 41]

في المثالين السابقين تقدمت الكلمات المضافة إلى ضمير المتكلم العائد إلى الرسول على الكلمات نفسها المضافة إلى ضمير المخاطب ؛ وذلك لكون الرسل قدوة، عليهم أن يبادروا هم بفعل الشيء الذي يأمرون الناس بفعله ونلاحظ في المثال الثاني فقد بدأ بتقديم ( لي ) على (لكم)، ولكن قلب التركيب في نهاية العبارة فقدم ( أنتم بريثون ) على ( أنا بريء ) حرصا على إظهار تخلصهم من تبعية أعماله .

وقد تقدم الذات على الآخر طمعا في أحر أو مغفرة، كقوله تعالى على لسان موسى — عليه

السلام — قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف: 151] وفي مواقف الخوف والرهبة يقدم الآخر وتؤخر الذات،

ومثاله : قول موسى — عليه السلام — مخاطبا ربه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ

رَجُلًا لِيَقِينَنَا فَمَلَأَ أَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرِئِي أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَّ

السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف: 155] فهو لم يقل : أهلكني من قبل وإياهم، رهبة

وخوفا وإبعادا لهلاك الذات وعمقها.

وظهر تقديم الذات في حوارات غير الأنبياء أيضا، ومثاله قول زوج فرعون له : قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [القصص : 9] ففي تقديم ( لي ) على ( لك ) دلالة على تعلق قلب زوج

فرعون بالطفل موسى ورغبتها في بقاءه، وتحرزها من نسبة الحاجة العاطفية إلى فرعون أولا، فهو طاغية عظيم السلطان لا يعبا بأحد .

وقد تترتب الكلمات ترتيبا زمنيا، ومنه قول الله تعالى على لسان عيسى ابن مريم : قَالَ

تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُنشِرًا

رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ [الصفحة : 6] في الجملة

نعتان للرسول المبشر به هما : ( ياتي من بعدي ) و ( اسمه أحمد )<sup>13</sup>

وقد قدم الوصف بالجملة الفعلية للأسمية، فصفة ( ياتي من بعدي ) أسبق بالوجود من

( اسمه أحمد ) وجاءت كل صفة بصيغة تناسب وصفها، فالإتيان يدل على الحركة فجاء الفعل

( ياتي )، والاسم يدل على الذات، فجاءت الجملة الاسمية ( اسمه أحمد ) . والعلاقة بين الصفتين

علاقة الكل بالجزء جيء بالكل أولا ( ياتي من بعدي ) والجزء ثانيا ( اسمه أحمد ) .

كما تتنازع الكلمات الدالة على محتوى معنوي المواطن مع تلك الدالة على محتوى مادي:

دالة على احتياجات أطراف الحوار واهتماماتها، ومن الأمثلة على ذلك قول ابنة شعيب — عليه

السلام — قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرِّي يَا أُمَّ الْيَمِينِ قَوِيَّةٌ مِّنَ الْأَمْنِ

﴿٢٦﴾ [القصص : 26] فهي تقدم القوة الجسمية وترددها بالقوة المعنوية، وذلك دليل على

ضعفهم وحاجتهم للقوة، كما دل هذا الترتيب على أن الخصلتين اللتين ينبغي أن تجتمعا في

القائم بأمور الضعفاء خاصة القوة أولا والأمانة ثانيا .

وفي خطاب إبراهيم — عليه السلام — ربه داعيا قدم الأمن على الرزق، لأنه الأهم، فنو

فاضت العيون بالخيرات وانعدم الأمن وساد الخوف لما تنعم الناس بهذه الخيرات فالأمن هو البيئة

التي يزهر فيها الخير والبركة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ

الشَّرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ، قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾ [البقرة 126]

ويعكس ترتيب الكلمات في عدد من السياقات تنامي الصراع وتساعد شحنة الغضب في نفس المتكلم ، ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى على لسان سليمان، وقد غضب لغياب الهدهد ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَاعْذِبْنَهُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذِجْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : 21] . فقد بدأ سليمان تهديده بالتأكيد على تعذيب الهدهد، والتعذيب : هو التأديب بما يحتمله حال المعذب دون قتله، وتتساعد نعمة هذا التهديد فترداد درجة العقوبة فالتذبيح يعني تقطيعه وقتله، وفي هذا تحذير غير مباشر لغيره من الطيور، ولكن غضب سليمان لا يتصاعد أبعد من ذلك، لأنه غضب محدد يهدف إلى تحقيق غاية محددة فيها مصلحة ومنفعة، لذا نجده ينفي وقوع العذاب والتذبيح إذا جاءه الهدهد بحجة واضحة أو عذر : ( أو ليأتيني بسُلْطَانٍ مُّبِينٍ )

وقدم التركيب الاستفهامي على التركيب الندائي في عدد من الحوارات القرآنية منها :

قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ [طه : 49]

لقد بدأ بسؤال موسى وهارون — عليهما السلام — ووجه النداء إلى موسى وحده ربما لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره أو تابعه . ويحتمل أن يحمله مكره وسخريته على استدعاء كلام موسى دون أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى " 14 . أو لكون موسى محط إنكار فرعون واستهجانه لأنه تربى في قصره . وقد استهل فرعون خطابه لموسى وهارون بالسؤال لأن المسؤول عنه مثار إنكاره وسخريته وغيظه لإدعائه الألوهية، ويتكرر هذا

التقديم في قول موسى : ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه : 57]

دالا على خوف فرعون مما جاء به موسى — عليه السلام — وفاضحا ما يؤرقه فإنه غالبه على ملكه لا محالة، وفي تأخير المنادى في المثال إبراز لكون آخر ما يسمعه المخاطب، بقدر كان الممكن أن يكفي فرعون بتوجيه السؤال إلى موسى دون أن يناديه، لكونهما يتبادلان



الحوار وجها لوجه ز لكنه أردف سؤاله بنداء موسى لتوجيه اللوم والعتاب والإنكار والتوبيخ إليه، أي أن النداء غاية بذاته لا بمجرد وسيلة.

وتقدم الأمر على النداء في عدد من المشاهد الحوارية لأهمية تنفيذ الفعل والتعجيل في إنجازه ومن ذلك ما جاء في: قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [المقصص: 38] فقد تقدم فعل الأمر (أوقد) على التركيب الندائي (يا هامان) عاكسا طريقة كلام الجبارة والمتسلطين على الحكم، فهم غالبا ما يستهلون كلامهم باللقاء الأوامر على أتباعهم للإسراع في تنفيذها، كما يدل هذا التقدم على السخرية والاستخفاف بموسى ودعوته، والتدليل على سهولة تنفيذ أي شئ يريده فرعون، وذلك لإحساسه بالعظمة والجهروت .

وقد يتقدم النهي على الأمر تحذيرا وتخويفا، منه قوله تعالى على لسان سليمان — عليه السلام —، في خطابه لملكة سبأ وقومها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ [النمل: 31] ففي تقدم النهي (لا تعلموا علي) دلالة على قوة سليمان التي تقهر كل قوة أمامها، ولهذا بدأ خطابه الموجز بنهيهم عن التكبر ومجاوزة الحد معه ممهدا الأمر (وأتوني مسلمين) ليقوموا بتنفيذه بسرعة ودون تردد .

وتتقدم الجملة الخبرية على التركيب الندائي للإسراع في توصيل الخبر للمنادى، مثاله ما جاء في قوله تعالى لموسى — عليه السلام —: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ [طه، 36] وذلك لتعجيل إيصال المسرة لموسى بعد أن توجه الله داعيا، فجاء تقدم الإخبار باستجابة دعوته الدالة على سرعة الاستجابة، ومبرزة نعم الله التي أغدقها على موسى .

### تقديم المتعلقات في الحوار :

من أبرز أنواع التقديم وأهمه في الحوار تقديم المتعلقات، منها تقدم المفعول والجار والمجرور، على الجملة الفعلية، وتقدم الجار والمجرور المتعلق بالفعل على الفاعل، وتقدم بعض المتعلقات على بعض وتقدم ما يتعلق بالخبر عليه.



أما النماذج الحوارية التي وقع فيها التقديم والنية به التأخير فهذا النوع يتعلق بالبنية الإسنادية ومتعلقات الفعل ( الظروف، والجار والمجرور، والمفعولات، والحال، والتمييز، والاستثناء )، ومن أنماط هذا النوع ما يأتي :

**1 - تقديم الفاعل على الفعل :** يقتضي السياق المحيط بجملة من الحوارات القرآنية المكية أن يقدم أحد الأطراف المتحاوره الفاعل في كلامه ليؤكد نسبة الفعل إلى فاعله ويحصره فيه دون أن يشك في هذه النسبة منكرًا صدور الفعل من فاعل بعينه، وكما يؤكد هذا التقديم الفاعل ويبرزه فإنه يثير تطلع الطرف الآخر ( السمع ) لمعرفة ماذا جرى له أو حدث منه أو ما هو الحكم الذي يريد المتكلم أن يثبته للفاعل .

وتقدم الفاعل على فعله في الحوار القرآني المكي في خمسة عشرة موضعا : هود : 87، سبا 32، الجن 10، الأنعام 64، يونس 34، الفرقان 5 - 18 يوسف 26 - 30 الأنبياء 26 الصفات 96، الأعراف 156 - النمل : 36 - 39 - 4 .، وتقدم لفظ الجلالة ( الله ) على الفعل في خمسة مواضع هي الأنعام 64، يونس : 34 - 35، 59، والصفات 96 .

وجاء هذا التقديم على لسان الأنبياء والرسل في حواراتهم مع المعاندين والمشركين، لإبراز قدرة الله وسيطرته فتقدم لفظ الجلالة على الأفعال يؤكد إسنادها للفاعل وقصرها عليه دون غيره، فهذه الأفعال مخصصة بالفاعل وحده لا شريك له، بحيث لا يستطيع أن يقوم بها فاعل سواه، ومثاله تقدم لفظ الجلالة على الفعل في قول إبراهيم - عليه السلام - لقومه منكرًا

عليهم عبادة الأصنام **قَالَ تَمَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾**

[ **الصفات 95 - 96** ] وأفاد هذا التقديم تأكيد إسناد الخلق إلى الله، فهو الذي خلقهم وخلق ما يعبدون ولهذا فهو من يستحق العبادة وحده . ولعل إبراهيم عليه السلام بهذا التقديم أراد أن يصفق قومه بالحقيقة الواضحة التي طمست في نفوسهم بالكفر والعناد، فكان التقديم بمثابة القوة التي تعمل على إزاحة الكفر .

كما تكشف لنا هذه الدراسة هذا الانزياح في التركيب عن ملامح شخصية إبراهيم - عليه السلام - ؛ إنه إنسان مؤمن، لا يخشى في الله لومة لائم، يواجه قومه دون خوف من بطشهم؛ فجاءت عبارته دليلا على ذلك، لأن في التقديم تصريحًا وإبرازًا، فالفاعل يتقدم واضحا دون أن يستتر هذا الوضوح بغطاء الفعل.

ويفيد تقديم الفاعل التوكيد في الوعد والضمنان، يقول الجرجاني : " ومما يحسن في ذلك فيه ويكثر الوعد والضمنان، كقول الرجل : أنا أعطيك، أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك مسن شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد " <sup>15</sup> ومنه : قول عفریت من الجن لسليمان — عليه السلام — : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ عَفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝٣٩﴾** [ النمل : 39 ] وقول الذي

عنده علم من الكتاب لسليمان : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾** [ النمل : 40 ] وذلك في إجابتهم عن

سؤال سليمان **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاْ إِلَيْكُمْ يَا بُنِيَّ بِعَرِشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨﴾** [ النمل : 38 ] إن هذين المخلوقين الذين سخرهما الله لخدمة سليمان يعد كل واحد منهما

سليمان بأنه هو من سيأتيه بعرش ملكة سبأ، فحاء تقديم الفاعل " أنا " لتوكيد الوعد والضمنان، وإبراز القوة الخارقة التي يتصف كل واحد منهما بها . كما يدل هذا التقديم على الاعتداد بالنفس فتقديم الذات الفاعلة دليل على القدرة والاعتزاز والرغبة في خدمة سليمان والتسابق في تقديمها .

## 2 — تقديم المفعول به : المفعول به اسم وقع عليه فعل الفاعل، يأتي بعد تمام الإسناد، فالأصل

فيه أن يتأخر عن الفعل والفاعل، ولكنه قد يتقدم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل معاً، ولكنه قد يتقدم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل معاً . ويفيد هذا التقديم دلالات عدة منها تأكيد وقوع الفعل عليه دون غيره : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝١٤﴾** [ الزمر : 14 ] فتقدم المعبود ( الله ) على فعل العبادة بالمتقدم .

ويبدل هذا التقديم على القصر، وهذا لا يخرج عن التوكيد ؛ فالقصر ليس إلا تأكيد للحكم

على تأكيد <sup>16</sup> مثال قوله **تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾** لَأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ

**أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾** [ ص : 84 - 85 ] فقد تقدم المفعول به ( الحق ) على الفعل والفاعل ( أقول )، وهذا يعني : لا أقول إلا الحق، وفي الجملة توكيدان : الأول توكيد بالقسم ( والحق ) والثاني توكيد

بتكرار اللفظ نفسه وتقدمه على الفعل، والتقديم نوع من التوكيد، وفي هذا تهديد وتخويف من الله للشيطان وأتباعه، وتأكيده بتحقيق هذا الوعيد، ومن دلالات تقديم المفعول به على الفعل نفسي وقوع الفعل على المفعول لسوء هذا الفعل ومحاوله المتكلم تبريء ذاته من وقوع هذا الفعل عليه، ومن ذلك قول الشياطين أو أئمة الكفر يوم القيامة مترين من أتباعهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَّا كَاعِبُونَ**

﴿١٣٠﴾ [ القصص ، 63 ] ولم يقولوا ما كانوا يعبدوننا، لرغبتهم الشديدة في التخلص من هذه التبعة لعل ذلك يخفف جزءاً من عذابهم .

### تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل :

جاءت هذه الظاهرة في ثلاثة عشرة موضعاً هي : التوبة 51، المؤمنون 115، يونس : 59، 71، 84، هود 88، الأنعام 93، الأعراف 25، يوسف 43، النمل 36، الملك 29، الحاقة 32، وبرزت هذه الظاهرة في كلام الرسل وأتباعهم، واقتصر الاسم المجرور فيها على لفظ الجلالة ظاهراً أو مضمراً، لإسرازه وجعله موضع الاهتمام وذلك لمواجهة فتنين من المخاطبين ؛ الأولى : فئة المخالفين والمتقاعسين من أتباع الرسل، والثانية : فئة الكفار الساخرين المهديين، فيكون في هذا التقديم تذكيراً وتحذيراً للفئة الأولى وتحذيراً ومواجهة للفئة الثانية، ومن أمثلة ذلك : قول شعيب — عليه السلام — وقد سخرُوا منه وهددوه **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**

**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنُتُّ** ﴿٨٨﴾ [ هود ، 88 ] حيث تقدم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكلت)، والجار والمجرور (إليه) على الفعل (أنيت) لتوكيد حصر فعلي التوكل والإنابة بالله — عزوجل — وهذا يدل على ما رسخ في يقين شعيب من كون القوة بيد الله، ولذا يرجع إليه، ويصرح بما يعتقد ليثبت نفسه ويتحدى خصمه، فالنفس تعني بتقديم ما تعلقت به وما كان التفات الخاطر إليه في ازدياد .

وقد لا يكون الطرف المخاطب عاصيا أو كافرا معاندا، فيكون التقديم للتذكير والتثبيت، ومنه قول موسى — عليه السلام — لأتباعه الذين آمنوا به على خوف من فرعون **قَالَ تَعَالَى: ﴿مُوسَى يَقُومُ إِنَّ كُنتُمْ ءَامِنُتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ اِنْ كُنتُمْ مُّسْلِمِيْنَ﴾** [يونس: 84] فموسى عليه السلام يأمر أتباعه أن يكون توكلهم على الله وحده، ويستجيب أتباع موسى الصالحين لأمره، وتمثل هذه الاستجابة بإعادة عبارته وما فيها من تقديم **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالُواْ عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوٰمِ الظّٰلِمِيْنَ﴾** [يونس: 85]

تقديم الظرف على الفعل والفاعل :

ومثاله **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظّٰلِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنٓ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾** [الأنعام: 93] فقد تقدم ظرف الزمان (اليوم)، على الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل (تجزون) للتركيز على زمن حدوث الفعل، وذلك لكون هذا اليوم مدار تكذيب الظالمين في الدنيا، وها هو واقع ملموس يتعذبون فيه لإنكارهم إياه، كما تقدم الجار والمجرور (عن آياته) على الفعل (تستكبرون) تخصيصا وتأكيذا لتعظيم هذا الفعل وإنكاره، وسبق هذا التقديم تقديم الجار والمجرور (على الله) على المفعول به (غير الحق) فالعبارة تعج بأسلوب التقديم والتأخير الذي يعكس انفعال الملائكة وغضبها بالمخاطبين فتقدم ما أنكره المخاطبون في الدنيا لتحسيرهم .

تقديم الجار والمجرور على الفاعل : تقدم الجار والمجرور على الفاعل في المواطن الآتية : الجن : 10، 25، الشعراء : 21 — 51 هود : 81، الحجر : 25، يوسف : 18، الأعراف : 71 النمل : 24، 40، العنكبوت : 28، الصافات : 31، القلم : 24، الحاقة : 28 — 29، طه : 64، 94 . ويفيد هذا التقديم التأكيد والتحديد والتفصيل ويدل على أن الاهتمام والتركيز ينصبان على من يخصه فعل الفاعل، واتصل حرف الجر في جل مواطن هذا النوع من التقديم بضمائر تعود على المتكلم أو المخاطب أو الغائب

وهذا يناسب طبيعة الحوار حيث ينسب المتكلم الفعل إلى نفسه أو إلى مخاطبه أو يشير إلى طرف غائب ومن ذلك تقدم الجار والمجرور عنى لفظ الجلالة ( ربي أو ربنا ) للدلالة على هبة أو مغفرة يمن بها الله على المتكلم ويختصه بها دون غيره، كما جاء في قول موسى - عليه السلام -

لفرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦١﴾﴾

[ الشعراء 21 ]

تقديم المفعول به والظرف والجار والمجرور على الفاعل :

ما في قول أصحاب الجنة ( البستان ) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾

[المقلو: 24 ] إن الفصل بين الفعل والفاعل يلائم الدلالة على منع المساكين من دخول الجنة، هذا بالإضافة إلى تقديم المفعول به ( الهاء في يدخلنها ) لأهمية الجنة، وحرص أصحابها عليها، وتقديم ظرف الزمان ( اليوم ) لما سيحري فيه من تغيير في التعامل مع المساكين، وتقديم الجار والمجرور ( عليكم ) للتخصيص والتأكيد .

تقديم الظرف على الفاعل :

كما في قول ملاً فرعون : قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ

أَسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ [ طه : 64 ] لأهمية الزمان ( اليوم ) ففيه ستحسم القضية بالقضاء على موسى وأتباعه .

— تقديم الجار والمجرور على المفعول به : وتعد ظاهرة تقدم الجار والمجرور على المفعول من الظواهر الشائعة في لغة الحوار القرآني المكي، فقد جاءت في أربعة وأربعين موضعاً خاصة في سورة الكهف، ومرم، والأعراف، والشعراء، والعنكبوت، وتنوع الاسم المجرور فجاء ضميراً وجاء اسماً ظاهراً، ودل هذا التقديم على التوكيد والاختصاص والتحديد والاهتمام وغيرها من الدلالات الخاصة المرتبطة بالسياق .

واللافت ارتباط حل المشاهد الحوارية التي جاء فيها الاسم المجرور ضمير متكلم بسياقات الطلب أو ما يدل عليه، فالمفعول به المتأخر هو المطلوب، وقد تقدم الجار والمجرور عليه لتخصيص هذا المطلوب بالضمير المتصل بحرف الجر، مثل قول إبراهيم - عليه السلام - داعياً

الله : قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [ ٨٣ ] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

الْآخِرِينَ ﴿ [ الشعراء : 83 - 84 ] فالتكلم في هذا المشهد يقدم ذاته على المطلوب رجاء أن يخصه الله بهذا المطلوب .

وقد يدل التقديم على أدب المتكلم في حوارهِ، ومراعاته للطرف الآخر، مثاله قول الخضر

— عليه السلام — موسى وقد طلب منه أن يصاحبه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

صَبْرًا ﴾ [ الكهف : 67 ] فتقدم ( معي ) على المفعول ( صبرا ) يخصص المفعول

ويربطه بحالة وجود موسى مع الخضر، أي أن صبر موسى سينفذ إذا رافقه، فلو قال : إنك لن

تستطيع صبرا معي، لتبادر إلى ذهن المخاطب انتفاء الصبر والقدرة عليه في كل الأحوال . وفي

هذا ما قد يزعجه، ولكن الخضر كان حريصا في كلامه، فربط عدم القدرة على الصبر بوجود

المخاطب معه فقط . وجاء رد موسى عليه بتقديم مماثل يدل على الاختصاص، وتأكيد امثاله

للأوامر مظهرا استسلامه وحسن إتباعه ليغري الخضر بالموافقة على طلبه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ

سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [ الكهف : 69 ] .

وجاء الاسم المجرور اسما ظاهرا في عدد من المشاهد الحوارية التي يحتاج فيها الأمر إلى تصريح

وتوضيح ، و من ذلك قول صالح لقوم ثمود : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَنجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ

﴿ [ الشعراء : 149 ] فقد تقدم الجار والمجرور ( من الجبال ) على المفعول به ( بيوتا )

لتخصيص المادة التي بنيت منها هذه البيوت تذكيرا بنعم الله عليهم، وتسخيرها في الأرض

لخدمتهم حتى الجبال وهي دليل على الشموخ والتدين وفي تقديمها تعظيم وبيان لجبروت قوم

ثمود وقوتهم ومهارتهم .

### التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

— تقديم خبر المبتدأ عليه :

الأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولكن قد يتأخر المبتدأ عن خبره في سياقات يهتم فيها

المتكلم بما يحمله الخبر من معان فيقدمه للتنبيه، أو التعظيم أو استعجال الأمر وغيرها من



الدلالات، وتقدم الخبر على المبتدأ في الحوارات القرآنية المكية في سبعة مواضع، منها قول والد سيدنا إبراهيم له موجهاً: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ تَنَازِلِهِمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه**

**لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ [ مريم ، 46 ]**

فقد قدم الخبر ( راغب ) على المبتدأ ( أنت ) لأن الرغبة عن الآلة كانت مثار إنكاره، لا كون إبراهيم هو الراغب، لأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، ولو تقدم المبتدأ : ( أ أنت راغب، لكان الإنكار موجهاً إلى إبراهيم ) يقول الزمخشري ( أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ) لأنه كان أهم عنده، فقد كان انصراف إبراهيم — عليه السلام عن آلهة أبيه أهم ما يشغل الأب، وكان الأب ومصيره أهم ما يشغل الابن ويعنيه عليه السلام. وفيه ضرب من التعجب والإنكار، لرغبته عن الآلهة، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها احد.<sup>17</sup>

وتقدم الجار والمجرور على خبر المبتدأ، في قوله تعالى: **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ**

**رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ [ مريم ، 9 - 21 ]** حيث تقدم الجار والمجرور ( علي ) على خبر المبتدأ ( هين ) للدلالة على اختصاص هذا الأمر الخارق للعادة بالله وحده دن غيره، فهو وحده القادر على جعل الفتاة العذراء تحب .

#### التقديم في جملة كان وأخواتها :

تقدم خبر كان وأخواتها على اسمها في عدد من المواطن عدده خمسة، لكون الخبر مركز الأهمية في تلك السياقات . وجاء جل هذه التقديمات في مقامات التحدي والصراع، من ذلك

قول الملأ من قوم فرعون لموسى وهارون: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَحَدَّنَا عَلَيْهِ**

**ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ [ يونس ، 78 ]** فقد

تقدم خبر تكون ( لكما ) على اسمها ( الكبرياء ) لأن اختصاص موسى وهارون بالرسالة أثار غيرتهم ورفضهم، والنفس تقدم ما يؤرقها ويقض مضجعها .

وتأكدت هذه المشاعر بتكرار التقديم : ( وما نحن لكما بمؤمنين ) فقد تكررت شبه الجملة

العائدة على موسى وهارون، وتقدمت على الخبر ( بمؤمنين ) .



وتقدم الجار والمجرور على خبر كان وأخواتها في اثني عشر موضعا هي : مريم، طه، الفرقان، يوسف، الشعراء، هود، الجن .، منها ما جاء في قول قوم مريم لها وقد أشارت إلى عيسى طالبة منهم تكليمه **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾** [ مريم : 29 ] فقدموا الجار والمجرور ( في المهدي ) على خبر كان ( صبييا ) تخصيصا وتأكيذا لاستحالة تكليمه، فارتباط الصبي بالمهد يؤكد صغره وعدم إدراكه للكلام .

**التقديم في جملة إن وأخواتها :** تقدم خبر إن على اسمها في قوله تعالى مخاطبا إبليس **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾** [ العنكب : 35 ] لإفادة اختصاص إبليس بهذه اللعنة المطلقة . وفي قول موسى لأصحابه وأتباعه **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** [ الشعراء : 62 ] تقدم الخبر ( معي ) على اسم إن ( ربي ) لإفادة تعجيل تطمين النفوس المضطربة الخائفة بتأكيد المعية الموحية بالسند والقوة . كما دل قول ( معي ) لا ( معنا ) على إدراك موسى عدم استشعار أتباعه لهذه المعية، والدليل على ذلك قولهم لما ترائى الجمعان **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾** [ الشعراء : 61 ] فأراد — عليه السلام — أن يطمئنهم بوجود شيء معه وحده سينقذهم، مشيرا بهذا التقديم شوقهم وتعلقهم بالتأخر .

**التقديم والتأخير في الجملة الشرطية :** ورد تقدم جملة جواب الشرط على جملة الشرط في لغة الحوار القرآني المكي في تسعة وثلاثين موضعا وارتبط جلها بسياقات التحدي بين الأنبياء وأقوامهم، وتكاد تنحصر جملة جواب الشرط في هذه السياقات بعبارة واحدة هي ( إن كنتم صادقين )، لأن كل طرف من أطراف الحوار يطلب من الطرف الآخر دليلا واضحا أو معجزة خارقة تثبت صدق كلامه، وتقدم جملة جواب الشرط لأنها محط الاهتمام وموطن التحدي، فالتكلم يعنى بالنتيجة فيجعلها مدار التركيب، فقد تقدمت جملة جواب الشرط في خطاب المعاندين من الكفار لأنبيائهم ودل تقدمها على الاستهتار بما تحويه من طلب العذاب، ومن

ذلك قول قوم ثمود لصالح بعد أن عقروا الناقة ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ **﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آثِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأعراف: 77]

وكرر تقدم جملة جواب الشرط التي تحوي سؤلهم عن يوم القيامة أو يوم عذابهم، وفي هذا التقديم دلالة على استعجابهم بتحقيق هذا العذاب تكذيبا واستخفافا بتحذير النبي **﴿قَالَ تَعَالَى﴾**

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [سبا: 29]

وتقدمت جملة جواب الشرط لتؤكد المتكلم من تحققها، ومن ذلك قول السحرة لفرعون

**﴿قَالَ تَعَالَى﴾** **﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾** [113]

[الأعراف: 113] وفيه تقدمت جملة جواب الشرط : ( إن لنا لأجرا ) على جملة الشرط ( إن كنا نحن الغالبين ) لإفادة ثبوت الأجر وإيجابه وعظمته على تقدير الغلبة التي هم واثقون منها . فلو قالوا : ( إن كنا نحن الغالبين فإن لنا لأجرا ) . لدل هذا على عدم يقينهم أو وثقتهم بالغلبة على موسى وهارون . ولكن تقدم جواب الشرط دل على ثقتهم بأن النصر حليفهم لذا فإن النتيجة لا تؤرقهم، وإنما يؤرقهم الأجر على هذه النتيجة الحتمية ولهذا قدموه في خطابهم .

### — أسلوية الحذف في المحاوراة القرآنية :

التفت النحاة القدامى إلى ظواهر الحذف، ووضعوا لها قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي وليس على مجرد التقدير المتعسف، يقول سيبويه : " واعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل، ولكنك تضرر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهروا، وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بممثلة ما يحذفون من نفس الكلام وما هو في الكلام على ما أجروا فليس كل حرف منه شيء ويثبت فيه نحو يك ويكن ...<sup>18</sup>

غير أن قيمة هذه الظاهرة اللغوية التي تستلزم الوقوف على دقائقها، تتطلب قدرة خاصة لدى المفسر، إذ ليس الهدف من درس مسائل هذه الظاهرة في رأي الجرجاني هو وصفها أو الإحساس بها فحسب، بل تحليله لتحديد أسباب العدول عن الذكر في الحذف، والتمييز بين الأغراض المختلفة للحذف التي تجعل المتكلم يؤثر استخدام أبنية الحذف في أشكال الخطاب المختلفة .



يقول الجرجاني : " هذا باب دقيق المسالك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من ، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين، وهذه جملة قد تنكرها حتى تحجر، وتدفعها حتى تنظر ...<sup>19</sup>"

نستخلص من خلال وصف الجرجاني لهذا الباب صعوبة تحديد أسباب الحذف، ثم رفضه مسلك السابقين ؛ إذ لا قيمة لوصف الظاهرة فحسب، بل تكمن القيمة الفعلية في إطار رؤيته الخاصة للنظم في النفاذ من التأليف أو الصياغة إلى معرفة أسباب اختيار الحذف وترك الذكر يقول سعيد حسن البحيري معلقاً على وصف الجرجاني لظاهرة الحذف : " إن الجرجاني لا يفصل بين غرض المتكلم، الذي يتمثل في الصياغة اللغوية المختارة الأكثر تلاؤماً مع تلك الدلالة النفسية الكامنة في نفسه أو ذهنه والتأليف اللغوي الذي يقدم للمخاطب صورة منطوقة مسموعة ( أو مسموعة مرئية ) لقصد المتكلم، وتصير مهمة المخاطب إطالة النظر في تلك الصياغات أو التنويعات النحوية، وتحليل العلاقات النحوية حتى يمكن تقديم القيمة في أبنية الكلام، وبيان التفاوت بينها، وتعليل تفضيل بنية على أخرى، أو ما عرف ببيان أسرار النظم<sup>20</sup>"

والحذف لغة هو القطع والبت، يقال حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعاً من طرفه " لسان

العرب مادة ( حذف ) وفي الاصطلاح : إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل<sup>21</sup>

وللحذف أهداف مقصودة وعلل خفية تتجاوز مبدأ الاقتصاد اللغوي إلى قيم ودلالات

تستشف من القرائن السياقية، منها : التفخيم والتعظيم لما فيه من الإبهام، تحقير المخدوف، الجهل بالمخدوف أو التجاهل عنه .. الخ من الأغراض التي يكشفها سياق الحوارات القرآنية .

لقد كثر الحذف في الحوارات القرآنية مشكلاً ملمحاً أسلوبياً واضح المعالم، وذلك لاعتماد

المحاورة على المباشرة والمشافهة التي تفرض على طرفي الاتصال التخلي عن كثير من أجزاء الكلام، مجسماً الفارق بين مقررات النظام اللغوي ومطالب السياق الكلامي في واقعه الفعلي .

لقد تجلّى الحذف بصوره في بنية السؤال خاصة التي تفتن في تناولها المتحاورون، فمقام

السؤال من أكثر المقامات مناسبة للإيجاز والاختصار، سواء أكان السؤال حقيقياً تطلب به المعرفة

أو أريد به الإنكار أو التعجب أو التوبيخ أو غيرها من الأغراض والدلالات لأنه في الحالة الأولى

يجع بلهفة السائل التائق إلى كشف المجهول ومعرفة الحقائق، وهو في الحالة الثانية صادر عن انفعال طارئ سريع يبطئ عن بلوغ غايته في الإبانة والتأثير، ومن صور الحذف في بنية السؤال : حذف أداة النداء .

لقد حذفت أداة النداء عند توجيه الخطاب للذات الإلهية وقد تقاسم نداء لفظ الجلالة دون أداة النداء فريقان متناقضان : الرسل والصالحين من عباد الله . و أهل جهنم .

دل نداء الرسل والصالحين من عباد الله للذات الإلهية دون أداة لاستشعارهم قرب الله منهم، وسماعه دعاءهم، ورؤيته مكافئهم وقد تولد هذا الشعور نتيجة لإيمانهم ويقينهم بوجود خالق يملك زمام أمورهم .

ومنه حذف أداة النداء لتسليط انتباه المدعو على الصفة التي يدعوه بها المنادي وذلك لإثارة مشاعره، والتأثير على تصرفاته، وتغير موقفه، ومن ذلك حذف أداة النداء في قول موسى

لقوم فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْ أَدُورَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الحجرات : 18] فقد حذف موسى أداة النداء تحبياً وتلطفاً، داعياً إياهم بصفة ( عباد الله ) لعلهم يؤدون واجب العبودية .

وقد تحذف أداة النداء والمنادى لمفاجأة المتلقي بحضور المنادى، ومنه دعوة امرأة العزيز يوسف إلى المجلس الذي اجتمعت فيه النساء بفعل الأمر قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ

إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَهِيَ آتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سَبِئًا وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : 31] دون

أن تناديه ( يا يوسف ) لأنها تريد أن تفاجئهن بطلعه البهية التي لا يحيط بها وصف . وقد يحذف حرف من حروف الكلمة ومثاله حذف النون الأصلية الساكنة في مضارع ( كان )

يعكس ألم شخصية مقهورة، ومثاله حذف نون ( الحزن ) في قول مريم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ أَنِّي

يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ نَبِيًّا ﴾ [مريم : 20]

ومثاله أيضا قول أصحاب النار متألين متحسرين **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَوْلَا لَوْلَا نُنْكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾**

**﴿وَلَوْلَا لَوْلَا نُنْكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٤﴾﴾** [ المحدث : 43 - 44 ]

لقد جاء الحذف بجسم الخوف والرفض في المثال الأول والمشهد المؤثر لأصحاب النار وكان المتلقي يتخيلهم يشهقون بالبكاء .

ومن صور الحذف في بنية السؤال حذف تركيب السؤال، وإبراز المذكور من عناصر بنية الخطاب بتنغيم السؤال يحقق دلالات عديدة منها : التأدب مع المتلقي بعدم التصريح بالسؤال أو لفرط الدهشة والمفاجأة والاكتفاء بالتلويح الصوتي الدال عليه، ومنه ما جاء في قول زوج

إبراهيم في الحوار الذي دار بينها وبين الرسل المبشرين : **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا**

**تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾**

**قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾** [ الخارباته : 28 - 30 ]

والتأمل في السياق المحيط بمقولة زوج إبراهيم عن التنغيم الذي تجسمت فيه، وهو تنغيم سؤال إنكاري يمتزج تعجبا ومفاجأة وفرحة حائرة ؛ فهي امرأة عاقر كبيرة السن تبشر فجأة بأنها ستنجب غلاما مما جعلها تصيح منفعة : ( وأنا عجوز عقيمة ؟ )

وقد تحذف الجملة الفعلية التالية للسؤال مثلما جاء هذا اللون من الحذف على لسان الملائكة الموكلة بإيقاع العذاب على الكافرين، ومنه ما جاء في رد الملك الموكل بإغراق فرعون وقد أعلن

الأخبر إيمانه **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ نَجَّيْتَهُ مِنَ الْمَقْتُلِ وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ فَاصْتَفْتِنَاهُ أَن يَأْتِيَ الْكُفَّارِينَ فَجَاءَهُم بِآيَاتِنَا فَتَبَدَّدَهَا ﴿١١﴾﴾** [ يونس : 91 ]

أي ( أن تؤمن )

وقول خزنة جهنم للكافرين وقد ألدوا إيمانهم حين راوا العذاب **قَالَ تَعَالَى: ﴿**

**أَتْمَرًا إِذَا مَا وَقَعَ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾** [ يونس : 51 ] أي ( أ الآن

تؤمنون )

ويعكس حذف الجملة الفعلية الواقعة بين أداة السؤال وظرف الزمان ( الآن ) غضب الملائكة من هؤلاء المكابرين المعاندين الذين لا يؤمنون إلا بعد فوات الوقت، وقد أوحى الحذف بتعطيش الملائكة لتعذيب الكافرين إثباتاً للعذاب الذي طالما أنكروه ولم يعترفوا به إلا حين رأوه . كما عمدت أطراف الحوار في إجابتهم إلى حذف جل العناصر الموجودة في الأسئلة الموجهة إليهم، كأن تقتصر الإجابة على تعيين الشيء المسؤول عنه اختصاراً ووصولاً بالسؤال إلى غايته مباشرة دون أن تفضله عنها عناصر مدركة ضمناً في ذهنه ومثاله قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ فُلْ اَفَرءَ يَسْتَمَ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ

اللهِ اِنْ اَرَادَنِي اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفٰتُ ضُرِّيْهِ اَوْ اَرَادَنِيْ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكٰتُ

رَحْمٰتِهٖ فُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ ﴿٣٨﴾ [ الزمر : 38 ] أي خلق السماوات والأرض الله، فقد حذفت العناصر المذكورة في السؤال للتلاحم المباشر بين السؤال والجواب، ولأن السائل والمجيب هو الله، فما ذكر في الجواب كان تنمة للسؤال .

وأفاد الحذف تسليط الضوء عللاً الإجابة الوحيدة التي تبرز المفارقة الواضحة بين أولئك الكفرة وممارستهم الفعلية .

كما يدل الحذف في إجابة البشر للأسئلة التي يوجهها لهم الخالق، بمدف إقامة الحجة عليهم، فيدل الحذف في إجابتهم على القبول والتسليم المطلق الذي يحول دون النقاش أو الإطالة قَالَ

تَعَالَى: ﴿ وَاِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ نَبِيِّٓ اٰدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاَشْهَدَهُمْ عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ اَلَسْتُمْ بِرَبِّكُمْ

قَالُوْا بَلٰى شَهِدْنَا اَنْ تَقُوْلُوْا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰفِلِيْنَ ﴿١٧٢﴾ [ الأعراف : 172 ]

أي : بلى أنت ربنا شهدنا ( علمى أنفسنا وأقررنا )

### الحذف في بناء الشرط :

لقد شكل حذف جواب ( لولا ) في لغة الحوار القرآني ملمحاً أسلوبياً لافتاً في خطاب الكفار الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجسماً رفض تصديقه والإيمان برسالته ومنه ما جاء في

الخطاب الآتي قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [31] [الاحرفه ، 31]

فقد حذف الجواب ( لولا ) في هذه المقولة، وتقديره : ( لصدقنا ولآمنا برسالته ولا تبعناه ) فاضحا ما يعتمل في نفوس الكفار من إصرار على الكفر، فهم يظهرون جانبا من الاستحابة الإيجابية بإمكانية تصديق الرسول، ولكنهم يحبطون هذه الاحتمالية بشروط معينة يتغنون في تعدادها رافضين حتى أن ينطقوا بكلمة توحى بإيمانهم أو تصديقهم، فقد اكتفوا بذكر الشرط دون أن يذكروا نتيجة تحقيق هذا الشرط، وهذا انعكاس لسلبية استعدادهم للتصريح بالإيمان .

و قد يحذف الفعل في المقولة الحوارية ومن دلالات حذف الفعل، الإشعار باللهفة وأن الزمن يتقاصر عن ذكر الفعل، ومنه قول نبي الله صالح لقومه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [ الشمس : 13 ] أي : " ذروا ناقة الله وألزموا سقياها حيث دل حذف الفعلين في العبارة على لهفة القائل، ورحمته بقومه، وشدة حرصه على نجاحهم، ودل أيضا على اندفاعه السريع نحو دفع الخطيئة الموبقة هم قبل فوات الأوان "

وقد يحذف فعل القول في المداخلة الحوارية لأجل المحافظة على الاتساق من ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ [ 83 - 84 ] فقد حذف فعل القول في الافتتاح الحوارى لتحقيق الاتساق بين الخطاب الموجه من الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل وبين حوارهم مع موسى عليه السلام، فإن في ذكر فعل القول انفصال بين ما سبق وما لحق، كما جاء حذف فعل قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ١٠ ] قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [ الشعراء : 10 - 11 - 12 ] القول في حوار الله سبحانه وتعالى مع موسى - عليه السلام - في قوله عز وجل :

فقد حذف القول في الافتتاح لدلالة فعل نادى عليه، ولاشتماله على دلالة فعل القول .

وقد يحذف المفعول به من المقولة الحوارية ومن دلالات ذلك التأدب بعدم تحية المطلوب، وذلك بأن يترك للمتلقي حرية اختيار المفعول الذي سيقع عليه فعل الطلب تأدبا في الطلب وإظهارا للقبول والتسليم المطلق بما يختار ومنه ما جاء في قول إبراهيم داعيا ربه **﴿ قَالَ تَعَالَى رَبِّيَ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ [الصافات: 100]** وقد يوحي الحذف استبعاد أن يكون هذا الصالح ابنا ينجبه إبراهيم من صلبه ؛ لأنه — عليه السلام — كان كبير السن وزوجه عقيما لا تنجب، ولكن الله عليم بذات الصدور، يعلم حاجة إبراهيم حتى وإن لم ينطق بها لسانه، ولهذا فقد وهبه غلاما من صلبه إكراما له وكرامته **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ [الصافات: 101]** ولعل استخدام كلمة ( هب ) قد وشى بطلب إبراهيم للذرية، لأنها هبة من الله .

إن الحذف ظاهرة أسلوبية مهيمنة في لغة الحوار القرآني ويستدعي الكشف عنها إلى توفر جملة من القرائن والظروف المصاحبة للسياق الكلامي ومنها معرفة بسلوكية المتحاورين وهي في حقيقة الأمر ملابسات من الصعوبة بمكان تحقيقها بصفة كلية.



## — أسلوبية الالتفات في الحوار القرآني :

ماهية الالتفات ومظهراته :

للتضمير في الخطاب القرآني وجوه من الاستعمالات، يجري بعضها على العدول عن قواعد اللغة من مطابقة وعودة على سابق وإضمار بدل إظهار وإظهار بدل إضمار وغيرها وهي مخالفة مقصودة يتوسل بها إلى مقاصد ودلالات، وقد حصرت كتب البلاغة وعلوم القرآن هذه الاستعمالات ولكنها لم تتوسع في تفسيرها وتوضيح الأسباب الداعية إليها، ومن أبرز استعمالات الضمير على وجه المخالفة ضرب من التجوز عم الخطاب القرآني، ويعرف في كتب البلاغة بالالتفات .

والالتفات في اللغة : " هو مصدر التفت والتفت إلى الشيء صرف وجهه إليه "

يخصر هذا التحديد للالتفات في حركة عضوية تتمثل في عدول الشخص<sup>22</sup> عن النظر في اتجاهه الأصلي وتحويله البصر إلى اتجاه ثان مغاير للأول، بطريقة مفاجأة .

والالتفات من الفنون البلاغية العربية في اللغة العربية .

و يبدو أن أول من اقترح الالتفات اسمه الاصطلاحي في البلاغة هو الأصمعي (ت 211هـ)<sup>23</sup>

. وقد بلغت عناية علماء البلاغة بالالتفات أن جعله ابن المعتز في بداية الحديث عن محاسن الكلام، يقول معرفا الالتفات :

" هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك،

ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر " وهناك نوعان من الالتفات :

النوع الأول : وينهض على شكلين

1 — انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار .

2 — انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة<sup>24</sup> .

ومن صور الالتفات التحول عن التكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، و التحول عن الخطاب إلى

التكلم أو الغيبة، وكذلك التحول عن الغيبة إلى التكلم أو الخطاب و، والشرط اللازم لتحقيق

الالتفات — في أي من هذه الحالات الست — أن يعود الضمير إلى واحد .

كما يعد من الالتفات الإخبار عن المؤنث بالمذكر، والإخبار عن المذكر إلى المؤنث، والتحول عن المؤنث إلى المذكر، والانصراف عن المفرد إلى المثني أو إلى الجمع، وكذلك التعبير عن المثني بالمفرد، والتعبير عن المفرد بالمثني، ومن الالتفات أيضا الإخبار عن الماضي بصيغة المضارع، أو الإخبار عن المستقبل بصيغة الماضي .

ويرى "تمام حسان" أن الالتفات إما نحوي خالص، وإما دلالي خالص، وإما نحوي دلالي، ومعنى أنه دلالي خالص أن العنصر النحوي الذي من شأنه أن يكون محل الالتفات يبقى على صورته فلا يتغير من صورته شيء، ولكن دلالاته عند إيراده ثانيا تختلف عنها عند إيراده أولا من

ذلك مثلا : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتَّعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتَبْتَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَعَاقِبَتُهُمْ مِمَّن مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ

فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ [النور الآية 33] فالضمير في "آتوهم" لم يتحول عن صورته التي في "كاتبوهم" لأنه في الحالتين ضمير المخاطبين، ولكن الأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقاب هؤلاء الأرقاء، أما الأمر بالإيتاء فهو لعامة المسلمين الذين طلب منهم أن يعينوا هؤلاء الأرقاء على الوفاء بالمال الذي كوتبوا عليه، فدلالة الضمير في الحالة الثانية غير دلالاته في الحالة الأولى والصورة النحوية واحدة لم تختلف، أي أن الالتفات هنا دلالي لا نحوي واختلاف المدلول مع بقاء الضمير على صورته يجعل الالتفات دلاليا غير نحوي، فإذا تغيرت

الدلالة وصورة الضمير كالتأنيب كان الالتفات دلاليا ونحويا وفي لآن واحد كما في قوله تَعَالَى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا

أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الأعراف 2 - 3]

يقول تمام حسان لاحظ الفرق بين ضميري الخطاب في "إليك" و"اتبعوا" فالأول للنبي - صلى الله عليه وسلم - والثاني لعامة المؤمنين، فاختلف الضميران دلاليا بذلك ونحويا بالفرق

بين الأفراد والجمع .<sup>25</sup>

ومغزى الالتفات وقيمتها البلاغية أنه يأتي بغير المتوقع لدى المتلقي، فيؤدي إلى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي، ويبعد عن المتلقي ما قد يصيبه من ملل نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التعبير، ولعل الصعوبة التي تواجه هذه الدراسة في الكشف عن أسلوب الالتفات في الحوار القرآني تكمن في تعدد قراءاته إذ يتحقق الالتفات أحيانا بقراءة وينعدم بأخرى فبأي القراءات تأخذ؟

مثلا اعتمدت الدراسة في فصولها السابقة على تفسيري الكشاف للزمخشري والتحرير والتنوير ل بن عاشور، فستعتمد عليهما لأجل الكشف عن مختلف الأنماط الأسلوبية للالتفات في الحوار القرآني المكي، نظرا للفائدة الجلية التي ألفتها الدراسة في هذين التفسيرين.

ويتنوع الالتفات في الخطاب القرآني إلى أنواع، وهي في نظر أحد الباحثين، ثلاثة أنواع هي

أولا : الالتفات السريع الخاطف وهو المتحقق في النص الواحد مرة واحدة ومثاله ما جاء انتقلا

من الغيبة إلى الخطاب قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ

يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ [ الأنعام : 32 ]

ثانيا : الممتد : وهو الذي تكرر صورة منه في جمل متعاقبة ومثاله الانتقال من الاسم المظهر

(ربك ) إلى ضمير المتكلم المعظم ( نحن ) ثم الانتقال من الاسم المظهر ( الله ) إلى ضمير المتكلم

جلّ وعلا وذلك في الآيات الثمانية الأولى من سورة الأعلى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى

﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سُنُقَرْتِكَ فَلَا تَلْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾

وَيُبَيِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ [ الأعلى : 1 - 8 ]

ثالثا : الالتفات المتنوع المتداخل : وهو الذي يتكرر أكثر من صورة منه في جمل متعاقبة ومثاله :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَعَا الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾

[ العنق : 10 - 11 ]

فقد تداخل في هذا المثال التفتان، الأول بالانتقال من الحديث عن العصاة إلى مخاطبتهم

والثاني بالانتقال من ضمير الغيبة العائد عليه تعالى إلى ضميره تعالى في حالة التكلم.<sup>26</sup>

## ـ أنماط الالتفات في الحوار القرآني :

ورد الالتفات في عدد من الخطابات الحوارية في القرآن الكريم مكسبا التعبير دلالات خاصة تفاعلت مع الدلالة الأصلية فأضفت على التعبير عمقا وحيوية، يقول السيوطي:

" وللالتفات فوائد منها : تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملل ؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسلامة من الاستمرار على منوال واحد .. " <sup>27</sup>

فالالتفات انزياح سياقي يكسر توقع المتلقي فيثير أفق توقعه للدلالة الكامنة وراء هذا الانزياح . وفي الجدول التالي إحصاء لأنماط الالتفات في الحوار القرآني :

عدد الاستعمالات	أنماط الالتفات في الحوار القرآني
46	الالتفات من الغيبة إلى الخطاب
32	الالتفات من الخطاب إلى الغيبة
29	الالتفات من الغيبة إلى التكلم
25	الالتفات من التكلم إلى الغيبة
07	الالتفات من التكلم إلى الخطاب
03	الالتفات من الخطاب إلى التكلم

### التعليق على الجدول :

يظهر الجدول أن الالتفات بأنماطه الأربع قد استعمل مائة واثنين وأربعين مرة في الحوار المكّي ولنتأمل لهذه النماذج :

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب : برز هذا النمط في سياق التوبيخ والإنكار خاصة، لما يحققه من مواجهة للمتلقي وملاحظته والإقبال عليه باللوم والتقريع، وهذا ما لا يحققه لفظ الغيبة، فالعدول بالخطاب يهز السامع وينبهه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا

يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿ [الذمل

24 - 25 ] إنه يتحول في خطابه من الغيبة ( ألا يسجدوا ) إلى المخاطب ( ما تخفون وما تعلنون ) ولهذا التحول يقول الزمخشري : ( فإن قلت : ما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى - عليه السلام - في وقت المناجاة والملفت إليهم غيب لا يشعرون ؟ قلت : إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضورهم وإلقائه إلى مسامعهم ؛ لأن مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً، بموردها " 28 وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ

الرِّيحَ دُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِيَلْدَ مِمَّنْ فَانزِلْنَا بِهِ الْمَاءَ

فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأنعام : 57]

فقد عدل السياق الكريم من الغيبة " والله الذي أرسل الرياح ) إلى أسلوب الخطاب، فقال - عز وجل - : ( فسقناه) فكان مقتضى الظاهر أن يكون القول ( فساقه )، لكن السياق آثر هذه البنية النصيبة للالتفات، ليحقق إيقاظاً ولفتاً، مناسباً لمقتضى هذا المعنى لأن سوق السحاب إلى الأرض الميتة، فتحيا به، ضرب من قسمة الأرزاق مناسب أن ينقل الإسناد إلى ضمير ذي الجلالة - سبحانه وتعالى - .

— العدول من الخطاب إلى الغيبة : ورد هذا النمط في عدة مواضع من الحوار القرآني، ومثاله

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ

وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴿ [يونس : 22]

يقول الله تعالى ( حتى إذا كنتم في الفلك ) فجاء على طريق الخطاب، ثم قال - عز وجل - : ( وجرين بهم ) فنقل الأسلوب إلى الغيبة في ( بهم ) و( فرحوا ) وما بعد ذلك من ضمير الغيبة .

فالتأمل إلى ما حققته البنية النصية في الخطاب الحوارى، يستشف أن المخاطبين هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر والموج يبقون في الأرض بغير حق .

فإن في العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم مقاصد بليغة يقول الزركشي : " أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك : ( كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ ) فهم في مقام الشهود والوجود، فناداهم نداء الحاضرين، ثم لما جرت بهم الرياح ذهبوا بعيدا عن مقام الخطاب فلاءم هذه الحال طريقة الغيبة ( جرين بهم )<sup>29</sup>

— الانتقال من الخطاب إلى التكلم :

تجلى هذا التحول الأسلوبى في مواضع النصح والإرشاد ومنه قول رجل مؤمن من قوم فرعون يكتم إيمانه : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢١) [طاهر ، 29]

إنه يتحول في خطابه من ضمير المخاطب ( لكم الملك ) إلى ضمير المتكلم ( فمن ينصرونا )، وناسب هذا التحول التعبير عن وحدة المصير الذي سيحقق بهم إن لم يستجيبوا لدعوة موسى مظهرا ولاءه لقومه، وحرصه على مصلحتهم .

— الانتقال من التكلم إلى الخطاب :

ومنه قول رجل مؤمن لقومه الكسافرين : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٢) [يس : 22] فقد صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، وذلك أبلغ في النصح والإرشاد، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، فاختار : ( وما لى لا أعبد الذى فطرني ) مكان : ( وما لكم لا تعبدون الذى فطره ؟ ) ثم عاد إلى توجيه الخطاب لهم مباشرة : ( وإليه ترجعون ) بعد أن مهد لذلك بتوجيه اللوم والإنكار على نفسه أولا .

الالتفات من المتكلم إلى الغيبة : يؤثر هذا النمط لإفهام السامع أن القصد من الكلام لا يتغير حضر أو غاب، والقصد من انتقال الأسلوب من المتكلم إلى الغيبة، الإبقاء على المخاطب فالغيبة

أروح له، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ ﴾

فجاء السياق على طريقة التكلم ( إنا أمطيناكم ... ) ثم انتقل إلى الغيبة في قوله تعالى : (فصل لربك ) ومقتضى الظاهر أن يقول : ( فصل لنا) وقد توخى الخطاب القرآني تحقيق أغراض بلاغية ودلالية منها : " التحريض على فعل الصلاة لحق الربوبية" <sup>30</sup>

— التحول عن مخاطبة الواحد إلى الاثنين :

وورد هذا التحول في قول فرعون وملأيه لموسى وهارون — عليهما السلام — قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا كَمَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ ءَأْتَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا

بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ [ يونس : 78 ] فقد توجه الخطاب إلى موسى أولاً ( جئنا ) ثم تحول الخطاب إلى صيغة المثني ( لكما )، وذلك لأن موسى أصل الرسالة وهارون وزيره، فتوجه الخطاب إلى موسى أولاً ثم تحول إليه مع هارون .

— التحول عن خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد :

ومثاله قول فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ [ طه : 49 ] حيث توجه

الخطاب إلى موسى وهارون أولاً ( ربكما ) ثم تحول إلى خطاب المفرد ( يا موسى ) ويشي هذا التحول بعدة دلالات، منها تخصيص موسى بالخطاب، لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وأتباعه .، ثم رغبة فرعون في السخرية من موسى باستنطاقه دون أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى . وملاحقو موسى بالخطاب زيادة في لومه والإنكار عليه وتوبيخه، وفيها تنبه له وتذكير بطبيعته العلاقة بينهما، فقد تربى موسى في قصر فرعون، الذي أولاه عناية واهتماما يستوجبان من موسى الولاء لفرعون وتأييده وعدم الوقوف ضده .

— التحول عن خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع، ومن الجمع إلى المفرد :

ومثاله ما ورد في قول الخالق : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ

مِثْرًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ [ يونس : 87 ]

إذ حدث تحول عن خطاب الاثنين ( تبوءا ) إلى خطاب الجمع ( اجعلوا )، ثم حدث تحول عن خطاب الجمع ( أقيموا ) إلى خطاب المفرد ( بشر ) .

ومغزى هذه التحولات يعود إلى طبيعة الأفعال التي أمر الله مخاطبه بتنفيذها ؛ فقد أمر موسى وهارون أن يتبوعا بيوتا، ويختارها للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء، ثم سبق الخطاب عامل لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، وشم خص الله موسى والذين آمنوا بالبشارة " 31

الالتفات انتقال مفاجئ من تعبير رتيب درج عليه نظم الكلام وأنس إليه المتلقي إلى تعبير جديد على غير ما يتوقعه، فبالإضافة إلى فائدته المخصوصة بكل مقام رأى فيه الزمخشري فائدة عامة مشتركة بين جميع أنماطه وهي تنشيط السامع وإثارة اهتمامه، وتحديد لرتابة الأسلوب . وهي من آثار الأسلوب القرآني المعجز .



هامش الفصل الثالث :

- 1 - عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 295 .
- 2 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 97 .
- 3 - المرجع نفسه ص 98 .
- 4 - المرجع نفسه ص 97 .
- 5 - عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ص 193 .
- 6 - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ص 5
- 7 - الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : 295 .
- 8 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 60 .
- 9 - سعيد حسن البحيري : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة مكتبة الآداب القاهرة ط 1 سنة 2005 ص 196 - 197 .
- 10 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 96 - 97 .
- 11 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 238 وما بعده .
- 12 - المرجع نفسه ص 238 .
- 13 - عبد الغفور خليل : إعراب القرآن الكريم الميسر، تقديم محمود سليمان وعبد الراجحي، دار الصحابة للتراث، طنطا مصر ص 552 .
- 14 - الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 65 .
- 15 - الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 103 .
- 16 - السكاكي : مفتاح العلوم ص 401 .
- 17 - الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 108 .
- 18 - سيويه : الكتاب ج 1 ص 134 .
- 19 - الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 121 .
- 20 - سعيد حسن البحيري : دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة ص 247 - 248 .
- 21 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 102 .
- 22 - ابن منظور : لسان العرب المجلد 2 دار صادر بيروت ص 84 .
- 23 - أبو هلال العسكري : الصناعتين، تحقيق محمد علي الجاوي ومحمد أبو فضل إبراهيم مطبعة الحلبي ط 1 سنة 1952 ص 392 .



- 24 - ابن المعتز : كتاب البديع، ص 58 - 59
- 25 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن في جزءان عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ط 2 سنة 2000 القاهرة ج 2 ص 97 - 98 .
- 26 - حولية الجامعة التونسية، كلية الآداب جامعة تونس العدد 32 سنة 1991، الالتفات في القرآن الكريم : الشاذلي الميشري ص 149 - 150 .
- 27 - السيوطي : الإتيان في علوم القرآن، ص 109 .
- 28 - الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 293 .
- 29 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ج 3 ص 318 .
- 30 - المرجع نفسه : ج 3 ص 316 .
- 31 - الزمخشري : الكشاف ج 2 ص 351 .

القادر للعلوم الإسلامية

## الخاتمة :

لعل أجل نتيجة في البحث هو البحث ذاته ومزاولته ومعاناته، وكان من فوائد هذا البحث الإضاءات الآتية :

يعد الخطاب القرآني أصلح الخطابات لرصد ملامح التوظيف النموذجي لبنية المحاور القرآنية وقد تناولت هذه الدراسة بنية الحوار القرآني المكي من مختلف مستوياته البنائية صوتا وصورة ولغة، تناولت أسلوبيا، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج :

### في المنهج

- اختلاف المقاربات التي تناولت الظاهرة المحجاجية أو الحوارية هو نتاج تفكير بشري وخلاصة تأمل، يجب ألا يكون حائلا أمام الباحث لخوض غمارها واستيعابها .
- كان لجهود العلماء العرب الدور الأكبر في إنتاج بلاغة كفيلة بكسب الآخر، مراعية الحال والمقام، وبالتالي فالبلاغة سعت من بين أهم أهدافها إلى تكريس نظرية حوارية .
- يعد المحجاج جهدا إقناعيا، ويعتبر بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه .
- إن البلاغة قد لا تؤثر ولا تستميل وتمتع إلا بتلاحمها مع الحجج .
- جاءت البلاغة الجديدة لنتقل من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته .
- التداولية تقترب في كثير من توجهاتها بالبلاغة العربية مثل قضية الإشارات المكانية، مراعاة الكلام لمقتضى الحال، فالسياق التداولي يتكون من جميع العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللغة .
- عبر العرب القدماء عن الانزياح بمصطلحات تدل عليه كالفصاحة والخروج عن العادة ولذلك فالعلاقة وثيقة بين البلاغة والأسلوبية .

### في المفاهيم :

- يعد الحوار القرآني تحول من تحولات الخطاب الإلهي، وقد حصل القسم المكي على نصيب الأسد من الحوارات القرآنية، وذلك لارتباطه بالقصص .

- الحوار القرآني يشمل موضوعات القرآن على تنوعها وأبدت الحوارات القرآنية ذات المضمون الواحد تقاربا أسلوبيا .
- تنازعت المقولات الحوارية أطراف متعددة تنوعت في جنسها وعددها وصفاتها مثبتة أن باب الحوار مفتوح للجميع، وأن التفاعل مع الآخر - أيا كان نوعه -، غاية في ذاتها .
- حوار الأنبياء مع أقوامهم أكثر الحوارات القرآنية حضورا وتكرارا مما يعكس دعوة الأنبياء وسيرهم في درب واحد .
- أكثر أشكال الحوار تواجدا في القرآن الكريم هو الحوار الثنائي، ثم الحوار التلقيني ثم، المنجاه .
- حقق الحوار أدوارا هامة في القصة، وذلك في بعث الحياة والحركة في الأحداث وترجمة انفعالات الشخصيات .

### أسلوبية بنية الصورة في المحاوراة القرآنية

- التصوير في الحوار القرآني منهج متكامل وظاهرة متميزة ومنفردة وهو ناتج عن تظافر الملكات الذهنية والحسية تظافرا كاملا .
- الصورة الفنية في المحاوراة القرآنية وسيلة من وسائل التعبير القرآني ومنهجه الصياغي المعجز، إذ حول الألفاظ إلى صور عامرة بالحياة والحركة فتخاطب الذات والحس والوجدان ترفدها الحركة واللون والصوت في تظافر تام .
- عكست الصورة في المحاوراة أنواعا من النفوس البشرية التي تتسم بطبائع متباينة ..
- إن التصوير في الخطاب القرآني لم يكن مقصودا لذاته إلا بمقدار ما توضح به الفكرة وتؤدي به الغرض المقصود من السياق العام للمحاوراة .
- يعد التشبيه من أكثر وسائل التصوير تداولا لأنه أقرب إلى خيال الإنسان وأدنى إلى إدراكه وتصوره، ولم يقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء وبعضها فحسب، بل تجاوز إلى المماثلة النفسية وتعميقها، حتى أضفى عليها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة .
- الاستعارة خطوة أبعد في التخيل ومرحلة أعمق في الإدراك .

- توسل الحوار القرآني بالاستعارة لأنها أحسن أداة تجعل المتلقي يحس بالمعنى أكمل إحساس
- و أوفاه فتبدي له الأشياء التي يراها ساكنة، أو حية منطلقة واعية، وكأنما تشارك الإنسان حياته وتواصله ووجدانه .
- البناء الفني في الاستعارة المكنية أكثر دقة ورسوخا في الأسلوب التعبيري الصياغي لما تمتلكه من قوة التكثيف، والرصد الحركي للجملات .
- تقوم الكناية في الحوار القرآني بنصيبها كاملا في أداء المعاني التي يهدف إليها الحوار، خير أداء وأدق تصوير، وهي حيناً راسمة لهيئة الشخصيات المتحاورة ومصورة موحية للأفعال والأحداث .
- أسلوب الكناية والاستعارة يسيران في خطوط طويلة، عرضية ذات انحدارات طيفية تتميز بالجدة، والرشاقة، حيث أن نسبة الاستعارة إلى الكناية نسبة خاص إلى عام، فكل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية لأن الصلة بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية في الأسلوب الكنائي في صلة التلازم .
- يعد الطباق من الأشكال التعبيرية المؤثرة في إقامة أركان علاقة الموازنة وعمق فاعليته في إنتاج الدلالات المنوطة به في الخطاب الحوارية، ويقدم أرقى درجات الجدلية والتوتر وأعمقها تأثيراً .
- التعريض كثير الوقوع في الحوار القرآني سيما في مقامات الجدل والحجاج بين العقائد والنحل، ويعتمد على درجات التسارع في الإمساك باللقطة من قبل المتلقي، وملاحقتها من المستوى السطحي المباشر إلى المستوى العميق الغير المباشر، والتعريض حل نفسي لمواقف الصراع، التي يقع فيها المرء تحت دافعين متضادين أو متكافئين، يسأزره أحدهما ليتكلم ويصده الآخر ليصمت، وهو مرآة يضعها المتكلم أمام المخاطب، فيرى فيها نفسه .

### أسلوبية البنية الصوتية في المحاوراة القرآنية

من الخصائص التي اتسم بها أسلوب الخطاب القرآني جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، نظامه الصوتي القائم على الاتساق والانسجام .

- لقد سيطر الإيقاع التكراري في المحاوراة القرآنية، أي إثارة المؤلف، وهي ذات أثر سيكولوجي في النفس ينعكس هذا الأثر على عمليتي الاستيعاب والاسترجاع، وغياب هذه البنية يصدد انتظار القارئ .
- تجلت الوحدات السجعية المفردة في الحوار القصصي، ومن الإعجاز الصوتي في القرآن أن يتم في الغالب توظيف حرف مختلف تبعاً لاختلاف المشاهد .
- الروي في السجع القرآني من الحروف الصامتة وقد حصل على نصيب الأسد نظراً لرحابة العطاء المعجمي، المنتهى بصوامت .
- العامل المؤهل لشيوع الصوامت في السور المكية يكمن في ما يثيره المسد في موضعها السياقي من ترنم وتطريب يتناسب مع طبيعة الخطاب المكّي الموجه إلى الوجدان بالدرجة الأولى .
- تنبني السور المكية على الفقرات القصيرة والمتوسطة، مما يتناسب مع طبيعة المكّيين فقد كانوا جبابرة يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة حاسمة .
- مفارقة النعمة نوع من التهكم الذي يبدو ذمّاً في ثوب مدح، ويستدل من ذلك من خلال النبر والتنغيم .

### أسلوبية البناء اللغوي في المحاوراة القرآنية

- البنى التركيبية الأكثر حضوراً في المحاورات هي الاستفهام، وقد تنوع وجوده الفعلي وتباينت دلالاته البعيدة ثم يأتي الأمر والنداء والنهي من بين الأساليب الحاضرة بكثافة في المحاوراة القرآنية، وهذه أساليب لها فاعلية كبيرة في إنتاج الدلالة وتأثيرها في المتلقي .
- تختلف الدلالة التي يحويها التركيب ذاته باختلاف المخاطب والدلالة التي يوجهها التركيب إلى طرف ما قد يتحول إلى دلالة أخرى حين يوجه التركيب إلى طرف آخر .
- سائر السؤال مضامين الحوارات المكية واستوعب تفجرات الدلالة المنبثقة من شحنت التفاعل الحوارية الذي قام جلّه بين أطراف متصارعة وأقطاب متنافرة وتواجهت بنسبة مهيمنة .

- احتل الأمر مساحة واسعة من المحاورات القرآنية وهذا يتماشى مع طبيعة المنجز الحوارى، فكثيراً ما ينشأ حوار بين طرفين يتوجه أحدهما بطلب تنفيذ فعل ما إلى الآخر، وتتولد عن الأمر دلالات متعددة كالتمني، والتحذير، والدعاء .
- أسهم تركيب النهي في طلب الكف الأمر بالترك في تحقيق مواجهة وتفاعلا مع الطرف الآخر، وأفاد دلالات متعددة منها التهديد، الإنذار الإقناع ....
- كان التكرار في الحوار القرآني موجها لتحقيق أغراض وغايات مختلفة منها التثبيت والتأكيد، وتجسيم المشهد الحوارى .، وتكمن قيمته البلاغية في أنه يأتي بغير المتوقع لدى المتلقي فيؤدي إلى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي .
- يعد الالتفات ظاهرة مائزة في الخطاب القرآني يجعله للكلمات تنبض بالحياة باعتباره انزياحا سياقيا يكسر أفق توقع المتلقي ليستثيره نحو دلالات مدهشة لما فيها من مخالفة سياقية تخرج عن حدود التوقع .
- وبهذا نختتم هذه القراءة المتواضعة في سماء الخطاب القرآني الكريم، وبقي في خلدي تطلعات أرجو من الله أن يعينني على تحقيقها...
- وأسأل الله مزيداً من علمه وفضله، وأن يتقبل عملي هذا فهو منه وإليه إنه ولي التوفيق والسداد، وسبحان الله و الحمد لله رب العالمين .

## قائمة المصادر و المراجع :

— القرآن الكريم برواية حفص .

— أ —

- 1 — أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري : فن الحوار أصوله و آدابه ، دار الإيمان الإسكندرية سنة 2003 . الإسكندرية .
- 2 — أبو محمد القاسم السجلماسي : المترع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علال الفاسي مكتبة المعارف ، الرباط سنة 1980 المغرب .
- 3 — أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، تحقيق و تقديم فهرسة ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 سنة 2000 . بيروت .
- 4 — أحمد ابن فارس ابن زكرياء : معجم مقاييس اللغة ، اعتنى به محمد عوض مرعب فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ط 4 سنة 2000 .
- 5 — أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ج 3 مطبعة الحلبي الحلبي سنة 1963 . القاهرة .
- 6 — أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ : البيان و التبيين ، تحقيق موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية ج 1 ط 2 سنة 2003 بيروت .
- 7 — أبو يعقوب المغربي : مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح ، دار الهادي ب ط 4 سنة 1996 ج 4 بيروت .
- 8 — أحمد علي الدهمان : الصورة البلاغية عن عبد القاهر الجرجاني ، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر ط 1 سنة 1986 ج 1 دمشق .
- 9 — أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية منشورات الجمعية المغربية للتأليف و النشر و الترجمة ط 1 سنة 1985 الدار البيضاء المغرب .
- 10 — أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير سنة 2006 ج 1 — 2 . القاهرة
- 11 — أحمد محمد الشرقاوي : المرأة في القصص القرآني دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة المجلد 2 ط 1 سنة 2002 مصر .
- 12 — ابن المعتز : كتاب البديع تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل ط 1 سنة 1996 . بيروت



- 13 — ابن وهب الكاتب : البرهان في وجوه البيان ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ط 1 سنة 1967 .
- 14 — ابن منظور : لسان العرب ، المطبعة الأميرية ببولاق ج 1 القاهرة ..
- 15 — ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ط 2 فضة مصر سنة 1962 مصر .
- 16 — ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربي ، د تاريخ ، و دون طبعة .
- 17 — ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3 سنة 1965 القاهرة .
- 18 — إبراهيم محمد عبد الله الخولي : التعريض في القرآن الكريم دار البصائر للطبع ط 1 مدينة نصر القاهرة .
- 19 — إدريس مقبول : الأسس الإستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيويه ، عالم الكتب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي ط 1 سنة 2007 عمان الأردن .
- 20 — ابن قتيبة محمد: تأويل مشكل القرآن شرح و تفسير ، السيد أحمد صقر ط 2 دار التراث سنة 1973 القاهرة
- 21 — ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي مكتبة صبح ، سنة 1969 مصر .
- 22 — أحمد ياسوف : جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز و التفسير ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ط 1 سنة 1994 سوريا .
- 23 — ابن خلدون : المقدمة ديوان المبتدأ و الخير في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع سنة 2004 بيروت لبنان .
- 24 — ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 3 مصر .
- 25 — ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول سلام المكتبة التجارية سنة 56 القاهرة .
- 26 — أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، تعليق أبو عبد الرحمان صالح بن محمد بن عوضه دار الكتب العلمية بيروت .
- 27 . — أبو البقاء أيوب بن موسى بن الحسين الكفوي : الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، إعداد عدنان درويش ، و محمد المصري مؤسسة الرسالة ط 2 سنة 1993 بيروت .

- 28 — أبو بشر عمر بن قميز سيويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب ج 4 سنة 1979 القاهرة .
- 29 — ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل عالم الكتب بيروت ، دن ط ، د سنة .
- 30 — الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي : الموافقات في أصول الشريعة عناية إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت ط 3 سنة 1997 .
- 31 — الهادي جلطاي : مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وإنجازا ط 1 عيون البصائر سنة 1992 عيون ، الدار البيضاء ، المغرب .
- 32 — الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق عبد الله درويش مطبعة العاني سنة 2004 بغداد .
- 33 — الزركشي بدر الدين بن عطية : البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث ج 1 سنة 1957 القاهرة .
- 34 — الزمخشري جار الله : الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل شرح و ضبط يوسف الحمادي ، مكتبة مصر سعيد جودة السحار و شركاه ، مصر .
- 35 — الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد : المفردات في غريب القرآن كتاب الجيم طبعة دار المعرفة بيروت بدون تاريخ لبنان .
- 36 — الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم تحقيق نديم مرعشلي دار الكتاب العربي سنة 1972 مصر
- 37 — ( الخطابي و الرماني و الجرجاني ) : بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ط 3 دار المعارف مصر
- 38 — الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب للنشر سنة 1994 د . سنة ، د . طبعة .
- 39 — الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر و التوزيع و الإعلان دون سنة تونس .
- 40 — الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق لجنة من الأساتذة جامعة الأزهر مطبعة السنة المحمدية القاهرة .
- 41 — الجيلالي دلاش " مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر
- 42 — إرد ايش — فوكيما — فان دايك — جان كوهين — كبدي فاركا — جان ستاروباسكي ، ترجمة و تقديم محمد العمري أفريقيا الشرق سنة 1996

— ب —

- 43 — بسام بركة : علم الأصوات ، مركز الأبحاث القومي ، دسنة —، د طبعة لبنان .  
44 — بول ريكور : نظرية التأويل ، الخطاب و فائض المعنى ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ط 1 سنة 2003 بيروت ، لبنان .

— ت —

- 45 — تمام حسان : البيان في روائع القرآن في جزأين ، عالم الكتب للنشر و التوزيع و الطباعة ط 2 سنة 2000 القاهرة .  
46 — تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1955 القاهرة .  
47 — تريفيتان تودوروف : مفاهيم سردية ، ترجمة عبد الرحمان مزيان ، منشورات وزارة الثقافة ط 1 سنة 2005

— ح —

- 48 — حازم القرطاجني : مناهج البلاغ و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة سنة 1996 تونس .  
49 — حمد بن إبراهيم العثمان : أصول الجدل و المناظرة في الكتاب و السنة دار ابن حزم ط 2 سنة 2004 .  
50 — حسان الباهي : الحوار و منهجية التفكير النقدي ، أفريقيا الشرق الدار البيضاء سنة 2004 المغرب .

— ج —

- 51 — — ج . ب . براون — ج بول ، تحليل الخطاب ترجمة محمد لطفي الزليطي ، منير التريكي النشر العلمي و المطابع سنة 1997 السعودية .  
52 — جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، دار الثقافة للطباعة سنة 1974 القاهرة .  
53 — جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج 2 دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1973 لبنان .  
54 — جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ط 2 سنة 1987 بيروت .

— ه —

55 — هنريش بليث : البلاغة و الأسلوبية ، ترجمة محمد العمري أفريقيا الشرق ، سنة 1999 الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان .

— ر —

56 — رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة وتراث منشأة المعارف الإسكندرية سنة 1993 القاهرة ، مصر .

57 — ربيعة أبي فاضل : جولة في بلاغة العرب و آدابهم ، دار الجيل ط 1 سنة 1988 بيروت .

58 — رمزي البعلبكي : معجم المصطلحات اللغوية دار العلم للملايين سنة 1990 بيروت .

— س —

59 — سعيد حسن البحيري : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة مكتبة الآداب ط 1 سنة 2005 القاهرة .

60 — سيد قطب : في ظلال القرآن ج 6 دار إحياء التراث العربي سنة 1972 بيروت .

61 — سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف ، القاهرة دون طبعة سنة 1980 مصر

62 — سلمان حسين العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ترجمة ياسر الملاح النادي الأدبي الثقافي ط 2 سنة 1983 جدة السعودية .

63 — سمير العزاوي : التنعيم اللغوي في القرآن الكريم دار الضياء للنشر و التوزيع الأردن سنة 2000 .

64 — سعد كموني : الخطاب القرآني ، القرآن مرجعية للخطاب النهضوي ، المركز الثقافي العربي ط 1 سنة 2008 الدار البيضاء المغرب ،

— ص —

65 — صائل رشدي شديد : عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسات لسانية ، الأهلية للنشر و التوزيع ط 1 سنة 2004 الأردن .

66 — صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في فلسفة " بول غرايس " ، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع سنة 2005 القاهرة .

67 — صلاح فضل : علم الأسلوب : مبادئه و إجراءاته دار الشروق ط 1 سنة 1998 القاهرة .

— ع —

68 — عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : شرح وتعليق ، محمد التنجي دار الكتاب العربي ط 3 سنة 1999 بيروت لبنان .

- 69 — عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق محمد الاسكندراني و د . م مسعود ، دار الكتاب العربي ط 2 سنة 1998 بيروت لبنان .
- 70 — عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد المتحدة ط 1 سنة 2004 بيروت لبنان ، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا .
- 71 — عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب ، المدار العربية للكتاب ط 2 سنة 1982 .
- 72 — عبد الحميد حسين : الأصول الفنية للأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 سنة 1964 القاهرة .
- 73 — عبد الواحد حسن الشيخ : البديع و التوازي ، مكتبة الإشعاع للطباعة و النشر زو التوزيع ط 1 سنة 1999 الإسكندرية .
- 74 — عبده الراجحي : النحو العربي و الدرس الحديث دار النهضة العربية سنة 1986 بيروت ، لبنان
- 75 — عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البياني للقرآن الكريم دار المعارف سنة 1971 مصر .
- 76 — عبد الحلیم حفني : التصوير الساخر في القرآن الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992 القاهرة .
- 77 — عبد الحلیم حفني : أسلوب المحاوره في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 3 سنة 1995 مصر .
- 78 — عبد القادر عبد الجليل : هندسة المقاطع الصوتية و موسيقى الشعر العربي ، دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 سنة 1998 ، عمان ، الأردن .
- 79 — عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية ، دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 سنة 2001 عمان الأردن .
- 80 — علي الجارم ، مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ديوان المطبوعات الجامعية وهران ، الجزائر .
- 81 — عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان .
- 82 — عبد الغفور خليل : إعراب القرآن الكريم الميسر ، تقديم محمود سليمان ياقوت ، عبده الراجحي ، دار الصحابة للنشر ، مصر .
- 83 — عمارة ناصر : اللغة و التأويل ، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي دار الفارابي ط 1 سنة 2007 بيروت .
- 84 — عمر أوكان : اللغة و الخطاب ، أفريقيا الشرق . سنة 2001 المغرب — بيروت .

85 — عبد الواحد لؤلؤة : موسوعة المصطلح النقدي ، المجلد الرابع ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط 1 سنة 1993 بيروت .

— غ —

86 — غراهام هو : الأسلوب و الأسلوبية ، ترجمة كاظم سعد الدين دار آفاق عربية سنة 1985

— ف —

87 — فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب ، تقديم هاني الحاج و عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية القاهرة

88 — فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش مركز الإنماء القومي مكتبة الأسد سنة 1986 الرباط

89 — فضل حسن عباس : القصص القرآني إيحاؤه و نفعاته ، شركة الشهاب للنشر و التوزيع الجزائر

90 — فوز سهيل كامل نزال : لغة الحوار في القرآن الكريم دار الجوهرة عمان ط 1 سنة 2003 الأردن .

— ك —

91 — كمال بشر : علمك اللغة العام ، دار المعارف سنة 1975 مصر

— م —

92 — محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية سنة 2002 الإسكندرية مصر .

93 — محمود أحمد نحلة : لغة القرآن الكريم في جزء عم دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع سنة 1981 بيروت لبنان .

94 — محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي محدداته تجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ط 3 سنة 1990 بيروت .

95 — ميخائيل باختين : الخطاب الروائي ، ترجمة محمد برادة دار الأمان للطباعة و النشر و التوزيع سنة 1987 الرباط ، المغرب .

96 — محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز محمد زمري . دار الكتاب العرب ط 4 سنة 2002 بيروت .

- 97 — محمد حسن فضل الله : الحوار في القرآن الكريم ، قواعده ، معطياته ، أساليبه ، دار منصورى للنشر قسنطينة الجزائر .
- 98 — محمود السمران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية بيروت .
- 99 — محمد الماكري : الشكل و الخطاب ، مدخل إلى تحليل ظاهرائى ، المركز الثقافى العربى ط 1 سنة 1991 .
- 100 — محمد الحسنائى : الفاصلة فى القرآن ، دار عمار للطباعة و النشر و التوزيع ط 2 سنة 2000 عمان الأردن .
- 101 — محمد العمري : الموازنات الصوتية ، أفريقيا الشرق ، سنة 2001 المغرب لبنان .
- 102 — محمد صالح الضالع : الأسلوبية الصوتية ، دار غريب القاهرة .
- 103 — محمد أبوزهرة : تاريخ الجدل ، دار الفكر العربى ط 1 سنة 1970 . القاهرة
- 104 — محمد الصادق قمحاوى : البرهان فى تجويد القرآن مكتبة الشروق الدولية ط 1 سنة 2003 القاهرة .
- 105 — محمد قطب عبد العال : من جماليات التصوير فى القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2 سنة 2006 القاهرة .
- 106 — ماريو باي : أسس علم اللغة ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ط 8 سنة 1998 القاهرة .
- 107 — محمد العبد : المفارقة القرآنية ، دراسة فى بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ط 8 سنة 1998 القاهرة .
- 108 — مراد عبد الرحمان مبروك : الهندسة الصوتية الإيقاعية فى النص الشعري ، مركز الحضارة العربية ط 1 سنة 2000 القاهرة .
- 109 — مصطفى صادق الرفاعي : إعجاز القرآن و البلاغة النبوية دار الكتاب العربى ، سنة 2005 بيروت .
- 110 — محمد عبد المطلب : البلاغة العربية (قراءة أخرى) مكتبة لونجمان ط 1 سنة 1997 القاهرة
- 111 — محمد عبد المطلب : قضايا الحدائثة عند عبد القاهر الجرجاني الشركة المصرية العالمية للنشر — لونجمان سنة 1995 ط 1 القاهرة .
- 112 — محمد عبد الخالق عزيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم دار الحديث سنة 2004 القاهرة .
- 113 — محمد أحمد خلف الله : الفن القصصى فى القرآن الكريم ، شرح و تعليق خليل عبد الكريم مؤسسة الأنتشار العربى ط 4 سنة 1999 لندن ، بيروت ، القاهرة .

114 — محمود البستاني : دراسات فنية في القصص القرآن ، دار البلاغة للطباعة و النشر و التوزيع سنة 1987 بيروت .

115 — محمد فكري الجزار : سيميوطيقا التشبيه من البلاغة إلى الشعرية ، نفرو للنشر و التوزيع ط 1 سنة 2007 مصر .

— ن —

116 — نزيه محمد أعلاوي : الشخصيات القرآنية ، دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 سنة 2006 عمان الأردن .

— ط —

117 — طه عبد الرحمان : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ط 2 سنة 2000 الرباط المغرب .

118 — طه عبد الرحمان محمد السعاوي : أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ط 1 سنة 2004 بيروت .

## الدوريات :

1 — مجلة ( فصول ) مجلد 7 عدد 3 ، 4 [ أبريل ، سبتمبر 1987 ] ص 37 — 45 عز الدين إسماعيل : قراءة معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني .

2 — مجلة ( فصول ) م 4 عدد 2 سنة 1984 ص 76 السجع في تراثنا الشعري ، عاطف جودة .

3 — مجلة ( الفكر العربي المعاصر ) آذار عدد 38 سنة 1986 بسام بركة : المجاز المرسل و الحدائث .

4 — مجلة ( عالم الفكر ) المجلد 28 العدد 3 سنة 2000 يناير ، مارس ، محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة العربية دولة الكويت .

5 — مجلة ( عالم الفكر ) المجلد 30 يوليو سبتمبر 2001 حبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال الحجاجي ( عناصر استقصاء نظري ) الكويت .

6 — مجلة ( الإبداع و العلوم الإنسانية ) العدد 58 المجلد 10 آب أيلول سنة 1999 بيروت .

7 — مجلة ( آفاق ) مجلة دورية يصدرها اتحاد كتاب المغرب الرباط العدد 8 — 9 سنة 1989 ، رولان بارث ، التحليل البنيوي للسرد ترجمة حسن بحراري ، بشير القمري ، عيد الحمد غفار طرائق التحليل السرد الأدبي ص 8 — 9 .



- 8 — ( المجلة العربية للعلوم الإنسانية ) السنة الخامسة عشر شتاء 1997 جامعة الكويت العدد 57 :  
أحمد حمد أحمد : الخطاب الإلهي و كيف تلقتة أفهام المخاطبين ، ص 134 — 135 .
- 9 — مجلة ( المناظرة ) أبو بكر العزاوي " نحو مقارنة حجائية للاستعارة " ، المغرب السنة الثانية العدد  
4 ماي 1991 .
- 10 — حولية الجامعة التونسية كلية الآداب العدد 32 سنة 1991 جامعة تونس تالنتفات في  
القرآن الكرم — الشاذلي الهيشري .

### الندوات :

- 1— ندوة مكونات النص الأدبي أيام 25 — 26 — 27 ، عنوان المقال : مقاربات عاملية لمفهوم ( النص )  
داخل الثقافة العربية الإسلامية : محمد فريد ، جامعة الحسن الثاني عين الشق ، كلية الآداب و العلوم  
الإنسانية سنة 1999 الدار البيضاء المغرب

### المراجع الأجنبية

- 1-De Saussure, cours de linguistique générale Payot, paris.  
2-Jean du bois et autres, dictionnaire de linguistique librairie  
Larousse, Imprimerie Berger. Le vault, Nancy, France, Edition  
1982.  
3-Searle, john., R., Expression and meaning, studies; in the theory  
of speech Acts, Cambridge Uni.press(1993).  
4- Todorov et M.Bakhtine : « le principe dialogique », Ecrits du  
cercle de Bakhtine ; paris.édit de seuil 1981.  
5- Guiraud ; PIERRE Essais de stylistique 5 Eme Ed . puf . paris .  
1969

## Summary

The current study is entitled « The Structure of Dialogue in Koranic Discourse : A Stylistic Approach on The Meccan Sourahs ». we hypothesize that koranic dialogue emerges specifically in the koranic discourse which as a result becomes a rich field for stylistic analysis for the sake of deriving its most important features and formulative characteristics.

This research is an analytical statistic approach, springing from the ancient rhetoricians and critics' efforts. It relies on the efforts of modern studies and procedures in approaching texts including the statistical procedure which is useful in detecting the repetition of stylistic phenomena and their distribution in koranic discourse and the importance of its frequency or rareness.

This study consists of an introduction about the reasons underlying the selection of the research topic, the hypothesis and review of literature. In fact, it is divided into four parts and each part consists of three chapters.

The first part tackles the justifications which led us choose the stylistic approach in the research rather than another one, because the difference between the methodological approaches studying the dialogue phenomenon is the outcome of a human thought and reflexion that should not constitute an obstacle for the researcher to investigate and understand the obstructions of the unknown.

Stylistics is considered among the most efficient approaches in attaining all the levels that build up any discourse.

In the second chapter, we discussed the linguistic and idiomatic definition of koranic dialogue, its rate and typology as well as other elements which build it up.

The second part is made up of three chapters. The first chapter deals with the structure of imagery in the koranic dialogue. The beauty of imagery in

koranic dialogue is the fruit of a good cooperation of mental and physical faculties. Images is a means of koranic expression as the terms are transformed into images full of liveliness and action, addressing the self and consciousness.

Comparison is among the most common means of imagery in koranic dialogue, because it is nearer to imagination and the receiver's understanding. Metaphor, on the other hand, is a further step in imagination and comprehension. The artistic feature of connotation is more asserted and precise in formulation as it has a powerful density and detection of animates and inanimates.

عبد القادر للعظم الإسلامية

# المحتويات

	الإهداء	—
	شكر و إهداء	—
ص 1-5 أ.ب.ج.د.ه.و	المقدمة	—
	<u>الباب الأول . في المنهج و المفاهيم</u>	—
ص 1-31	<u>الفصل الأول : في المنهج</u>	—
ص 2	البلاغة	—
ص 6	الحجاج	—
ص 11	التداولية	—
ص 19	الأسلوبية	—
	<u>الفصل الثاني : في المفاهيم</u>	—
ص 32-40	ما بين الحوار و الجدل و الحجاج و المراء في اللغة و الاصطلاح	—
	الحوار لغة و اصطلاح	—
	الجدل	—
	الحجاج	—
	المراء	—
	الخصومة	—
ص 42-100	<u>الفصل الثالث: في مفهوم الخطاب ، الخطاب القرآني</u>	—
ص 42	ماهية الخطاب	—
ص 46	الخطاب القرآني	—
ص 48	الحوار القرآني	—
ص 50	أنواع الحوار في الخطاب القرآني	—

118-101	ص	.....	<u>الباب الثاني : بنية الصورة الفنية في المحاوراة القرآنية</u>
118-101			<u>الفصل الأول :بنية الصورة الفنية في المحاوراة القرآنية</u>
			— تمهيد
108	ص	.....	— أسلوبية الصورة الفنية في المحاوراة القرآنية
147-119	ص		<u>الفصل الثاني: التشبيه ، الاستعارة ، الكناية في الحوار القرآني</u>
119	ص	.....	— التشبيه
127	ص	.....	— الاستعارة
139	ص	.....	— الكناية
174-148	ص		<u>الفصل الثالث:أسلوبية الطباق و التعريض في المحاوراة القرآنية</u>
148	ص	.....	— أسلوبية الطباق
161	ص	.....	— أسلوبية التعريض
			<u>الباب الثالث: البنية الصوتية في المحاوراة القرآنية</u>
233-175	ص		<u>الفصل الأول : الفاصلة في الحوار القرآني</u>
197-175	ص	.....	— تمهيد
178	ص	.....	— السجع في المحاوراة القرآنية
185	ص	.....	— الفاصلة الحوارية [ إحصاء — صوتا ]
191	ص	.....	— الدور الوظيفي للسجع
219-198	ص		<u>الفصل الثاني : حركية الإيقاع الحواري</u>
198	ص	.....	— حركية الإيقاع في الحوار القرآني
200	ص	.....	— التوازنات الصوتية
202	ص	.....	— الصوامت الواقعة في الحوار القرآني
208	ص	.....	— هاء السكت

- لماذا يوظف الخطاب القرآني الهندسة المسافية للسجع دون غيره؟ ..... ص 213
- دلالة الفاصلة..... ص 219-216

### الفصل الثالث: مفارقة النغمة

- مفهوم المفارقة..... ص 227-224
- الهندسة الوصفية الصوتية للجهر و الهمس..... ص 233-228

### الباب الرابع: البناء اللغوي في المحاوراة القرآنية

#### الفصل الأول

- تمهيد ..... ص 234
- بنية الحوار بين الخبر و الإنشاء..... ص 236
- الاستفهام..... ص 237
- ظواهر في الإنكار..... ص 241
- تجسيم السؤال لدلالة التعجب..... ص 273
- تعاقب الاستفهام..... ص 288
- أسلوبية الجواب..... ص 290

#### الفصل الثاني: الأمر و النهي و النداء و التكرار في المحاوراة

##### القرآنية

- تمهيد
- أسلوبية الأمر..... ص 303
- أسلوبية النهي في المحاوراة القرآنية..... ص 308
- أسلوبية النداء..... ص 312
- أسلوبية التكرار..... ص 317

الفصل الثالث : التقديم و التأخير ، الحذف و الالتفات في ص 324-356

المحاورة القرآنية .

- أسلوبية الحذف ..... ص 340
- أسلوبية الالتفات ..... ص 347
- أنماط الالتفات ..... ص 350
- الخاتمة ..... ص 357
- قائمة المصادر و المراجع ..... ص 362
- ملخص البحث باللغة الأجنبية ..... ص 372
- المحتويات ..... ص 374

عبد القادر للعلوم الإسلامية